

الجامعة اللبنانية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

دليل مناهج البحث العلمي في الفنون والآثار

لجنة مناهج البحث العلمي
قسم الفنون والآثار



تنسيق: أ. د. أنيس شعيا
د. ندى الياس

الجامعة اللبنانية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية

دليل مناهج البحث العلمي في الفنون والآثار

لجنة مناهج البحث العلمي
قسم الفنون والآثار

تنسيق: أ. د. أنيس شعيا
درة ندى الياس

2022

العنوان: دليل مناهج البحث في الفنون والآثار

المنسق الأول: أ.د. أنيس شعيا († في 21 شباط 2021)

المنسقة الثانية: دة. ندى الياس

الصفحات: 336 صفحات

لجنة الإعداد:

- أ. د. أنيس شعيا
- أة. دة. جانين عبد المسيح
- أة. دة. جوانا شحود
- الخوري د. جورج يرق
- أ. د. وسام خليل
- د. زياد العريضي
- أة. دة. زينا فاني
- دة. حنان شرف
- د. يوسف أبو خليل
- أة. دة. مهي المصري
- أ. د. محمود زيباوي
- دة. مي حيدر
- الخوري د. ميخائيل قنبر
- أ. د. مصطفى سبيتي
- أة. دة. ندى الحلو
- دة. ندى الياس
- أة. دة. شيراز حميدان
- المطران أ. د. شربل عبدالله

جميع الحقوق محفوظة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجامعة اللبنانية ©

الطبعة: الأولى، 2022

بيروت - لبنان.

الصورة الامامية للغلاف الخارجي: لوحة مائية (1851) لمعبد تيكه في بعلبك للفنان والمعماري الانكليزي وليام كليرهو (William Clerihew 1880-1814).

الصورة الخلفية للغلاف الخارجي: لوحة زيتية (1841) لبوابة معبد باخوس في بعلبك للفنان الانكليزي دافيد روبرتس (David Roberts 1796-1864) موجودة الآن في الأكاديمية الملكية للفنون في لندن.

فهرس¹

5	تقديم عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
7	المقدمة
9	الجزء الاول: الفترات التاريخية
11	١ - عصر الحديد/ الحقبة الفينيقية: أ. د. وسام خليل
25	٢ - مدخل الى دراسة الحقبة الكلاسيكية (اليونانية والرومانية): أ. د. جانين عبد المسيح
49	٣ - لبنان في العهد الوسيط: أ. د. مصطفى سبتي، أ. د. أنيس شعيا
75	الجزء الثاني: دراسة العمارة واللقى الاثرية
77	١ - العمارة في الحقبة الكلاسيكية: أ. د. جانين عبد المسيح
103	٢ - الخزفيات: أ. د. مهى المصري، د. حنان شرف، د. مي حيدر
143	٣ - المسكوكات: د. زياد العريضي
177	الجزء الثالث: مناهج البحث العلمي في تاريخ الفن
179	١ - الفن الإغريقي والهلنستي والروماني (الفن الكلاسيكي): أ. د. زينا فاني
183	٢ - أهم المدارس التي تركت أثراً كبيراً في دراسة تاريخ الفن: أ. د. محمود الزيباوي
189	٣ - الفن المسيحي في لبنان: أ. د. ندى الحلو

¹ لم يتمكن عدد من الزملاء في أقسام الفنون والآثار من المشاركة في هذا الإصدار الأول من دليل مناهج البحث العلمي في الفنون والآثار، لذلك نأمل العمل في السنة الدراسية المقبلة على الإصدار الثاني للدليل.

195 الجزء الرابع: مناهج البحث العلمي في اللغات القديمة

- 197 ١ - مناهج البحث العلمي في لغات الشرق القديم: أة. دة. شيراز حميدان
- 205 ٢ - مناهج البحث العلمي في اللغات السامية القديمة (عبري وسرياني):
الخوري د. ميخائيل قنبر
- 217 ٣ - مناهج البحث العلمي في اللغات الهندوأوروبية القديمة (يوناني):
المطران أ. د. شربل عبد الله
- 227 ٤ - مناهج البحث العلمي في اللغات الهندوأوروبية القديمة (لاتيني):
الخوري د. جورج يرق
- 233 ٥ - مناهج البحث العلمي في اللغة الهندوأوروبية (الفارسية): د. يوسف أبو خليل

241 الجزء الخامس: الإنسان ومحيطه

- 243 ١ - الأنثروبولوجيا: دة. ندى الياس
- 275 ٢ - علم الأركيوزولوجيا: أة. دة. جوانا شحود
- 293 ٣ - أركيولوجيا النبات: دة. ندى الياس

311 الجزء السادس: المتاحف

- 313 ١ - المتاحف ونشأة علم المتاحف: أة. دة. مهي المصري
- 327 ٢ - الممارسات المتحفية في القرن الحادي والعشرين (المتحف والتغيير): دة. مي حيدر

تقديم

إنَّه الإصدار الخامس من مشروع أدلة مناهج البحث العلمي التي تصدر تباعاً عن كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ونرعاها ونعمل عليه منذ مدة غير وجيزة. أدلة ينجزها تباعاً ثلّة من خيرة أساتذة الكلية الباحثة، وهذه المرة من أساتذة قسم الفنون والآثار الذين انكبوا على هذه المناهج قراءة وتفصيلاً، بهدف إعادة تقديمها ميسرة إلى طلاب الكلية، بشكل يسهم في تطوير قدراتهم العلمية والفكرية والبحثية، ويطوّر أعمالهم البحثية، ويرفع تالياً مستوى البحث العلمي في الماستر إلى حدّ كبير.

دليل مناهج البحث العلمي في قسم الفنون والآثار إنجاز جديد يُضاف إلى إنجازات الكلية العلمية والأكاديمية من حصول على شهادات الاعتماد الأكاديمي لجميع برامجها من المجلس الأعلى لتقييم البحوث والتعليم العالي Hcéres (20 تموز 2020)، وإطلاق مناهجها الجديدة والبدء في تطبيقها خلال العام الجامعي 2021-2022. دليل مناهج البحث العلمي في قسم الفنون والآثار يصدر في حزيران 2022 تحية إكبار وإجلال لروح الدكتور أنيس شعيا الذي غادرنا إلى دار الحق قبل أن ينجز هذا العمل، فأكمل رفاقه مسيرته العطرة الحافلة بالعطاء والعلم والسعي إلى نشر المعرفة وخدمة الإنسان ومجتمعه.

يصدر اليوم بعد صدور أدلة مناهج البحث العلمي في قسم اللغة العربية وآدابها (26 تشرين الثاني 2020)، وفي قسم علم النفس (14 كانون الثاني 2021)، وقسمي اللغة الفرنسية وآدابها والتاريخ (حزيران 2022). وهو دليل شامل للمناهج العلمية التي تستخدم في دراسة الفنون والآثار والمدارس التي تعتمد في البحث في مجالاتها على اختلاف مناحيها وتوجهاتها، عبر الفترات التاريخية المختلفة من عصر البرونز إلى الحقبة الوسيطة، ويقدم صورة وافية عن الثقافات المادية وآليات دراسة اللقى الأثرية، وتاريخ

الفن، ومناهج البحث العلمي في اللغات القديمة، وآليات دراسة الإنسان ومحيطه
ودراسة المتاحف...

هنيئاً لأساتذة قسم الفنون والآثار في كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الجامعة
اللبنانية وطلابه هذا الدليل، ونأمل أن يفيدوا مما جاء فيه، وأن يعتمدوه مرجعاً أساسياً
في مقررات عديدة أوردناها في مناهجنا الجديدة ومنها تقنيات البحث في الإجازة،
ومنهجية البحث في الماجستير، واعتماده مرجعاً وافياً ليكون دليلهم المباشر والسريع إلى
هذه العوالم المتنوعة والمتداخلة والمتشابكة.

بيروت، 2022 /06/25

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية
البروفسور أحمد رباح

المقدمة

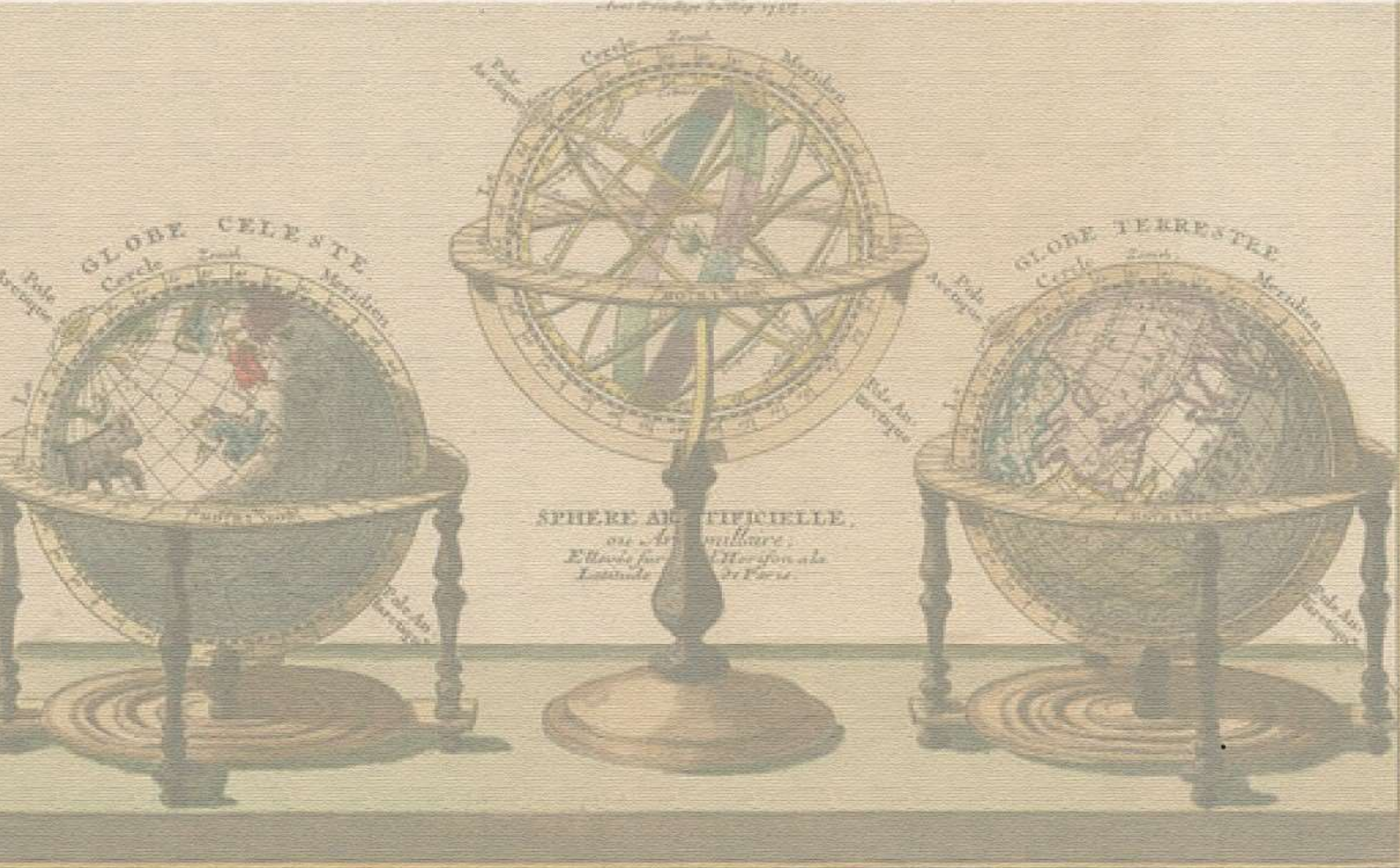
لقد بدأ العمل في هذا الدليل الأستاذ الدكتور أنيس شعيا في 19 حزيران من عام 2020، حيث كان له الفضل في هندسة الدليل والتواصل مع أعضاء الفريق كافة لتنسيق توزيع المهام، كل بحسب اختصاصه. وقد نجح بوضع المخطط وتوزيع المهام. غير أنه توفي قبل أن يرى هذا الدليل النور، فكان على أعضاء اللجنة الكريمة مواصلة هذا الطريق وأردنا أن يكون الإهداء موجهاً لروحه عربون شكر وتقدير لمسيرته المهنية وعطاءاته في كنف هذه الجامعة.

إنّ الأركيولوجيا علم متفرع الإتجاهات والمذاهب، ومن أهدافه الأساسية دراسة الإنسان السالف وما خلفه من حضارة مادية وثقافية في زمان ومكان معينين، وذلك من خلال عمليات المسح والتنقيب. إنّ هذا الدليل ليس مدخلاً لعلم الآثار أو كتاباً عن التقنيات المستخدمة، إنما هو محاولة لمقاربة مناهج البحث العلمي والتيارات الفكرية في بعض مذاهب علم الآثار، وإعطاء فكرة للطالب عن المنهجيات المعتمدة بحسب الفترات التاريخية، أيضاً بحسب نوع الثقافات المادية المكتشفة واللقى الاثرية، ومناهج البحث العلمي المعتمدة في تاريخ الفن واللغات القديمة، كذلك كيفية مقارنة الإنسان السالف ومحيطه واعطاء لمحة عن تاريخ وتطور علم المتاحف.

انطلاقاً من هذا الواقع، وضع هذا الكتاب ليكون دليلاً للطالب في رحلته العلمية للبحث عن إعادة بناء الماضي من خلال البقايا المادية المكتشفة. هدف هذا الدليل تسهيل بحث الطالب من خلال تزويده بأبرز المفاتيح عن علم الآثار وتياراته المعاصرة.

لجنة إعداد الدليل

حزيران 2022



الجزء الأول

الفترات التاريخية

عصر الحديد/الحقبة الفينيقية

أ.د. وسام خليل

المقدمة

ترتبط الفترة المسمّاة عصر الحديد في شرق المتوسط بالحقبة الفينيقية، وتحديدًا بالمنطقة الساحلية الممتدة من عكا في فلسطين جنوباً حتى تل سوكناس في سوريا شمالاً. تعتبر الهضاب والجبال الواقعة شرقي المدن والممالك الفينيقية (سلسلة جبال لبنان الغربية عموماً) امتداداً طبيعياً لمناطق الساحل، أما سهل البقاع فالجدل قائم حول اعتباره ضمن الإطار الجغرافي الطبيعي للحضارة الفينيقية أو ضمن دائرة التأثير الفينيقي. تجدر الإشارة إلى أن تسمية "عصر الحديد" مرتبطة بمعدن الحديد الذي شاع استخدامه خلال هذه الفترة بحيث استبدل معدن البرونز بشكل عام.

سبق عصر الحديد العصر المسمّى عصر البرونز، ويستعمل العلماء مصطلح الحقبة الكنعانية للدلالة على هذه الفترة أيضاً. ينتهي عصر البرونز بعد هجمات شعوب البحر (بداية القرن 12 قبل الميلاد) التي قوّضت ممالك كبيرة كالمملكة الحثيّة أو الأقل شأنًا مثل أوغاريت، وأضعفت مصر القديمة.

عموماً، يعتبر القرن الثاني عشر قبل الميلاد بداية عصر الحديد في مناطق الشرق الأوسط واليونان، أما مناطق وسط أوروبا فلم تدخله حتى القرن الثامن قبل الميلاد.

I. نشأة الدراسات الفينيقية

تعتبر الدراسات الفينيقية حقل أبحاث جديدًا، بدأ تدريجيًا في القرن السابع عشر م وانطلق في القرن الثامن عشر في أوروبا. اعتبر القرن الثامن عشر فترة ازدهرت فيها العلوم (بدأت فيه الثورة الصناعية على سبيل المثال)، بحيث قام عدد من علماء الكلاسيكيات بالانكباب على دراسة النصوص والكتب اللاتينية والإغريقية، ناهيك عن توسع دراسات الكتاب المقدس لتشمل التحقق من النصوص وأخبارها. لا بد هنا من التذكير بأن المصادر التي تحدثت عن الفينيقيين لم يكتبها الفينيقيون أنفسهم بل وصلت بطريقة غير مباشرة، لذلك هي أخبار أو أفكار نصّت قديمًا خلال فترات معاصرة أو متأخرة عن مسرح الحضارة الفينيقية في شرق المتوسط، شمال أفريقيا أو جنوب أوروبا.

نشأت الدراسات الفينيقية مع العالم الفرنسي (S. Bohart 1599-1667) الذي انكب على دراسة الشعوب من خلال سفر التكوين في التوراة حيث أعطى أهمية لمنطقة كنعان (منطقة سكن الفينيقيين) وللكنعانيين، وقدم دراسة أولية نوعية للغة الفينيقية. بعدها قام العالم J.J. Barthélémy عام 1758 بتقديم منهج كامل لفك رموز الكتابة الفينيقية انطلاقًا من كتابة مزدوجة بالإغريقية والفينيقية اكتشفت بجزيرة مالطا، بالإضافة إلى مجموعة من المسكوكات من صيدا وصور وكتابات من كيتيون أقي بها الرحالة R. Pockocke من جزيرة قبرص.

عام 1837 نشر عالم الألسنيات والرقم الألماني W. Gesenius (1786-1842) أول كتاب قواعد للغة الفينيقية. عام 1860، قام العالم الفرنسي E. Renan بالتزامن مع الحملة العسكرية الفرنسية إلى جبل لبنان (أحداث 1860) ببعثة علمية لدراسة الآثار في فينيقيا. أمضى رينان سنة كاملة يجول في جبل لبنان ومناطق الساحل التي قسّمها إلى أربع مناطق حدّدها كأهم مراكز للحضارة الفينيقية: أرواد، جبيل، صيدا وصور. تعتبر بعثة رينان أول محاولة علمية لسبر الحضارة الفينيقية في موطنها الأم، وكان أحد أهم أهداف العالم الفرنسي اكتشاف كتابات باللغة الفينيقية، كما استعان بخبراء من مهندسين ومثقفين. تم نشر الكتاب في باريس عام 1864 بعنوان بعثة فينيقيا - Mission de Phénicie.

بعد هذه البعثة، قام رينان بنشر مجلد (Corpus) يجمع كافة الكتابات الفينيقية، ونشر العدد الأول في العاصمة الفرنسية باريس عام 1867 باللغة اللاتينية بعنوان: *Corpus Inscriptiorum Semiticarum (CIS)*.

يمكن اعتبار الفترة الممتدة من بدايات القرن العشرين حتى نهاية الحرب العالمية الثانية فترة قلّ فيها الإنتاج البحثي حول الفينيقيين لأسباب ردها البعض لتنامي الأفكار العرقية القومية الأوروبية والفاشية والمعاداة للسامية بحيث قللت هذه الأفكار من شأن باقي الحضارات والثقافات. لا بد هنا من الإشارة إلى الدور الذي لعبته الإرسالية اليسوعية التي نشط باحثوها في دراسة الآثار من الحقبات كافة في لبنان وسوريا وفلسطين (لويس شيخو، S. Ronzevalle, R. Mousterde). نذكر أيضاً أعمال العلماء G. Contenau و R. Dussaud التي أضأت على فصول هامة من تاريخ المنطقة وآثارها.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، حدثت نهضة جديدة في الدراسات الشرقية والفينيقية تحديداً. يمكن اعتبار ساباتينو موسكاتي S. Moscati أحد أهم العلماء الذين أعادوا الدراسات الفينيقية إلى الواجهة بدءاً من نهاية الخمسينات. بقي موسكاتي رائداً في هذا المجال ومنكباً على الأبحاث حتى التسعينات. تحولت الدراسات الفينيقية معه إلى علم منهجي (Discipline) يركز على التنقيبات ودراسة اللقى والفن، كما أقام شبكة علاقات علمية أوروبية وعالمية.

قام موسكاتي خلال الفترة الممتدة بين الستينات والسبعينات من القرن العشرين بتحديد الأطر الجغرافية والتاريخية للحضارة الفينيقية، وحددها بين القرن 12 ق.م. بعد غزوات شعوب البحر و333 ق.م. عند دخول الإسكندر المقدوني للمنطقة. برّر العالم الإيطالي هذا الإطار التاريخي عبر غياب الكتابات الفينيقية الفعلية قبل القرن الـ12، واعتبر أن نهايته مرتبطة بزوال الملكية والهوية المستقلة وبالإنصهار التام بالهللينية بعد قدوم الاسكندر المقدوني. أما بالنسبة للإطار الجغرافي في الأرض الأم، فقد التزم موسكاتي بالفكرة السائدة بأنها المنطقة الساحلية المحددة بين البحر والجبل، أي أنه أبقى على التعريف المسبق الذي أطلقه رينان. ركز موسكاتي في دراساته على الشق الغربي للحضارة الفينيقية أي انفتاحها على المتوسط وعلاقاتها الثقافية والتجارية مع الغرب دون التطرق إلى العلاقات مع الداخل كبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس. يمكن تفسير هذا التوجه بوفرة المكتشفات الفينيقية في الغرب.

تُعتبر فترة الحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990) كارثية على الدراسات الفينيقية والأركيولوجية في لبنان، إذ توقف الإنتاج العلمي على عكس الأبحاث في أوروبا التي نشطت لا سيما في جزيرة مالطا وإيطاليا (صقلية وسردينيا) وإسبانيا (جزيرة إيبيزا) وشمال إفريقيا. بالإضافة إلى موسكاتي، برزت أسماء مهمة ارتبطت بمكتشفات كبيرة في إسبانيا أمثال J. Fernandez و F. Barreca و M. Eugenia وفي إيطاليا G. Pesce و S. F. Bondi و P. Bartoloni و I. Oggiano و L. Nigro.

II. موسكاتي والإجابة على إشكالية الحضارة الفينيقية:

"أسئلة حول الحضارة الفينيقية" مقال للعالم الإيطالي ساباتينو موسكاتي (Sabatino Moscati) نشره عام 1963، أعاد فيه الاعتبار إلى الحضارة الفينيقية من خلال الأطر العلمية بعيداً عن العنصرية أو أي نهج قديم يضع الحضارات في مواجهة أو تنافس كما كان سائداً في بدايات القرن العشرين.

S. MOSCATI, 1963, "La Questione Fenicia", *Rendiconti dell'Accademia Nazionale dei Lincei* s.8a, 18, pp. 483-506.

بدأ ساباتينو موسكاتي بعرض ما ذكره الكتاب الكلاسيكيون حول الفينيقيين من حيث أصولهم قبل التطرق إلى نظريات العلماء المعاصرين، تناول بعدها إشكالية الانتشار الفينيقي في المتوسط عما إذا كانوا قد سبقوا بذلك الإغريق. ثم وضع النقاط على الحروف من خلال هذا المقال عندما قام بتحديد أطر الحضارة وأصل التسمية والأصول واللغة والفن والديانة، راسماً الطريق لكل دارس وباحث معاصر يتناول اليوم الحضارة الفينيقية.

بالمختصر، تعتبر الحضارة الفينيقية امتداداً طبيعياً لعصر البرونز (مع أخذ التطور التقني بعين الاعتبار)، وهي حضارة بحرية بطبيعتها بحيث تبلورت كما نعرفها ضمن الإطار الجغرافي الساحلي بين أرواد شمالاً وعكا جنوباً. هذه الميزات البحرية هي ما دفعت بالفينيقيين عبر البحار لاكتشاف مصادر الموارد والاستيطان في أوروبا وشمال أفريقيا.

III. التسمية:

عند دراسة الحضارة التي تواجدت على ساحل شرق المتوسط بين عكا جنوباً وأرواد وتل سوكناس شمالاً، نستعمل عادة مصطلح "الفينيقيون" للدلالة على الحضارة التي ازدهرت في عصر الحديد، علماً أن الفينيقيين لم يستخدموا كلمة "فينيقي" عند الإشارة إلى أنفسهم وهويتهم إذ كانوا يستعملون دائماً انتماءهم المديني: صوري، صيدوني، جبيلي، أروادي (= من صور، من صيدا، من جبيل، من أرواد). عندما بدأ العلماء في القرنين 17 و18 بالاهتمام بالفينيقيين من خلال المصادر الكلاسيكية (اليونانية والرومانية) استعملوا بطبيعة الحال التسميات الإثنية والجغرافية الموجودة في المصادر هذه ومنها كلمة Phoinikes.

تشق كلمة "الفينيقيون" كما هي معروفة اليوم إذا من اللفظ الإغريقي المستعمل في الإلياذة والأوديسة لهوميروس: Phoinikes للشعب و Phoinike للمنطقة. يمكن ربط هذا المصطلح باللون الأحمر الأرجواني وبهذا يُعطي تفسيراً لإشتقاق الكلمة. ولكن لا يمكن ربط التسمية هذه حصراً بالألف الأول ق.م. وباللغة الإغريقية، إذ نجد لها صدى في النصوص الميسينية في الألف الثاني قبل الميلاد من خلال كلمة po-ni-ki-ja وتعني الأحمر أيضاً.

كما نجد كلمة "كنعان" في الألف الثاني قبل الميلاد في النصوص الأكادية في بلاد ما بين النهرين، وهي مرتبطة بمعنى الأحمر الأرجواني. ولكن يجب الأخذ بعين الاعتبار أن كلمة "كنعانيون" لا تعني أو لا تشمل الفينيقيين وحدهم بل تتعداهم لكافة سكان الساحل السوري اللبناني الفلسطيني وبعض مناطق الداخل. ويستعمل أيضاً الكتاب المقدس مصطلح كنعان وكنعانيون. كما استعملت كلمة لبنان للدلالة على جبل لبنان وأحياناً للدلالة على الجبل والمنطقة المحيطة به ومن ضمنها الساحل كما في حوليات الفرعون تحوتمس الثالث من القرن الرابع عشر قبل الميلاد.

أما بالنسبة لتسمية "البونيون - Punique/Punics" فهي مشتقة من الكلمة اللاتينية التي كانت تدل على الفينيقيين في الغرب، بمعنى آخر هي النسخة اللاتينية لكلمة "فينيقيون" التي كانت تلفظ بحسب المخارج اللفظية اللاتينية.

تجدر الإشارة إلى أن بعض المصادر الإغريقية وبعض الآيات من أسفار الكتاب المقدس استعملت كلمة "الصيدونيون" عند الحديث عن الفينيقيين. ترتبط تسمية "الصيدونيون" بالفترة التي كانت فيها مملكة صيدون المملكة الأكبر والأقوى والأكثر انتشاراً تجارياً وثقافياً في المتوسط والداخل مما جعل مصطلح "الصيدونيون" مرادفاً أحياناً لـ "الفينيقيون".

IV. الهوية الفينيقية؟

قبل الإجابة عما إذا كانت هناك وحدة تربط الفينيقيين كمجموعة واحدة أو كشعب واحد، لا بد من التذكير بأن المفهوم الحديث للمواطنة أو الانتماء العرقي أو الوطني لم يكن معروفاً لدى الأقدمين كما هو متداول اليوم. إن قلة المصادر الفينيقية المكتوبة تجعل من الإجابة على سؤال كهذا أمراً مستحيلاً. بما أن الإطار الجغرافي الأساسي للحضارة الفينيقية هو الساحل الضيق (ضمن فلسطين ولبنان وسوريا اليوم)، كانت المدن المنتشرة على الساحل من الشمال إلى الجنوب تحكم بحسب نظام ملكي أي أنها كانت ممالك، وكانت المدن الصغيرة تنضوي تحت مظلة المدن الكبرى، نُعطي مثلاً مملكة صيدا في بدايات الألف الأول ق. م. التي كانت تضم صور والصرفند وبيروت، فالصيدوني بحسب هذا المنطلق كان كل شخص من هذا النسيج الجغرافي الكبير. بناءً على ما سبق، وبحسب تحليل بعض النصوص من المصادر القديمة، أصبح من المسلم به أن سكان الممالك الفينيقية كانوا يكتّون أنفسهم بحسب انتمائهم إلى المدينة/المملكة. لا بد من الإشارة هنا إلى أن بعض الإصدارات من مسكوكات بيروت من الفترة الهلنستية نقش عليها باللغتين الفينيقية والاعريقية، بحيث اعتبرت بيروت نفسها المدينة الأم في كنعان. يعكس هذا المثل جانباً من مفهوم الإنتماء لمنطقة جغرافية تحت مسمى كنعان في الفترة الهلنستية.

V. أصول الفينيقيين

كثرت النظريات والفرضيات حول أصول الفينيقيين، وكان أول من تناول الموضوع هذا كتاب من الحقبة الإغريقية ومن الحقبة الرومانية. تُعتبر بعض الأمثلة بدءاً بالمورخ الإغريقي هيروdotوس (القرن الخامس ق.م.) الذي اعتبر أن أصول الفينيقيين هي من

بحر أريتريا. كما أنَّ الجغرافي الإغريقي سترابون (Strabo) ولد حوالي 60 ق. م. وتوفي حوالي 20-21 بعد الميلاد) أرجعهم إلى منطقة الخليج الفارسي حيث توجد معابد ومدن شبيهة بمدن الفينيقيين. تشابه معه بهذا الرأي بلينوس (Pliny the Elder) ولد حوالي 23/24 وتوفي عام 79 بعد الميلاد). وبرأي المؤرخ الروماني جوستين (Justin القرن الثاني ميلادي) فإن الفينيقيين أساساً سكنوا البحر الأحمر قبل سكن شواطئ المتوسط.

بداية القرن العشرين، ومع تقدم العلوم الإنسانية مثل التاريخ والأركيولوجيا، وبعد أن أصبحت نظريات الهجرات أساساً لتحديد أصول الشعوب، باتت النظرية التي ترجع أصول سكان بلاد ما بين النهرين والكنعانيين والفينيقيين إلى الجزيرة العربية من الثابتة، وارتبطت هذه الفكرة ببعض الأيديولوجيات لا سيما القومية العربية. ما زالت هذه النظريات تلقى اهتماماً واسعاً ضمن بعض المجتمعات العلمية لا سيما في البلدان التي ما زالت تحت تأثير هذه الأيديولوجيات كسوريا ومصر على سبيل المثال، علماً أن التوجه في المجتمع العلمي اليوم لا يعتد بمثل هذه النظريات، فالتنقيبات الأركيولوجية التي نشطت منذ النصف الثاني من القرن العشرين في كل من لبنان وسوريا والساحل الفلسطيني تحديداً أظهرت استمرارية في التواجد السكاني في أكثرية المواقع المنقبة وغياب أية أدلة على موجات هجرات من أماكن بعيدة أسست لحضارات حديثة تعاقبت على ما كان سائداً قبلها في كل من بلاد الرافدين وكنعان في الألف الثالث والثاني قبل الميلاد. يعول الكثيرون اليوم على النشاط الأركيولوجي غير المسبوق في المملكة العربية السعودية لتحديد الأطر التاريخية للحضارات القديمة في الجزيرة العربية وتمدها شمالاً أو شرقاً ومدى تأثيرها أو/و تأثرها بمحيطها لإعادة كتابة تاريخ الحضارات القديمة في بلاد الرافدين والداخل السوري والفلسطيني والساحل. ويعول بعض العلماء أيضاً على الدراسات الجينية لتحديد مسارات الهجرات خلال حقبات ما قبل التاريخ والعصور التاريخية في الشرق الأدنى القديم.

VI. الفينيقيون في الغرب

إنَّ الظاهرة التاريخية المهمة التي تركت أثرها على الحضارات في الغرب هي توجه سكان مدن الساحل الفينيقي بدءاً من القرن التاسع قبل الميلاد وبصورة متزايدة في

منتصف القرن الثامن إلى سواحل شمال أفريقيا وجزر جنوب أوروبا مثل صقلية وسردينيا وإيبيزا، بالإضافة إلى سواحل إسبانيا وإيطاليا، بهدف خلق مسارات تجارية، مؤسسين بذلك مستوطنات بعضها كبير وبعضها الآخر أصغر وأقل شأنًا. لعبت هذه المستوطنات دورا مهماً في ربط شرق المتوسط بغربه ونشر الأنماط الحضارية الشرقية في الغرب. سبق هذا التوجه نحو الغرب تمدد نحو جزيرة قبرص منذ القرن العاشر قبل الميلاد. وأشهر المواقع المرتبطة بالتواجد الفينيقي في قبرص هي: كيتيون Kition وسلاميس Salamis وإنكومي Enkomi.

نذكر هنا أشهر المدن والمستوطنات التجارية الفينيقية في الغرب:

شمال أفريقيا:

- قرطاج Carthage وأوتيكا Utique في تونس.

- موغادور في المغرب Mogador

في أوروبا:

- موقع موتزيا Motya في صقلية.

- مونتي سيراي Monte Sirai وسانت أنطيوخو Sant'Antioco ونورا Nora، وكالياري. Karalis وثاروس Tharros في سردينيا.

- جزيرة إيبيزا Ibiza في إسبانيا.

- Tag Silg في جزيرة مالطا.

- قاديكس (قادش) Cadiz في إسبانيا.

منتصف القرن السادس قبل الميلاد، استقلت قرطاج وتحررت من مدينتها الأم صور وبدأت بالتوسع، وضمت المستوطنات الفينيقية في الغرب تباعاً، كما استولت على كافة الأراضي التي كانت خاضعة سابقاً للمتحدثين من أصول صيدونية وصورية. بعد ذلك سقطت جزيرة صقلية بيد القرطاجيين عام 550 ق. م. وجزيرة سردينيا عام 520 ق. م.

VII. التسلسل الزمني للأحداث (كرونولوجيا)

نعمت المدن الفينيقية التي لم تؤثر غزوات شعوب البحر سلباً عليها بنوع من الاستقلال الذاتي. تُعتبر القرون الـ 12 و 11 و 10 قبل الميلاد وفقاً لبعض المؤرخين وعلماء

الآثار فترة استقلال نسبي سبقت فترة تمدد الإمبراطوريات الرافدية تباعاً مثل الآشورية والكلدانية.

أهم الأحداث في فترة الإمبراطورية الآشورية الحديثة (610-934 ق.م.).

- منتصف القرن الثامن قبل الميلاد ثارت مدن صور، جبيل وأرواد ضد الحكم الآشوري. قام تغلات بلصر الثالث (727-745) بقمع هذه الثورات مطالباً المدين هذه بدفع جزية كبيرة.
- ثارت مدينة صور مرة أخرى في عهد شلمنصر الخامس (705-721) الذي قام بقمع هذه الثورة بقسوة.
- قامت ثورة في صيدا عام 676 في عهد ملكها عبد ملكو ضد أسرحدون (668-681)، ويقال أنّ الأخير دمر المدينة بالكامل واستبعد من تبقى من سكانها، وقام بتأسيس مدينة جديدة على أنقاضها وأسكن فيها قوما من الكلدانيين والعلاميين.

أهم الأحداث في فترة الإمبراطورية البابلية الحديثة (539-609 ق.م.).

- قامت ثورة في صور في عهد نبوخذنصر الثاني (561-604)، فحاصرها الأخير طيلة 13 سنة حتى سقوطها عام 574 ق.م.

أهم الأحداث في فترة الإمبراطورية الفارسية الأخمينية (333-539 ق.م.).

- أصبحت صيدا في عهد داريوس الأول (333-522 ق.م.) عاصمة الولاية الخامسة التي ضمت سوريا وفينيقيا.
- قامت أساطيل المدن الفينيقية بلعب دور هام في الحروب الميديّة (449-490) بجانب الفرس ضد الإغريق من أجل السيطرة على شرق البحر المتوسط. وكان لصيدا الحصة الأكبر في هذا الدور، إذ أعطاهما الفرس لقاء مشاركة أسطولها في الحروب مدينتي دور ويافا وقاموا بتشديد مبان في المدينة وحديقة ملكية خارج أسوارها.
- خلال هذه الحقبة وفي عهد الملك أشمونعزر الثاني ابن تبنيت، تمّ تشييد أول هيكل للإله أشمون على الضفة الجنوبية لنهر الأولي (5,3 كم شمال صيدا).

- اقتص الفرس من صيدا عام 351 ق.م. بعد أن ثارت ضدهم، وقتلوا حوالي 40000 من سكانها بفعل الحريق العظيم الذي التهم المدينة.
- فتحت المدينة أبوابها للإسكندر المقدوني عام 333 ق.م. دون أي مقاومة تُذكر.

VIII. المؤتمر العالمي للدراسات الفينيقية والبونية

أقيم أول مؤتمر عالمي للدراسات الفينيقية والبونية (Congrès international des études phéniciennes et puniques) في العاصمة الإيطالية روما بدعوة من ساباتيно موسكاتي عام 1979. غاية هذا المؤتمر الذي يحصل بشكل دوري (يعقد الآن كل أربع سنوات) أن يجمع أهم العلماء والباحثين في الدراسات الفينيقية والبونية بهدف تبادل الآراء والخبرات ونشر الأبحاث وتطويرها.

أقيم المؤتمر الثاني في روما عام 1987، والثالث في تونس عام 1992، والرابع عام 1995 في مدينة قادش (Cadix) في اسبانيا، والخامس عام 2000 في مدينة مرسالا (Marsala) في إيطاليا، والسادس عام 2005 في مدينة لشبونة في البرتغال، والسابع عام 2009 في مدينة تونس، والثامن عام 2013 في مدينة سانت أنتيوخو (Sant'Antiocho) في سردينيا - إيطاليا، أما التاسع والأخير حتى الآن فأقيم عام 2018 في مدينة مريدا (Merida) في إسبانيا. يتوقع أن يقام المؤتمر العاشر في أكتوبر عام 2022 في جزيرة إيبيزا (Ibiza) في اسبانيا.

أحد أهم إنجازات هذا الحدث العلمي المميز هو الدعوة لالتقاء العلماء والباحثين في مجال الدراسات الفينيقية وعرض ومناقشة أهم الإصدارات ونتائج الأبحاث. يختتم كل مؤتمر بالدعوة لمؤتمر جديد وبنشر كافة وقائع المؤتمر.

الخاتمة

تعتبر الدراسات الفينيقية اليوم من التخصصات الأساسية ضمن آثار الشرق الأدنى القديم وتتخطى حدود الاختصاص، منطقة الشرق الأدنى إلى شمال أفريقيا وجنوب أوروبا حيث تلعب الجامعات الأوروبية دوراً رائداً في هذا المجال. تجدر الإشارة إلى أن على

الطالب الذي يرغب بالتخصص بالحضارة الفينيقية اليوم أن يجيد اللغتين الإيطالية والإسبانية اللتين أصبحتا بالإضافة إلى الفرنسية والإنكليزية من اللغات الضرورية في هذا المجال.

بالرغم من مرور أكثر من نصف قرن على نهوض هذا الاختصاص، إلا أن الدراسات المتعلقة به ما زالت غير كافية لسبر تاريخ وأسرار هذه الحقبة من مسرح الحضارة الفينيقية في لبنان. برزت بعد الحرب الأهلية اللبنانية أنشطة بحثية أركيولوجية متعددة نذكر منها الحفريات الإنقاذية في بيروت وحديثاً على كامل مساحة الجمهورية اللبنانية، وقد أضاءت هذه الأنشطة بشكل واسع على معالم الحقبة الفينيقية إضافة إلى عصور أخرى بطبيعة الحال. كما ونشطت دراسات وتنقيبات في المناطق الجبلية التي ساهمت وما زالت تساهم بإغناء الباحثين في مجال التاريخ والآثار بمعطيات عن الحضارة الفينيقية وتفاعلها مع مناطق الداخل. لعب قسم الآثار في الجامعة اللبنانية الدور الأبرز في هذه الأبحاث، وتعاون مع المديرية العامة للآثار ومع البعثات الأجنبية بحيث قام أساتذته بإدارة الحفريات والأبحاث وتقديم الخبرات وأحياناً بإدارة مشتركة مع هذه البعثات، كما وشارك طلاب قسم الآثار في الجامعة اللبنانية بكافة فروعها بكثافة في الحفريات وتدريبوا على أيدي أهم الاختصاصيين المحليين والدوليين.

لا تزال الدراسات الفينيقية في لبنان بحاجة إلى دعم مادي وزخم علمي إضافي كي تلاقي النهضة العلمية في هذا المجال في أوروبا.

لائحة المصادر والمراجع

- Abou-Abdallah, M. (2018). *L'histoire du royaume de Byblos à l'âge du fer : 1080-333*, Peeters Publishers.
- Abou Diwan, G. (2016). *Sarepta V. The coin finds of areas I and II (X, Y): Persian, Hellenistic, Roman, Byzantine and Medieval periods; the University Museum of the University of Pennsylvania Excavation at Sarafand, Baal*; Hors-série 14, Beirut.
- Aubet, M. E. (2004). *The Phoenician Cemetery at Tyre-Al Bass: Excavations 1997–1999*. Baal, Hors-Série 1. Beirut.
- Aubet, M. E. (2001). *The Phoenicians and the West: politics, colonies and trade*. Cambridge University Press.
- Badawi, H. (2011). Phoenician Harbors in Lebanon: Recent Discoveries (2013). In *International Congress of Studies of the Ancient Mediterranean Viewed from Phoenicien-Punic Archeology*. Tokyo– Aomori– Kyoto, 12-20, 59-62.
- Baramki, D. C. (1961). *Phoenicia and the Phoenicians*. Beirut.
- Bikai, P. M. (1987). *The Phoenician pottery of Cyprus*. Nicosia: A.G. Leventis Foundation.
- Bikai, P. M. (1978). *The pottery of Tyre*. Warminster: Aris & Phillips.
- Bonnet, C. (2015). *Les enfants de Cadmos : Le paysage religieux de la Phénicie hellénistique*. Paris.
- Bordreuil, P., & Doumet-Serhal, C. (2013). Un nouveau temple phénicien à Sidon. *Comptes rendus des séances de l'Académie des Inscriptions et Belles-Lettres*, 157.1. 83-112.
- Briend, J., & Humbert, J.-B. (1980). *Tell Keisan. Une cité phénicienne en Galilée*. Orbis Biblicus et Orientalis, Series Archaeologica 1. Fribourg.
- Briquel-Chatonnet, F. (1992). *Les relations entre les cités de la côte phénicienne et les royaumes d'Israël et de Juda*. Leuven: Department Oriëntalistiek.
- Carayon, N. (2012-2013). Les ports phéniciens du Liban. Milieux naturels, organisation spatiale et infrastructures. *Archaeology and History in Lebanon*, 36-37, p. 1-137.
- Chéhab, M. (1956). Nouvelles Stèles d'Oum el-'Awamid. *Bulletin du Musée de Beyrouth*, 13, 43-52.
- Da riva, R. (2009). The Nebuchadnezzar Inscription in Nahr el-Kalb. In A.-M. Maïla-Afeiche (Ed.), *Le Site du Nahr el-Kalb*. Baal, Hors Séri, 5. 255-301.
- Dunand, M. (1973). *Byblos : son histoire, ses ruines, ses légendes*. Beyrouth.
- Dunand, M. & Duru, R. (1962). *Oumm el-'Amed : une ville de l'époque hellénistique aux échelles de Tyr*. Paris : Maisonneuve.
- Dunand, M. & Saliby, N. (1985). *Le temple d'Amrith dans la pérée d'Aradus*. Paris : P. Geuthner.
- Elayi, J. (2013). *Histoire de la Phénicie*. Paris.

- Elayi, J. (2008). Byblos et Sidon, deux modèles de cités phéniciennes à l'époque perse. *Transeuphratene*, 35, 97-122.
- Elayi, J. (1990). Tripoli (Liban) à l'époque perse. *Transeuphratène*, 2, 59-71.
- Elayi, J. (1989). *Sidon cité autonome de l'empire perse*. Paris : Éd. Idéaphane.
- Garabati, G., & Pedrazzi, T. (2016). Transformations and Crisis in the Mediterranean. "Identity" and Interculturality in the Levant and Phoenician West during the 12th -8th Centuries BCE. Roma: *Supplemento alla Rivista di Studi Fenici*, 43
- Heinz, M. (2016). *Kamid El-Loz: 4000 years and more of rural and urban life in the Lebanese Beqa'a plain*. Beirut: Archeology & history in the Lebanon; Special issue.
- Ioannou, C. (2009). La présence du panthéon phénicien à Chypre. In *Interconnections in the Eastern Mediterranean Lebanon in the Bronze and Iron ages*. Proceedings of the International Symposium Beirut 2008. *Baal*, Hors-Série 6, 1-8.
- Kamlah, J., Sader, H.; Schmitt, A. (2016). The Tell el-Burak archaeological project: preliminary report on the 2011, 2013, and 2014 Seasons in Area 3. *Baal*, 16, 79-130.
- Kaoukabani, B. (1973). Rapport préliminaire sur les fouilles de Kharayeb 1969–1970. *Bulletin du Musée de Beyrouth*, 26, 41-59.
- Kestemont, G. (1983). Tyr et les Assyriens. In E. Gubel *et al.* (eds), *Sauvons Tyr. Histoire Phénicienne*. Studia Phoenicia I-II. Leuven: Peeters. 53-78.
- Khalifeh, I. A. (1988). Sarepta II: The Late Bronze and Iron Age periods of area II, X: *The University Museum of the University of Pennsylvania excavations at Sarafand*, Lebanon: Beirut, Publications de l'Université Libanaise.
- Khalil, W., (2020). Les récentes découvertes archéologiques dans la région du Chouf au Mont-Liban. *La Revue Phénicienne*, centenaire, Beyrouth, 109-118.
- Khreich, M. (2018). Tyr v/s Sidon : la Phénicie du Sud dans le premier quart du premier millénaire. In Guirguis, M (Ed.). *From the Mediterranean to the Atlantic: People, Goods and Ideas between East and West*. 8th International Congress of Phoenician and Punic Studies, Carbonia, Sant'Antioco, 21th-26th October 2013, *Folia Phoenicia*, 2. 373-377.
- Koehl, R. B. (1985). *Sarepta III: the imported Bronze and Iron Age wares from area II, X: the University Museum of the University of Pennsylvania excavations at Sarafand, Lebanon*. Beirut, Publications de l'Université Libanaise.
- Lauffray, J. (2008). *Fouilles de Byblos, Tome VI : L'urbanisme et l'architecture. De l'époque proto-urbaine à l'occupation amorite (de l'Énéolithique à l'âge du Bronze II)*. Bibliothèque Archéologique et Historique, 182. Beyrouth : Institut français du Proche-Orient.
- Lipiński, Ed. (1993). *Dictionnaire de la civilisation phénicienne et punique*. Paris : Brepols.
- Lipiński, Ed. (2015). *Peuples de la Mer, Phéniciens, Puniqes : études d'épigraphie et d'histoire méditerranéenne*. Leuven: Peeters.
- Marriner, N., Morhange, C., & Doumet-Serhal, C. (2006). Geoarchaeology of Sidon's ancient harbours, Phoenicia. *Journal of Archaeological Science*, 33.11, 1514-1535.
- Marriner, N. (2007). *Paléoenvironnements littoraux du Liban à l'Holocène : Géoarchéologie des ports antiques de Beyrouth, Sidon et Tyr : 5000 ans d'interactions nature-culture*. PhD Thesis. Université de Provence - Aix-Marseille I.

- Masson, O., & Sznycer, M. (1972). *Recherches sur les Phéniciens à Chypre*. Genève.
- Moscatti, S. (1963). "La Question Fenicia". *Rendiconti dell'Accademia Nazionale dei Lincei s.8a*, 18, 483-506.
- Nigro, L. (2007). Aside the Spring: Byblos and Jericho From Village to Town in the Second Half of the 4th Millennium BC. In L. Nigro, (Ed.), *Byblos and Jericho in the Early Bronze I: Social Dynamics and Cultural Interactions: Proceedings of the International Workshop Held in Rome on March 6th 2007 by Rome "La Sapienza" University*. (pp. 1-45). Rome: «La Sapienza» Studies on the Archaeology of Palestine & Transjordan 4).
- Oggiano, I. & Khalil, W. (2020). Le sanctuaire phénicien de Kharayeb dans l'arrière-pays de Tyr. *La Revue Phénicienne*, centenaire, Beyrouth, 199-206.
- Pritchard, J. B. (1978). *Recovering Sarepta, a Phoenician city. Excavations at Sarafand, Lebanon, 1969-1974 by the University Museum of the University of Pennsylvania*. Princeton University Press.
- Quinn, J. (2018). *In search of the Phoenicians*. Princeton University Press.
- Renan, E. (1864). *Mission de Phénicie*. Paris: Impr. nationale.
- Saidah, R. (1969). Archaeology in Lebanon 1968-1969. *Berytus*, 18, 137-139.
- Saidah, R. (1977). Une tombe de l'Âge du Fer à Tambourit (région de Sidon). *Berytus*, 25, 135-146.
- Schreiber, N. (2003). *The Cypro-Phoenician Pottery of the Iron Age*. Leiden: Brill.
- Stager, L. E. (2003). Phoenician shipwrecks in the deep sea. In V. Karageorghis, & N. Stampolidis (Ed.) *Sea Routes. Interconnections in the Mediterranean 16th-6th C. BC*. Proceedings of the International Symposium held at Rethymnon, Crete, September 29 October 2, 2002. (pp. 233-248). Athens.
- Thalmann, J.-P. (1983). Les niveaux de l'Âge du Bronze et de l'Âge du Fer à Tell 'Arqa. In *Atti del I Congresso Internazionale di Studi Fenici e Punici* (pp.220-225). Rome.

مدخل الى دراسة الحقبة الكلاسيكية

(اليونانية والرومانية)

أ. دة. جانين عبد المسيح

المقدمة

لطالما يُعتبر علم الآثار الكلاسيكي عميد الدراسات الارخولوجية، إذ تعود جذوره إلى العالم الكلاسيكي.

يركز علماء الآثار الكلاسيكيون بشكل أساسي على حضارات اليونان القديمة وروما. ويمتد علم الآثار الكلاسيكي من آسيا الصغرى إلى منطقة الشرق الأدنى وبلاد ما بين النهرين وسوريا ومصر وما يسمى "علم الآثار التوراتي/البيبلي" (archéologie biblique). بالنسبة للفترات الهلنستية، تشمل البحوث والدراسات آسيا الوسطى وأفغانستان. ومع ذلك، لا تزال الفترات الكلاسيكية اليونانية والرومانية هي المحور الرئيسي، وبالتالي فهي مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بدراسة اللغتين اليونانية واللاتينية، وكذلك بتاريخ الفنون. وبالتالي، يتم تعريف علم الآثار الكلاسيكي بشكل أكثر دقة من خلال دراسة المجتمعات السابقة في منطقة البحر الأبيض المتوسط من خلال الأدلة المادية المتبقية.

I. البحوث الأثرية

علم الآثار الكلاسيكي، بمعناه التقليدي، ينطبق فقط على دراسة الثقافة الأثينية واليونانية الكلاسيكية وثقافة الجمهورية والإمبراطورية الرومانية. ومع ذلك، على مدار القرن التاسع عشر، توسع المجال ليشمل مناقشات في الفنون مثل الفسيفساء التابعة للثقافات الماضية والتي أنتجت حضارات اليونانية والرومانية. لذلك، غالباً ما يناقش

علماء الآثار الكلاسيكيون المختصون باليونان تاريخ جزيرة كريت والحضارة المينوية العائدة للعصر البرونزي وتاريخ الفترات الهلادية والفن المعماري، وكذلك في بعض الأحيان، العصر الحجري الحديث.

خلال الحقبة الكلاسيكية، تعددت الثقافات اليونانية بموجب الاختلافات الإقليمية ويمكن جزء كبير من الدراسة في علم الآثار اليوناني في تحديد هذه الخصائص الإقليمية. تشمل هذه الدراسات أيضاً الفترة الهلنستية، وغالباً ما يتطلب من عالم الآثار الكلاسيكي البحث عن التأثيرات اليونانية في المناطق التي كانت جزءاً من إمبراطورية الإسكندر الكبير، بما في ذلك جزء كبير من الشرق الأدنى ومصر.

أما علماء الآثار الملمون بالحضارة الرومانية فيتطرقون الى تأثيرات الحضارة الأترسكية والثقافات القديمة الأخرى الموجودة في شبه الجزيرة الإيطالية. كما ناقشوا الثقافات الفرعية الموجودة في الجمهورية والإمبراطورية الرومانية على أساس الاختلافات الإقليمية.

1. بداية الأبحاث

تطورت أولى عمليات التنقيب المنهجية لعلم الآثار الكلاسيكي في عصر النهضة (Renaissance). وهو عصر تقنيات تجار التحف القديمة التي انطلقت خلال عصر النهضة في إيطاليا وغزت تدريجياً كل أوروبا. وهكذا، فإن البحث عن "الآثار المبنية" العائدة للعصور القديمة يطابق هدفاً مزدوجاً، وهو الحصول على قطع أثرية جميلة وفي نفس الوقت على نماذج لتقليدها دون الاهتمام الكافي بالمباني القديمة، أو على الأقل في الحفاظ عليها (Ginouvès, 1975: 8).

في بداية القرن السابع عشر، تمّ الربط بين الوثائق المكتوبة والبقايا المادية، وبالتالي ظهرت أحياناً توافقات أو تباينات في العلاقة بين البحث الأثري والوثائق المكتوبة. وفي القرن الثامن عشر، كانت سيطرة جامعي التحف والفنانين طاغية على علم الآثار، وهم الذين قاموا بأول أعمال التنقيبات في بومبي وهيركولانيوم، مع نتائج كارثية على بعض أجزاء هذه المواقع؛ ولكن في هذا القرن نفسه وضع وينكلمان (Winckelmann) أسس تاريخ الفن القديم (Ginouvès, 1975: 8).

حوالي عام 1850، انتشر التنقيب المنهجي من خلال التنقيبات في بومبي وهيركولانيوم والبعثات الاستكشافية إلى مصر (Schnapp, 2012: 3). وبالتالي، لم يعد التنقيب مجرد وسيلة لاكتشاف اللقى والمعالم الأثرية، إنما هو بحث في حد ذاته يهدف إلى رسم صورة الحضارات، لوضع بروتوكولات توحد مجال الممارسات الأثرية: كالتبولوجي والاستراتيجي في اي دراسة السويات الاثرية والتكنولوجيا.

لذلك يتطور البحث من الاهتمام باللقي إلى دراسة النصوص التاريخية دون أن يكون له وجود كتخصص أكاديمي. وبالتالي تم تخصيص قدر كبير من الوقت والطاقة لإتقان المصادر الأدبية، بما في ذلك دراسة اللغة اليونانية واللاتينية القديمة. إن هيمنة المصادر الأدبية واستخدام اللقى الأثرية كنماذج توضيحية للنصوص ليست ظاهرة حصرية لعلم الآثار الكلاسيكي ولكنها تنطبق على علم الآثار التاريخي بشكل عام (Andrén, 1998). لذلك، على الرغم من أنه يعتمد على النصوص القديمة ويستخدمها أحياناً لتفسير القطع الأثرية، فإن علم الآثار الكلاسيكي لن يكون موجوداً بدون وجودها.

وبالتالي تم وضع تقنيات التنقيب لأول مرة على غرار الحفريات التي أجريت في مصر والشرق الأدنى وجعلت من الممكن البحث عن القطع الأثرية الكبيرة والجدران دون الاهتمام كثيراً بشأن البقايا الدقيقة التي ربما كانت موجودة في الأرض في السويات الأثرية.

وبمرور الزمن، تحسنت تقنيات التنقيب بشكل كبير، كما أن كمية المعلومات المستقاة من كل المواقع الأثرية أصبحت أكبر بكثير من تلك المسجلة خلال الحفريات الأولى. من حيث الفترات الزمنية، ركزت الدراسات الأولى على أقدم اللقى من ثقافتى المينوية والميسينية في العصر البرونزي (من الألفية الثالثة إلى الثانية قبل الميلاد). وفي القرون التي سبقت وتلك التي تلت ولادة المسيح، سيكون التركيز على المدن-الدول اليونانية والإيطالية والممالك الهيلينية والإمبراطورية الرومانية حتى نهاية العصور القديمة (القرنان الخامس والرابع قبل الميلاد).

II. الحضارات الهلادية

في اليونان القارية، تسمى الحضارة التي نشأت في العصر البرونزي الهلادية (Hélladique)

- الهلادية القديمة ٣٠٠٠-٢٠٠٠ ق.م.
- الهلادية الوسطى ٢٠٠٠-١٦٠٠ ق.م.
- أواخر الهلادية ١٦٠٠-١٠٠٠ ق.م. - الميسينية

1. الحضارة المينوية

تطورت الحضارة المينوية على جزر كريت جنوب اليونان من ٢٧٠٠ إلى ١٢٠٠ قبل الميلاد. تمتلك جزيرة كريت العديد من الموارد الطبيعية، بما في ذلك الأراضي الزراعية ومصادر مياه الشرب والأخشاب والنحاس وحجر البناء والبحر.

يدين المينيون بازدهارهم للزراعة وصيد الأسماك، ولكنهم بنوا ثرواتهم بشكل أساسي من خلال التجارة. شكلت الحبوب والنبذ وزيت الزيتون والخشب والسيراميك والسلع المصنعة الجزء الأكبر من صادراتهم. من ناحية أخرى، استوردوا القصدير والفضة والذهب والكتان والأشياء الثمينة، وكذلك المواد الخام المراد تحويلها.

أطلق عليها قدماء المصريين اسم "كفتى". يعتمد تأريخ كل فترة على المراسلات الزمنية مع مصر القديمة، التي نعرف تسلسلها الزمني بدقة أكبر، بفضل النقوش الموجودة.

يتميز العالم المينوي أولاً بقصوره والمواقع الرئيسية هي Knossos و Phaestos و Mallia و Zakro. تضم كنوسوس اهم قصر ومركز لهذه الحضارة في جزيرة كريت خلال الفترة المينوية وأهم موقع أثري لهذه الحضارة. في الأساطير اليونانية، مينوس ابن زيوس وأوروبا (ابنة أجينور)، هو الملك الأسطوري لكنوسوس و لجزيرة كريت. يعتمد التسلسل الزمني لهذه الحضارة على الطبقات الرئيسية التي تطورت في قصر كنوسوس.

بُنيت القصور حول الفناء المركزي، الذي تفتح عليه أروقة متناوبة وأعمدة أو سلام ضخمة، وغرف مجاورة صغيرة، وغرف احتفالية. تم تنظيم قصر كنوسوس، في مخطط يتمحور حول فناء مستطيل موجه نحو الشمال والجنوب، وله عدة مداخل غير محصنة من الشمال والجنوب. لا يوجد تمييز واضح بين القصر ومباني المدينة، وهو أمر مهم ويأتي من نظام متاهة. اما الساحة المرصوفة فتهدف إلى الترحيب بالحشد خلال المهرجانات والاعياد الملكية والدينية علماً ان هذه الحضارة تتميز بغياب المعابد. كان المينيون يعبدون في المعالم الطبيعية: كالكهوف، قمم الجبال، وفي المزارات المنزلية الصغيرة. وهكذا

تتجه هذه العبادات نحو الطبيعة والنباتات وإيقاعاتها، والآلهة والإلهات الذين يموتون ويولدون من جديد كل عام، وباستخدام رموز مثل الثور (أو قرون الثور) أو الثعبان أو الحمامة.

استخدم المينيون الكتابة على رقم من الطين والتي عثر عليها في القصور وقد تم نقشها بخط عُرف بـ "الخطي أ" (Linéaire A) وهو نص لا يزال غير مفكك. يأتي في شكل 85 علامة وإيديوغرام أطلق عليها عالم الآثار البريطاني سير آرثر إيفانز "كريتان هيروغليف" عام 1900.

يظهر "الخطي ب" (Linéaire B) في جزيرة كريت في كنوسوس حوالي عام 1375 قبل الميلاد. إكتشف على ألواح طينية من كنوسوس مشوية بالنار عن طريق الخطأ الناتج من حريق. وقد تم فك رموز هذه الكتابة في عام 1952 من قبل المهندس المعماري الإنكليزي مايكل فينتريس، من العمل الأولي لأليس كوبر. وقد عمم استخدام "الخطي ب" ذو الكتابة المقطعية في الكتابة الميسينية .

2. الفترة الميسينية

- ١٦٥٠-١٦٠٠: أواخر القرن الأول الهيلادي، ١٦٢٣/١٦٠٠ ثوران بركاني في تيرة ١٣ (Thera 13)، بداية المدافن المحفورة الدائرية B في ميسين.
- ١٦٠٠-١٤٧٠: أواخر الهيلادية IIA، المدافن المحفورة الدائرية A في ميسين.
- ١٤٧٠-١٤١٠: أواخر القرن الهيلادي IIB، بناء القصور الميسينية الأولى في نهاية هذه المرحلة.
- ١٤١٠-١٣٧٠: أواخر الهيلادية IIIA1.
- ١٣٧٠-١٣١٥: أواخر الهيلادية IIIA2، حوالي ١٣٧٠ دمر قصر كنوسوس، ثم أعيد بناؤه
- ١٣١٥-١٢٢٥: أواخر الهيلادية IIIB1.
- ١٢٢٥-١١٩٠: أواخر الهيلادية IIIB2، ١٢٠٠ تدمير معظم القصور الميسينية وكنوسوس (?).

١١٩٠/١٢٠٠ - أواخر الهيلادية IIIC.

١٠٧٥/٥٠

الحضارة الميسينية هي حضارة حربية زراعية وتجارية. إنها منظمة للغاية ذات تسلسل هرمي، ولديها بيروقراطية يتم حفظ "أرشيفها" جزئياً. وهي عبارة عن ألواح طينية، مكتوبة باللغة اليونانية باستخدام نص مقطعي ("خطي ب" - Linéaire B).

اكتشفها هينريخ شليمان ١٨٢٢-١٨٩٠ خلال مشروعه القائم على تحديد اماكن المدن المذكورة في الإلياذة والأوديسة (القرن الثامن قبل الميلاد). كما قام بالبحث عن معالم وآثار حرب طروادة المؤرخة حوالي ١٢٠٠ ق.م. حسب الشاعر هوميروس، الذي دون عصر الأبطال (مزيج من التاريخ والميثولوجيا).

ازدهرت الحضارة الميسينية بشكل خاص في منطقة البيلوبونيز، وخاصة في الأرغوليد حيث أصبحت ميسين (Mycènes) المركز بلا منازع من ١٦٥٠ إلى ١١٠٠ قبل الميلاد. بلغت ذروة الحضارة الميسينية حوالي ١٤٠٠ و ١٢٠٠ قبل الميلاد، حيث انتشرت تدريجياً الى كامل بحر إيجيه وضافه الشرقية لاسيما الى طروادة. هذه هي المرة الأولى التي تشهد فيها اليونان وحدة ثقافية معينة ولغة وتقالييد وسمات مميزة للحضارات. على الرغم أنها بنيت على أساس مدن-دول سوف تهيمن على المراكز الكبيرة والمدن الغنية بما في ذلك تيرينة (Tirynthe)، بيلوس (Pylos) وميسين (Mycènes) المرتبطة بالملكية الأسطورية لـ Agamemnon.

تتميز هذه الحضارة بشكل خاص بقصورها وقلاعها المحصنة المبنية بالحجارة الضخمة غير المنتظمة الشكل، وتنوع خزفها الملون الذي انتشر في جميع أنحاء بحر إيجيه وشرقي البحر المتوسط. إن الفخار الميسيني متجانس بشكل ملحوظ في جميع أنحاء أراضيها الشاسعة. فكانت الخزفيات مستوحاة من الفن الكريتي ويستخدم الزخارف النباتية والبحرية. ويتم تمثيل جميع أشكال الحياة البحرية تقريباً: الأخطبوطات والأرجونوت والدلافين والأسماك ونجم البحر تسبح على خلفية من الشعاب المرجانية والطحالب والإسفنج والأعشاب البحرية.

اما السمة الأساسية لهذه القصور هي ظهور مبنى الميجارون (Mégaron) المتواجد ضمن مجمع القصر وهو يتميز بأنه يتكون من رواق يفتح على مدخل ضخم، ودھليز

وفوق كل شيء غرفة كبيرة ذات موقد مركزي محاط بأربعة أعمدة، غالباً ما كان يوجد بالقرب منها عرش. أما في الفنون، تستكشف مواضيع جديدة مثل الحرب والصيد. تستوحي بشكل كامل اللوحات الجدارية الميسينية من المينويين تقنياً ومن حيث الأسلوب، لكن فناني الميسينيين لا يمتلكون بهجة وعفوية حضارة كريت ويفضلون أسلوباً أكثر ضخامة. مواضيعهم المفضلة هي المواكب الدينية الموروثة من الفن الكريتي ومشاهد الحرب والصيد التي تشكل، من ناحية أخرى، ابتكاراً.

نهاية الحضارة الميسينية

في منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد، أي حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد، حدث دمار هائل ومتزامن في جميع القصور الميسينية. وكان الفتح المحتمل لجزيرة كريت بتدمير كنوسوس. ربما النظرية الأكثر اعتماداً اليوم لمفهوم انهيار الحضارة الميسينية هو أولاً منافسات داخلية متعلقة بعدم المساواة في القصور. تلتها اقليمياً توقف التجارة في البحر المتوسط إثر غزوات شعوب البحر في القرن الثالث عشر الميلادي. وكان تدمير المدن الكبرى على ساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط ودمار حطوشا عاصمة الحيثيين (١٦٠٠-١١٧٨). مما أدى في اليونان إلى مجاعة وانهيار كامل وتحركات للسكان داخل العالم اليوناني، حيث انخفض مستوى التنظيم السياسي والاقتصادي في معظم المناطق لفترة طويلة. وأخذت الكتابة في الزوال، جنباً إلى جنب مع معظم أشكال التعبيرات الفنية.

3. العصور المظلمة اليونانية

وهكذا تبدأ فترة عرفت بالعصور المظلمة (les Âges obscurs) مع زوال الحضارة الميسينية، والتي تمتد تقريباً خلال القرن الثاني عشر إلى القرن التاسع قبل الميلاد. وهي أقل توثيقاً نسبياً من الآخرين، وهو ما يتوافق مع العصور المظلمة بالمعنى الدقيق للكلمة. يُنظر إلى القرن الثامن قبل الميلاد بشكل عام على أنه مرحلة "نهضة"، تشير إلى الانتقال إلى العصر القديم وحضارة دولة المدينة في اليونان.

فترة البروتوجيومترية

تعرف هذه الفترة بالبروتوجيومترية وهي تتميز خلال القرنين الحادي عشر والعاشر قبل الميلاد بتفكك التراث الميسيني والهجرات. في بداية القرن الحادي عشر، بدت اليونان خالية من السكان. هاجر الإغريق في مجموعات صغيرة ليستقروا على سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه. وكانوا يعيشون في منازل بدائية مبنية من اللبن ذات أسقف من القش. وقد لوحظ تغير للممارسات وللطرائق المدفنية حيث حلّ الحرق مكان الدفن وفي المعادن استبدل البرونز بالحديد.

الفترة الجيومترية القديمة والوسيط

استخدم الخزف في فترة الجيومترية القديمة (٩٠٠-١٠٥٠) تقنيات جديدة، كما استعمال الزخارف في دوائر وشبه دوائر (مرسومة بالبركار)، وخطوط وأنماط مرسومة، مما يعطي للزخارف جانباً هندسياً.

اما الجيومتري الوسيط (٧٧٠-٨٥٠ قبل الميلاد) يظهر عن انتعاش إذ أعيد توطين اليونان من قرى صغيرة محاطة بأسوار، واستئناف الزراعة والمحاصيل (صوامع الغلال، والحاويات التي تحتوي على الزيت)، والحرف النسيجية وأعمال الخزف. ويتمثل في تطور الخزف الجيومتري، من خلال عودة ظهور التماثيل والاولاني البرونزية وقد أدى ذلك إلى حركة استعمار كبيرة في القرن الثامن قبل الميلاد. وتمتد العصور القديمة من القرن الثامن إلى السادس قبل الميلاد في اليونان وإيطاليا.

4. الفترة الجيومترية الحديثة (٧٧٠-٥٠٠ قبل الميلاد)

تتميز الفترة الجيومترية الحديثة (Grèce archaïque) بالاستعمار والاضطرابات الاجتماعية. إذ ترك العديد من اليونانيين مدينتهم الأم لتأسيس المستعمرات حول البحر الأبيض المتوسط: في شمال بحر إيجه، على شواطئ البحر الأسود، في صقلية، في جنوب إيطاليا، أو على سواحل إسبانيا وفرنسا الحالية (مرسيليا، نيس، أنتيب، إلخ).

وهكذا أصبح العالم اليوناني عبارة عن مجموعة من المدن التي توحيدها إلى حد كبير اللغة والدين والعادات. الاختلافات في اللهجات والبدع والاستخدامات لم تمنع التواصل والشعور بالانتماء إلى حضارة مشتركة.

خلال هذه الفترة حوالي عام ٧٧٦ ظهرت أول ألعاب أولمبياد في اولمبي. والنظامين الهندسيين الدوري والايوني، كما هيمنت تماثيل الكوره والكوروس Kouros و Korè بالإضافة إلى الخزفيات الذي تتطورت من رسوم على الفخاريات مشخصة سوداء إلى أشكال مطلية باللون الأحمر.

يظهر نظام الطغاة (Tyran) في العديد من المدن، ولا سيما Cypsélos في كورينث، وأصبح سولون (٥٩٤) رئيساً في أثينا وتولى عدداً مهماً من الإصلاحات المؤسسية، وبعدها يليه بيسستراتوس وأبناؤه (٥٨٠-٥١٠) وهي بداية تشييد أولى المعالم الرئيسية، ولا سيما الآثار الدينية.

في إيطاليا، ظهرت في نفس الحقبة في نهاية القرن الثامن حضارة الأترسك. في نهاية القرن السادس، أسسوا في توسكانا مدن غنية وقوية مجمعة في اتحادات يحكمها الملوك بواسطة القلة اي بعض العائلات. يشمل امتداد أراضيهم إلى كامبانيا وكانوا قد استقروا في روما التي أسسها فيما بعد رومولوس وروموس في 753 على تلة البالتين وبعد ذلك على التلال السبعة المحيطة. في القرن السادس، نظم ملوك الإترسك المدينة وزودوها بمبانيها الأولى وعرفت تطور فنياً من القرن الثامن قبل الميلاد إلى القرن الرابع الميلادي. من اهم معالم هذه الحضارة بقايا مقابر شاسعة مع غرف مدفنية معمارية مطلية بالجداريات.

III. الحضارات اليونانية الكلاسيكية – هلينيك (Hellénique)

ذروة الحضارة اليونانية تمتد من ٥٠٠ - ٣٥٠ قبل الميلاد

سمحت إصلاحات كليستين (Clisthène) في ٥٠٧/٥٠٨ قبل الميلاد لأثينا بأن تصبح ديمقراطية، كما كان النظام الملكي مستمراً في بعض المدن الاخرى كإسبارطا. اما في الشرق، سيطر الفرس على كامل الشرق الأدنى وآسيا الصغرى وكانت بداية المواجهة مع اليونانيين في العام ٤٩٨ قبل الميلاد مع ثورة بعض المدن اليونانية في آسيا الصغرى (إيونيا) ضد بلاد

فارس التي تهيمن على هذه المنطقة، مما أدى الى الحروب الفارسية (٤٩٠-٤٧٩). تغلب الإغريق على الفرس بقيادة سبارطا وأثينا، (معارك ماراثون، سلاميس، بلاتيا) وأصبحت أثينا أقوى مدينة في العالم اليوناني، معتمدة على تحالف بحري يسمى "اتحاد ديلوس"، والذي يجمع بين العديد من المدن والجزر الموازية ذات نظام ديموقراطي، والذي يهدف إلى حماية اليونانيين من الفرس. كما تم إنشاء اتحاد البيلوبونيز حول سبارطا وهو مكون من المدن ذات النظام الملكي.

ازدهرت الحضارة اليونانية بين ٤٤٣-٤٢٩ في أثينا حيث قام بريكليس بوضع برنامجاً ضخماً لإعادة بناء المدينة فكان تشييد البارثينون من قبل المهندسين Ictinos و Calicrates والذي كان مزيناً بشكل خاص بمنحوتات Phidias. ورممت اسوار المدينة واحيط الطريق المؤدي الى مرفاء البيريه بجدارين طويلين على مسافة ٧ كلم. فعمّ الازدهار العام في العالم اليوناني. وكانت هذه الفترة أوج الحضارة الكلاسيكية.

ومن ٤٣١-٤٠٤ اندلعت الحرب البيلوبونيزية بين تحالفين بقيادة اسبارطا والآخر بقيادة أثينا. هُزمت أثينا وسُحقت قوتها فكان عام ٤٠٤ بداية هيمنة اسبارطا على العالم اليوناني بأكمله. وفي ٣٧١، اندلع صراع بين طيبة Thèbes واسبارطا التي هزمت مما أدى الى الضعف العام للمدن اليونانية.

خلال القرن الرابع قبل الميلاد، تتطورت العمارة المدنية بالإضافة إلى التخطيط التنظيمي والنحت Praxithèle Lysippe وظهور التراكوتا المعروفة بالتاناغرا.

إيطاليا، بداية الجمهورية الرومانية (٥٠٩ قبل الميلاد)

في عام 509، طرد النبلاء الرومان الطاغية Tarquin le Superbe وأسسوا الجمهورية. وهكذا، استولى الرومان على توسكانا في القرن الرابع. وكانت مؤسساتهم ودينهم مستوحاة من الحضارة الأترسكية. وهكذا دخلت روما مرحلتها المعروفة بالنظام الجمهوري في الوقت الذي كانت فيه اليونان الكلاسيكية وأثينا في ذروتها وكان نظامها الديمقراطي هو الأكثر تطوراً. وفي هذه الفترة الممتدة من القرن الخامس الى الثالث قبل الميلاد سيطرت روما على كل ايطاليا، بينما في اليونان بعد اندلاع عدة حروب بين المدن تم توحيدها تحت سيطرة ملوك مقدونيا فكانت بداية الفترة الهلينستية.

IV. الحضارات الهلينستية (Hellénistique): ٣٣٦-٦٤ قبل الميلاد

انتصر فيليب الثاني ملك مقدونيا عام ٣٣٦ (Chéronée) على المدن اليونانية ليصبح سيد اليونان. يليه ابنه الإسكندر الكبير (٣٣٦-٣٢٣ قبل الميلاد) الذي هزم الإمبراطورية الفارسية ووصل جيشه إلى وادي السند. هو باني ومؤسس العديد من المدن وأشهرها الإسكندرية في مصر. أراد الإسكندر من خلال تشيد العديد من المدن السيطرة على المناطق المحتلة واعطائها دور التقارب بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية. تمتد الأراضي التي احتلها الإسكندر من اليونان إلى الهند، ومن البحر الأسود إلى مصر. عند وفاة الإسكندر الكبير، تم تقسيم الإمبراطورية المقدونية بين قادته العسكريين، مما أدى إلى اندلاع حروب عديدة تسمى بحروب القواد (Diadoques). وهكذا خضعت اليونان وآسيا الصغرى لسيطرة الأنتيغونيد ملوك مقدونيا (٣١٢-١٤٨ قبل الميلاد).

وسيطر البطالمة على مصر (٣٢٣-٣٠ قبل الميلاد) الذي أسسها بطليموس وعاصمتها الاسكندرية وقد امتد نفوذها الى مصر والمنطقة الجنوبية لسوريا والساحل الشرقي للبحر الابيض المتوسط.

اما سوريا وبلاد ما بين النهرين وبلاد فارس وآسيا الوسطى كانت تحت سيطرة السلوقيين (٣١٢-٦٤ قبل الميلاد) وكان مؤسسها سلوقس الاول نيكاتور وعاصمتها بابل وبعدها الترابوليس اي انطاكية-اللاذقية-سلوقيا وافاميا، واعتمد تاريخ ٣١٢ قبل الميلاد كمرجع للتقويم السلوقي الذي أعتمد على فترة عدة قرون.

وهكذا سيؤدي تحرير الإسكندر لمدن آسيا الصغرى إلى تطوير نظام حضري جديد سيتم اعتماده في جميع المدن التي أسسها المقدونيون أو أعاد تأسيسها في جميع أنحاء الإمبراطورية. وهكذا بنوا المدن الجديدة للسيطرة على شعوب الشرق واطلقوا عليها اسماء الملوك والحكام او اسماء الاماكن المتواجدة في مقدونيا. شيدت هذه المدن في مواقع جغرافية استراتيجية، تبعاً لمخطط تظيمي شطرنجي منظم حول شارع رئيسي وهو يربط المدينة بأسوارها الضخمة المزودة بقلعة محصنة غالباً ما كانت تحتوي على قصر الحاكم. اما النظام المعماري الجديد فقد تبنى النمط الكورنثي وتطور النحت ليصبح اكثر تعبيراً.

ستؤدي السياسة التوسعية لروما لصراعات عدة منها الحروب ضد مقدونيا (٢١٦-١٦٨ قبل الميلاد) حيث هُزم فيليب الخامس عام ١٩٧ فاصبحت اليونان مقاطعة رومانية. وبعدها تخلص الرومان من قرطاجة (الحروب البونيقية ٢٦٤-١٤٦ قبل الميلاد) التي كانت تنافس روما على الهيمنة على غرب البحر الأبيض المتوسط. في الشرق، غزا بومبي سوريا في العام 64 قبل الميلاد وتثبتت الهيمنة الرومانية على محافظة سوريا.

V. الحضارات الرومانية (٥٠٩ قبل الميلاد الى ٤٧٦ ميلادي)

في القرن الثامن قبل الميلاد تم "تأسيس" مدينة روما من تجمع بعض القرى، وكان في اليونان الكاتب هومروس يؤلف الإلياذة والوديسة، وقد بدأت أوائل الاستيطانات على سواحل البحر الأبيض المتوسط بما فيها جنوب إيطاليا. خضعت روما خلال القرون الأولى من تاريخها، لتأثير ثقافي مزدوج من الأترسك والإغريق.

1. الجمهورية (٥٠٩-٢٧ قبل الميلاد)

سيناتوس بوبولوسك رومانوس (SPQR) اتحاد "مجلس الشيوخ والشعب الروماني".

إن النقاط المشتركة المتعلقة بالاهتمام بـ "المصلحة العامة" تم التعبير عنها في روما من خلال التعبير *res publica* (الشأن العام). فكانت أولى المحاولات الديمقراطية: الأكثر تقدماً في أثينا في القرنين الخامس والرابع، والأكثر محدودية في روما في فترة الجمهورية (509 - 27). حاولت الديمقراطية الأثينية والجمهورية الرومانية الحد من سلطة حكامها من خلال جماعية الوظائف وتحديد مدتها لمدة سنة واحدة فقط.

في القرنين الثالث قبل الميلاد، بدأت روما بالتوسع بعد أن أصبحت القوة العسكرية العظمى لإيطاليا. وفي عام ٢٧٥ تم ضم جنوب إيطاليا اليونانية الى روما، تلتها صقلية ومدينتها الشهيرة سيراكيوز وبعدها اليونان بين ١٤٦-١٢٩ قبل الميلاد. وهكذا في نهاية القرن الثاني قبل الميلاد، كانت جميع الأراضي اليونانية تحت السيطرة الرومانية. اما المقاومة الوحيدة تزعمها ملك البنط على البحر الاسود متريداتس الذي طرد الرومان من اسيا الصغرى ولكنه عجز عن الصمود بمواجهة الهجومات المتتالية فانتحر عام ٦٣ قبل

الميلاد فدخل الرومان الى الشرق. تبدأ الفترة الرومانية في الشرق بفتح القائد الروماني بومبيوس ٦٤ قبل الميلاد.

عرفت روما فترة من النزاع على السلطة برز خلالها الديكتاتور سيللا وبومبيوس فاتح الشرق ويوليوس قيصر. وتم الاتفاق بقيام حكم ثلاثي بين يوليوس قيصر وبومبيوس وكراسوس. قاد يوليوس قيصر الفتوحات على بلاد الغاليا والجيرمان، بينما قام كراسوس بمواجهة البارثين في الشرق حيث لاقى حتفه فاستولى بومبيوس في روما على الحكم منفرداً. عاد يوليوس على رأس جيشه وانتصر فاصبح الحكم دكتاتورياً واحتكر السلطات وذلك حتى اغتياله عام ٤٤ قبل الميلاد. ويتبعه ثلاثي آخر اوكتافيوس وماركوس انطونيوس ولييدوس الذين انتقموا من قتلة يوليوس قيصر وتقاسوا النفوذ فكانت مصر من نصيب انطونيوس وامضى وقته إلى جانب الملكة كليوباترا مما ادى الى حملة اوكتافيوس على مصر في مواجهة بحرية في اكتوبر عام ٣١ قبل الميلاد واسفرت عن تغلب اوكتافيوس على جيوش ماركوس انطونيوس فكانت كليوباترا آخر الفراعنة. وُضمت مصر الى الامبراطورية الرومانية واصبح اوكتافيوس السيد الوحيد فكافأه مجلس الشيوخ بتسمية أغسطس وامبراطور حاكماً اوحداً للدولة.

2. الامبراطورية (٢٧ قبل الميلاد الى ٢٣٥ ميلادي)

يُعد أوكتافيوس المؤسس الحقيقي للإمبراطورية الرومانية وهي قد بدأت بمرحلة التكوين للوصول الى أوج قوتها وعظمتها. فكان أغسطس اول الاباطرة الرومان وتبعته أربع سلالات:

جوليو كلوديان: من أغسطس إلى نيرون (٢٧ قبل الميلاد الى ٦٨ ميلادي) وهي فترة مهمة لتنظيم الإمبراطورية.

الفلافيان: من فيسباسيان لدوميسيان (٦٩-٩٦ ميلادي) وصلت البرجوازية الإقليمية إلى السلطة.

الانطونيون: من نرفا الى كومود (٩٦-١٩٢ ميلادي) أوج الامبراطورية الرومانية بوجود تراجان، هدریان، انطونينوس بيوس وماركوس اوريليو.

سيفيريوس: من سيبتييموس سيفيريوس الى سيفيريوس الاسكندر (١٩٣-٢٣٥ ميلادي).

في القرنين الأول والثاني، رسخ الفن الروماني الضخم، وتميز قبل كل شيء بالمباني التابعة لتصاميم سياسة الدولة. يتم تنظيم المدن حول مخطط متعمد شطرنجي محوره حول المركز السياسي لكل مدينة الفوروم. أما العناصر الأساسية الأخرى هي الأسواق، والبازيليكا والحمامات والمسارح بالإضافة إلى قناة تزود هذه المدن بالمياه والجسور والطرق واقواس النصر، الخ. وهكذا قام الرومان بتجديد وتحسن مدن المبراطورية وفق المخطط الشطرنجي المزود بشارعين متعامدين رئيسيين متقاطعين ومن المباني العامة والخدمية.

وكان الجيش في هذه الفترة يشمل العسكر والمواطنين الرومان في المقاطعات، اما القوات المساعدة فهي مكونة من المجندين الغير المواطنين. غالباً ما تتمركز هذه القوات على الحدود في معسكرات ثابتة مرتبطة بنظام دفاع مرن للغاية. فتحظى المقاطعات المحمية جيداً بفترات هدوء وازدهار.

3. ضعف الامبراطورية الرومانية ونهايتها

ومع ذلك، في الإمبراطورية، ظهرت علامات الضعف في السياسة الخارجية. فكانت محاولة احتلال جرمانيا تحت حكم أغسطس فاشلة كما كانت نتائج محاولات تراجان لأخذ داسيا وبلاد آشور وبلاد ما بين النهرين فلم تعد الإمبراطورية الرومانية تتمدد بل كانت تكافح للدفاع عن حدودها ونذكر اقتحام البرابرة في فترة حكم ماركوس أوريليوس وحتى تحت حكم كومودوس.

وقد استمرت الازمات منذ وفاة الامبراطور كومودوس ١٩٢ إلى ظهور ديوقليسيانوس ٢٨٤. فتعرضت الإمبراطورية لضغوط من البرابرة الجرمان على نهر الراين ومن الساسانيين على نهر الفرات. يتميز آخر عهد لديوقليسيانوس بالاضطرابات الدينية بعد انتشار المسيحية فأدّت هذه الصراعات الى سيطرة كوستانتين الاول على الشرق عام ٣٢٣ ميلادي فكان هذا التاريخ بداية انقسام الامبراطورية الرومانية الى امبراطوريتين الغربية والشرقية الذي تجلى عام ٣٩٥.

الامبراطورية الرومانية الغربية وعاصمتها روما استمرت الى ٤٧٦ ميلادي عندما سقطت على يد القوط الشرقيين بعد هزيمة اخر الاباطرة رومولس اغسطس.

الامبراطورية الرومانية الشرقية وعاصمتها القسطنطينية وعرفت بالامبراطورية البيزنطية التي استمرت حتى الفتح العثماني عام 1453.

4. المراحل التطور الرئيسية للفترة الكلاسيكية:

اليونان	شبه الجزيرة الإيطالية								
كريت المنوية وحضارة القصور اليونان في الفترة القديمة، بوليس وسكان الاستيطان الاغريقي في القرن 8-5 ق.م. المدينة الاغريقية <u>الحقبة الكلاسيكية</u> الحروب الفارسية 490-479 ق.م. أثينا واسبرطة <u>الحقبة الهلنستية</u> مقدونيا وفيليب الثاني 336-323 ق.م. فتوحات الإسكندر المقدوني 336-323 ق.م. الميراث المملكة البطلمية المملكة السلوقية المملكة الأنتيغونية الدول الفيدرالية في اليونان القرن 3-2 ق.م.	ايطاليا الإتريكية 8-5 ق.م. نشوء روما 8-5 ق.م. المدينة الرومانية <u>الجمهورية 31-509 ق.م.</u> الحروب السامنيت 341-343/304-327/290-298 ق.م. غزو غرب البحر الأبيض المتوسط <table border="1"> <tr> <td>الحروب البونية</td><td>الحروب الإيليرية والحروب المقدونية</td></tr> <tr> <td>264-241</td><td>205-230 ق.م.</td></tr> <tr> <td>218-201</td><td>167-188/172-192 ق.م.</td></tr> <tr> <td>148-146</td><td></td></tr> </table>	الحروب البونية	الحروب الإيليرية والحروب المقدونية	264-241	205-230 ق.م.	218-201	167-188/172-192 ق.م.	148-146	
الحروب البونية	الحروب الإيليرية والحروب المقدونية								
264-241	205-230 ق.م.								
218-201	167-188/172-192 ق.م.								
148-146									
مقدونيا وأفريقيا مقاطعات رومانية 146 ق.م.									
ممالك سوريا والأناضول ومصر المستقلة	64 ق.م. المقاطعة الرومانية السورية 30-50 ق.م. كليوباترا 31 ق.م. أكتيوم هزيمة ماركوس أنطونيوس وكليوباترا انتصار اكتافيوس								

<u>الامبراطورية الرومانية</u> أغسطس اول امبراطور لروما 27 ق.م. أغسطس الى دوميتيان مؤسسين الإمارة الرومانية 27 ق.م. الى 96 م. الأنطونية والسيفيرية تراجع الامبراطورية أزمة القرن الثالث <u>الإمبراطورية البيزنطية</u> سقوط روما 476 م.

VI. الميثولوجيا اليونانية والرومانية

جبل أوليمبوس هو تقليدياً موطن آلهة الميثولوجيا اليونانية، نظراً لأن قمته لا تزال مخفية عن البشر بسبب السحب، فإن جبل أوليمبوس هو أيضاً المنتجع الذي أقام فيه الآلهة اليونانية للترفيه عن أنفسهم (مشروبهم المفضل هو الرحيق الشهير ويستهلكون الطعام الشهي الذي يصنعه الخالدون) والتأمل في العالم.

يصف هوميروس هذا المكان بأنه مكان مثالي وهادئ، منعزل عن سوء الأحوال الجوية مثل المطر أو الثلج أو الرياح، حيث يمكن للآلهة أن تعيش في سعادة تامة. هؤلاء أقاموا هناك بعد طرد جبابرة وأفيون وتيفون.

إلى الجيل الأول من الآلهة الأولمبيين، زيوس، بوسيدون، هاديس، ديمتر، هيسثيا وهيرا، تمت إضافة ستة آلهة أخرى من الجيل التالي الذين ينحدرون من زيوس، على وجه الخصوص من خلال الاقتتان خارج نطاق الزواج. على الرغم من أن التقليد يعتبر أن الأولمبيين هم اثنا عشر إلهًا، ولكن غالباً أربعة عشر إلهًا هم ما يتطرق اليهم في النصوص من نسخة إلى أخرى. جميعهم ينتمون إلى هذه المجموعة، التي هي تحت سلطة الآلهة زيوس. يشرح أحدهم، على سبيل المثال، هذه الاختلافات في حقيقة أن هاديس لا يمكن أن يظل قائماً في أوليمبوس منذ أن حكم العالم السفلي. وهكذا في بعض الأحيان كان يتغيب عن القائمة هيفايستوس، وديونيسوس، وبوسيدون، وهيرميس.

تتضمن الميثولوجيا اليونانية، مثل الميثولوجيا الرومانية، الآلاف من الآلهة والإلهات وأنصاف الآلهة والأبطال أو غيرهم من الآلهة الصغرى. ترمز الآلهة (ان كانت نافعة أو ضارة) الى كل قوى الطبيعة، وكل الوقائع المحلية: كان بعضهم مشتركاً عند جميع اليونان، وكان الآخرون يُعبدون محلياً فقط. تبنى الرومان الآلهة اليونانية وأساطيرهم؛ وقد وجدوا فيها الميثولوجيا التي تم استيرادها إلى إيطاليا في الفترة الأترسك.

بالنسبة لليونانيين، لم تكن الآلهة هي من خلق العالم بل العكس، الكون خلق الآلهة. قبل وجود الآلهة والسماء والأرض، كانت غايا واورانوس والوالدين الأولين حيث كانت الجبابرة أطفالهم وكانت الآلهة أحفادهم.

جدول الآلهة اليونانية والرومانية

الآلهة الإغريقية	الآلهة الرومانية	
أشلي Achlys	إلهة السم والبؤس، ابنة نيكس	
أفروديت Aphrodite	ولدت إلهة الحب والجمال من دم أورانوس	فينوس Vénus
أبولو Apollon	إله الموسيقى والطب والنبوة والرمية والشعر، ابن ليتو وزیوس	أبولو Apollon
أريس Arès	إله الحرب اليوناني، ابن زيوس وهيرا	مارس Mars
أته Até	إلهة العيوب والضلال، ابنة زيوس وهيرا	
أرتميس Artémis	إلهة يونانية للصيد، العذرية، وحامية للفتيات الصغيرات، القمر، التوأم أخت أبولو	ديانا Diane
اسكلوبيوس Asclépios	إله الطب اليوناني، ابن أبولو	اسكلوبيوس Esculape
أثينا Athéna	إلهة الحكمة اليونانية، إستراتيجية، محاربة، وحرفية: هي إلهة أثينا الراعية، ابنة زيوس.	مينرفا Minerve
أطلاس Atlas	تيتان - جبار - يحمل الأرض على كتفيه	
بوريه Borée	إله ريح الشمال	أكويلن Aquilon
شارون Charon	ناقل الموتى على نهر الستيكس لإحضارهم إلى الجحيم	
كلوريس Chloris	إلهة الزهور	فلورا Flora
كرونوس Cronos	ملك الجبابرة وإله الزمن	ساتورن Saturne
ديميتر Déméter	إلهة الحصاد والفصول	سيريس Cérès
ديونيسوس Dionysos	إله الخمر والسكر والحفلات، ابن زيوس (خرج من فخذ)	باخوس Bacchus
إيول Éole	إله الرياح	أولوس Aeolus

الآلهة الإغريقية	الآلهة الرومانية	
إيوس Éos	أورورا Aurore	إلهة الفجر
أريس Éris	ديسكورديا Discorde	إلهة الفتنة
إروس Éros	كوبيد Cupidon	إله الحب، لا ينتمي إلى إلهة الأساسيين على عكس إيروس
غايا Gaïa	تيلوس/ تيرا Tellus/Terra	إلهة الأرض
هاديس Hadès	بلوتو Pluton	إله العالم السفلي
هبيي Hébé	جوفنتاس Juventas	إلهة الشباب
هيكات Hécate	تريفيا Trivia	إلهة السحر والشعوذة
هيلبوس Hélios	سول Sol	إله الشمس والنور والحرارة
هيفايستوس Héphaïstos	فولكانوس Vulcain	إله النار والحدادين والبراكين
هيرا Héra	جونو Junon	جونو ابنة ريا وساتورن، هي أخت وزوجة جوبيتر
هيركليس Héraclès	هرقليس Hercule	هو اسم النصف إله، ابن جوبيتر والكمين، المشهور بنضالاته وأعماله الاثنى عشر
هيرمس Hermès	ميركوري Mercure	إله المكاسب المالية، والتجارة، والفصاحة، والرسائل، والكهانة، والمسافرين ويعمل بطريقة أخرى مرشدًا للنفس إلى العالم. اعتُبر في الميثولوجيا الرومانية ابن الإلهة مايا والإله جوبيتر
هيسيتيا Hestia	فستا Vesta	إلهة الأسرة والموقد والنار
هيجيا Hygie	فالتيتودو Meditina	ابنة إسكولابيوس، هي إلهة الصحة والنظافة
ليتو Léto	لتونه Latone	تيتانيد، والدة أرتميس وأبولو مع هيرا، تتأس ولادة الرجال والأمهات في كربهم ومعاناتهم
مايا Maïa	مايا Maïa	تيتانيد، إلهة الخصوبة، والدة هيرميس
ميتيس Métis		تيتانيد، إلهة مأكرة والذكاء والحكمة، والدة أثينا
مينوس Minos		الملك الأسطوري لجزيرة كريت، ابن زيوس وأوروبا
مورفيه Morphée	مورفيوس Morpheus	إله الأحلام، ابن هيبينوس

الآلهة الإغريقية	الآلهة الرومانية
أوسيانوس Océanus	تيتان، إله البحار والمحيطات، متزوج من تيثيس
اورانوس Ouranous	إله السماء، زوج غايا، والد كرونوس وجد زيوس، بوسيدون، هاديس، هيرا وهيستيا
بان	إله الطبيعة على شكل ساتير (فاونس للرومان)، مخترع الفلوت
بيريستيفوني Perséphone	إلهة الربيع، ابنة ديميتر وزوجة هاديس القسرية التي تعيش نصف العام فقط في الجحيم
بلوتوس Ploutos	إله الوفرة
بوسيدون Poséidon	إله البحار والمحيطات والزلازل والخيول
برياب Priape	إله الجنائن والقطعان إله الخصوبة
ردامنت Rhadamanthe	أحد القضاة الثلاثة للعالم السفلي مع إيكوس ومينوس
ريا Rhéa	زوجة كرونوس وأم زيوس، بوسيدون، هيرا، هاديس، ديميتر وهيستيا
سيلينه Séléné	إلهة القمر
تيميس Thémis	تيتانيد، إلهة العدالة
تيتيس Thétis	نيريد، والدة أخيل
تريتون Triton	ابن بوسيدون
تيكه Tyché	إلهة الحظ
زيفير Zéphyr	إله الرياح الغربية
زيوس Zeus	ملك الآلهة، ابن كرونوس وريا، شقيق بوسيدون، هاديس، هيستيا وهيرا الذين سيتزوجهم لاحقًا
	إله السماء والرعد وملك الآلهة المعرف بالرعد وكون حيوانه الرئيس هو العقاب أشيع الرموز للجيش الروماني
	إله الأبواب والاختيارات والبدائيات والتغييرات والنهايات

لائحة المصادر والمراجع

BIBLIOGRAPHIE GENERALE

- Andren, A. (1998). *Between Artifacts and Texts: Historical Archaeology in Global Perspective*. Translated by Alan Crozier. New York: Plenum.
- Ginouvès, R. (1975). *L'Archéologie gréco-romaine*. Que sais-je ? Paris : Presses universitaires de France.
- Schnapp, A. (2012). La crise de l'archéologie, de ses lointaines origines à aujourd'hui. *Les nouvelles de l'archéologie*, 128 : 3-6.
- Winckelmann, J. J. (1764). *Die Geschichte der Kunst des Alterthums (The History of Art in Antiquity)*, Dresden in der Waltherischen Hof-Buchhandlung.

CIVILISATION DE LA GRÈCE

Les Minoens

- Evans, A. (1928). *The Palace of Minos: a comparative account of the successive stages of the early Cretan civilization as illustrated by the discoveries at Knossos: Fresh lights on origins and external relations*. Heidelberg.
- Miller, M. (2011). *The Funerary Landscape at Knossos: A diachronic study of Minoan burial customs with special reference to the warrior graves*. Oxford: Archaeopress.
- Treuil, R. (2018). *Architecture minoenne à Malia : Les bâtiments principaux du Quartier Mu (A, B, D, E). (Minoen Moyen II)*. Paris : Editions de Boccard.
- Willetts, R. F. (2004). *The Civilization of Ancient Crete*. London : Phoenix Press.

Les Mycéniens

- (1994). Les Mycéniens, Des Grecs du II^e millénaire, *Les dossiers d'archéologie* 195, juillet-août.
- Burns, B. E. (2010). *Mycenaean Greece, Mediterranean Commerce and the Formation of identity*, (1sted.). New York: Cambridge University Press.
- Castleden, R. (2005). *The Mycenaeans*, London and New York: Routledge.
- Chadwick, J. (1976). *The Mycenaean World*, Cambridge University Press.
- Chadwick, J. (1972). *Le déchiffrement du linéaire B*. Paris : Gallimard.
- Darcque, P. (2005). *L'habitat mycénien, Formes et fonctions de l'espace bâti en Grèce continentale à la fin du II^e millénaire avant J.-C.* École française d'Athènes, Éditions de Boccard.
- Higgins, R. (1995). *Minoan and Mycenaean Art*. Paris : Thames & Hudson.
- Schliemann, H. (1885). *Ilios, ville et pays des Troyens : résultat des fouilles sur l'emplacement de Troie*. Paris : Didot.
- Wardle, K.A. and Wardle, D. (1997). *Cities of Legend: The Mycenaean*, London: Bristol Classical Press.

La Grèce Antique

- Ruzé, F., Amouretti, M.-C. et Jockey, P. (2011). *Le monde grec antique*. Paris : Hachette.
- Baurain, Cl., (1997). *La Grèce et le bassin oriental de Méditerranée à l'époque archaïque*, Paris :

Puf.

Boardman, J. (1995). *Les Grecs outre-mer. Colonisations et commerces archaïques*, Naples.

Bonfante, L., Chadwick, J., Cook, B. F., Davies, W. V., Haley, J. F., Hooker, J. T. et Walker, C. B. F. (1994). *La naissance des écritures, du cunéiforme à l'alphabet*. Paris : Édition du Seuil.

Cabanes, P. (2016). *Petit atlas historique de l'Antiquité grecque*. Paris : Armand Colin.

Chamoux, F. (1983). *La civilisation grecque de l'époque archaïque et classique*. Paris : Arthaud.

Étienne, R., Müller, C., et Prost, F. (2014). *Archéologie historique de la Grèce antique*. Paris : Ellipses.

Grimal, P. (1999). *Dictionnaire de la mythologie grecque et romaine*. Paris : Presses universitaires de France.

Hellmann, M.-C. (2007). *L'architecture grecque*. Paris : Librairie générale française.

Leclant, J. (2005). *Dictionnaire de l'Antiquité*. Presses universitaires de France, coll. « Quadrige ».

Lévêque, P. (1997). *L'aventure grecque*. Paris : Armand Colin.

Marconi, C. (2014). *The Oxford Handbook of Greek and Roman Architecture*. Oxford University Press.

Martin, R. (1994). *L'art grec*. Paris : La Pochothèque.

Palagia, O. (2019), *Handbook of Greek Sculpture*, De Gruyter.

Poulignac, Fr. de (1995). *Naissance de la cité grecque*, Paris : Ed. la découverte.

Richter, G. M. (1994). *A Handbook of Greek Art*. New York : Da Capo Press.

Romilly, de J. (2014). *Précis de littérature grecque*. Paris : PUF.

Rose, H. J. (2004). *A Handbook of Greek Mythology*. London, New York.

Saïd, S. (2013). *Histoire de la littérature grecque*. Paris : PUF.

Sartre, M., Sartre-Fauriat, A. et Brun, P. (dir.) (2009). *Dictionnaire du monde grec antique*. Paris : Larousse, coll. « In extenso ».

Treuil, R., Darcque, P., Poursat, J.-C. et Touchais, G. (1989). *Les Civilisations Égéennes : Du Néolithique et de l'Âge du Bronze*. Paris : PUF.

La période hellénistique

Briant, P. (1994). *Alexandre le Grand*. coll. « Que sais-je ? ». Paris : Presses universitaires de France.

Chamoux, F. (1993). *La Civilisation hellénistique*. Paris : Arthaud, coll. « Les Grandes Civilisations ».

Errington, R. M. (2008). *A History of the Hellenistic World. 323–30 BC*. Oxford: Blackwell.

Green, P. (1990). *Alexander to Actium: The Historical Evolution of the Hellenistic Age*. Berkeley: University of California Press.

Lévêque, P. (2003). *Le Monde hellénistique*. Paris: Pocket, coll. « Agora ».

Mairs, R. (2021). *The Graeco-Bactrian and Indo-Greek World*. London : Routledge.

Martinez-Sève, L. (2017). *Atlas du monde hellénistique (336-31 av. J.-C.) : pouvoir et territoires après Alexandre le Grand*. Paris : Autrement, coll. « Atlas-mémoires ».

Préaux, C. (1978). *Le Monde hellénistique : la Grèce et l'Orient (323-146 av. J.-C.)*, Paris : Presses universitaires de France, coll. « Nouvelle Clio ».

Prost, F. (2003). *L'Orient méditerranéen de la mort d'Alexandre aux campagnes de Pompée. Cités et royaumes à l'époque hellénistique*, Rennes : Presses universitaires de Rennes.

Rostovtzeff, M. (1989). *Histoire économique et sociale du monde hellénistique*. Paris : Robert Laffont coll. « Bouquins », (1^{re} éd. 1941).

Sartre, M. (2001). *D'Alexandre à Zénobie : Histoire du Levant antique, iv^e siècle av. J.-C.-III^e siècle av. J.-C.* Fayard.

Sherwin-White, S., Kuhrt, A. (1993). *From Samarkhand to Sardis. A New Approach to the Seleucid Empire*. London: Duckworth.

Thonemann, P. (2016). *The Hellenistic Age*. Oxford : Oxford University Press.

Will, E. (2003). *Histoire politique du monde hellénistique 323-30 av. J.-C.*, Paris : Seuil.

CIVILISATION ROMAINE

Les Étrusques

Briquel, D. (1999). *La Civilisation étrusque*. Paris : Fayard.

Briquel, D. (1999). « La religion étrusque », dans *Religions de l'Antiquité*, sous la dir. de Y. Lehmann. Paris : Puf, p. 5-75.

Briquel, D. (1991). *L'Origine lydienne des Étrusques. Histoire du thème dans la littérature antique*. Rome : École française de Rome.

Camporeale, G. (2000). *Gli Etruschi. Storia e civiltà*. Turin, Utet, 2^e éd., 2004.

Cristofani, M. (1984). *Gli Etruschi: una nuova immagine*. Florence, Giunti.

Haack, M.-L. (2021). *À la découverte des Étrusques*. La Découverte.

Heurgon, J. (1961). *La Vie quotidienne chez les Étrusques*. Paris : Hachette.

Jannot, J.-R. (1987). *À la rencontre des Étrusques*. Rennes : Ouest-France.

Massa-Pairault, F.-H. (1996). *La Cité des Étrusques*. Paris : CNRS Éditions.

Pallottino, M. (1973). *Etruscologia*. Milano : Hoepli, 7^e éd.

Pallottino, M. (1947). *L'Origine degli Etruschi*. Roma : Tumminelli.

Robert, J.-N. (2004). *Les Étrusques*. Paris : Les Belles Lettres.

Thuillier, J.-P. (1990). *Les Étrusques. La fin d'un mystère*. Paris : Gallimard, coll. « Découvertes ».

Thuillier, J.-P. (2003). *Les Étrusques. Histoire d'un peuple*. Paris : Armand Colin.

La période romaine

Badel, C. (2012). *Atlas de l'Empire romain. Construction et apogée. (300 av. J.-C. - 200 apr. J.-C.)*. Paris.

Carrié, J.-M. et Rousselle, A. (2003). *L'Empire romain en mutation : Des Sévères à Constantin*, t. 10, Paris : Le Seuil.

Cary, M. (1967). *A History of Rome Down to the Reign of Constantine* (2nd ed.). New York: St. Martin's Press.

- Cornell, T. J. (1995). *The beginnings of Rome: Italy and Rome from the Bronze Age to the Punic Wars (c. 1000–264 BC)*. London: Routledge.
- Grimal, P. (1993). *L'Empire romain*. Paris : éditions de Fallois.
- Goldsworthy, A. K. (2003). *The Complete Roman Army*. London : Thames and Hudson.
- Hinard, F. (2000). *La République romaine*. Paris : Presses universitaires de France, coll. « Que sais je ? » n°686.
- Le Bohec, Y. (2006). *L'armée romaine sous le Bas-Empire*. Paris : Picard.
- Mackay, C. S. (2005). *Ancient Rome: A Military and Political History*. Cambridge : Cambridge University Press.
- Martin, J.-P., Chauvot, A. et Cébeillac-Gervasoni, M. (2001). *Histoire romaine*. Paris : Armand Colin, coll. « collection U ».
- Ponthus, R., et Cerisier, E. (2005). *Atlas des Romains*, Belgique : Casterman.
- Potter, D. S. (2009). *A Companion to the Roman Empire*. Oxford: Wiley-Blackwell.
- Rosenstein, N. S., and Morstein-Marx, R. (2006). *A companion to the Roman Republic*. Oxford: Blackwell Publishing.
- Scarre, C. (1995). *The Penguin Historical Atlas of Ancient Rome*. Penguin Books.
- Scheidel, W., Saller, R. P., and Morris, I., (2007). *The Cambridge Economic History of the Greco-Roman World*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Veyne, P. (2005). *L'Empire gréco-romain (documentaire)*. Paris : Le Seuil.
- Ward-Perkins, J. B. (1994). *Roman Imperial Architecture*. Yale University Press.

لبنان في العهد الوسيط

أ.د. مصطفى سبيتي، أ.د. أنيس شعيّا

المقدمة

بقي لبنان مجرد تعبير جغرافي خلال حقبات التاريخ، تارةً يتّسع وطوراً يضيق تبعاً للظروف، (ظروف الحكّام والفاحين) فالتاريخ هو عمل الإنسان أينما وجد.

إنّ إسم لبنان قد ورد في كتب الأسفار المقدّسة بإسم "لبنون"، وهكذا أيضاً عرفه الفينيقيون والأشوريون فدعوه "لبنانو"، أمّا اليونان فقد فصلوا بين السلسلة الشرقية والسلسلة الغربية لجبال لبنان، فخصّوا إحداها بإسم لبنان، ودعوا الأخرى انتيليبانوس²، وتعني الجبل القائم بمحاذاة لبنان، أو لبنان الشرقي. وتبدأ هذه السلسلة جنوبي حمص وتمتدّ إلى جبل الشيخ "حرمون"، وتنتهي جنوب البحر الميت. ويطلق المؤرّخ اليهودي يوسفوس على جبل الشيخ والجبال المجاورة لدمشق إسم لبنان. في العهد الروماني كانت هناك ثلاث ولايات كلّ واحدة منها تسمّى سورية، وكانت سورية المجوّفة إحداها، وفينيقيتان: فينيقية الأولى أو البحريّة وعاصمتها صور، ومن مدنها الرئيسيّة: عكا، صيدا، بيروت، جبيل، طرابلس، عرقة، وأرواد؛ وفينيقية الثانية وأحياناً اللبانية وعاصمتها حمص ومن مدنها: بعلبك، دمشق وتدمر. وفي العهد البيزنطي أصبح إسم (سورية المجوّفة)، الذي كان يطلق في البداية على سهل البقاع، يعني إقليمًا شاسعًا يمتدّ شمالاً إلى ما وراء أنطاكية، وكذلك فإنّ الإقليم المعروف بفينيقية اللبانية، لم يضمّ في مساحته لبنان الغربي، بل ضمّ إليه دمشق وحمص. وبعد انتشار الإسلام، وظهور دولة العرب المسلمين، اعتمد مؤرّخوهم إسم لبنان كمدلول جغرافي وقالوا: "إنّه جبل الشام". ويذكر المؤرّخ أبو الفرج الأصفهاني في كتاب "الأغاني"، يقول: "سمعت رجلاً من الحجّاج في الموسم ذكر لبنان.

² فيليب، حتي (1972). تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. ترجمة أنيس فريحة. مراجعة نقولا زيادة، دار الثقافة. بيروت - لبنان. ص 14.

فقلت: ما لبنان؟ فقال: جبل بالشام". واعتمد العرب منذ الفتح العربي/الإسلامي لهذه المنطقة تسمية بلاد الشام، على ما كان يطلق اليونان وبعدهم الرومان والبيزنطيون عليه تسمية "فينيقيا وسورية". وبلاد الشام هي المنطقة التي تقع شمال شبه الجزيرة العربية، والتي يحدها البحر المتوسط غرباً والفرات شرقاً وآسيا الصغرى شمالاً. كل هذا يؤكد لنا أنّ لبنان لم يعرف حدوداً ثابتة خلال مراحل تاريخه، وهو لا يخرج عن كونه ضمن المنطقة الشرقية، التي عُرِفَت خلال حقبات التاريخ الإسلامي ببلاد الشام. ومن الملاحظ أنّ معاهدة سايكس بيكو الموقعة في 26 أيار 1916م، لم يرد فيها اسم لبنان، بل جاء فيها: "تنال فرنسا غربي سوريا وجنوبي الأناضول ومنطقة الموصل في شمالي العراق". وكلّ باحث في تاريخ لبنان، لا بدّ له من العودة إلى تاريخ بلاد الشام، إذ إنّ لبنان كان جزءاً منها في ذلك الوقت، كما أنّه على المؤرّخ لتاريخ هذا الوطن قبل سنة 1920م، أن يتطرق إلى كلّ منطقة منه على حدة، لأنّ لبنان لم يأخذ شكل الكيان السياسي المستقلّ بحدود جغرافية واضحة قبل هذا التاريخ المذكور، وذلك على يد الجنرال غورو في 1 أيلول سنة 1920م، عندما أعلن من باحة قصر الصنوبر في بيروت دولة لبنان الكبير.

الحمالات العسكرية:

بعد مرور حوالي العام على وفاة النبي محمد (ص) كانت هناك ثلاثة جيوش تتجه شمالاً من المدينة المنورة على رأس واحد منها عمرو بن العاصي وعلى الثاني يزيد بن أبي سفيان؛ وكان حامل راية يزيد أخوه معاوية مؤسس الدولة الأموية فيما بعد، وعلى رأس الثالث أبو عبيدة ابن الجراح، الذي أصبح فيما بعد القائد العام للجيش في سوريا³. وقد هزم الجيش الذي يقوده يزيد ابن أبي سفيان جيش الروم بقيادة سرجيوس في وادي العربنة جنوب البحر الميت وأجهز عليه. وكان الإمبراطور هرقل آنذاك في مدينة حمص، فلما بلغه خبر الجيوش العربية، أرسل نجدة بقيادة أخيه تيودوروس ولكنه هُزم أيضاً. أمّا دمشق عاصمة سوريا، فإنّها سقطت بعد حصار دام ستّة أشهر بيد العرب سنة 635م، وفي نفس العام فتح أبو عبيدة ابن الجراح مدينة حمص، وهي واحدة من المدن

³ Goeje, M. J. (1900). *Mémoire sur la conquête de la Syrie*. Leyden.

الرئيسة في سوريا، ثم فتح أول مدينة لبنانية رئيسة وهي بعلبك، وكتب لأهلها كتاب أمان على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم ومساكنهم داخل المدينة وخارجها⁴. أما فتح حلب وأنطاكية وحماه وسائر المدن فقد تم بمساعدة أعوان من النصارى واليهود، وبعضهم رحب بالفاتحين ترحيبهم بمخلص ومنقذ. وكانت معركة اليرموك التي وقعت في 20 آب سنة 663 م، هي الحاسمة؛ ذلك أنها فتحت البلاد جميعها أمام العرب بعد القضاء على جيش الروم قضاء تاماً. وفي سنة 638 م، سقطت مدينة القدس وذلك بتواطؤ بعض اليهود. أما مدن الساحل في لبنان وفلسطين فقد بقيت خارج السيطرة الإسلامية العربية، لأنها كانت تتلقى المدد من الروم بحراً وكان الروم أسياد البحر آنذاك. ثم أخذت هذه المدن تسقط واحدة تلو الأخرى في يد معاوية ويزيد، فإن بيروت سقطت عام 635 م، وصور وصيدا عام 636 م، وكذلك جبيل وعرقا. وهكذا وخلال سبع سنوات وقعت المنطقة بكاملها من جبال طوروس إلى صحراء سيناء في أيدي المسلمين.

الأمويون:

قبل أن تستسلم مدينة القدس بفترة قصيرة، قام الخليفة عمر بن الخطاب خليفة أبي بكر بزيارة إلى البلدان المفتوحة، وعقد مؤتمراً مع القادة في مكان يعرف بالجابية جنوب مدينة دمشق؛ وفي هذا المؤتمر قُسمت سوريا إلى أربعة مناطق عسكرية (جند) هي: دمشق وحمص والأردن وفلسطين، وقد أضيف إليها على يد يزيد ابن معاوية منطقة خامسة هي جند قنسرين وكان يشمل بلاد ما بين النهرين. أما لبنان فقد أضيف إلى جند الشام. أما دمشق فقد أصبحت بعد مؤتمر الجابية عاصمة سوريا كلها، ثم فيما بعد مقر الخلافة الأموية، التي أسسها معاوية سنة (661-680م). وقد وجد معاوية في أحواض عكا البيزنطية مكاناً جيداً لبناء السفن فرممها، وجلب لها الأشجار من غابات لبنان لبناء الأسطول البحري العربي، وجهزه بالملاحين اللبنانيين الذين كانوا يتمتعون بشهرة كبيرة في الإبحار. وفي الوقت نفسه كان معاوية يجلي بعض الروم والموالين لهم عن الساحل، ويسكن مكانهم أقواماً من أهل بعلبك وحمص وأنطاكية، كما أقام حاميات في نقاط استراتيجية. وأصبحت مدينتا صور وعكا قواعد بحرية مهمة، وانتقلت السيادة

4 البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1956-1957). كتاب فتوح البلدان. تحقيق صلاح المنجد. مكتبة النهضة المصرية. ثلاثة أقسام، قسم 1 ص 130.

البحرية في شرقي المتوسط من أيدي الروم إلى أيدي العرب. وأصبحت الشواطئ اللبنانية إلى زمن طويل في مأمن من الغزوات البحرية⁵.

في سنة 663 م، جاء معاوية بجاليات من الفرس، وأسكنها في صيدا وبيروت وجبيل وعرقه وطرابلس، وذلك بغية رد الغزوات التي قد تقوم بها أساطيل الروم؛ غير أن لبنان الجبل لم يكن ليستهووي فرسان الحرب وموظفي الدولة والبدو، ولم يكن ثلج لبنان بالشيء المستحب لديهم. يُضاف إلى ذلك أن الحرب في مسالك الجبل ووعره ليست بالأمر الذي يميل إليه المحارب العربي، الذي كان يألف السهل. ولم يكن خلفاء الرسول محمد (ص) في المدينة ليدركوا عن بعد أهمية الجبل الاستراتيجية، فتركوه وشأنه. ولكن معاوية القريب من الجبل أدرك ذلك، فكان أول خليفة حاول إخضاع الجبل ولكنه لم يفلح، كما أن الخلفاء الذين أتوا بعده لم يوفقوا لإخضاع الجبل، لأنه في هذه الأثناء جاء الجراجمة إليه من منطقة جبال طوروس، فكانوا عوناً ونجدة لأهله. وكان الجراجمة من الجنود المرتزقة عند الروم، فكانوا يشنون الغزوات على سورية، والتاريخ لا يعرف عن أصلهم شيئاً، ولكن نعلم أنهم سُموا "جراجمة" نسبةً إلى مدينة الجرجمة في جبل اللكام؛ والمعروف أيضاً أن العرب عندما فتحوا أنطاكية سنة 638 م، استخدموا بعض الجراجمة كأدلاء في معابر الجبال التي كانت تفصل الروم عن الحدود العربية⁶.

تُحيط بتاريخ لبنان في القرون الأربعة والنصف الأولى التي تلت الفتح العربي حجب كثيفة، وذلك لأننا نجهل تاريخ الحقبة التي تقع بين الفتح العربي وقدم الصليبيين جهلاً يكاد يكون تاماً، فلا المصادر البيزنطية تقول شيئاً، ولا المصادر العربية تفيدنا بشيء لولا بعض أحداث بارزة وخطوط عريضة نتلمسها بشيء من الجهد. وقد كان العالم الإسلامي يعاني أزمة داخلية خطيرة، فلم يعبأ لما كان يجري في لبنان. ففي هذه الفترة كانت الحرب قائمة بين معاوية وعلي بن أبي طالب حول الخلافة، وقد رأى معاوية أنه من الحكمة أن يدفع جزية للروم مقابل أن يمتنع هؤلاء عن مساعدة الجراجمة، وعليه انسحبت جموع الجراجمة من لبنان. وفي عام 689 م، أثناء خلافة عبد الملك بن مروان، عاد الجراجمة فاجتاحوا لبنان كما فعلوا أثناء خلافة معاوية وتحصنوا في مرتفعاته الشمالية. وقبل عبد الملك أن يدفع ضريبة إلى الإمبراطور يوستينيان الثاني، وأن يدفع

⁵ فيليب، حتي. المرجع السابق. ص 295 - 296.

⁶ الحموي، ياقوت (1866 - 1873). معجم البلدان. نشرة وستفالد. لايبزغ. ج 2. ص 55.

للجرامة مبلغ ألف دينارٍ كلّ أسبوع، وكأنّه في ادّعائه هذا على حدّ قول البلاذري "اقتدى في صلحه بمعاوية"⁷. أمّا الوليد بن عبد الملك وخليفته، فقد قرّر التخلّص من الخطر الذي كان يتهدّده من الشمال، فبعث أخاه مسلمة على رأس جيشٍ للإستيلاء على المِتْكأ الذي كان يجده الروم في لبنان، فاحتلّ مقرّهم الجرجمة وقد فرّ بعضهم إلى بلاد الأناضول وأذن لبعضهم الآخر بالتوطن في سوريا ولبنان. وتجدر الإشارة إلى أنّ الخلافة العربيّة بلغت أوج مجدها في زمن الخليفة عبد الملك وأبنائه، فقد كانت رقعتها الجغرافيّة تمتدّ من شواطئ الأطلسي في إسبانيا وفرنسا إلى شمال أفريقيا وإلى غرب آسيا فنهر السند وتخوم الصين، وهي رقعة لم تبلغها الإمبراطوريّة الرومانيّة في عهدها الذهبي.

سكّان لبنان

الموارنة:

تنتسب الطائفة المارونيّة التي كانت عند بدئها تتألّف من عناصر لبنانيّة مسيحيّة مختلفة، إلى القديس مارون. وقد عاش هذا القديس الراهب في أواخر القرن الرابع، وتوفيّ حوالي سنة 410 م، في المنطقة التي تقع بين أنطاكية وقورش شمالي غرب حلب. أمّا الحقائق الثابتة عن حياته، فيمكن تلخيصها في عباراتٍ قليلة، حيث أنّ أقدم المصادر هي التي خلّفها لنا معاصره تيودوروس أسقف قوروش سنة 423 م، حيث يقول عنه: "إنّه هو الذي غرس حديقة النسك في المنطقة"⁸.

ولقد توفيّ القديس مارون قبل أن تتغلغل إلى الكنيسة شيع وأحزاب وطوائف عندما كان الجميع يتنافسون على عيش الإنجيل عيشاً كاملاً⁹. واستحال الاتّصال المادي بعد الفتح العربي بين الموارنة وبيزنطية وبينهم وبين روما، فالتجأوا إلى الجبال والأودية، وندر ذكرهم في التواريخ العربيّة حتّى منتصف القرن العاشر، حيث يذكر المسعودي في كتابه "التنبيه والإشراف" أنّ دير مار مارون والصوامع المحيطة به، "قد دُمّرت من جراء غزوات العرب وظلم السلطان". وبعد أن توطّن الموارنة في شمال لبنان، بدأت طوائف إسلاميّة تخالف

⁷ البلاذري. المصدر السابق. ص 160.

⁸ مصطفى، سبيتي (1427هـ - 2007م). الحياة الفكرية للأقليات الدينية في لبنان في العهد المملوكي (الشيعية - الدرور - الموارنة)، دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع. ص 255.

⁹ بولس، نعمان (1997م). المارونية في أمسها وغدّها. دير سيدة النصر نسبيّة. غوسطا. ص 17.

السنة في عقائدها: الشيعة والإسماعيلية وجماعات عرقية مختلفة من فرس وعرب نزحت إلى لبنان. هذه الأقوام اندمجت فيما بعد بالسكان الأصليين من العرق الآرامي.

الدروز:

تفرّعت هذه الطائفة من الإسماعيلية الفاطمية، وتوقّفت عن نهج الإمامة في عهد الحاكم بأمر الله الفاطمي، حيث بدأت الطائفة كحركة باطنية دينية، وذلك عندما أخذ الحاكم بأمر الله (سادس خلفاء الفاطميين بمصر) بدعوة الربوبية، وأخذ يمهّد لذلك المقدمات؛ وكان من دعائه محمد بن اسماعيل الدرزي المعروف بنشتكين، وحمزة بن علي الزوزني، وكان هذا من أعظم الدعاة للحاكم وصاحب الرسائل والمكاتبات عنده¹⁰. وبعث الحاكم بأمر الله إلى الدرزي مალًا وأوعز إليه أن يخرج من بلاد الشام وينشر فيها الدعوة؛ فنزل وادي التيم في شرق لبنان وبشر بمذهبه وقرأ الكتاب على أهله واستمالهم إلى الحاكم، وأعطاهم المال فكثر مشايعوه وأنصاره. وكان الأمراء التنوخيون (سكان جبال لبنان) على استعداد لقبول دعوة الدرزي، فانقادوا إليه فسُميت جماعته بالدروز، والدروز ينكرون هذه التسمية ويحبّون أن يدعوا بالموحدين وغلب عليهم في حوران آل معروف، وهذا اللقب كان من شعار اليميني لانقسام هذه الطائفة إلى أصليين من أمهات أصول العرب في هذا القطر وهو القيسية واليمينية¹¹. وقد بلغ الدروز قمة قوتهم أيام الأمير فخر الدين المعني أمير لبنان بين 1590 و1635م، الذي امتدّ ملكه من أنطاكية شمالاً إلى صفد جنوباً. وفي هذه الفترة توطّن بعضهم في جبل الكرمل وفي منطقة الجليل، وفي أوائل القرن الثامن عشر حدثت هجرة درزية من الشوف إلى حوران إثر حرب أهلية بين الحزب القيسي والحزب اليميني (وهما حزبان قديمان يمثّل الأول عرب الشمال الذين نزحوا قديماً إلى بلاد الشام، ويمثّل الثاني عرب الجنوب). وقد ازداد عدد الدروز في حوران بعد هجرة درزية ثانية حدثت في القرن التاسع عشر بعد أحداث عام 1860م، وقد توطّن الدروز القسم الجبلي من حوران، فأصبح يعرف بجبل الدروز. ويقول (صالح بن يحيى) في كتابه "تاريخ بيروت": "إنّه لا يُعرف في أيّ سنة بالضبط أتت عشيرتهم إلى

¹⁰ محمد، كردعلي (1403هـ - 1983م). خطط الشام. ج 6. مكتبة النوري. دمشق. ص 263 - 264.

¹¹ محمد، كردعلي. مرجع سابق. ج 6. ص 263.

لبنان"، ولكنه استطاع - استناداً إلى ما عند جدوده من مناشير جاءتهم من الملوك والسلاطين - بأن يجزم بأن جدوده في أوائل القرن الثاني عشر، وفي أيام الدولة السلجوقية، كانوا يحكمون الغرب؛ وأنهم دخلوا بيروت من جديد واستقرّ حكمهم عليها بعد جلاء الفرنجة عنها أواخر القرن الثالث عشر¹².

الشيعية الإثنا عشرية:

وهي من أشهر الفرق الإمامية، وتتواجد في أكثر البلدان الإسلامية مثل لبنان والعراق وإيران والسعودية والبحرين وباكستان وغيرها. وهذه الفرقة يطلق عليها اسم الجعفرية أيضاً كذلك الإمامية، ويطلق عليها الاسم العام وهو الشيعة. فحينما نقول الشيعة ينطلق القصد إليهم، ولقد سمّوا بالإثني عشرية لأنهم يعتقدون بإثني عشر إماماً متتابعين، أولهم علي بن أبي طالب المنصوص عليه من الرسول محمد (ص)، وآخرهم محمد بن الحسن العسكري، الحجة القائم المهدي المنتظر¹³. وتشعبت منها فرقة النصيرية المغالية، والتي تقيم الآن في جبال العلويين في سوريا إلى الشمال من لبنان، وفي منطقة جبل محسن في طرابلس.

وكان الشيعة ينتشرون في مختلف المناطق اللبنانية وخاصة كسروان وطرابلس وبيروت وصيدا وجبل عامل والبقاع¹⁴.

العباسيون يخلفون الأمويين:

كان من الأسباب التي أدّت لإنهيار الخلافة الأموية عام 750م، ضعف الخلفاء الأخيرين وسوء تصرفهم وتكتل الفرق المناوئة لهم، مثلاً: العلويون والعباسيون وجلّ أهل العراق والفرس وغيرهم من الفئات الناقمة الغاضبة. وكانت تنقص هذه الجماعات الناقمة السيادة الجريئة لإعلان الثورة، إلى أن برز أبو العباس عبدالله الذي لقب فيما بعد بالسفاح، حفيد العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص). وكان العباسيون يدعون

¹² صالح بن يحيى (1969م). تاريخ بيروت، وهو أخبار السلف من ذرية بختر بن علي أمير الغرب ببيروت. دار المشرق. ص 44-45.

¹³ للتوسع في الموضوع، أنظر مصطفى، سبيتي. الحياة الفكرية. مرجع سابق. ص 109 - 114.

¹⁴ فيليب، حتي. المرجع السابق. ص 397 - 398.

أنهم أحقّ بالخلافة من بني أمية. وفي شهر كانون الثاني من عام 750م، وقف الجيشان وجهاً لوجه عند الضفة الشماليّة من نهر الزاب الأعلى، وهو أحد الروافد التي تصبّ في دجلة، وكان مروان الثاني (بين سنتيّ 744 و750م) يقود الجيش الأموي، وعبدالله ابن علي عمّ العباس يقود الجيش الإثتلافي الثائر ضدّ بني أمية؛ وقد بقيت المعركة مستمرةً تسعة أيّام، كانت الغلبة فيها للعباسيين¹⁵. ثمّ أخذت المدن السوريّة بالاستسلام صلحاً للقائد عبدالله ولجيشه العراقي، وكذلك فعلت المدن اللبنانيّة والفلسطينيّة. وبسقوط الدولة الأمويّة انتقلت الخلافة إلى بغداد؛ وقد خلف أبو العباس عبدالله في الخلافة أخوه أبو جعفر المنصور مؤسس عاصمة ملكهم بغداد عام 762م، والجذ الأعلى لخمسّة وثلاثين خليفةً من العباسيين من صلبه.

وقد حكم هذا البيت أكثر من أيّ بيتٍ آخر، وكان من بينهم خلفاء عظماء مثل هارون الرشيد، وابنه المأمون. لم يفلح العباسيون في استمالة أهل سوريا إلى جانبهم، لذلك بقيت المنطقة في حالة غليان واضطراب. وقد اندلعت أولى الثورات في لبنان عام 759-760م، في بلدة صغيرة في أعالي لبنان وهي المنيطرة القريبة من أفقا. فقد ثار نصارى هذه القرية ضدّ تعسف عامل العباسيين في فرض الضرائب عليهم، واستولوا على عدّة قرى في البقاع وتقدّموا نحو بعلبك التي كانت مقرّاً لحاكم العباسيين؛ ولكنّ القائد العبّاسي صالح بن علي قضى عليهم وهاجم القرى الثائرة وشتّتهم في طول البلاد وعرضها، ولكن لم يتعرّض لدينهم بسوء. وقد كان لهذا العمل العنيف أثر سيّئ في نفس الإمام الأوزاعي، الفقيه المحدث المشهور الذي كان يلقّب بإمام أهل الشام، فكتب للخليفة في ذلك وطلب منه أن: "لا يؤخذ عامّة بذنوب خاصّة، لأنّ أكثر النصارى لا ذنب لهم في ما حصل، حتّى يخرجوا من ديارهم وأموالهم، وخاصّة أنّ رسول الله (ص) قال: "من ظلم معاهداً وكلفه فوق طاقته فأنا حجيجه"¹⁶. وبعد ذلك أخذت الخلافة العبّاسيّة بالضعف والانحلال، وأخذت تظهر في أنحاء الخلافة دويلات تركيّة وفارسيّة وعربيّة. وفي الفترة ما بين 945-1055م، قامت أسرة فارسيّة الأصل بالاستيلاء على بغداد وعلى جزء من المملكة التي كانت تحت سيطرة بغداد، وهي الأسرة البويهية، ثمّ جاء السلاجقة الأتراك البويهيون،

¹⁵ ابن عساكر (1331هـ). التاريخ الكبير. مجلد 3. طبعة عبد القادر بدران. ص 392.

¹⁶ البلاذري. المصدر السابق. ص 162.

فكان الخلفاء العباسيون في العهد السلجوقي يملكون ولا يحكمون. وكان سقوط الخلافة العباسية على يد هولاكو المغولي سنة 1258م.

الفاطميون يخلفون العباسيين:

كانت الدولة الفاطمية التي قامت في مصر (909-1171م) أقوى دولة من تلك الدويلات التي نشأت عندما بدأ التفكك في الدولة العباسية؛ ولكنها في الواقع كانت خلافةً مستقلةً تحدت الخلافة في بغداد وكادت أن تقضي عليها. ومؤسس هذه الدولة هو عبيدالله المهدي المنتسب إلى فاطمة الزهراء، وقد أسس عاصمته لخلافته في تونس ودعاها بالمهدية، وأقام فيها من عام 909م. إلى عام 934م. وفي عام 973م، نقل خليفته الثالث المعز (952-975م) عاصمة ملكه إلى مصر حيث كان القائد جوهر الصقلي قد أسس عاصمةً جديدةً لسياده الفاطميين سمّاها القاهرة. وجوهر هو الذي بنى الجامع الأزهر الذي يُعتبر من أكبر المؤسسات الدينية المحافظة في العالم كله، وهو الذي وسّع ملك الفاطميين حتى بلغ سنة 969م الشاطئ اللبناني بكامله، وهو الذي طرد الأخشيديين من مصر وسوريا¹⁷.

أثناء فترة خلافة العزيز (975-996م) بلغت رقعة المملكة من الاتساع ذروتها. وفي السنة الثانية، حكم ابنه وخليفته الحاكم بأمر الله الذي تُعزى إليه الحركة الدينية التي عُرف أتباعها فيما بعد بالدروز.

يُذكر أنّ ملاحاً من مدينة صور يدعى علاقة أعلن استقلاله عن الدولة الفاطمية بدعم من البيزنطيين وسكّ نقوداً بإسمه كتب عليها "العز بعد الفاقة للأمير علاقة"، ولكن بعد فترة من الزمن والحصار أُجبر على تسليم المدينة، وتمّ سلخه حياً وحشي جلدته قشاً وتبنياً وعُرض على الناس¹⁸.

¹⁷ جلال الدين عبد الرحمن، السيوطي (1974م). تاريخ الخلفاء. بيروت - دار الفكر. ص 14.

¹⁸ ابن القلانسي (1908م). نيل تاريخ دمشق. نشرة المنورس. مطبعة الآباء اليسوعيين. ص 50 - 51.

التفكك العربي يفسح في المجال للصليبيين:

عند مستهل القرن العاشر للميلاد ظهر التفكك في الوحدة الإسلامية سواء في الإسلام كدين أو كدولة، وفي أواخر القرن الحادي عشر للميلاد كان السلاجقة الأتراك والتركمان وهما من السّنة يسيطرون على آسيا الصغرى وشمالى سوريا، أما مصر وفلسطين وسوريا، فقد كانت تحت حكم الفاطميين، وهم شيعة، كذلك كان داخل الإمبراطورية الإسلامية أمراء يحكمون إمارات صغيرة ومقاطعات تكاد تكون مستقلة عن بغداد أو عن القاهرة. وقد أدّى العداء والتنافس بين الإخوة ومشاكل التعاقب على الحكم إلى فوضى سياسية، وإلى حالة دائمة من القلق وعدم الاستقرار. أما المنطقة الجبلية فقد كانت ملجأً لمختلف الفرق الإسلامية المنشقة والطوائف المسيحية المختلفة. وقد استقرّ النصارى بالقرب من اللاذقية، وبعد فترة استقرت بالقرب منهم جماعة من الحشاشين الإسماعيلية، والموارنة في شمال لبنان، والدروز في جنوبه، وبينهما المتاولة الشيعة. وما زاد في حدة الفوضى سيل مستمر من العرب الذين كانوا يهجرون الصحراء ليستقروا في المناطق الزراعية، أو في المراكز العسكرية التي كانت تُقام على الحدود، وسيل بعض من الأكراد الوافدين إلى المنطقة من الجبال الشمالية الشرقية، ومن التركمان الذين كانوا على استعداد للإنخراط في جيش الأمير أو الحاكم الذي يمنحهم خير الجزاء.

أما حكام المدن اللبنانية من طرابلس إلى الجنوب فقد احتفظوا بسيطرتهم على مدنها، متّكّلين على دعم الخليفة الفاطمي في القاهرة. وقد كان لبنان في نظر جغرافيين ورحالة العرب في القرن العاشر للميلاد، بلد النساء والأثمار الشهية. يقول ابن الفقيه: "وبدمشق لبنان، فهو الجبل الذي يكون عليه العباء والأبدال وعليه من كل الثمر والفواكه وفيه عيون كثيرة عذبة"¹⁹. أما ابن حوقل، وهو رحالة عاش في منتصف القرن العاشر، فقد أعجب غاية الإعجاب بخصب تربة طرابلس، وبرخص أسعار السلع المنتجة فيها. أما الجغرافي المقدسي، الذي مرّ بلبنان حوالي سنة 995 م، فإنه يخبرنا عن مدينة بعلبك بأنها مدينة تكثر فيها الألبان ومشتقاتها وفيها جميع أصناف العنب العجيب. ثمّ يحدثنا عن جبل عامل فيقول إنّ فيه أحسن أنواع العسل، وفيه يكثر العنب والزيتون والفاكهة وعيون الماء. ويتابع كلامه فيقول: "وأما جبل لبنان فهو متّصل بهذا الجبل وفيه الكثير من الأشجار والثمار المباحة وفيه عيون ضعيفة يتعبد عندها أقوام قد بنوا لأنفسهم

¹⁹ شمس الدين المقدسي (1877م). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. نشرة دي غويه. لايدن. ص 44.

أكواماً من القشّ، يأكلون من تلك المباحات، ويرتزقون بما يحملون منها إلى المدن من القصب الفارسي والمرسين وغير ذلك²⁰.

أمّا صور فقد كانت أيام المقدسيّ مدينةً مشهورةً بتصدير السكر والخرز والأواني الزجاجيّة كما عُرِفَتْ بذلك في العهود القديمة²¹. ويذكر لنا الرّحالة الجغرافيون الذين زاروا هذه المدن الساحليّة بأنّها حصينة تحيط بها أبراج وأسوار وقلاع. أمّا في القرن الحادي عشر فإنّ أفضل وصف للبنان أتحنّا به رّحالة فارسيّ الأصل يدعى ناصر خسرو، الذي مرّ في لبنان وهو في طريقه إلى الحجّ؛ وقد قارن بين لبنان وبين سائر الأقطار الإسلاميّة، فأثنى كثيراً على ما شاهده في لبنان وأعجب بعمرانه، ويقول في طرابلس: "في هذه المدينة التي يبلغ عدد سكّانها عشرين ألف نسمة، فنادق ذات طبقات يتراوح عددها بين أربع وستّ طبقات. وفيها من جميع أصناف اللحوم والمأكّل والفاكهة، وكلّ ما في بلاد فارس من مأكّل أو مشربٍ يستطيع المرء أن يجده في طرابلس، ولكنّها تفوق ما في فارس كثيراً، وفيها رباطات للعباد والمتقشّفين. وتحمي المدينة حامية من الجنود الفاطميّين، وفي أعالي أسوارها نُصبت المنجنيقات. وكان لمينائها مراكب في بلاد اليونان والفرنجة وأسبانيا والمغرب، ومنها تسير مراكب الفاطميّين إلى اليونان وصقلية والمغرب". وقد بلغت طرابلس ذروة مجدها أيام حكم أمراء بني عمّار الشيعة الذين كانوا من العلماء والحكماء، والذين تمكّنوا من الوصول إلى شكلٍ من أشكال الحكم الذاتي، وتحوّلت طرابلس في عهدهم إلى مركزٍ ثقافيٍّ علميٍّ، واكتمل ازدهارها العلمي بعد إنشاء مدرسة ومكتبةٍ ذاع صيتها في ذلك الزمان، واعتُبرت من أرقى المكتبات العربيّة، إذ كانت تحتوي على تسعمئة ألف مجلّد يتحدّث في شتّى المواضيع العلميّة والأدبيّة والتي سُمّيت بدار العلم والعلماء²².

أمّا مدينة جبيل المحاطة بسورٍ عالٍ منيع، فغنيّة بالنخيل وبأشجار الفاكهة. وعندما دخل ناصر خسرو بيروت، رأى قنطرةً عظيمةً فوق الطريق المؤدّي إلى المدينة، علوّها يتراوح بين ثمانين وتسعين قدماً، وتقوم القنطرة على ركيزتين من الحجارة الرخاميّة البيضاء، وزن الحجر منها طنّ ونصف طنّ وتقوم على رأس أعمدة الرخام، علوّ العامود منها يتراوح بين

²⁰ شمس الدين المقدسي (1877م). المصدر السابق. ص 188.

²¹ شمس الدين المقدسي (1877م). المصدر نفسه. ص 180.

²² ناصري، خسرو (1881م). سفرنامه. نشرة وترجمة شارل شيفر - باريس. ص 40 - 44.

14 و 15 قدماً، ودائرة العامود كبيرة بحيث يكاد رجلان لا يستطيعان الإحاطة بها؛ وفوق هذه الأعمدة سلسلة من القناطر علو القنطرة الوسطى بينها يتراوح بين 57 و 80 قدماً، وجميعها مبنية من الحجارة المنحوتة وتزن الواحدة منها عشرة أطنان. أما الفسحة التي تحيط بهذا البناء الفخم ففيها أعمدة ذات رؤوس رخامية ومن حجر الغرانيت. ومن المؤكد أنّ هذا الذي رآه ناصر خسرو كان من بقايا عمارة بناها الرومان. أما عن مدينة صيدا فيقول خسرو: "إنّ سورها كان له أربعة أبواب، وإنّ أسواقها كانت مزينةً تزييناً رائعاً وكأنّها تستعدّ لإستقبال السلطان، وكذلك بساكنيها فإنّها أنشئت حسب هندسة جميلة، كأذّها أنشئت خصيصاً لتكون حديقةً لسلطان". أما أسواق صور المزدهرة المليئة بالبضائع والسلع في أعلى غايةٍ من النظافة، وخاناتها أبنية ذات خمس أو ست طبقات، أما سكّان صور فأكثرهم من الشيعة كما هي الحال في طرابلس، والمدينة مجهزة بالماء الذي يصلها من الجبال²³.

م ١ كان ليخطر على بال أولئك الرحالة الجغرافيين والحجاج، الذين مروا في لبنان وأسهبوا في وصف حصون المدن اللبنانية البحرية، وفي وصف الوسائل المتخذة لحمايتها، أو على بال الطولونيين والفاطميين الذين أقاموا هذه الحصون، أنّ هجمات خطيرةً ستنتقض عليها من غربي أوروبا هذه المرة لا من البيزنطيين عن طريق الشرق، هؤلاء الغزاة الجدد كانوا الصليبيين.

الصليبيون:

بعد معركة ملاذكرد التي وقعت عام 1071 م. والتي انتصر فيها القائد السلجوقي ألب إرسلان على أعدائه البيزنطيين وأسر إمبراطورهم، أصبحت آسيا الصغرى وسوريا في متناول الأتراك والتركمان؛ وقد كانت هذه أول مرة وطدت هذه الشعوب الوافدة من آسيا أقدامها في منطقة الشرق الأدنى. وقد بعث الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنينوس إلى قداسة البابا يستجيره ويطلب منه العون ليجابه الخطر الذي أحاط بممتلكاته الآسيوية. وأخيراً استجاب البابا أوربان الثاني، فألقى في اليوم السادس والعشرين من تشرين الثاني من عام 1095 م، خطاباً حماسياً في مدينة كليرمونت في جنوب فرنسا، يدعو لانتزاع القبر المقدس من أيدي الكفرة. وقد لبى النداء جيش عظيم

²³ ناصر، خسرو. المصدر السابق. ص 48 – 50.

من الإفرنج بلغ قوامه مئة وخمسين ألف محاربٍ تجمّعوا في القسطنطينية²⁴. أمّا في الشرق العربي الإسلامي عشية الحروب الصليبية، فكان التمزّق السياسي والتناحر العسكري مخيماً على العالم العربي. وفي ظلّ هذه الظروف، نجح الصليبيون في زرع إماراتهم ومملكتهم. لقد انتصرت الحملة الصليبية الأولى بفضل هذا التمزّق، وحاز الإفرنج انتصاراتهم الأولى، وتمّ محو معظم الإمارات العربية والإسلامية في بلاد الشام؛ وكانت إمارة سلاجقة الروم وعاصمتها نيقيا أول الضحايا للهجوم الصليبي، ثمّ تلتها بقية الإمارات. ففي النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي، كان المسلمون في المنطقة العربية موزّعين في ولائهم السياسي، بين الخلافة العباسية في بغداد، والخلافة الفاطمية في القاهرة. وبالإضافة إلى التنازع والتخاصم بين الخلافتين، فإنّ أحوالهما الداخلية كانت مرتبكةً بالقدر الذي جعل بلاد الشام موزّعةً بين عدّة إماراتٍ صغيرة. فقبل الحملة الصليبية الأولى، كانت كلّ مدينةٍ كبيرةٍ في بلاد الشام إمارةً مستقلةً تحت حكم حاكمٍ عربيٍّ أو من الأتراك السلاجقة، وكانت مشاعر الحقد والشكّ المتبادلة بين هذه الكيانات الصغيرة، سبباً للتناحر بينها ولعدم توحيدها في مواجهة الغزو الصليبي.

الانتصارات الأولى في الطريق إلى بيت المقدس:

كانت الطريق التي سلكتها الحملة الصليبية الأولى تمرّ في آسيا الصغرى، التي كان قد استولى عليها السلاجقة، وكانت أول مدينةٍ استولوا عليها بعد أن غادرت الحملة القسطنطينية هي مدينة نيقيا، وهي مركز عسكري استراتيجي سنة 1097م. ثمّ مدينة دوريلايوم.

وما إن وصل الصليبيون إلى شمال سوريا، وأصبحت جبال طوروس وراءهم، حتّى بدأت المنافسات بين قادتهم، إذ أخذ كلّ واحدٍ منهم يضع الخطط للإستيلاء على مقاطعةٍ لنفسه. أمّا القائد بولدوين اللوريني، فقد اتّجه شرقاً نحو الرها (إيدسا)، التي كانت واقعةً تحت حكم الأرمن واحتلّها عام 1098م. وهكذا تأسست أولى الدويلات اللاتينية²⁵. وقد أصبح بولدوين فيما بعد الملك الثاني لمملكة القدس، وأصبح يُعرف ببولدوين الأول.

²⁴ مصطفى محمود، سبيتي (2012م). *قلاع لبنان الصليبية وتفعيلها سياحياً*. دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع. ص 22 – 24.

²⁵ مصطفى محمود، سبيتي. *قلاع لبنان*. المرجع السابق. ص 33.

أما تنكرد (وهو قائد نورماني)، فإنه اتّجه غرباً إلى كيليكية التي كان يقطنها شعب مسيحي مزيج من يونانيين وأرمن، واحتلّ طرطوس والبلاد المجاورة لها. أما القسم الأكبر من جنود الحملة الصليبية فقد استمرّ في زحفه جنوباً باتجاه هدفه الأول (بيت المقدس). وكانت مدينة أنطاكية حيث سُمّي أتباع السيّد المسيح بالمسيحيين للمرة الأولى، تقع على طريق الحملة، فتمّ احتلالها من قبل القائد النورماني يوهمند، وكذلك تمّ احتلال مدينة معرة النعمان وتمّ إحراقها واستبيح سكّانها²⁶. بعد ذلك، تابع جيشان من الصليبيين تقدّمهما جنوباً نحو بيت المقدس، وقد سلكا الطريقين اللتين كان يسلكهما غزاة سورية ولبنان وهما: الطريق الداخلية عبر وادي العاصي، والطريق الساحلية. وكان القائد الذي سار في الطريق الداخلية هو الكونت ريموند دي صنجيل، كما سمّاه العرب. وخلال سيره، بلغ حصن الأكراد واستولى عليه. ويقع هذا الحصن في مكانٍ استراتيجي هامّ، وبنى الصليبيون على أنقاضه قلعةً حصينةً عُرفت باسم (crac des chevaliers). أما مدينة عرقة الحصينة التي وُلد فيها أحد الأباطرة الرومانيين من الأسرة السورية، فقاومت الحصار الذي فُرض عليها، وكانت أول مدينة لبنانية هاجمتها الجيوش الصليبية. أما القائد غودفري دي بويون الذي سلك الطريق الساحلية، فحاول الإستيلاء على مدينة اللاذقية، وكذلك على مدينة جبلة ولكنه فشل في ذلك، وكانت هاتان المدينتان تابعتين لمدينة طرابلس التي كان يحكمها الأمير فخر الملك ابن عمّار. إلاّ أنّه استولى على مدينة طرطوس التي شيّد فيها الصليبيون كاتدرائيةً فخمةً لا تزال قائمةً حتّى الآن، وتعتبر من أجمل الآثار الصليبية التي بقيت سليمةً إلى يومنا هذا. ثمّ تابع الصليبيون سيرهم نحو بيت المقدس على ذات الطريق الساحلية التي سلكها الغزاة الفاتحون من بابليين وأشوريين ويونانيين ورومانيين وغيرهم منذ أقدم العصور. أمّا البترون وجبيل فقد كانتا تابعتين لإمارة طرابلس، وقد نجتا من ويلات الحرب. أمّا بيروت فقد بات الصليبيون فيها ليلةً واحدة، لأنّ الحاكم الفاطمي فيها حذو زميله ابن عمّار في طرابلس، فإنه أعطاهم كميةً من المال وبعض المؤون²⁷؛ هذا من جهةٍ ومن جهةٍ ثانيةٍ فإنّ الصليبيين كانوا يرغبون بشدّة في السير نحو بيت المقدس، وفي اليوم الثاني وصلوا مدينة صيدا ونصبوا خيامهم في بساطينها، حيث تعرّضوا لخطر لسع الأفاعي السامة، ولكنّ أهل صيدا علّموهم كيف يتّقون خطر السمّ. ثمّ وصل الصليبيون إلى مدينة صور، وكانت - بعد

²⁶ ابن الأثير، الكامل في التاريخ. المصدر السابق. ج 8. ص 186.

²⁷ ستيفن، رنسيمن (1982 - 1983م). تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة الباز العريني. ج 1. بيروت. ص 410.

طرابلس - من أجمل المدن اللبنانية وأكثرها ازدهاراً وعمراً عندما وصل إليها الصليبيون، وكانت صور الجزيرة البحرية، تتمتع بتدفق ماء غزير وذلك بواسطة القناة التي كان الرومان قد أنشأوها لمد المدينة بالماء من برك رأس العين، ولا تزال مدينة صور والقرى المجاورة تستفيد حتى اليوم من هذه القناة والبرك. وكانت مدينة صور²⁸ محصنة تحصيناً قوياً، فقد كان يحيط بها من جهة البر سور منيع يتألف من ثلاثة أسوار، ومن جهة البحر سور مزدوج. ولكن تجار صور في العصور الوسطى لم يكونوا يحتكرون التجارة الدولية، كما كانوا يحتكرونها في السابق، بل كان لهم منافسون أشداء من الدول الأوروبية. وقد نصب الصليبيون خيامهم بالقرب من ينبوع الجنات المشهور (برك رأس العين)، وهو أعجوبة من عجائب الدنيا حيث أن مياه هذا النبع لا تنبع من الجبل وإنما تتدفق من جوف الأرض وبكميات هائلة؛ ويظن أنه النبع الذي تغنى به سليمان الحكيم حين قال: "ينبوع جنات بئر مياه حية وسيول من لبنان"²⁹.

القدس عاصمة المملكة اللاتينية:

ثم تابع الصليبيون سيرهم جنوباً، فساروا في محاذاة الشاطئ إلى عكا وأرسوف إلى أن بلغوا قيسارية، ومن هناك ارتدوا شرقاً نحو داخلية البلاد مارين بالرملة. وفي اليوم السابع من شهر حزيران سنة 1099 م. بلغوا هدفهم الرئيس أي مدينة القدس، وبعد حصار دام شهراً واحداً أقامه حولها كل من غودفري وريموند وتنكرد، استسلمت المدينة المقدسة، واستولى عليها الصليبيون وأعملوا السيف في أهلها دون النظر في السن أو الجنس³⁰. وبعد أن جعلوا مدينة القدس مركزاً لهم، احتلوا قسماً كبيراً من فلسطين. وبعد أن حكم غودفري القدس سنة واحدة، توفي فخلفه عليها أخوه بولدوين أمير إيدسا الذي نصب ملكاً على مملكة القدس اللاتينية في يوم عيد الميلاد عام 1100 م³¹.

²⁸ وليم، الصوري. المصدر السابق. ج 1. ص 398.

²⁹ المصدر نفسه. ج 2. ص 6.

³⁰ ابن القلانسي. المصدر السابق. ص 222.

³¹ مصطفى محمود، سبيتي (1430 هـ - 2009 م). قلعة تنين بين الماضي والحاضر. دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع. ص 32.

احتلال الموانئ اللبنانية:

شعرت المملكة اللاتينية الناشئة بضرورة الإستيلاء على المدن الساحلية لضمان حرية المواصلات مع أوروبا ووصول الإمدادات؛ وقد تمّ لهم ذلك بالرغم من مناعة المدن الساحلية الحصينة، وذلك بمساعدة المراكب الحربية التي قدّمها لهم الجمهوريات الإيطالية، أمّا الأسطول الفاطمي الذي كان صغيراً، فلم يقوَ على مقاومة الأساطيل الصليبية مقاومةً فعّالة. ولقاء هذه المساعدة البحرية، كان الملاحون الأوروبيون يقتسمون الغنائم مع الصليبيين؛ فقد كان لهم أحياناً خاصّة داخل المدن الساحلية تخضع لسيادة الجمهوريات التي ينتمون إليها، وكانت هذه المنافع والإمتيازات حافزاً لمساعدة الصليبيين، كما أنّها كانت مقدّمةً لما عُرف فيما بعد بالإمتيازات الأجنبية، التي كانت تُمنح للتجار الأجانب في الشرق الأدنى. وقد استولى الصليبيون على أرسوف وقيساريّة عام 1101 م. أمّا عكا الحصينة فقد ضرب عليها الأسطول الجنوبي الحصار من جهة البحر والبر، وقد سقطت بعد مرور ثلاث سنوات. وفي عام 1110 م. حوصرت مدينة بيروت، وقد أسرع الأسطول الفاطمي المؤلّف من 18 سفينةً لنجدة المدينة، ولكنّه فشل أمام الأسطول الأوروبي المؤلّف من 40 سفينة. وعندما دخل الصليبيون إلى بيروت أعملوا فيها النهب والسلب، وقتلوا كثيراً من سكّانها، وأسروا بعضهم³²؛ وكان حكام بيروت الصليبيون من أسرة إبلن. ثمّ قاد بولدوين حملةً ضدّ البقاع وبلغ مدينة بعلبك، وكانت تابعةً لحاكم دمشق، الذي رفض الإتّفاق على إعطاء الصليبيين ثلث غلال البقاع. وفي السنة نفسها استولى أسطول من ستين سفينةً نروجيةً وبنديقيةً على مدينة صيدا، بعد حصارٍ دام 47 يوماً. ولم يبقَ في أيدي المسلمين سوى مدينة صور، وذلك بفضل موقعها الجغرافي كشبه جزيرة، ومناعة أسوارها؛ وقد قام الصليبيون بمحاولة الإستيلاء عليها عام 1112 م. ولكنهم أخفقوا في ذلك، إلّا أنّهم استطاعوا أخيراً الإستيلاء عليها عام 1124 م.³³

³² ابن القلانسي. المصدر السابق. ص 268 – 269.

³³ مصطفى محمود، سبيتي. قلعة تنين. ص 43 – 44.

بنو عمار في طرابلس:

كان على الصليبيين الذين أسسوا في الشمال مملكةً في إنطاكية وأخرى في إيدسا، وفي الجنوب مملكةً لاتينيةً في القدس؛ كان عليهم أن يخضعوا البلاد الواقعة بين تلك الممالك لكي يضمنوا لأنفسهم البقاء في الشرق. هذه المنطقة الواقعة بين ممالكهم في الشمال كانت تابعةً لمدينة طرابلس. وقد كان القائد ريموند، الذي مر بها وهو في طريقه إلى بيت المقدس يرغب بالحصول عليها كإمارة له ولكنه فشل. وعندما تم له الإستيلاء على القدس، عاد إلى طرابلس محاولاً الإستيلاء عليها وكان معه ثلاثمائة فارس، فحاصرها سنة 1099م. وكان عدد سكانها حوالي عشرين ألفاً. ولكنه فشل مرةً ثانيةً في احتلال المدينة، وعمد سنة 1102 م. إلى بناء قلعة تشرف على المدينة سمّاها قلعة الحجاج، وأطلق على التلة اسم تلة الحجاج³⁴، وقد كانت هذه القلعة أولى القلاع العديدة التي بناها الصليبيون على التلال المحاذية للشاطئ. وهذه القلعة لا تزال قائمةً إلى يومنا هذا. وقد نشأ حول القلعة حيّ لاتيني في فترة وجيزة؛ وطرابلس الحديثة تقوم على هذا الموقع بالذات. وكان شرف الدفاع عن المدينة من نصيب الأمير ابي على فخر الملك ابن عمار. أمّا مؤسس إمارة طرابلس فهو عمّه أبو طالب أمين الدولة بن عمار، وقد كان قاضياً شيعياً في طرابلس. وملاً توفّي الحاكم الفاطمي في المدينة عام 1069م. أعلن نفسه حاكماً مستقلاً فيها. وكان أبو طالب يهتمّ بالعلم، وقد بنى مدرسةً سمّاها دار العلم وأنشأ مكتبةً قيل إنّها كانت تحوي مئة ألف مجلد، واستمال طلاب العلم إلى المدينة، وكان من جملة من أمّ هذه المكتبة أبو العلاء المعري. وهكذا بلغت طرابلس أثناء حكم بني عمار، الذروة في الشهرة العلمية وفي الإزدهار الاقتصادي³⁵؛ ولكن هذه الفترة لم تدم طويلاً فإنه في أثناء الحصار الطويل الذي ضربه الفرنج على طرابلس من البر والبحر، من قبل الأسطولين الجنوبي واشترك قادة آخرون من الفرنج في الهجوم على المدينة فسقطت في 26 حزيران عام 1109 م. بعد مرور أربع سنوات على وفاة ريموند. أمّا مكتبتها فلم يبق لها اثر، وهكذا نشأت إمارة لاتينية جديدة، هي كونتيّة طرابلس التي كانت تمتدّ من قلعة المرقب إلى جبيل، وحكم هذه الكونتينية برترند ابن ريموند. هذه الإمارات اللاتينية الثلاث، إيدسا وانطاكيا وطرابلس كانت خاضعةً لملك بيت المقدس. وهذه الفترة التي تمّ

³⁴ ابن القلانسي. المصدر السابق. ص 145.

³⁵ مصطفى محمود، سبيتي. قلاع لبنان الصليبية. ص 271.

فيها تأسيس هذه الدويلات اللاتينية تمثل ذروة الانتصار الذي حققه الفرنجة في بلاد الشام³⁶.

الحصون والقلاع:

هذه الانتصارات الحربية الأولى التي أحرزها الصليبيون في بادئ الأمر، وكانت في الواقع الانتصارات الوحيدة التي أحرزوها، ما كانت لتبعث في نفوسهم الثقة والإطمئنان لمصيرهم وبقائهم في الشرق. وإذا نحن استثنينا الطرفين الجنوبي والشمالي للبقعة التي احتلها الصليبيون، نجد أن معظم البلاد التي استولوا عليها كانت تقع على الساحل، ولكنها كانت تحت رحمة عدد من المدن الداخلية، والتي لم تكن تبعد عن أرض الأعداء أكثر من سير يوم واحد، لأن داخلية البلاد لم تقع في أيدي الفرنجة، ولم يستطيعوا أن يخضعوها لحكمهم. كانت هناك مدن داخلية قوية مثل: دمشق وحلب وحماة وبعبك. حتى في عوام الإمارات اللاتينية التي أنشأوها، كان الفرنجة أقليةً وغريبةً عن السكان. والجاليات اللاتينية التي كانت منتشرة في عدة أماكن، لم يكن أكبرها يتجاوز الثلاثة نفس، وكانت محصورةً ومحاطةً بالأعداء، كذلك كانت أيضاً على خصام فيما بينها. لذلك كان على الصليبيين أن يحتفظوا بسيادتهم على البحر لكي يبقوا على الصلات التي تربطهم بالغرب، فيواصلون إمدادهم بالرجال. ولذا فإنهم أقاموا عند مداخل الموانئ البحرية في عكا وصور وصيدا وجبيل ومدن بحرية أخرى، أبراجاً بالقرب من مداخل هذه الموانئ، يستخدمونها للمراقبة على طول الشاطئ اللبناني لكي يؤمنوا الإتصال بينهم³⁷. وجميع هذه الأبراج تقوم على مواقع أبراج أو قلاع قديمة، ومواد البناء التي تبنى بها، كانت أنقاض تلك الأبراج والقلاع. كذلك بنى الصليبيون قلاعاً تحيط بالموانئ من جهة البر. أما في صور وطرابلس وعسقلان، حيث كانت المقاومة عنيفة، فإن الصليبيين بنوا قلاعاً كهذه منذ زمن مبكر، وكانت هذه القلاع التي بنوها من العوامل التي ساعدت في إخضاع المدن والإستيلاء عليها. وبقايا قلعة الصليبيين في جبيل هي أول ما يستدعي انتباه السائح في تلك المدينة³⁸، وجميع هذه القلاع والحصون الصليبية في لبنان يعود زمن بنائها إلى

³⁶ ابن القلانسي. المصدر السابق. ص 262.

³⁷ أبو الفداء. المختصر في أخبار البشر. ج 4. ص 6.

³⁸ Berchem, M., & Fatio, E. (1914). *Voyage en Syrie*. Le caire : Impr. de l'institut français d'archéologie orientale. pp.108.

القرن الثاني عشر وبعضها إلى القرن الثالث عشر. أما قلعة البحر في صيدا، فإنها بنيت على جزيرة صغيرة عام 1227م. وكان يربطها بالمدينة جسر لا يزال قسم منه قائم إلى يومنا هذا. وعندما بدأ الملك لويس التاسع بترميم حصون وقلاع مدينة صيدا، استعمل مواد البناء ذاتها التي كان الرومان والفينيقيون قد استعملوها في بناء تحصينات المدينة، فإننا نجد مثلاً أعمدة من حجر الغرانيت حمراء ورمادية اللون جلبت من مصر في الزمن القديم. وفي الواقع فإن أكثر الحصون والقلاع اللبنانية التي أقامها الصليبيون، لم تكن سوى ترميمات أو إعادة بناء لحصون وقلاع أقامها إما الفينيقيون أو الرومان أو البيزنطيون. وهذه القلاع نفسها رممها المماليك وأعادوا بناءها في عصر تال. ذلك أن مواقعها الإستراتيجية الممتازة من المؤكد أنها استرعت انتباه العسكريين قبل مقدم الصليبيين بأزمنة كثيرة. فإن الرحالة الإدريسي المراكشي، عندما زار هذه البلاد قبل الفترة التي نحن بصدددها، جاء على ذكر ثلاث قلاع بين صيدا وبيروت، وست عشرة قلعة بين بيروت واللاذقية. لقد حرص الصليبيون على السيطرة على المعابر الإستراتيجية التي تربط الشاطئ الذي كان بحوزتهم بداخلية البلاد، لذلك أقاموا إلى جانب القلاع والحصون الساحلية، سلسلة أخرى في القلاع على المرتفعات أو عند سفوح الجبال الغربية المشرفة على الساحل. ولا شك أن أجملها قلعة الشقيف التي سماها الرحالة العرب شقيف عرنون، أما اسمها عند الإفرنج فهو قلعة بلفورت، بناها فولك ملك القدس عام 1125م. على موقع استراتيجي، كان الرومان قد أقاموا عليه من قبل حصناً، وكانت هذه القلعة منيعة لا تقهر. وبالرغم من مرور القرون فإن هذه القلعة - مثل أختيها في الشمال حصن الأكراد والمرقم - لا تزال قائمة تشرف على ما حولها بإباء. وهناك على قمة عند سفح جبل الشيخ، قلعة اسمها الصبية وهي تقع الآن ضمن الأراضي السورية. هذه القلعة هي قلعة بانياس وتسميها العامة قلعة النمروذ، ويعود زمن بنائها الأول إلى ما قبل مجيء الصليبيين. وتقع إلى جنوبي قلعة الشقيف إلى شرق مدينة صور قلعة تبنين، وقد بناها حاكم طبرية حوالي عام 1106م. بقصد حصار مدينة صور³⁹. وإلى شمالي قلعة الشقيف هناك قلعة شقيف تيرون كما سماها جغرافيو العرب، وقلعة نبحا كما تُعرف الآن. وأعلى قلعة بناها الصليبيون هي قلعة المنيطرة وهي تقع بالقرب من أفقا، شيدت هناك لحراسة المعبر الجبلي الذي يربط بين جبيل وبعبك. وعلى لسان مرتفع داخل في البحر

³⁹ مصطفى محمود، سبيتي. قلعة تبنين. ص 20.

بين البترون وطرابلس تقع قلعة المسيلحة، أما اسمها الحالي فمغربي وهو تصغير مسلحة، أي مكان الأسلحة، وفي العمارة فيها العربي أيضاً كما هو في قلعة شيزر على العاصي، وقلعة مصيف في جبال النصيرية. أما الرحالة بوركهارت الذي مرّ بهذه القلعة فيقول إنّها كانت يوماً من الأيام في يد المتأولة، والأرجح أنّها من بناء الفاطميين⁴⁰.

ردّة الفعل الإسلامية:

في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يعزّزون مراكزهم بإقامة القلاع والحصون، كان العالم الإسلامي يستفيق من سباته، وأول إشارة لهذه الاستفاقة كانت من مدينة الموصل بعثها أتابك تركي أزرق العينين اسمه عماد الدين زنكي، حيث تقدّم لغزو سورية، وفي عام 1128 م. استولى على حلب وفي السنوات التالية احتلّ حماه وحمص وبلعبك. أما حامية بلعبك التي كانت متمركزة في قلعتها، وقد أبدت مقاومة ضارية، ولكنها سقطت أخيراً، وأعمل السيف في جنودها وصلب عدد كبير منهم. وقد رأى زنكي بضرورة توحيد البلاد قبل الشروع بمحاربة الصليبيين. وقد بدأت عملية التوحيد بضمّ شمالي سورية وشمالي العراق تحت قيادة واحدة. أما إمارة إيدسا فقد كانت تقع بين البلدين. وفي عام 1144 م. هاجم زنكي هذه الإمارة اللاتينية فسقطت بعد حصار دام أربعة أسابيع، وانتزعها المسلمون من يد جوسلين الثاني، فكانت أول إمارة لاتينية أسّسها الفرنج، وأول إمارة تقع في أيدي المسلمين⁴¹؛ فكان سقوطها بداية النهاية بالرغم من أنّ النهاية كانت لا تزال بعيدةً يعترضها كثير من التضحيات، غير أنّ الأمر الهامّ هو أنّ الهجوم المنظمّ العنيف كان قد بدأ، وكان بطل هذا الهجوم الأمير عماد الدين زنكي، فإنّه كان أول من سدّد ضربات القاسية المؤلمة، تلك الضربات التي استمرّ بها ابنه وخليفته نور الدين محمود، الذي أحرز انتصاراً عسكرياً مهماً بإستيلائه على مدينة دمشق، التي كان واليها أحد أتباع طغتكين. لقد كان سقوط دمشق في أيدي المسلمين بمثابة إزالة الحاجز الأخير الذي كان يفصل مملكة نور الدين عن المملكة اللاتينية. وأصبحت البلاد الواقعة في أيدي المسلمين تمتدّ من أعالي دجلة شمالاً إلى قرب منابع نهر الأردن جنوباً.

⁴⁰ فيليب، حتي. المرجع السابق. ص 362.

⁴¹ Mayer, H.E. Gillingham, J. (1988). *The Crusades*. New York: Oxford University Press.

تجدد الإشارة إلى أنّ مدينة دمشق قبل أن تسقط بيد نور الدين كانت تقيم علاقات جيدة مع مملكة بيت المقدس، وأحياناً تتحالف معها ضدّ الدول الإسلامية، ولم تنفرد دمشق بهذه السياسة وحدها، بل إنّ مدناً إسلاميةً أخرى من حوران وفلسطين، مثل: صرخد وبصرى وبانياس التي كانت في أيدي الإسماعيليين، فإنّها كانت في بعض الأحيان تطلب العون من الفرنجة، وكان الفرنجة يلّبون طلبها⁴². وكانت قبائل البدو والصحراء السورية مثل قبيلة بني فاضل الطائية تحارب أحياناً إلى جانب الفرنجة وأحياناً إلى جانب الفاطميين ضدّهم. كذلك كان جيش المملكة اللاتينية في بيت المقدس يضمّ إلى جانب الفرنجة، كتّبةً من الفرسان المسلمين الذين كانوا يطلقون عليهم اسم (توركوبولي) أي أبناء الأتراك، وكتّبةً من المشاة الأرمن، وأخرى من حملة الأقواس الموارنة⁴³. أمّا البطل الثالث في الحروب الصليبية وأشهرهم إسماعيل فقد كان صلاح الدين الأيوبي، وقد كان لانتصاره في معركة حطين، على جيش المملكة اللاتينية في الثالث من تمّوز عام 1187م، حيث أحاط جيش المسلمين بجيش الإفرنج الذي كان قد أنهكه المسير وشدة الحرّ والعطش، ففقدوا على هذا الجيش الذي كان يعدّ 20 ألفاً ونجا عدد قليل، أمّا الأسرى فقد كان على رأسهم ملك بيت المقدس، غي دي لوزينيان⁴⁴، الذي استقبله صلاح الدين استقبالاً ينمّ عن نبيل وشهامة، ولكن معاملة صلاح الدين لزميله رجينالد حاكم الكرك الذي كان يعدّ حملةً لمهاجمة المدن المقدسة في الحجاز، ويهاجم قوافل المسلمين، فإنّ صلاح الدين قد قتله بيده. هذه المعركة لم تقتصر نتائجها على القضاء على جيش مملكة بيت المقدس فقط، إنّما كان لها تأثير خطير في سائر الإمارات اللاتينية التابعة لها، لأنّها أخذت تتساقط الواحدة تلو الأخرى؛ فإنّ طبرية استسلمت، وعكا استبيحت للسلب، ومن هناك أرسلت فرق من الجنود إلى نابلس وتبنين، وأماكن أخرى في شمال فلسطين، ولكنها لم تلق أيّ مقاومة، وأخيراً هاجموا يافا، واقتحموها وباعوا سكّانها من اللاتين في سوق الرقيق⁴⁵. وقد أصبح الطريق ممهداً أمام جيوش المسلمين لغزو مدن الساحل اللبناني. ونذكر أنّ ما تبقى من جيوش الإفرنج بعد معركة حطين لجأ إلى صور. ولمّا كانت أسوار صور من جهة البرّ حصينةً ومنيعّة، فقد قرّر صلاح الدين أن يتجاوزها إلى صيدا التي استسلمت بدون مقاومة، وسقطت بيروت أيضاً، أمّا جبيل فسلم حاكمها المدينة

⁴² ابن القلانسي. المصدر السابق. 289 – 290.

⁴³ فيليب، حتي. المرجع السابق. ص 363.

⁴⁴ الأصفهاني. المصدر السابق. ص 78.

⁴⁵ المقرئزي (1934). السلوك في معرفة الملوك. طبعة مصطفى زيادة. ج 1. قسم 1. القاهرة. ص 99 – 101.

مقابل الإفراج عنهم ولم يبقَ في أيدي الإفرنج على الشاطئ اللبناني سوى صور وطرابلس. أما بيت المقدس فقد استولى عليها المسلمون في الثاني من شهر تشرين الأول عام 1187م، وقد لقي أهل المدينة من حسن المعاملة، بعكس ما لاقوه قبل ذلك بثمان وثمانين سنة على أيدي الإفرنج عندما دخلوا المدينة. إنَّ هذه الضربات الموجهة التي كان أول من سددها عماد الدين زنكي واستمر بها نور الدين، وزاد في حدتها صلاح الدين ثم الظاهر بيبرس وخلفاؤه من المماليك، إلى أن تمَّ سقوط آخر معقل لاتيني على يد السلطان الأشرف خليل بن قلاوون وهي طرابلس، حيث هاجمها المسلمون عام 1289م. ودمروها تماماً بعد حصارٍ دام شهراً. ولم يبقَ في يد الإفرنج بعد سقوط طرابلس مركز عسكري ذو شأنٍ سوى عكا، وقد حاصرها السلطان الأشرف عام 1290م. شهراً من الزمن، ثم هاجمها الجنود فاستسلمت في الثامن عشر من أيار 1291م، أي بعد مرور قرنٍ واحدٍ على استيلاء الإفرنج عليها⁴⁶.

وبسقوط عكا فقدت باقي مدن الساحل التي بقيت بيد الإفرنج كلَّ أملٍ بالمحافظة على كيائها، فإنَّ حماة صور غادروها في اليوم الذي سقطت فيه عكا، ثم استسلمت طرطوس، وقد هجر فرسان الداوية حصن عثليث، وكان ذلك آخر موطنٍ قدم للإفرنج. أما جزيرة أرواد فقد بقيت في يد الفرسان الداوية مدة إحدى عشرة سنة أخرى قبل سقوطها، وبسقوط أرواد انتهى آخر مشهدٍ من المأساة التاريخية التي وقعت بين المسيحية والإسلام، والتي استمرت حوالي القرنين، وذهب ضحيتها ملايين الأشخاص⁴⁷.

المعالم الأثرية:

إنَّ الدول والممالك التي مرت في لبنان خلال العصور الوسطى، قد تركت آثاراً كثيرة، في المناطق التي دارت فيها الحرب؛ ومن أبرز هذه الآثار المرئية الملموسة بقايا الأبراج المنتشرة على طول الساحل اللبناني والسوري وخرائب القلاع الهائلة القائمة على الهضاب عند سفوح جبال لبنان، والكنائس العديدة التي حوّل معظمها إلى مساجد وجوامع. وقد حرص بناء هذه القلاع أن يكون بناؤها عملاً فنياً يتماشى مع فن العمارة البيزنطي الشائع في البلاد، وكان بناء الكنائس يتبع الأسلوب الروماني والقوطي المألوف، أما

⁴⁶ أبو الفداء. المصدر السابق. ج 4. ص 25 – 26.

⁴⁷ ستيفن، رنسيمن. المرجع السابق. ج 3. ص 712.

زخارفها فكانت تحتذي بالنماذج البيزنطية. فكاتدرائية نوتردام في صور، قد بدئ بنائها عام 1127م. وقد كان المؤرخ وليم الصوري، رئيساً لأساقفة المدينة وقتها. وقد بُنيت على موقع قديم لكنيسة تعود إلى القرن الرابع للميلاد، وبعد انقضاء مدة تزيد على مئة وستين عاماً على بنائها هجرها الإفرنج. ثم هدمها الملك الأشرف خليل مع ما تهدّم في المدينة. وتقع بين صور وصيدا خرائب بلدة الصرّند، أنشأ الصليبيون كنيسة تحوّلت اليوم إلى مزار إسلامي للخضر، والخضر في التقليد الإسلامي هو النبي إيليا. وفي صيدا فإنّ حيطان الكنيسة المستطيلة التي بنتها الإسطبارية، أصبحت الآن جزءاً من الجامع الكبير، وهو أكبر مسجد في مدينة صيدا. كذلك نجد في هذه المدينة العديد من الجوامع والمساجد التي تعود إلى العهد المملوكي⁴⁸. وفي بيروت نجد أنّ كنيسة يوحنا المعمدان التي بناها الملك بولدوين عام 1110 م، قد تحوّلت إلى جامع يعرف اليوم باسم الجامع العمري وهو أكبر جوامع المدينة. كذلك نجد العديد من الجوامع والمساجد والتكايا التي تعود إلى زمن العصور الوسطى⁴⁹.

أمّا الكنيسة الصليبية في جبيل التي بنيت عام 1115م. فهي اليوم كنيسة مارونية على اسم القديس مار يوحنا مرقس. كذلك هناك جامع يعود إلى تلك الفترة⁵⁰. وفي بلدة البترون كنيسة جديدة مسمّاة بكنيسة مار يعقوب. أحد جدرانها يعود للعصور الوسطى.

وعلى هضبة جنوبي طرابلس هناك دير يعرف بدير البلمند، وهو أحد الأبنية الصليبية القليلة التي احتفظت باسمها اللاتيني، وقد بني هذا الدير عام 1157م⁵¹.

وفي طرابلس فإنّ الجامع الكبير يقوم على الموقع ذاته الذي كانت تقوم عليه كاتدرائية صليبية تعرف بكاتدرائية مريم. وقد احتفظت بعض نوافذه وأبوابه ببقايا تدلّ على

⁴⁸ مصطفى محمود، سبيتي. لبنان في العهد المملوكي. ص 137 – 175.

⁴⁹ مصطفى محمود، سبيتي. لبنان في العهد المملوكي. ص 100 – 123.

⁵⁰ Berchem, M., & Fatio, E. (1914). *Voyage en Syrie*. Le caire : Impr. de l'institut français d'archéologie orientale.

⁵¹ هنري، لامنس. المرجع السابق، ج 1. ص 154 – 156.

أصلها الصليبي؛ كذلك نجد في هذه المدينة الكثير من الآثار المملوكية من مساجد ومدارس وزوايا وروابط وخانقاه⁵². وحمامات بالإضافة إلى قلعتها الجميلة⁵³.

حيث تعتبر هذه المدينة من أغنى المدن اللبنانية بآثارها التي تعود للعهد المملوكي، كونها كانت نيابة للسلطنة المملوكية في القاهرة⁵⁴، وفي مدينة بعلبك نرى العديد من الآثار التي تعود للعصور الوسطى من جوامع ومساجد بالإضافة إلى قلعتها وأبراجها الجميلة، وكذلك يجب عدم نسيان عنجر ومدينتها وقصورها التي تعود للعصر الأموي. وغيرهم الكثير من الآثار الحربية والدينية والمدنية. التي تشهد على حضارات مختلفة شهدها لبنان عبر العصور. هذا البلد الغني بالزمن والأحداث، الصغير بمساحته. فشكّلت نافذة صغيرة يُطل منها ويستعرض مواكب هذا التاريخ المتقطع المتنوع الألوان.

موقعة مرج دابق:

إنّ القوة التي جابه بها المماليك، غزو التتار وهجمات الصليبيين، كان قد انقضى عهدها. وكان العدو المتربص لهم في الشمال يشاركهم العقيدة الدينية، ولكنه كان أصلب عوداً من أي عدو آخر واجهوه في ساحات القتال. هؤلاء هم الأتراك العثمانيون، الذين يمثلون الطور الأخير لقوة الإسلام العسكرية، والذين أنشأوا أعظم إمبراطورية إسلامية في رقعتها الجغرافية. وبانتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق عام 1516م، وقضائهم على الدولة المملوكية. ينتهي زمن العصور الوسطى الذي يبتدئ بالفتح الإسلامي لبلاد الشام، وينتهي بمعركة مرج دابق، والقضاء على الدولة المملوكية. لندخل بعدها في رحاب العصر الحديث.

⁵² للتوسع أنظر: مصطفى محمود، سبيتي. *لبنان في العهد المملوكي*. ص 209 – 287.

⁵³ للتوسع أنظر: مصطفى محمود، سبيتي. *قلاع لبنان الصليبية*. المرجع السابق.

⁵⁴ أنظر: مصطفى محمود، سبيتي. *لبنان في العهد المملوكي*.

لائحة المصادر العربية

- إبن الأثير، الحسن بن علي (1965). الكامل في التاريخ. دار صادر للنشر. 13 جزءاً.
- إبن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن (1929). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. 12 جزءاً القاهرة.
- إبن عساكر، علي بن عبد الله (1331 هـ). التاريخ الكبير. طبعة عبد القادر بدران. دمشق.
- إبن القلانسي، أبو يعلى حمزة (1908). ذيل تاريخ دمشق. نشرة المدروس. مطبعة الآباء اليسوعيين.
- إبن منقذ، أسامة (1930). كتاب الإعتبار. مكتبة المثنى. بغداد.
- إبن واصل، جمال الدين محمد (1953). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. القاهرة.
- إبن يحيى، صالح (1969). تاريخ بيروت. وهو أخبار السلف من ذرية بحتر بن علي أمير الغرب. بيروت. دار المشرق.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (1962). كتاب الروضتين في أخبار الدولتين. المؤسسة المصرية العامة. القاهرة.
- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (1960). المختصر في أخبار البشر. دار الكتاب اللبناني. بيروت.
- الإدريسي، محمد (1989). كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. عالم الكتب. بيروت.
- الأصفهاني، عماد الدين (1888). الفتح القسي في الفتح القدسي. لندنبرغ. ليدن.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (1956 - 1957). كتاب فتوح البلدان. تحقيق صلاح الدين المنجد. مكتبة النهضة المصرية. قسم 1.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (1974). تاريخ الخلفاء. بيروت. دار الفكر.
- الحموي، ياقوت (1866 - 1873). معجم البلدان. نشره وستفيلد. لايبزغ. الجزء الثاني.
- خسرو، ناصر (1981). سفر نامه. نشره وترجمه شارل شيفر. باريس.
- المقريزي، تقي الدين أحمد (1934). السلوك في معرفة دول الملوك. جزء 1. القاهرة.
- المقدسي، شمس الدين (1877). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم. نشره دي غويه. لايدن.

لائحة المراجع العربية

- حتي، فيليب (1972م). تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. ترجمة أنيس فريحة. مراجعة نقولا زيادة. دار الثقافة. بيروت. لبنان.
- سبيتي، مصطفى محمود (1724هـ - 2007م). الحياة الفكرية للأقليات المذهبية في لبنان خلال العهد المملوكي (الشيعة - الدروز - الموارنة). دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع.
- سبيتي، مصطفى محمود (1430هـ - 2009م). قلعة تبين بين الماضي والحاضر. دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع.
- سبيتي، مصطفى محمود (2012م). قلاع لبنان الصليبية وتفعيلها سياحياً. دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع.
- سبيتي، مصطفى محمود (1429هـ - 2008). الممالك وآثارهم الدينية في لبنان. (648هـ - 1251م - 922هـ - 1516م). بيروت - صيدا - بعلبك - طرابلس. دار المواسم للطباعة والنشر والتوزيع.
- رنسيما، ستيفن (1982 - 1988م). تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة الباز العريني. ج 1 - 2 - 3.
- الصوري، وليم (1990م). تاريخ الحروب الصليبية فيما وراء البحار. تعريب سهيل زكار. بيروت.
- كرد علي، محمد (1403هـ - 1983). خطط الشام. جزء 6. مكتبة النوري. دمشق.
- نعمان، بولس (1997م). المارونية في أمسها وغدها. دير سيدة نسبية. غوسطا.

لائحة المراجع الأجنبية

- Goeje, M. J. (1900). *Mémoire sur la conquête de la Syrie*. Leyden.
- Berchem, M., & Fatio, E. (1914). *Voyage en Syrie*. Le Caire : Impr. de l'institut français d'archéologie orientale.
- Mayer, H.E. Gillingham, J. (1988). *The Crusades*. New York : Oxford University Press.

الجزء الثاني

دراسة العمارة واللقى الاثرية



العمارة في الحقبة الكلاسيكية

أ. دة. جانين عبد المسيح

المقدمة

نشأت وتطورت الهندسة المعمارية الإغريقية والهلنستية والرومانية بين القرن الخامس قبل الميلاد في اليونان إلى القرن الثالث ميلادي في روما، وتركزت خصوصاً على اعتماد العمود (colonne) والقوسرة (fronton) في العمارة. ويمكن تلخيص العمارة اليونانية بالمعبد ولا سيما المعبد الدوري المحاط بالأعمدة (temple dorique périptère) الذي يمكن اعتباره أساس هذا الفن المعماري (Hellmann, 2007: 7-8) والعمارة الرومانية بالحمامات والمدرجات (Choisy, 1899).

I. الهندسة المعمارية الإغريقية

شيد المهندسون المعماريون اليونانيون بعضاً من أرقى المباني وأكثرها تميزاً في العالم القديم بأكمله. إذ كانت بعض الهياكل والمعابد والمسارح والملاعب تعتبر أهم أجزاء المدن والبلدات. علاوة على ذلك، اهتمام الإغريق بالبساطة وتناسق الأحجام والأبعاد والانسجام في مبانيهم أثر بشدة على مهندسي الفترة الهلنستية والرومانية، مما وضع أسس الانظمة المعمارية الكلاسيكية.

ويعطي الفن اليوناني أهمية كبيرة للتنفيذ، الذي يعتبره شرطاً لا غنى عنه للجمال. وتستخدم العمارة اليونانية إنشاءات بسيطة مستثنى القوس (arc) والقبة (voûte) ومحتفظين فقط بالجدار والعمود والنضد/المحمول. ويعد استخدام الملاط (mortier) نادراً نسبياً، وبالتالي يفضل تجميع الحجارة بدون أي مواد رابطة.

1. مواد البناء

كان الإغريق يفضلون الرخام في البناء، بالأخص لمبانيهم العامة. ومع ذلك، كان الخشب يستخدم سالفًا ليس فقط ضمن العناصر المعمارية الأساسية مثل الأعمدة، ولكن أيضًا للمباني بأكملها. فكانت المعابد القديمة التي تعود إلى بداية القرن الثامن قبل الميلاد مبنية بشكل شبه كامل من خشب مع أسقف من القش. وتم تحويل المعابد لاحقًا نحو نهاية القرن السابع قبل الميلاد، ببطء من مبانٍ خشبية إلى مبانٍ حجرية أكثر ديمومة؛ وكان هناك بالطبع بعض المعابد المبنية بالمادتين. وقد صرح العديد من العلماء أن بعض السمات الزخرفية لتيجان الأعمدة الحجرية وعناصر السطح قد تطورت من مهارات النجارين، إذ كانت محفورة في الأصل العناصر المعمارية الخشبية السابقة.

كان الحجر المختار إما حجرًا كلسيًا محميًا بطبقة من الجص ومن غبار الرخام أو حجر رخام أبيض نقي. بالإضافة إلى ذلك، غالبًا ما كان يتم صقل الحجر المنحوت لمقاومة الماء ولإضفاء لمسة نهائية لامعة. وكان أفضل الرخام يستخرج من ناكسوس (Naxos) وباروس (Paros) وجبل بنتليكون (Mont Pentelicon) بالقرب من أثينا.

2. المعبد اليوناني

للمعابد اليونانية مخططٌ مشابهٌ. فأغلبها مستطيلة الشكل تقريبًا، وجوانبها الخارجية وواجهاتها تتكون من صفوف من الأعمدة. ومن ضمن الاستثناءات البارزة: الأرثيون (Erechtheion) في أثينا، مع أعمدته المبتكرة - كارياتيد (Les Caryatides)، ومعابد الجزر اليونانية، التي كانت الأعمدة فيها موجودة فقط عند الواجهة الأمامية (prostyle) بالرغم من أنها لا تتبع النظام المعماري الدوري. حيث كانت في كثير من الأحيان الواجهة الأمامية أوسع من طول المبنى.

وبالمثل، فإن معابد إيونيا (Ionie) تميل إلى الخروج عن القاعدة، وعادة ما تتميز بأروقة مع أعمدة مزدوجة (diptère). ومع ذلك، بالنسبة إلى المقاييس، فإن مخطط المعابد اليونانية مؤلف من أروقة معمدة مستطيلة ذات أعمدة (péristyle rectangulaire) (8x17م للبارثينون، 6x13م لمعبد زيوس في أولمبيا) تحيط بغرفة داخلية - الخلية (cella). هذه العمارة تستند على منصة متدرجة (stylobate) مرصوفة من الداخل بواسطة بلاط

مستطيل. وعادةً ما كان يرتفع السقف على القمة المركزية بمنحدر يبلغ حوالي 15 درجة. وكان السطح مصنوعاً من عوارض خشبية مغطاة بقرميد فخاري أو رخامي. غالباً ما كانت الأركوتيره (acrotères) المزخرفة (أشجار النخيل أو التماثيل) موجودة عند كل ركن من الجبهة.

أخيراً، كانت أبواب المعابد مصنوعة من الخشب (الدردار أو السرو) وغالباً ما كانت مزينة بميداليات ونقوش برونزية. كما كانت في العديد من المعابد منحوتات معمارية موضوعة لتروي قصة. كانت جميع الجبهات (frontons) والأفاريز (frises) والميتوب (métopes) تحمل منحوتات، غالباً ما تكون تماثيل مجسمة من جميع جوانبها (ronde-bosse) أو في نقوش بارزة (haut-relief) وغالباً ما تكون غنية بالزخارف (مع إضافات من الطلاء والبرونز)، وتروي قصصاً من الميثولوجيا اليونانية أو من المراحل العظيمة من تاريخ المدينة.

وبالتالي، فإن المعبد اليوناني هو هيكل قائم على نظام قياسات منطقية ولكن أيضاً على أبعاد المنسقة بين الأجزاء التي يتكون منها، وهو نظام مبني بالطبع على الحساب والهندسة من خلال التصحيحات البصرية، مثل تلك التي مارسها إكتينوس (Ictinos) في البارثينون (Parthénon).

العمود كان يستخدم كوحدة قياس نمطية لجميع نسب المعبد. وظل النظام الدوري، الذي ربما يكون الأقدم، المفضل في اليونان والمستوطنات الغربية. وتطور النظام الأيوني في شرق اليونان، وكان يستخدم بشكل أساسي في المعابد. وفي أكرابوليس أثينا يوجد النظامان الدوري والأيوني. ويعتبر البارثينون من أعظم الإنجازات المعمارية اليونانية. وفي نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، تم تطبيق هذه الأنظمة المعمارية في السّوى (Stoa) والمسارح.

3. الأنظمة المعمارية

هناك خمسة أنظمة للهندسة المعمارية الكلاسيكية: النظام الدوري (dorique)، النظام الأيوني (ionique)، النظام الكورنثي (corinthien)، النظام التوسكاني (toscan) والنظام المركب (composite) عرفت كلها بهذه التسميات في العصر الروماني. وأنشأ المهندسون

المعماريون اليونانيون الأنظمة الثلاثة الأولى وأثروا بشكل كبير على النظامين الآخرين، اللذين كانا مركبين. النظام المعماري، بالمعنى الدقيق للكلمة، هو مزيج من نمط معين من الأعمدة، مع أو بدون قاعدة (base) والمحمول (entablature)، (ما يدعمه العمود: الارشيتراف=الساكف / architrave، والإفريز / frise، والكورنيش / corniche).

وتحولت الأعمدة الخشبية التي كانت مستخدمة في البداية إلى الأعمدة الدورية الحجرية. وكان العمود الدوري مَصْلَع (cannelé)، أرفع في الأعلى، بدون قاعدة ومع تاج بسيط تحت وسادة حجرية (abaque) مربعة. يحمل إفريز السطح الخارجي تناوباً من الأشكال الثلاثية (Triglyphe) والميتوبي. وتعود أصول النظام الأيوني إلى منتصف القرن السادس قبل الميلاد، في آسيا الصغرى تضاف للعمود قاعدة وتاج مع حلوية حلزونية (volutes)، ويكون العمود أرفع وأكثر استقامة. غالباً ما تحمل التكنة الأيونية إفريزاً منحوتاً غنياً.

أما العمود الكورنثي، فابتكر في أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد وهو مشابه للعمود الأيوني، لكن يعلوه تاج أكثر تزييناً يتكون من أوراق الأقنثة (Acanthes) والسرخس.

4. سْتَوَى (Stoa)

كانت السْتَوَى (الرواق) هي نوع من أنواع العناصر المشتركة في العديد من مجمعات المعابد ابتداءً من القرن السابع قبل الميلاد. فكانت عبارة عن رواقٍ طويلٍ وضيقٍ يتألف من الأعمدة التي تستند إلى جدار بسيط وكان مغطى بسقف. غالباً ما يتم وضع هذه الأروقة في زوايا المعابد لإنشاء مساحة مفتوحة مسقوفة، وقد تم استخدام السْتَوَى لمجموعة متنوعة من الأهداف، مثل أماكن للاجتماعات وللتخزين.

5. الأغورا (Agora)

تألفت الأغورة أو رحبة الأسواق الموجودة في العديد من المدن اليونانية القديمة من ساحة مفتوحة كبيرة محاطة بسْتَوَى ذات تخطيط جيد. هذا يثبت أنه كان هناك نوع من سلطة مركزية للتخطيط التي ضمنت انسجام العمارة فيما بينها في الأماكن العامة المهمة. فمن المؤكد أنه خلال القرن الخامس قبل الميلاد، كان هناك مخططو مدن

محترفون، وأشهرهم كان هيبوداموس (Hippodamos)، الذي غالباً ما يُنسب إليه الفضل في التخطيط لبيرايس (Pirée) وروُدس (Rhodes). ومن المثير للاهتمام ملاحظة أنه غالباً ما يكون هناك تطابق بين التغيرات المعمارية في المدن والمتغيرات في النظام السياسي.

6. الملعب

الملعب أو المدرج (stade) هو مساهمة أخرى للهندسة المعمارية اليونانية. تمّت تسمية الملاعب على اسم المسافة ستاديون (600 قدم أو حوالي 180 متراً) من السباق الذي استضافه في الأصل. وتمّ بناء الملاعب في الأصل بالقرب من المنحدرات الطبيعية، وقد تطورت إلى إنشاءات مع صفوف من حجر لتصبح مدرجات رخامية للجلوس، مع وجود تقسيمات داخل المنشأ لتسهيل الدخول. وكانت القنوات تدور حول الحلبة لتصريف مياه الأمطار وقد توفرت في الفترة الهلنستية ممرات مقببة وهي تجسد مدخلاً للرياضيين والحكام. وتشمل الأمثلة الشهيرة تلك الموجودة في نيميا (Nemea) و أوليمبيا (Olympia)، والتي يمكن أن تستوعب بين 30.000 و 45.000 متفرج.

7. المسرح

يرجع أقدم دليل أثري على وجود المسارح إلى نهاية القرن السادس قبل الميلاد، لكن يمكننا أن نفترض أن الإغريق كانوا يجتمعون في أماكن عامة محددة قبل ذلك بكثير. في الواقع، كانت مواقع المينوية (minoens) التي تعود إلى العصر البرونزي، مثل فايسستوس (Phaistos)، تحتوي على ساحات فناء كبيرة متدرجة كان من الممكن استخدامها للعروض مثل المواكب الدينية وسباق الثيران.

وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد كان لدى مدينة ثوريكوس (Thorikos)، في منطقة أتيكا (التي تضم أثينا)، معلم مستطيل يشبه المسرح، يضمّ معبداً مخصصاً لديونيسوس (Dionysos) في أحد طرفيه. ما يشير إلى أنه تمّ استخدام المعلم المستطيل في مهرجانات الديونيسية (dionysiaques)، التي غالباً ما كانت تُعرض فيها المسرحيات.

ولكن المسرح اليوناني لم يتخذ شكله المميز والأكثر تأثيراً إلا بدءاً من القرن الخامس قبل الميلاد. لقد كان مكشوقاً، شبه دائري تقريباً، على شكل حدوة حصان، مع مقاعد عالية

(théatron) وفرت صوتيات ممتازة. وكان المسرح يتكئ على تل طبيعي، ويطل على بانوراما طبيعية خلابة كانت بمثابة خلفية وديكور للعروض. كما كانت خشبة المسرح (scène) أو الأوركسترا (orchestre) أيضاً شبه دائرية ومدعومة بمنصة (skene)، والتي ستصبح كبيرة بشكل متزايد على مدى القرون التالية. وغالباً ما شكلت الأقواس الضخمة المداخل (paradoi) على جانبي المسرح.

الأمثلة كثيرة في العالم اليوناني حيث تم الحفاظ على العديد من المسارح. ومن أشهرها مسرح ديونيسوس إليوثريوس (Dionysos Eleuthère) الموجود على المنحدر الجنوبي للأكروبوليس في أثينا، حيث عُرضت لأول مرة مسرحيات سوفوكليس (Sophocle) ويوربيديس (Euripède) وإسخيلوس (Eschyle) وأريستوفان (Aristophane). ويعد مسرح آرغوس (Argos) أحد أكبرها، حيث يتسع لـ 20000 متفرج. ومن أفضل الأماكن التي تم الحفاظ عليها هو مسرح إبيداوروس (Epidaurus). ولم تُستخدم المسارح لعرض المسرحيات فحسب، إنما استضافت أيضاً حفلات شعرية ومسابقات موسيقية.

II. الهندسة المعمارية الهلنستية

حددت الحقبة الهلنستية لفترة ما بعد وفاة الإسكندر الكبير عام 323 قبل الميلاد. وتميزت بالتطور المتزايد لبرامج وتقنيات البناء. ظهرت القصور والمساكن الخاصة إلى جانب المعابد وقاعات التجمع، في حين بدأ استخدام القوس (arc) والقبة (voûte) بشكل متكرر.

التطور في الهندسة المعمارية لم ينفصل عن البحث العلمي والتقني، حيث شارك فيها علماء مثل إقليدس (Euclide) أو أرخميدس (Archimède) أو إراتوستينيس (Ératosthène)، ومهندسون مثل كتيبيوس (Ctésibios)، فيلو البيزنطي (Philon de Byzance) وهيرون الإسكندري (Héron d'Alexandrie).

وهكذا، فإن العمارة الهلنستية هي تجديد ناتج عن المشاركة الناشطة لمعظم الأجزاء الشرقية من اليونان الهلنستية (مقدونيا وآسيا الصغرى وسوريا ومصر)، حيث ازدهر العمران عبر التخطيط المدني جنباً إلى جنب مع هلننة (hellénisation) المناطق.

1. تخطيط المدن

تطور تخطيط المدن المتعامد (urbanisme orthogonal) بطريقة متزايدة في اليونان الكلاسيكية، وخاصة في المستعمرات. إذ تمّ فرض التخطيط المتعامد في هذه الحقبة فكان ينسب إلى ميليتوس (Milet)، (القرن الرابع قبل الميلاد) على الرغم من أنه أقدم. فقد تمّ اعتماد هذا التخطيط في القرن السادس قبل الميلاد في المستعمرات الغربية (أجرَجَنْت/ Agrigente، و تارانتو/ Tarente، وسيلينوس/ Sélinonte، وميغارا هيبلايا / Mégara Hyblaca، إلخ...). وكان الشارع الرئيسي غالباً شرق- غرب معتمد كمحور المخطط التنظيمي حيث تمت محاذاة الشوارع المتعامدة بزوايا قائمة لتشكيل شبكة مدنية منتظمة.

وكان هيبوداموس (Hippodamus de Milet) قد فكر في مفهوم الدولة-المدينة الهرمية، وهو مفهوم انعكس في المخطط المدني من حيث تقسيم المدينة تبعاً لفئات سكانها. وأكد أرسطو، في القرن الرابع قبل الميلاد، أنه كان يعتبر هيبوداموس مخترعاً للتقسيم الاجتماعي ومخترعاً للمخطط المدني. وانتشر ما يسمى التخطيط المدني المتعامد (Plan hippodamien) على نطاق واسع في العالم الهلنستي حيث فقدت معظم المدن الكبرى السابقة والمساكن الملكية مكانتها ودورها لصالح عواصم جديدة مثل الإسكندرية (Alexandrie) وسلوقية دجلة (Séleucie du Tigre) وسلوقية بيرييا (Séleucie de Piérie) وأنطاكية (Antioche). يضاف إلى ذلك العديد من المستعمرات العسكرية التي سرعان ما تحولت إلى مدن مثل أفاميا (Apamée de Syrie) وجبل خالد (Djebel Khaled) ودورا أوروبوس-الصالحية (Doura-Europos) وسلوقية زيوغما (Séleucie-Zeugma) وأفاميا الفرات (Apamée de l'Euphrate). وهكذا، أنشأ السلوقيون حاميات في نقاط استراتيجية بهدف السيطرة على المنطقة.

وكان تأسيس المدن نوعين: مدنٌ أسست من عدم (ex-nihilo) ومدن أعيد تأسيسها. وكانت الخصائص السائدة في كل هذه المنشآت، هي تأسيسها على نقاط استراتيجية للسيطرة على المناطق، وكانت كلها مجهزة بقلعة قوية وأسوار استغلت التضاريس الطبيعية الموجودة.

تشمل المدينة العلوية (ville haute) أو القلعة القصور، وكانت المدينة السفلية (ville basse) تتمحور بشكل عام حول مخطط متعامد يكون شارعها الرئيسي الواسع يوجه

تخطيط المدينة. وبالتالي، يتم تقطيع المدينة بأكملها وفقاً لشبكة منتظمة من جزر ذات الحجم نفسه، حيث يتم إنشاء المعالم الرئيسية للمدينة وحيث نلاحظ تخصصاً في المساحات. تم العثور على أفضل الأمثلة الأثرية للعمارة الهلنستية في آسيا الصغرى، لأن الأراضي اليونانية الداخلية، بعد أن فقدت استقلالها، افتقرت إلى الأموال لبناء المباني الكبيرة: أروقة، ستوى، بوليتوريون، بريتان، نافورة، منشآت مدفنية، إلخ. وهكذا، فضلت الممالك الهلنستية ظهور العمارة الأميرية، في حين حافظت الطبقات المتميزة والبرجوازية التجارية الجديدة للمدن على المؤسسات القديمة التي أدت إلى بنية خاصة غير مسبقة (بيلا، وديلوس).

2. القصور والمنازل

إن القصور قد اختفت من العالم اليوناني مع نهاية الإمبراطورية الميسينية (l'empire mycénien)، لكنها بقيت في الجهة الشرقية لليونان كما في قبرص واعد احيائها من جديد مع النظام الملكي المقدوني. ويعود تاريخ قصر فيرجينا (Vergina) إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد. إن مخطط هذا المعبد مستطيل ويمكن الوصول إليه عن طريق بوابات: برويلايا (propylées)، ويطل على دهليز احتفالي يفتح على باحة معقدة (cour à péristyle) ربما تكون مخصصة للمآدب.

وفي بعض الحالات، يمكن أن يكون هناك العديد من الباحات ذات الأعمدة متلاصقة بعضها البعض لتؤدي وظائف مختلفة ومحددة، بما في ذلك الحمامات وصالة للألعاب الرياضية أو الحدائق المقدسة كما يصرح استرابو (Strabon) عن قصر الإسكندرية، الذي لم يعد موجوداً الآن، وقصر رودوس (Rhodes). وتتميز القصور في جميع أنحاء العالم الهلنستي بوظيفتها ووجود الأعمدة التي بالرغم من الهلننة، بقيت فيها التقاليد المحلية واضحة على مستوى التخطيط والعمارة. فهذه القصور لا تشبه بأي حال من الأحوال الأمثلة اليونانية والمقدونية. وانتشرت في القصور الملكية زخارف الجدران المطلية وكذلك الرخام والتلبيس الحجري المختلف، مما يثبت ثراء ورفاهية هذه المباني. كما أن المنازل ذات الأروقة المعقدة كانت تحيط بالفناء المرصوف بالحجارة أو بالفسيفساء الذي غالباً ما كان يخفي خزناً أو بئراً. وكان كامل المنشأة مغطى أيضاً بلوحات جدارية وأغطية حجرية توشي بئراً هذه المساكن.

وهكذا، تطور على المدينة العليا نموذج من القصور الفخمة التي خلطت بين المساحات الخاصة والعامة والمدنية والدينية والتي تطورت حول مخطط يتمتع أقله بباحة ذات أروقة معمدة. وتستقر المساكن الخاصة في الجزء السفلي من المدينة ضمن جزر المخطط التنظيمي حيث كان غالباً يفصل جداراً واحداً ما بين المساكن وذلك ضمن نظام اجتماعي محكوم جيداً.

3. الأغورا والسّوى

من المعالم العامة للمدينة السفلى نجد الأغورا (agora) التي تم إنشاؤها في التخطيط المتعامد للمدن من خلال استعمال العديد من المساحات أو الجزر في وسط المدينة. وهناك أنواع عديدة من الأغورا، ولكن أصبحت الأغورا التجارية الأكثر انتشاراً وذلك على نطاق واسع. تطورت هذه الساحات المفتوحة في اليونان الكلاسيكية لتصبح معالم مبنية ضخمة من خلال تحديد المساحة بالأروقة/السّوى.

وأصبحت السّوى المكونة من طابقين شكلاً معمارياً مهماً، حيث كانت بمثابة فندق أو مركز تجاري أو مبنى مكاتب. واعتمد تصميم السوق المركزي والمناطق الإدارية إلى حد كبير على مخطط هذه المباني.

كانت الوظيفة النهائية للسّوى في العصور الهلنستية في مجمعات، صالة للألعاب الرياضية ولا سيما في المعابد العظيمة في أولمبيا (Olympie) ودلفي (Delphes) ونيما (Némée). كما عملت هذه القاعات على إنشاء مساحة مغلقة للتمرين البدني وتوفير منطقة تدريب للألعاب الميدانية مثل رمي الرمح ورمي القرص.

4. البوليتوريون (Bouleutérion)

البوليتوريون هو المبنى الذي يجتمع فيه المجلس (la boulè)، وهو تجمع مقتصر على المواطنين المسؤولين عن الأعمال اليومية للمدينة. وكانت هناك صفوف من المقاعد، على شكل نصف دائرة، كما في ميليتوس (Milet)، أو في مربع كما في براين (Priène). وتم تطوير هذا النوع من المعالم فحل مكانه الأوديون (odéon) في العصر الروماني.

5. المعبد

عرفت العمارة الهلنستية من خلال خصائص انتقائية قوية تجلت منذ البداية مع ميل لمزج النظام المعماري الدوري وأيوني والكورنثي. ففقدت عناصر الأنماط المعمارية وظيفتها الانشائية واصبحت أكثر فنية وزخرفة. ومع ذلك، استخدمت العمارة الهلنستية أفضل ما في النمط الأيوني والكورنثي مع تكيفه مع النوع الزخرفي الجديد ووقع التأثير التصويري. وهكذا، لم يعد الشكل الكلاسيكي للمعبد الدوري مفضلاً في العصر الجديد. فلقد قدر هذا العصر الأشكال الأيونية والأشكال الكورنثية الأكثر وهجاً. وتمّ بناء معظم المعابد الجديدة في المناطق الشرقية الجديدة من العالم الهيلينستي، حيث كانت الأيونية هي المعتمدة.

وقام المهندس المعماري هرموجين البراني (Hermogène de Priène) الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد بتدوين النمط الأيوني في كتبه. ونشر ميزات جديدة في المخطط، ولا سيما الأعمدة العريضة (pseudo-diptériques)، حيث أقامت المعابد الأيونية السابقة في شرق اليونان صفوفاً من الأعمدة. ولأول مرة، تمّ استخدام النظام الكورنثي للجزء الخارجي من المعابد، واستأنف عمل المعبد العظيم لزيوس في أثينا، بتمويل من ملك شرقي، أنطيوخوس الرابع الظاهر (Antiochus IV Epiphanes).

6. المدافن المشيدة

تطورت العمارة المدفنية بالطريقة نفسها لتأخذ أهمية من حيث الهندسة المعمارية المهيبة. وكانت المدافن المهيبة مرتبطة دائماً بالعائلات الحاكمة أو طبقة النبلاء والأثرياء الجدد، فصممت بعضها كأضرحة صغيرة للموتى الأبطال، على سبيل المثال المعابد الدائرية (tholos) الموجودة بالقرب من بيلا (Pella) في أركونتيكو (Archontiko).

تتميز هذه المدافن المبنية والمنحوتة تحت التلال الترابية بغطاء شيد على شكل القبة. كما تم توحيد مخططها العام، فكان تميزها بثراء وأصالة زخارفها التي تعكس المعتقدات الدينية. تميز أرقى المدافن المقدونية في ذلك الوقت بواجهة مطلية مدفونة تحت الأرض، وبممر يؤدي إلى غرفة مقببة التي كانت أيضاً مطلية ومفروشة بشكل متقن (أسرة، ومقاعد، وصناديق خشبية أو حجرية). وقد تمّ بناء في بعض الحالات عتبة حقيقية

وباب. ولم يكن لجدار المدخل المزخرف دور هيكلي: ولكنه اعتمد رسم خداع البصر (trompe-l'oeil). وتم اكتشاف المقابر الأكثر روعة في فيرجينا المنسوبة إلى فيليب الثاني والد الإسكندر الكبير وابنه الإسكندر الرابع.

7. المنشآت الهلنستية

أدى تنوع المتطلبات الإدارية والمتطلبات القضائية إلى تصميمات مميزة للمباني انفصلت بشكل نهائي عن ترتيب الأعمدة للمعابد الكلاسيكية. تشمل الأمثلة المهمة للتصميمات الأصلية بشكل خاص منارة الإسكندرية الشهيرة (Pharos) بأرضياتها المبنية بارتفاع 135 مترًا، ومكتبة الإسكندرية، وبرج الرياح في أثينا، والنافورات الضخمة وغرف الاجتماعات، بالإضافة إلى تطوير جديد في هندسة المسرح، حيث تم التمثيل لأول مرة على مسرح مرتفع.

وقمت إضافة مجموعة متنوعة من الأشكال النباتية الزهرية والحيوانية إلى الزخارف التي تثيري سطحية المباني. وفي الشرق على وجه الخصوص، تم الجمع بين هذه الأشكال بطرق جديدة تتحدى منطق الأنظمة المعمارية الكلاسيكية، وتميل نحو أسلوب يستبق الباروك (baroque). ببطء أيضًا، يتم استغلال مزايا القوس والقبّة، التي تجنبها المعماريون اليونانيون حتى ذلك الحين. ومع ذلك، ظلت الهندسة المعمارية بشكل أساسي هي العمارة الجماعية، وكان الأمر متروكًا لروما لإحراز تقدم كبير في طرق البناء.

III. الهندسة المعمارية الرومانية

تعتبر روما وريثة الحضارة الهلنستية، من وجهة نظر معمارية وعلمية وتقنية. يتجلى التفكك بين الشكل والبنية من خلال ابتكار الرومان الفعال للإسمنت (opus cæmenticum). فسمح هذا الابتكار بإمكانية البناء عن طريق خلط الاسمنت بالركام قبل تنفيذ تلبيس الطوب أو الحجر.

واستخدمت هذه التقنية في معظم المعالم الأثرية العظيمة في الإمبراطورية الرومانية، ولا سيما البانثيون (Panthéon). إن فيتروفيوس (Vitruve)، مؤلف الدراسة الوحيدة عن الهندسة المعمارية التي وصلت إلينا، كان من معجبي مهندسي الفترة الهلنستية منهم

هرموجين البرايني (Hermogène de Priène)، ومع ذلك يظهر فيتروفيوس نفسه معادياً للإسمنت الروماني لأن هيكل المبنى لا يظهر من خلال هذه التقنية. ففي مؤلفه عن العمارة (*De architectura*) الذي يحتوي 10 كتب التي تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد، معلومات عن كل ما نعرفه عن التكنولوجيا الرومانية.

1. الأنظمة المعمارية

استخدم الرومان الأنظمة المعمارية اليونانية وأضافوا عليها نظامين جديدين، التوسكاني والمركب. لكن النظام الكورنثي كان الأكثر شعبية. فبالنسبة للمهندسين المعماريين الرومان، تمّ استخدام الأعمدة ليس فقط كعناصر حاملة وظيفية ولكن أيضاً كعناصر زخرفية أساسية. وعلى الرغم من الالتزام الصارم بالتناظر (*symétrie*)، استخدم الرومان مجموعة متنوعة من الأشكال.

و بينما كانت المعابد اليونانية معزولة وموجهة دائماً تقريباً من الشرق إلى الغرب، كانت المعابد الرومانية موجهة بالنسبة إلى المباني الأخرى. وحملت الأعمدة الرومانية الأقواس وكذلك التكنات، مما سمح بمزيد من الحرية المكانية. سهّل اكتشاف الاسمنت الروماني إلى حد كبير عملية البناء من خلال إدخال استخدام القوس والقبّة، كما هو الحال في البناء الاستثنائي للبانثيون في روما. وتشمل المباني العامة الشهيرة في العمارة الرومانية البازيليكا والحمامات والمدرجات وأقواس النصر. ولكن أيضاً جميع الأعمال الهندسية مثل الجسور والقنوات والطرق وما إلى ذلك.

2. مواد وتقنيات البناء

انتشر استخدام الرخام في البناء الروماني ولوحظ تطور تجارة استيراد حقيقية لمختلف أنواع الأحجار في جميع أنحاء الإمبراطورية. وأول مبنى رخامي بالكامل هو معبد جوبيتر (Jupiter Stator) في روما عام 146 قبل الميلاد. وفي عهد الإمبراطورية، انتشر استخدام الرخام وأصبح الحجر المفضل لمشاريع البناء التي تمولها الدولة. الأكثر شيوعاً في إيطاليا كان رخام كارارا -لونا (Carrare- Luna) من توسكانا (Toscane). ولكن كان الرخام متوفراً أيضاً بسهولة في جميع أنحاء الإمبراطورية؛ رخام باروس (Paros)، ورخام بنتلي

(pentélique) في أثينا. وكانت هناك أصناف ملونة من الرخام شائعة أيضاً لدى المهندسين المعماريين الرومان، على سبيل المثال الرخام النوميدي (Numidie) الأصفر من شمال إفريقيا (Shemtou)، الرخام الفيرجي (Phyrgien) الأرجواني من وسط تركيا، الرخام السماقي (porphyre) الأحمر من مصر ورخام كارستيان (Carystien) ذو العروق الخضراء من مصر. ومع ذلك، كان الرخام الأجنبي فقط مخصصاً بشكل أساسي لتصنيع الأعمدة في المشاريع الإمبراطورية بسبب تكاليف النقل.

وإلى جانب الرخام، كان الحجر الكلسي الأبيض، متاحاً أيضاً في المقالع بالقرب من تيفولي (Tivoli). فلقد جعلتها قدرتها على القطع بدقة وقوتها الحاملة في التحمل، بديلاً مفضلاً للرخام للمهندسين المعماريين الرومان من القرن الأول قبل الميلاد. فتم استخدامهم بشكل خاص في الرصف وإطارات الأبواب والنوافذ والأدراج.

إن الرومان لم يخترعوا الملاط الكلسي، لكنهم كانوا أول من رأى كل إمكانيات استخدامه لإنتاج الاسمنت الروماني. فكان الركام الاسمنتي محصوراً في العادة للاستخدام كمواد حشو، لكن المهندسين المعماريين الرومان أدركوا أن هذه المادة يمكن أن تدعم أوزاناً كبيرة وبالتالي يمكن، مع القليل من الخيال، استخدامها للمساعدة في تغطية المساحة وخلق إمكانيات جديدة للبناء. كما أطلقوا على هذه المادة اسم *opus caementicium* مستنديين على الركام الحجري (*caementa*) الذي تم خلطه مع ملاط الكلس. وفي القرن الثاني قبل الميلاد. تم اكتشاف أنه باستخدام الرمل البركاني (*pulvis puteolanus*) الذي يحتوي على نسبة عالية من السيليكا، يمكن أن يتثبت الاسمنت تحت الماء ويكون أقوى من الاسمنت العادي. وفي القرن الأول قبل الميلاد أصبح استخدام الاسمنت منتشرًا في الأساسات والجدران والقبب.

بالإضافة إلى الإمكانيات الهيكلية التي يوفرها الاسمنت الروماني، كانت هذه المادة أيضاً أرخص بكثير من الحجر الصلب ويمكن تزويدها بواجهة أكثر روعة باستخدام الجص أو التليس الرخامي أو مادة أخرى غير مكلفة نسبياً: الطوب الفخاري المشوي أو القرميد أو الأجر.

إذ أنه تم استخدام طوب اي الطين المجفف بالشمس، لعدة قرون في روما واستمر استخدامه في المشاريع الصغيرة حتى القرن الأول الميلادي. اما القرميد أو الأجر فيتمتع بميزة المتانة ويمكن قطعه مثل الحجر ليشبه العناصر المعمارية السائدة مثل التيجان

(chapiteaux). وكان طول الأجرة عادة 59 سم وسمكها يتراوح بين ال 2.5 إلى 5 سم. وكانت تستخدم غير مقطوعة في الأسقف ومصارف المياه. ولكن في الاستخدامات الأخرى، كان يتم تقطيعها عادةً إلى 18 مثلثاً. وكان هناك أيضاً قرميد دائري، عادة مقسم إلى أربع، وكان يستخدم للأعمدة. يمكن أيضاً استخدام القرميد في القباب، بل وقد أصبح عنصراً زخرفياً باستخدام الأجر من ألوان مختلفة (عادةً الأصفر والبرتقالي) وترتيبها لإنشاء أنماط.

تم استخدام الجص (stuc) لتغطية جدران من الأجر ويمكن نحته، لتقليد الزخارف المعمارية التي كانت في السابق مصنوعة من الحجر فقط. وتم صنع الجص من خليط من الرمل والجبس المحروق (gypse) وحتى غبار أجود الرخام. وتم استخدام حجر الطفة البركانية (tuf volcanique) في القباب بسبب خفتها، على سبيل المثال، في البانثيون في روما. وغالباً ما كان البازلت يستخدم للرصف والطرق، وكان أيضاً الغرانيت الرمادي والوردي المصري شائعاً في المسلات والأعمدة. وأخيراً، تم استخدام الفخار أيضاً في الزخرفة المقولبة للمباني وأصبح عنصراً شائعاً للزينة في المنازل الخاصة والمقابر.

3. الجدران والأوبوس (Opus)

بغض النظر عن المنشآت العسكرية الشهيرة مثل الجدار الأنطوني وجدار هادريان (حوالي 142 و 122 م)، كانت الجدران الرومانية الأكثر تواضعاً تقدم قدراً مذهلاً من التباين. ويمكن أن يختلف عرض الجدران الرومانية أيضاً بشكل كبير، من 18 سم إلى 6 أمتار للأكثر عرضاً. ونادراً ما كان يتم استخدام الرخام وكتل الأحجار المهمة، لأنها كانت باهظة الثمن. فكان يتم استخدام كتل مربعة كبيرة لإنشاء جدران من الحجارة، أي كتل متقاربة بدون ملاط. ومع ذلك، كان من الأكثر شيوعاً استخدام القرميد أو الأجر (عادةً ما يكون مثلث الشكل ومثبت بالاسمنت) أو الحجارة الصغيرة مع الاسمنت. وهكذا كان يمكن ترتيب الأجر والأحجار بطرق مختلفة، سوف نعرض طرائق بناء الحجر أو مواد البناء أثناء تشييد مبنى.

- أوبوس كوادراتوم (Opus quadratum): هي تقنية تعتمد على مواد بناء مستطيلة (يتم وضعها بطريقة متعامدة بشكل مداميك متوازية، وغالباً دون استخدام

- الملاط. (استخدام وصلات الجبس أحياناً، كما هو الحال في الاسوار الهلنستية لدورا أوروبوس، من أجل توزيع أفضل للوزن).
- أوبوس أفريكانوم (*Opus africanum*): هي تقنية تعتمد أحجار أنقاض صغيرة غير مشدبة يتم رصفها بالتناوب مع أعمدة من الحجر المقصب لتشكل سلاسل عمودية لهيكل البناء.
 - أوبوس إنسيرتوم (*Opus incertum*): هي تقنية ظهرت لأول مرة في القرن الثالث قبل الميلاد، حيث تم استخدام قطع صغيرة غير منتظمة من الحجارة وكانت منحوتة فقط من جانب واحد أي واجهة الحجر.
 - أوبوس راتيكلولاتوم (*Opus reticulatum*): هي إحدى تقنيات البناء الرومانية التي ظهرت ابتداءً من القرن الثاني قبل الميلاد، واستخدم القرميد ذات الأشكال الهرمية مع قاعدة مربعة من 6-12 سم وارتفاع 8-14 سم. فكان يتم وضع الأجر على أن تكون قاعدته متجهةً إلى الخارج ومربعة بشكل مائل.
 - أوبوس ميكستوم (*Opus mixtum*): هي أحد أشكال تقنية البناء الرومانية ظهرت ابتداءً من القرن الأول الميلادي، وقد كانت مزيجاً من الأوبوس راتيكلولاتوم مع طبقة أجر أفقية مرصوفة كل أربعة مدايميك وذلك عند أطراف الجدار.
 - أوبوس سبيكاتوم (*Opus spicatum*): هي تقنية بناء رومانية تعتمد على ترتيب الأجر أو الحجر بشكل سنبل القمح.
 - أوبوس تستاكيوم (*Opus testaceum*): هي تقنية بناء رومانية ظهرت في القرن الأول ميلادي وتستخدم فقط صفوفاً من القرميد.
 - أوبوس فيتاتوم (*Opus vitatum*): هي تقنية بناء شاعت ابتداءً من القرن الرابع ميلادي في كل الامبراطورية الرومانية. وتستخدم صف من حجر الطفة بشكل مدايميك متوازية ويليه صف من الأجر.
- وعلى الرغم من التأثير الشكلي لهذه الترتيبات المختلفة من الحجارة والأجر، فإن معظم الجدران كانت في الواقع مغطاة، من الداخل والخارج، بطبقة من الجص الأبيض لحمايتها من الحرارة والرطوبة والمطر وتوفير سطح أملس للجداريات المزخرفة.

4. التخطيط المدني

تميزت الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والأول قبل الميلاد بنمو الإمبراطورية الرومانية. و يُعتقد أن عدد سكان العاصمة وصل إلى حوالي مليون شخص وأن المدينة نفسها كانت تعرف بكثافة سكانها وذلك في نهاية القرن الأول قبل الميلاد. وعندما ينظر المرء إلى صورة شوارع روما المترامية الأطراف والمزدحمة خصوصاً في نهاية القرن الأول يصعب الظن أن الرومان قد اعتمدوا واعتبروا أهمية التخطيط المدني. مع ذلك، ومع توسع حدود روما، تكثفت أعمال البناء، مما وفر الزخم اللازم لتطوير نظام معياري للتنظيم المدني المستوحى مباشرة من أنماط التخطيط المدني اليوناني. ومع ذلك، أظهر الإترسك (étrusques) هويتهم من خلال تطوير النموذج اليوناني في بعض النواحي؛ كالتركيز على شارعين أساسيين يتقاطعان في وسط المدينة ويتوافق اتجاههما والمباني مع الجهات الأساسية.

وفي الشرق الأدنى، أعيد احتلال المدن اليونانية وتجهيزها وفقاً لخطة واحتياجات المدينة الرومانية. وهكذا حافظوا على الترتيبات العامة للمدن الهلنستية مع جلب التطورات الجديدة وأعمال التحسين. والعنصر الجمالي الأساسي في تخطيط المدن هو الشارع الرئيسي ذو الرواق. فكان تقاطع الشارعين الرئيسيين رباعي الشكل. وهكذا، أصبحت هذه الطرق الرئيسية منشآت عامة حيث تمّ التبادل بين جميع المواطنين. وبالمثل أنشئت مدن جديدة لأغراض الأمن العسكري والكفاءة الإدارية والاستفادة الاقتصادية وبالطبع للمساهمة في عملية الكتابة بالحروف اللاتينية. كما هو الحال بشكل خاص في جرش وتدمر وشهبا وتيمقاد وغيرها الكثير.

على عكس المدينة الهلنستية، تمّ تجهيز جميع المدن الإمبراطورية الرومانية بالمعالم العامة الرئيسية واستخدام المواد وتقنيات البناء الرائجة في العصر الروماني مع تكييفها مع التقاليد المحلية. تسعى هذه المعالم المميّزة للمدينة الرومانية إلى الضخامة في البناء مثل القبة الضخمة للبانثيون في روما أو في الشرق معابد بعلبك ومسرح بصرى ومعالم البتراء الصخرية، إلخ. وهناك أيضاً توزيع وإنشاء المباني الرئيسية في تخطيط المدن (الساحات، والكابيتول، والبازيليكا، والأروقة، والمسرح والمدرج، والحمامات، والقنوات، والنوافير، والأعمدة النذرية، والأسوار، إلخ...).

5. الميدان (forum)

ساحة الميدان الروماني تشبه الأغورا اليونانية التي تشكل مركز الحياة الدينية والاقتصادية والسياسية للمدينة. كان هذا المكان العام الذي يتجمع فيه الناس يتألف من مجموعة من المباني مثل المتاجر والبازيليك والمعابد، المتماسكة إلى حد ما والمتجمعة حول ساحة. يقع الميدان في روما بين مبنى الكابيتول وهضبة إسكيلين وهضبة البلاتين. وقد تمت إضافة جزء من تل فيليا (*forum adjectum*) في زمن الإمبراطورية.

يقع الميدان الروماني، القلب الحقيقي للمدينة، في مدن الإمبراطورية على مستوى الشوارع الرئيسية و/أو في المنطقة المجاورة للتقاطع بين كاردو (*Cardo*) (الشارع الرئيسي ذو محور شمالي - جنوبي) وديكومانوس (*Decumanus*) (الشارع الرئيسي ذو محور شرقي - الغربي). يتناسب الميدان، مثل معظم المعالم، مع النسيج المدني المعتاد. أمثلة: بيروت، لبنان.

6. البازيليكا (basilique)

تستعير البازيليكا الرومانية من الإغريق الأشكال المعمارية التقليدية للستوى. وترتبط بالميدان، وتضم أنشطة اقتصادية ومالية وقضائية. يعتقد أن تكون البازيليكا الأولى قد اتخذت شكل أروقة بسيطة، ثم تطورت. فهي محاطة بشكل عام بسلسلة من الأروقة وتحتوي على أروقة داخلية تحدد مساحة مغطاة مقسمة إلى عدة أجنحة حيث يجلس القضاة.

7. المعابد

المعبد الروماني يعني في اللغة اللاتينية (*templum*) مساحة محددة وموجهة من خلال طقوس معتمدة. ويرتفع على منصة عالية يمكن الوصول إليها من أحد جوانبها الصغيرة بأدراج ضخمة تؤدي إلى الردهة (*Pronaos*)، وتطوق الأعمدة هذه الردهة وفقاً للاختلافات المتباينة (*in antis, prostyle, périptère, pseudopériptère, diptère, pseudo-diptère*) وتضم الخلوة (*Cella*) الموجودة في الجزء الخلفي تمثال الإله، وهي مساحة مخصصة حصرياً للكهنة. بشكل عام، تحوي تمثال الإله ولكن في بعض الحالات يمكن

تكريسه للثالوث الإلهي. ويقع المذبح دائماً خارج المبنى المواجه للخلوة. وهكذا، فإن المعبد الروماني، وريث التقاليد الأتروسكية واليونانية، هو مساحة يستعملها الأغور/العرّاف (Augure) لتفسير توّسم الطير (*auspicium*) لإعلان الإرادة الآلهة، وهو مساحة مقدسة مخصصة للإله. والمعبد الروماني مستطيل الشكل، ولكن في حالات نادرة ممكن أن يكون ذو مخطط دائري يسمى الثولوس (Tholos). وتكرم هذه المعابد آلهة البانتيون الروماني المماثل للميثولوجيا اليونانية وغالباً المماثل أيضاً مع مختلف الآلهة والمعتقدات الدينية للإمبراطورية. وهكذا، ومع امتداد الإمبراطورية إلى مختلف البلدان الشرقية، نرى ظهور ما يسمى بالعبادات الشرقية الجديدة مثل تلك المخصصة لميثرا المشهورة لدى الجيش الروماني. أمثلة: ميثريوم صيدا، لبنان.

8. المسرح

انتشرت المسارح الرومانية في جميع أنحاء الإمبراطورية على عكس المسرح اليوناني الغائب في الشرق. مخططها شبه دائري ولديها جميعها بنية معمارية متطابقة مع بعض الاختلافات الطفيفة اعتماداً على المقاطعة حيث تم بناؤها. وتمّ بناء المسارح الرومانية من عدة طوابق من البناء المغطى بالرخام أو الحجر. ويسمح هيكلها الضخم بوصول الناس من الجزء الخلفي للمبنى عبر الممرات المؤدية إلى المدرجات وهذا من أجل تسهيل التحرك وإخلاء المبنى. وبالتالي، يتم احترام الطبقات الاجتماعية المختلفة التي يمكن لها الوصول إلى أقسام الأجنحة المخصصة لها من المدرج.

تتميز المسارح الرومانية بجدار عرض كبير (*scaenae frons*)، غني بالتماثيل والأعمدة. وفي المقدمة على المسرح، يتحرك الممثلون (*proscenium*) مفصولين عن الأوركسترا بواسطة المنبر. والأوركسترا لديها مخطط نصف دائري يسمح بالوصول إلى المدرجات المجهزة غالباً بمقاعد مخصصة للطبقة الأرستقراطية في المدينة.

أمثلة: البترون، بيروت، جبيل (لبنان)، جرش، عمان (الأردن).

9. المدرج

تعد المدرجات من أكثر المباني القديمة إثارة للإعجاب. عادة ما تكون دائرية أو بيضاوية الشكل، مثل الكولوسيوم (Colisée) في روما. وتستخدم هذه المباني لتقديم معارك مصارعة، وحيوانات، أو حتى معارك السفن لجمهور واسع. وبنى الرومان مدرجات في جميع مقاطعات الإمبراطورية. يمكن أن يستوعب أكبرها ما بين 40.000 و 60.000 متفرج ومنها ما لها عدة طوابق وواجهات مقنطرة ومزينة بالرخام والجص والعديد من التماثيل.

أمثلة: بيروت؟ (لبنان)، جرش (الأردن).

10. الأوديون (Odéon)

يتواجد الأوديون في معظم الأنحاء اليونانية والشرق. الأوديون الروماني هو مكان لقاء أعضاء مجلس الشيوخ المحليين حيث تجري الاختبارات الموسيقية والمسابقات الصوتية. أمثلة: بعلبك، لبنان.

11. السيرك و ميدان سباق الخيل «الهيپودروم»

السيرك الروماني هو عبارة عن مباني كبيرة مستطيلة الشكل مكشوفة السقف وتستخدم لتنظيم الأحداث أمام عدد كبير من المتفرجين. ومن أشهر العروض: العربات وسباقات الخيول. ويتم فصل المساحة المخصصة للسباق إلى قسمين بواسطة مسافة ضيقة طويلة (spina) تزينها مبان مختلفة. وتحيط السيرك مدرجات من الجوانب الأربعة ويتم إنشاء هذا المبنى الضخم عامةً عند مدخل المدن على الطرق الرئيسية. أمثلة: بيروت، صور (لبنان).

12. الحمامات

في الأصل، كانت الحمامات اليونانية جماعية وظهرت في اليونان حوالي القرن الخامس قبل الميلاد. وبعد غزو اليونان وصقلية، تم إدخال الحمامات إلى روما كحمامات خاصة لتصبح عامةً في القرن الأول قبل الميلاد. وفي روما، كانت الحمامات الأولى التي تم بناؤها هي حمامات أغريبا. وفي زمن الإمبراطورية، كانت جميع المدن الرومانية تحتوي حمامات

عامة حيث يمكن لجميع المواطنين الاستحمام والتدريب والتواصل. ويمكن أيضاً تجهيز الفيلات الخاصة أو مباني المدن أو الحصون العسكرية بحمامات. ويتم إمدادها بالمياه من مجرى قريب أو من قناة مائية. أصبحت هذه الممارسة المشتركة بين جميع طبقات المجتمع واحدة من سمات الثقافة الرومانية.

تم تصميم المخطط المعماري للحمامات وفقاً لمسلك محدد للغاية يجلب الزوار عبر الغرف الساخنة تدريجياً قبل الانتقال إلى غرف المياه الباردة باتباع مسلك دائري. الردهة في مدخل المبنى تؤدي مباشرةً إلى غرف تغيير الملابس (*apodyterium*) ، ومن ثم إلى الغرفة الباردة (*frigidarium*) والغرفة الدافئة (*tepidarium*) حيث توجد أماكن للتنظيف (*labrum*) أو (*laconicum*) والغرفة الدافئة (*caldarium*). ويمكن أيضاً العثور على غرف إضافية مثل غرف التدليك (*unctorium*) أو غيرها. وغالباً ما تحتوي الحمامات على ساحة صغيرة حيث يمكن للمواطنين التحمية البدنية قبل الاستحمام. ويشمل التدريب المصارعة ورفع الأثقال والجري. وتحتوي أكبر الحمامات على مبانٍ مخصصة للاستحمام والألعاب الرياضية ومبانٍ تضم أنشطة ثقافية مثل المكتبة.

تعمل الغرف الساخنة في الحمامات الرومانية بفضل مبدأ الهيوكاوستوم (*hypocaustum*) وهو نظام تدفئة بالهواء الساخن يتم توفيره بواسطة فرن تدفئة (*praefurnium*) يقع خارج الغرفة. إن أرضية الغرف المدفأة مرتفعة (*suspensura*) بفضل أعمدة من القرميد والاسمنت. وفي الجدران ممرات تعمل على إخراج الهواء الساخن والدخان، مما يضمن تهوية جيدة للغرف المدفأة. إن الحمامات الرومانية هي تحفة فنية من العمارة الرومانية تجمع بين الطوب المشوي والاسمنت. وتتناوب الغرف الكبيرة مع الغرف الصغيرة حسب الوظيفة المخصصة لها. إن الأرضيات مغطاة بزخارف غنية وقشرة رخامية وجداريات وفسيفساء وما إلى ذلك. دون أن ننسى التماثيل التي تزين كل هذه المباني. أمثلة: عنجر، بعلبك، بيروت، دير القلعة، صور (لبنان).

13. المنازل والفيلات

أصبحت المساكن الجماعية (*insulae*) منتشرة في روما مع النمو السكاني من القرن الثالث قبل الميلاد. الأولى مبنية من قش وخشب وبعدها تم استخدام الطوب والاسمنت في زمن

نيرون. ويمكن أن يصل ارتفاع المباني إلى 20 مترًا، أي من 3 إلى 8 طوابق مع تحويل الطابق الأرضي إلى متجر.

وكانت المنازل ذات أروقة معمدة (maisons à péristyle) استمرارية للتراث اليوناني ومنازل الأتريوم. هذه المساكن مغلقة وتتطور حول فناء مركزي تتوزع حوله الغرف الرئيسية في المنزل. ويتم تجهيز قبو الفناء ببئر أو خزان مياه. وعمومًا، مقابل المدخل، على الجانب الآخر من الفناء توجد غرفة الاستقبال (oecus) التي تفتح على الفناء المركزي والتي يمكن في بعض الحالات أن تفتح للخارج باتجاه حديقة (horus). وعلى الجانبين القريبين توجد غرفتا طعام (triclinium). ويتميز مخطط المنازل ذات الأروقة المعمدة بفناء في الهواء الطلق محاط برواق يوجد في وسطه حديقة يتوسطها حوض مائي بأشكال مختلفة. ويتميز مخطط الأتريوم بسقف مائل نحو مركزه يغطي الفناء المركزي للمنزل.

إنَّ الفيلا (villa) الرومانية عبارة عن مسكن كبير تم بناؤه خارج المدينة وفقًا لمخطط المنازل. يمكنها الجمع بين مخططين في مبنى واحد فيمكن أن تكون مسكنًا بسيطًا أو حتى أن تكون لها وظيفة زراعية. وتمَّ بناء جميع المنازل والفيلات من البناء المغطى بالجداريات والفسيفساء. أمثلة: بعلبك، بيروت (لبنان).

14. أقواس النصر

قوس النصر عبارة عن هيكل ضخم يشبه القوس فيه ممر مقبب واحد. وأصبحت الأعمدة عناصر زخرفية بحتة على الوجه الخارجي للممر، في حين أن السطح، الذي تحرر من دوره كدعم للمبنى، أصبح إطارًا للرسائل المدنية والدينية التي يريد بناء الأقواس نقلها. وتمَّ بناء معظم أقواس النصر الرومانية خلال الفترة الإمبراطورية. في القرن الرابع الميلادي، كان هناك 36 قوس نصر في روما. ثلاثة منها نجت: قوس تيتوس (81 م)، قوس سبتيموس سيفيروس (203-205) وقوس قسطنطين (312). وتمَّ بناء العديد من الأقواس في أماكن أخرى من الإمبراطورية الرومانية. وكان القوس المفرد هو الأكثر شيوعًا، ولكن تم أيضًا بناء العديد من الأقواس الثلاثية. وابتداءً من القرن الثاني، تراجع بناء القوس في روما وإيطاليا لكنه ظل منتشرًا في المقاطعات وتم نصبها في الكثير من الأحيان لإحياء ذكرى الزيارات الإمبراطورية.

أمثلة: صور، (لبنان)، تدمر (سوريا)، جرش (الأردن).

15. البنى التحتية

أ. الطرقات

كانت الطرق الرومانية حيوية لصيانة الدولة الرومانية وتطويرها، وتم بناؤها منذ عام 500 قبل الميلاد، من خلال توسيع وتوحيد الجمهورية الرومانية والإمبراطورية الرومانية. لقد وفروا وسائل فعالة للتنقل البري للجيش والمسؤولين والمدنيين، والنقل الداخلي للاتصالات الرسمية والسلع التجارية. أمثلة: جبيل، صور (لبنان)، جرش (الأردن).

ب. القنوات المائية (Aqueduc)

بنى الرومان العديد من القنوات لجلب المياه من مصادر بعيدة إلى مدنهم وقراهم، وتوفير الحمامات العامة والمراحيض والنوافير والمنازل الخاصة وكذلك المزارع والحدائق. وتنقل القنوات المياه عن طريق الجاذبية وحدها، حيث يتم بناؤها على طول انحدار طفيف إلى أسفل في قنوات من الحجر أو القرميد والاسمنت الروماني. وتمّ تكييف معظمها مع التضاريس التي كانت موجودة: طمر أجزاء منها تحت الأرض، أو لفت حول القمم، أو أنفاقاً حفرت أو مرت فوق الجسور في قنوات من الرصاص أو السيراميك أو الحجر. وتمّ تصريف مياه الصرف الصحي من خلال أنظمة الصرف الصحي المعقدة وتفريغها في المسارب المائية القريبة، مما يساعد على الحفاظ على المدن نظيفة وخالية من الأوساخ. أمثلة: بيروت، نهر إبراهيم (لبنان).

ج. الجسور

كانت الجسور الرومانية، التي بناها الرومان القدماء، شبه دائرية أو جزئية. كانت أول الجسور الكبيرة التي تمّ بناؤها. وتم بناء الجسور الرومانية بالحجر وكان القوس بمثابة

الهيكل الأساسي. والاسمنت الروماني كان الأكثر استخداماً أيضاً، وكان الرومان أول من استخدمه في بناء الجسور.
أمثلة: معاملتين، لبنان.

الخاتمة

منذ القرن الرابع قبل الميلاد، عمل المهندسون المعماريون والبناءون اليونانيون على نظام من القواعد لجميع الإنشاءات (الانظمة المعمارية). فبدت الهندسة المعمارية بسيطة بشكل عام، ولكن النحت الزخرفي كان مرئياً على تيجان الأعمدة، والأفاريز، والحواجز والتماثيل، إلخ... وكانت المعابد والمسارح من أهم المباني، حيث جمعت بشكل معقد بين الأوهام البصرية والنسب المتوازنة.

وحدث توسع العمارة اليونانية وتخطيط المدن أولاً في المستعمرات المختلفة في غرب البحر الأبيض المتوسط وآسيا الصغرى. وامت هذه الظاهرة مع الغزو المقدوني، ومع انتشار الثقافة اليونانية من اليونان إلى نهر السند فتم استيعاب العديد من التأثيرات. وهكذا، تم إنشاء الممالك الهلنستية في جميع أنحاء الشرق الأوسط باستخدام تأسيس أو إعادة تأسيس المدن على أساس تخطيط المدن المتعامد ونظام تحصين متطور للحفاظ على المناطق المحتلة.

وتم تطبيق سياسة تأسيس وإنشاء البلديات والمدن في جميع أنحاء الأراضي التي ضمت للإمبراطورية في جميع أنحاء البحر الأبيض المتوسط. وتجاوز الرومان حضارات عصرهم الأخرى من خلال إتقان التقنيات المعمارية والهندسة باستمرار. وهكذا أصبحت العمارة أداة إمبراطورية لتثبت للعالم أن روما كانت متفوقة ثقافياً، لأنها كانت الوحيدة التي تمتلك الثروة والمهارات والجرأة اللازمة لإنتاج مثل هذه المباني.

لائحة المصادر والمراجع

- Adam, J.-P. (1984). *La construction romaine : matériaux et techniques*, Paris, Picard.
- Adam, J.-P. (2013). Regards sur les techniques architecturales romaines. *Archéothéma*. 48-52
- Bessac, J.-Cl. (1986). *L'outillage traditionnel du tailleur de pierre de l'Antiquité à nos jours*, Revue archéologique de Narbonnaise, suppl. 14, Paris.
- Blagg, T.F.C. (1976). Tools and techniques of the Roman Stonemason in Britain, *Britannia*, 7, 152-172.
- Charbonneaux, J., Martin R. et Villard F. (1985). *Architecture*, en *La Grèce hellénistique 330-50 BC*, Milan, Rizzoli. 3-68.
- Dworakowska, A., (1983). *Quarries in Roman Provinces*, Bibliotheca antiqua, XVI, Wrastislava.
- Ginouves, R. et Martin, R. (1985). *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine, I : matériaux, techniques de construction, techniques et formes du décor*, Collection de l'Ecole française de Rome, 84/1, Rome.
- Ginouves, R. et Martin, R. (1992). *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine, II : éléments constructifs : supports, couvertures, aménagements intérieurs*, Collection de l'Ecole française de Rome, 84/2, Rome.
- Ginouves, R. et Martin, R. (1998). *Dictionnaire méthodique de l'architecture grecque et romaine, III : éléments espaces architecturaux, bâtiments et ensembles*, Collection de l'Ecole française de Rome, 84/3, Rome.
- Gros, P. (1996-1999). *L'architecture romaine*, Paris, Picard.
- Gros, P. (1996). *Tome 1. Les monuments publics*.
- Gros, P. (1999). *Tome 2. Maisons, villas, palais et tombeaux*.
- Hellmann, M.-C. (2002). *L'architecture grecque. Les principes de la construction*. Paris, Picard.
- Hellmann, M.-C. (2007). *L'architecture grecque*, Livre de Poche, Paris.
- Lancaster, C. L., & Ulrich, B. R. (2014). Materials and techniques. *CRA*. 157-192.
- Marino, L., Pietramellara, (1999). *Tecniche edili tradizionali*, Florence.
- Marconi, C. (2014). *The Oxford Handbook of Greek and Roman Architecture*, NewYork.
- Marta, R. (1991). *Tecnica costruttiva romana*, Rome.
- Martin, R. (1980). *Manuel d'architecture grecque*, Paris.
- Mcwhirr, A. éd. (1979). *Roman Brick and Tile : studies in manufacture, distribution and use in the Western Empire*, B.A.R. international series, 68, Oxford.
- Miles, M.M., ed. (2016). *A Companion to Greek Architecture*, Blackwell Companions to the Ancient World.
- Owens, E. J. (1989). Roman Town Planning , in J. Barry and C. Jones (eds.) *Roman public Buildings*, University of Exeter. 7-30.

- Perouse De Montclos (1972). *Architecture : méthode et vocabulaire, principes d'analyse scientifiques*, t. 1-2, Inventaire générale des monuments et richesses artistiques de la France, Paris.
- Rowland, I., & Howe, T. (1999). *Vitruvius: Ten Books on Architecture*. Cambridge.
- Schofield, R. (2009). *Vitruvius, On Architecture*. London.
- Scott, D. (2006). *Plato's Meno*. Cambridge.
- Senseney, R. J. (2011). *The Art of Building in the Classical World*. Cambridge.
- Saliou, C. (1994). *Les lois des bâtiments : voisinage et habitat urbain dans l'Empire romain : recherches sur les rapports entre le droit et la construction privée du siècle d'Auguste au siècle de Justinien*, Bibliothèque archéologique et historique, 116, Beyrouth.
- Sear, F. (1998). *Roman architecture*, Londres, Routledge. 519 p.
- Winter, E. F. (2006). *Studies in Hellenistic Architecture*, Phoenix Supplementary Volumes, University of Toronto Press. 460 p.
- Wright, G. R. H. (2009). *Ancient Building Technology, vol. 3, Construction (Technology and Change in History, 12/1-2)*. Leyde/Boston.

الخزفيات

أ. دة. مهي المصري، دة. حنان شرف، دة. مي حيدر

المقدمة (أ. دة. مهي المصري)

يُعرف مصطلح الفخار على إنه من صناعة الإنسان من خلال الماء، والطين والنار. مكوناته صلصال مضاف له معادن لاسيما معدن الحديد الذي يعطي لوناً للطينة عند الشي فيتحول إلى طين مشوي. هناك ثلاث تقنيات لتصنيع الفخار: التشكيل اليدوي modelage، الدولاب tournage والقالب moulage.

يعدّ الخزف مصدراً أساسياً للتأريخ في علم الآثار، نتيجة التطور السريع في التصنيع والأشكال، ووجوده في كل مكان. هو شاهد على الماضي، والهدف من دراسته هو الإجابة عن أسئلة تاريخية متنوعة مثل تطور شبكات التبادل، عادات الحياة المنزلية، والتحويلات والابتكارات في الحرف اليدوية. على مدى السنوات الأربعين الماضية، تزايد عدد التنقيبات الأثرية المستندة إلى دراسة تسلسل الطبقات في المناطق الحضرية، وقد ساهم الفخار في دراسة التنوع الثقافي لمجتمعات الإنسان القديم، وتحديد النشاطات اليومية القائمة آنذاك، كما تأريخ الطبقات وإبراز العلاقات السياسية والاقتصادية والتبادل التجاري (Kramer, 1985, p. 78). إن الأواني الفخارية تساعد في التعرف بسلوك الإنسان في المجتمع. فتقنية التصنيع والزخارف المنفذة على الأواني أظهرت العلاقات بين المجموعات البشرية المختلفة، وتطورت كذلك مع ظهور الدراسات المخبرية والاثنواركيولوجية. فالأواني الفخارية لها دورة حياة تبدأ من مرحلة جمع المادة الخام إلى مرحلة الإنتاج النهائي، ثم مرحلة العثور عليها في الطبقات الأثرية. وفي كل مرحلة من هذه المراحل

هنالك العديد من العوامل، التي تؤثر في الإنتاج متمثلة في جوانب بيئية وأخرى ثقافية متنوعة.

هناك طرق عديدة لدراسة الفخار، تختلف باختلاف من يدرسها. فمؤرخ الفن يهتم أولاً بجماليات الأشكال والزخرفة، وعالم الآثار يهتم بالتصنيف للبحث عن الأصول (مكان الاكتشاف، مكان الإنتاج والتسلسل الزمني)، أما التقني فهو يركز على تكوين العجينة، تقنيات الشي وغيرها...

I. أولاً: الدراسات التاريخية في الفخار

بدأ الحديث عن الفخار في القرن الخامس عشر من خلال مقالات منشورة عن كسر فخارية من عصور ما قبل التاريخ وذلك سنة 1464، 1587 و1603. وفي القرن السابع عشر تركزت الكتابات حول الجرار المدفنية. وفي القرن الثامن عشر، جمعت مدونات عن الأواني الإتروسكية والرومانية.

خلال القرن التاسع عشر في أمريكا وأوروبا ظهرت النظرية التطورية Evolutionary Theory في العلوم. فتركز الاهتمام على تقنية تصنيع الفخار لفهم التغيرات وتصنيفها، التي ارتبطت على نحو أساسي بالإنسان والمجتمع. فاستخدام الإنسان للأواني الفخارية في حياته اليومية عدّ مؤشراً على التطور التقني، ومن ثمّ التطور الثقافي. كما تمثلت هذه النظرية في التركيز على التغيرات الشكلية أو التقنية المرتبطة بالأواني الفخارية، لتحديد التبع الزمني لها (Petrie, 1899) كدليل على التطور الثقافي للمجتمع الذي أنتجه واستخدمه.

دعا بعض العلماء، ومع بداية القرن العشرين، إلى التركيز على الاختلافات الثقافية والخصوصية الثقافية للمجتمعات Cultural particularism. وبما أنّ الفخار من أكثر المواد الأثرية المكتشفة في المواقع، فقد استخدم من أجل دراسة المحتوى التاريخي - التطور الزمني - ودراسة انتشار بعض الخصائص الفخارية، خاصة الزخرفية منها لإيجاد العلاقة ما بين المواقع الأثرية والوصول إلى تأريخ لها. لقد أثر هذا الجانب المعرفي في مجال الدراسات الفخارية على نحو واضح من خلال التركيز على الدراسات

التصنيفية classification studies. فاعتمدت الدراسات الفخارية خلال هذه المرحلة على إجراء عملية التصنيف للفخار لمعرفة مدى التبادل الثقافي بين الدول (Rouse, 1960; Sabloff and Smith, 1969).

II. ثانياً: تطور دراسات الفخار

انطلقت دراسات الفخار من خلال دراسة البعد الفني الخزفي، وإبراز القيم الزخرفية الجمالية للأواني ولم ينل البعد الوظيفي function الاهتمام المطلوب على الرغم من أنه الأساس في وجود الآنية نفسها، إذ أن إنتاجها كان لتحقيق غرض نفعي بالدرجة الأولى، وظل هذا التوجه البحثي غالباً في معظم الدراسات، والبحوث التي ركزت على الجانب الخزفي على أساس أهميته كمؤشر أيضاً في تحديد تأريخ الأواني، ومصدرها الجغرافي ولو بشكل نسبي، وهذا ما أدى إلى التباس في معرفة الغرض الوظيفي الأساسي الذي تمثله هذه الأواني.

ويتطلب البحث في البعد الوظيفي معرفة تراكمية مهمة، تتصل مباشرة باستخدامات اللقى الأثرية بموادها المختلفة في عصورها المتتالية، ولما كان الفخار من المواد الأثرية المهمة، وأكثرها وجوداً في المواقع الأثرية، ومن أكثر المواد المساعدة على تأريخ المواد في المواقع الأثرية وطبقاتها المتتالية، فإن اختيار هذه المادة للإلقاء الضوء على استخداماتها يعدّ مثلاً جيداً ومؤشراً واضحاً لبيان أهمية المعرفة التراكمية المرتبطة بالبعد الوظيفي (Skibo, 2013). فالفخار له استخدامات في مجال العمارة، إذ تصنع منه أنابيب المياه في المنشآت المائية كالحمامات، وقناطر جر المياه، والتوصيلات المائية للأحواض والصهاريج، وصناعة القرميد الذي يغطي السطوح في بعض المنشآت، وأنابيب الصرف الصحي وحتى في المحترفات الخاصة بالصناعات، كالجرار والأدوات. واستخدم الفخار في أدوات الطبخ والخزن والمائدة والإنارة والزينة وغيرها. من المحاور المهمة في دراسة البعد الوظيفي المحور الذي يربط بين نوعية المواد، التي يصنع منها الفخار وبين الغرض الوظيفي للمنتج الفخاري الذي يصنع منها. وهذا يرتبط ارتباطاً مباشراً بوظيفتها. كما أن شكل الآنية يرتبط بوظيفتها من حيث الحجم والمواد التي تستخدم لأجلها (عثمان، 2015، ص. 82-87).

شهد تطور دراسة الفخار حسب شيرد (Shepard, 1956, p.3) ثلاث مراحل: دراسة الأواني الكاملة كأدلة ثقافية، دراسة الكسر كدليل على تأريخ التسلسل الطبقي، ودراسة تقنيات تصنيع الفخار. أما ماتسون (Matson 1984, p. 30) صنف تاريخ دراسات الفخار مثلما صنفها ويلي Willey وسابلوف Sabloff (1980) على مرحلتين: التصنيف التاريخي- الزمني (1960-1914) والمرحلة التوضيحية (1960) وذلك في الدراسات الأميركية. أما فان دير ليو Van der Leeuw و بريتشارد Pritchard (1984) حددا ثلاث مراحل: النمطي (الذي بدأ منذ 1965) "المستويات الثلاثة للبحث" مع بداية العام 1965-1980، استمراراً للتقليد السابق، مع الأخذ بالحسبان السويات السفلية والسويات العلوية؛ و"دراسة العنصر الثقافي " بدءاً من 1980 في حين Orton و Hughes حددا دراسة الفخار ضمن ثلاثة مراحل: الفني- التاريخي أي دراسة الإناء بشكل كامل من حيث الزخرفة والتقنية والشكل، النمطي أي كسر مجزأة، وربطها بالتسلسل الطبقي أو المحيط، وهذا يتضمن دراسة التقنية والأثنواريكولوجية والتصميم والزخرفة والتغيرات الحاصلة عبر استخدام المجهر لمعرفة المادة الخام، والمحيط العام التي عثرت فيه الآنية واستخدام كذلك القياس الكمي quantification في علم الخزف (Van Der Leeuw and Pritchard, 1984, p. 4). هذه الدراسات ساهمت بمعرفة تكيف المجتمع مع البيئة، وكيفية تلبية احتياجاته من خلال تصنيع العديد من الأواني، التي تساعده على القيام بوظائف أو نشاطات معينة في حياته، وتشير إلى العمليات الاقتصادية خلال العصور الزمنية (Arnorld, 1993 ; Kolb 1989 ; Matson, 1965). إذ ظهر منهج نظري يعتمد على الدراسات البيئية، يعرف باسم دراسات الفخار البيئي أو ceramic ecology وهذا المصطلح أطلقه ماتسون (Matson, 1965, 202)، وبهدف معرفة وظيفة الإناء وكيفية استخدامه، وعلاقته مع الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. كما ظهرت أيضاً دراسات تبحث في الجوانب المتعلقة بالتنظيم الاجتماعي social organization من خلال دراسة الخزاف المنفذة على الأواني (Deetz, 1968; Longacre, 1968).

1. منهج القياس الكمي quantification

نعني به قياس كمية الفخار من كل نوع، مع وصف كل مجموعة لمعرفة النسب المئوية. وهي تتصل بشكل مباشر بالتصنيف النمطي والسويات. مع إهمال الكسر التي ليس لها

أي شكل محدد إلا إذا كانت تنتمي الى شكل معروف أو عليها رسم أو زخرفة أو تأتي من closed context (لوصف closed context الرجوع الى فصل تقنيات الحفر). وأساس هذه الطريقة تعداد الكسر، الوزن، محاولة ربط الكسر ببعضها لمعرفة النمط أو شكل الآنية ثم المقارنة يتضمن هذا المنهج الرسوم البيانية. هناك نوعان رئيسان من الدراسة الكمية، تلك التي تحدث قبل إعادة ترميم الآنية: عدد الكسر (المقبض، الفوهة، القاعدة، البدن) والوزن؛ تلك التي تحدث بعد إعادة الترميم، مثل عدد الحد الأدنى والحد الأقصى للأواني، عدد الأواني المتشابهة، الوزن المتشابه وتقنية الصناعة. وهذا المنهج يسمح لنا بتقدير ما لدينا من عدد للأواني وأشكالها، وتقنيات صناعتها وتصنيفها ضمن مجموعات. وفي كلتا الحالتين نصل في أغلبية الأحيان إلى نتائج واحدة. واحدة تضم الفئة الأولى من تقنيات القياس الكمي، منتجاً كمية كبيرة من البيانات، تستخدم لإعطاء فكرة على نطاق واسع للإجابة على أسئلة في كثير من الأحيان تتعلق بالتسلسل الزمني. الأخرى تعتمد النوع الثاني، وظيفتها الرئيسية هي التفسير الأثري. ونادراً ما تتعارض مع النتائج السابقة، وهي أيضاً تدعم التوصيف الكرونولوجي.

من أسباب استخدام هذا المنهج المهمة، هو تحديد تأريخ حسب الأنماط. الخطوة الأساسية تركز على التأريخ النسبي للطبقات الأثرية عبر احتساب نسب الفخار من خلال الصناعة وربطها مع محيطها. وغالباً ما يؤرخ الفخار بالقرون. أما التأريخ المطلق فيكون من خلال تحاليل كيميائية للأواني ضمن المختبرات.

2. المنهج الإحصائي statistics

مع تطور التنقيبات فرضت دراسة الفخار نظاماً جديداً، وعلى وجه الخصوص اختيار المجموعة المراد دراستها، والتي تتضمن مجموعة مختارة من السويات المكتشفة (سكن، مجموعات مغلقة، إلخ). الأمر الثاني هو تحليل كل المواد، التي تنتمي إلى هذه السويات الأثرية، ما يثير مشكلة معالجة المعلومات. إن معالجة المعلومات بشكل جزئي يخلق التركيز فقط على مراكز تصنيع الفخار المعروفة، ما ينتج أخطاءً في التأريخ. وبذلك يفضل التركيز على معالجة البيانات بشكل كامل، ما يتيح دراسة الفخار جميعه من النواحي كلها، ما إذا كان مستورداً أو محلياً ودراسة استخداماته ما يساعد على التأريخ بشكل

صحيح. لذا تمّ الاعتماد على المنهج الإحصائي لتفادي الأخطاء الناتجة عن التأريخ المطلق (Rice, 1987, p. 288-293; Sinopoli, 1991, p. 210-171).

معالجة المعلومات وفق المنهج الإحصائي، يتيح إنتاج الجداول الزمنية عبر:

- تحليل السّويات الأثرية الطبقيّة في الموقع؛ وتفسير الطبقات الستراتيغرافية تتعلق بجزء من تاريخ الموقع (حفر، طبقات مرتبطة بسكن المبنى، إلخ). وهذا ما يعطينا التأريخ النسبي للموقع.

- دراسة الفخار بالقياس الكميّ ضمن الموقع، المكان الجغرافي والمحيط. فتُحتسب كمية الفخار من خلال مراكز الإنتاج، وفقاً للطبقات الإستراتيغرافية وتوافقه مع السويات. ومن خلالها نستطيع الحصول على التأريخ.

3. منهج التصنيف النمطي Typology (ده. حنان شرف - أة. ده. مهي المصري)

مع تزايد التنقيبات في أوروبا واكتشاف الأواني الفخاريّة لجأ العلماء إلى التصنيف وذلك منذ سنة 1880. مع بيت ريفرز Pitt Rivers 1904، بليكي Plique 1887 ودراغندورف Dragendorff 1895، دوشاليت Déchelette 1904، لودويش Ludowici 1904، كنور Knorr 1906، والترز Walters 1908. في أميركا بدأ التصنيف مع كيدر Kidder 1927 وكان نقطة الانطلاق الأولى لعدة علماء مثل كولتون Colton، غريفن Griffin 1950-1954 وغيره. تميزت هذه المرحلة بتصنيف الأواني، والكسر ضمن أنماط حسب اختلاف في أشكال الفوهة، أو القاعدة أو البدن ومن خلالها إيجاد تأريخ للطبقات، والمحيط بشكل عمودي وصولاً إلى الأفق. ولها هدفان:

أولاً: لربط التسلسل الطبقي في الموقع، وهي تسهم في التأريخ المطلق absolute dates بمساعدة الكتابات والوثائق، واعتمادها في باقي المواقع كتقاطع التأريخ cross-dating المستخدم من بيتري Petrie في الثمانينات من القرن العشرين.

ثانياً: لتحديد الواقع الثقافيّ cultural area حسب تشايلد Childe 1929.

ويدخل ضمن المنهج النمطي، استخدام الرسوم التوضيحية، والإحصاءات وتعريف كل نوع من الفخار على حدة مثل جرار التجارة، فخار الطبخ، فخار المائدة كما تصنيفه حسب المادة المصنوعة منه: vesicular, shelly, fine, coarse الذي ظهر مع بيكوك Peacock (1982) في السبعينات.

أ- أهداف ونماذج علم الأنماط

الهدف الرئيس من التصنيف، كما هو مستخدم حالياً في المجال الأثري، هو خلق مجموعات لها سمات مشتركة (Bahn, 1992, p. 519 ; Rice, 1987, p. 274). تتمثل الوظيفة الأساسية للتصنيف في إبراز الخصائص الجوهرية للنمط، أي خصائصه المورفولوجية والتقنية (Djindjian, 1991, p. 77). بمجرد تحديدها وتحليلها، تسمح هذه الخصائص لعالم الآثار بإجراء مقارنات مع أنماط مماثلة في المواقع الأثرية الأخرى، في أغلب الأحيان من أجل تحديد الهوية الثقافية، وتاريخ المواد الخاصة بموقعه (Binford, 1989, p. 3 ; Courtin, 1993, p. 12 ; Djindjian, 1991, p. 78 ; Gardin, 1979, p. 16 ; Hill and Evans, 1972, p. 243).

ب- أساليب التصنيف النمطي

يوجد أسلوبان رئيسيان للتصنيف:

- التصنيف الذي دعا إليه فرانكن Franken، ويمثل تيار ليدن Leiden، يستند إلى سمات إجرائية أو تكنولوجية: "يجب أن يعتمد التصنيف على الدراسة التقنية للمادة" (Franken, 1974, p. 73). بالنسبة إليه، تقنية التصنيع تحدد النمط. تُصنّف الأواني ذات الأشكال المختلفة، ولكنها مصنوعة بالتقنية نفسها ضمن النمط نفسه. كما حاول Franken أيضاً ربط السمة التقنية بالدلالة الكرونولوجية.

- التصنيف القائم على السمات المورفولوجية للأواني أي الخصائص من حيث الشكل (Frendo, 1988). نظمت أميران Amiran، في كتابها "الفخار القديم للأرض المقدسة" *Ancient pottery of the Holy Land*، الفخار الفلسطيني من عصر البرونز ضمن 13 فئة مورفولوجية من دون أن تظهر العلاقات بين الأواني من الفئة نفسها. يتمتع نظامها،

حتى لو لم يظهر العلاقات بين الأواني من الفئة نفسها، بميزة السّماح بتصنيف بسيط، وسريع وسهل الإدارة (Amiran, 1969, p. 15). كذلك استخدم Furumark طريقة مماثلة في تصنيفه للخزف الميسيني (Furumark, 1972 ; Furumark, 1941).

يوجد أيضًا أساليب أخرى في التصنيف مستوحاة من الأسلوبين السابقين:
 - يعتمد التصنيف المورفولوجي حصرياً على الأواني الكاملة مثل تلك، التي اعتمدها بيتري Petrie ودنكان Duncan في عملهما على الفخار الفلسطيني *Corpus of dated Palestinian Pottery* (Duncan, 1930; Delougaz, 1952, p. 3-19).
 - التصنيف باستخدام الكسر بشكل أساسي بدلاً من الأواني الكاملة. طبقه Kidder، في دراسة خزف موقع Pecos، وهو أول أمريكي بني تصنيفه على القطع وليس على الأواني الكاملة (Kidder, 1931).

- التصنيف الذي تبني من أنماط منفصلة عن كل سمة مورفولوجية. تُبني في حالة مجموعة من الفخار المجرأ للغاية، إلا أن له عيباً مستبعداً يتمثل في تجزئة وعاء كامل إلى عدة أنماط (تلك الخاصة بالقواعد والمقايض والشفّتين على سبيل المثال) وبالتالي منع التّصور السّهل للشكل الكامل وتطوره والاختلافات التي تميزه عن الأواني الأخرى.

- أمّا التصنيف المختلط فيعتمد في وقت واحد على السمات المورفولوجية والإجرائية، ويستخدم كل من الأواني الكاملة والكسر. تُقسّم الأواني، كاملة أو مجزأة، وفقاً لشكلها، إلى فئات يجري فيها تعريف كل نوع بمعايير مورفولوجية أو تقنية. تحدد الاختلافات البسيطة (على سبيل المثال: وجود المقايض أو عدم وجودها) نوعاً فرعياً أو متغيراً. يتميز هذا التصنيف الحدسي (Sinopoli, 1991, p. 49-50) بشكل أساسي بميزة نسب السّمة التقنية والشكلية لكل من الأواني الكاملة والكسر، مع الحفاظ على وحدة الإناء. تُحدّد أجزاء الحافات أو القواعد أو المقايض أو الزخارف وتصنيفها وفقاً للأشكال الكاملة التي عُثِرَ عليها مسبقاً.

- تستخدم المناهج النمطية السابقة الشكل أو التقنية في تحديد النسب. ومع ذلك، هناك أيضاً نموذج تصنيف يأخذ في الحسبان وظيفة الإناء فقط (Hally, 1983; Longacre, 1981, p. 53). وفقاً ل-Longacre، فإنّ الوظيفة تستحق النظر كسمة تصنيف نظراً لأنّ معظم الدّراسات الإثنوغرافية تشير إلى وجود ميل بين مستخدمي الفخار في جميع

الأواني وفقاً لوظيفتهم (Longacre, 1981, p. 53). يصعب تطبيق هذا التصنيف في علم آثار الشرق الأدنى، نظراً لأن وظيفة جزء كبير من الأواني الموجودة في معظم الأوقات، إما غير معروفة أو غامضة لعدة أسباب، مثل عدم وجود تمثيلات تصويرية أو مصادر نصية أو مواقع محددة على الموقع.

ج- المنهج النمطي في الدراسات الشرقية (دة. حنان شرف)

يعدّ التصنيف النمطي أساساً نظاماً يسمح بوصف الكائنات وفقاً لمعايير محددة مسبقاً وتحديد العلاقات في ما بينها. استُعيّر مفهوم تصنيف اللقى الأثرية من التصنيف البيولوجي Taxinomie⁵⁵ (Krieger, 1960, p. 143-145; McKern, 1939; Trigger, 1989, p. 106-107; Willey and Sabloff, 1980, p. 106-107; Willey and Sabloff, 1980, p. 188-206 على مفهوم التصنيف البيولوجي. لاحقاً، تحرر علماء الآثار من المعايير الصارمة لهذا النوع من التصنيف وطبقوا المعايير التي أبتدعوها، حسب خصائص المواد الخاصة بهم.

وجهت عدة انتقادات للأسلوب النمطي منها أنه يميل إلى ملاحظة أوجه التشابه وليس الاختلافات (Neff, 1993, p. 9; Tainter, 1988, p. 9). ونقد آخر هو التطبيق المنهجي على أي موضوع قيد الدراسة، أو استخدامه للإجابة على أسئلة لم تُطرح على وجه التحديد (Deetz, 1967, p. 49).

سيطر الجدل الأكاديمي حول المنهج النمطي على علم الآثار في أمريكا الشمالية خلال الأربعينيات والسبعينيات من القرن الماضي (Chang, 1967, p. 44-66; Brew, 1946, p. 227-229; Ford, 1954, p. 42-44; Heizer, 1959, p. 134-140; Hill and Evans, 1972, p. 272-273; Krieger, 1944, p. 233). يعرف أي عالم آثار انخرط في منهج التصنيف أن الخصائص التي تحدد النوع أو النمط، وكذلك الأغراض التي يخدمها التصنيف، هي أفعال معقدة غالباً ما تستند إلى اختيارات شخصية (Adams and Adams, 1991; Franken, 1995; Klejn, 1982; Rice, 1987, p. 274-289; Sinopli, 1991).

⁵⁵ طريقة لتصنيف الكائنات الحية المستخدمة في البداية في علم الأحياء.

(Trigger, 1989, p. 49-56). تكمن جذور الجدل التصنيفي في أمريكا الشمالية على رأيين فلسفيين، النموذجان "التجريبي" *empirique* و "الوضعي" *positiviste* كما عُرِّفاً بوساطة Hill و Evans في العام 1972. بالنسبة إلى النموذج التجريبي، كل اللقى لها معنى جوهري ويعود إلى عالم الآثار اكتشافه (Deetz, 1967; Ford, 1954; Hole and Heizer, 1973, p. 300, 312, 328-329; Rouse, 1960; Steward, 1954; Taylor, 1948). تتمثل إحدى نقاط الضعف في هذا النهج في أنه يقود عالم الآثار إلى عدّ طريقته النمطية، هي الطريقة الوحيدة الصحيحة. ما يبعث على تقديس هذا التصنيف، ما يسهم في تأطير ودمج البيانات الجديدة (Brew, 1946, p. 64 ; Rouse, 1960, p. 317). في المقابل، يدّعي النموذج الوضعي أنّ اللقى ليس لها معنى متأسلاً للاكتشاف، ولكن نسب عالم الآثار لها معنى (Trigger, 1989, p. 383). وهذا يعني أنّ المواد الأثرية يمكن تصنيفها بطرق مختلفة، ولها معانٍ متعددة تختلف باختلاف الأسئلة التي يطرحها عالم الآثار. باختصار، تختلف مشاكل التصنيف التي تنشأ عن هذا التقسيم المعرفي إذا كان نوع القطعة الأثرية يعدّ حقيقياً (Krieger, 1944, p. 278; Spaulding, 1953; Taylor, 1948, p. 130) وبالتالي يعكس أفكار الشخص الذي عرفها وقيمه، أو مصطنعاً (Brew, 1946, 65; Ford, 1954). لأذّه خلقها وفرضها عالم الآثار بشكل تعسفي. وقد أدى النهج الأول إلى تصنيفات شعبية (Birmingham, 1975; Chang, 1967; DeBoer and Lathrap, 1979; Deetz, 1967; Kempston, 1981, p. 3-4; Longacre, 1981). بينما نتجت عن الطريقة الثانية تصنيفات مبتكرة (Brew, 1946; Clarke, 1968, p. 155; Dunnell, 1971a; Dunnell, 1971b; Ford, 1954; Hill and Evans, 1972; Hole and Heizer, 1973, p. 170-171; Kluckhohn, 1960; MacWhite, 1956; Rouse, 1960; Steward, 1954; Whallon, 1972; Whallon, 1982, p. 127). ومن ثمّ، فإنّ إنشاء نظام تصنيف جديد "النوع - المتغير" Type-variety هو في الواقع محاولة للتوسط بين وجهتي النظر السابقتين (Gifford, 1960; Sabloff and Smith, 1969; Wheat, Gifford and Wasley, 1958).

هذا الجدل التصنيفي ليس عبثياً تماماً، ولكنه يتزامن مع اهتمام متزايد بعلم اجتماع الخزف (Arnold, 1985, p. 14-15; Matson, 1974) وتغيير المسار في علم الآثار البريطاني والأمريكي، من التاريخ الثقافي إلى نهج عملي processual (Matson, 1965). من الآن فصاعداً، لن يهتم البحث فقط بتحديد ثقافة ما وتثبيتها في الزمن، بل سيهتم أيضاً شرح

تطورها الثقافي (Binford, 1962; Binford, 1968a; Binford, 1983; Binford, 1989; Renfrew and Bahn, 1991, p. 34-35; Rice, 1984; Willey and Phillips, 1958)

لم يؤثر الجدل التصنيفي على الفور في علم الآثار الكلاسيكي والشرق الأدنى، حتى لو استخدم أداة التصنيف منذ نهاية القرن التاسع عشر مع بيتري Petrie، وهو من أوائل علماء الآثار الذين وعوا أهمية الحاجة إلى تصنيف المواد الناتجة عن الحفريات. بفضل عمله على المواقع المصرية في نقادا Naqada، هو Hu، العبادية Abadiya، وعلى تل الحسي Tell Hesi في فلسطين، تمكن من إنشاء تصنيف أول، "ترتيب بالنظام" arrangement in order كما يسميه، للخزف المصري والفلسطيني حسب قواعد حددها في كتابه "أساليب وأهداف في علم الآثار" (Petrie, 1904) *Methods and Aims in Archaeology*. أجرى بيتري مع دنكان Duncan في وقت لاحق تطويراً لمنهجه مع دراستهم الفخار الفلسطيني المنشور في العام 1930. بعد هذه البدايات، أصبح التصنيف أداة شائعة في التحليل الأثري والتاريخي. بعد ذلك، اقترح ديفر Dever (1992) تطبيق الأساليب النمطية المطورة في القارة الأمريكية (النماذج التجريبية والوضعية) على البحث الأثري في الشرق الأدنى.

مع التقدم العلمي الذي تسارع منذ بداية القرن العشرين. وخاصة مع الاستخدام المتزايد لعلوم الرياضيات التطبيقية في مجالات البحث جميعها تقريباً، بدأ التصنيف في تغيير المسار. الهدف اليوم ليس فقط تصنيف اللقى، وإنما إظهار تطور أنماطها على مر العصور. وبذلك اكتسب المنهج النمطي وظيفة جديدة هي التسلسل seriation الذي وضع أسسه بيتري خلال عمله على مقابر نقادا Naqada. وجاء بعده غاردان Gardin. تُستخدم هذه الطريقة في المقام الأول لتقييم التطور الملموس للنمط خلال الزمن.

د- المنهج في الدراسات الكلاسيكية (أة. دة. مهي المصري)

بدأ الاهتمام بالفن الإغريقي بعد إحياء ثقافة الفن الكلاسيكي خلال عصر النهضة، وإعادة تجديده في الدائرة الأكاديمية لنيكولا بوسان في روما في ثلاثينات القرن العشرين. إذ دحض المؤرخ الألماني يوهان يواخيم فينكلمان في كتابه تاريخ الفن القديم العام 1764 الأصل الإيتروسكرياني لما هو معروف الآن بالفخار اليوناني (Cook, 1997, 283). في ما بعد، أحرزت المحاولات البحثية الجادة تقدماً واضحاً خلال القرن التاسع عشر بدءاً بتأسيس معهد دي كوريسبوندينزا في روما في العام 1828 (الذي سمي لاحقاً المعهد الأثري

الألماني)، ثم قدّم فريدريش ويلهلم إدوارد جيرهارد دراسته المبتكرة، إذ صور المزهريات اليونانية المختارة من مجلة الجريدة الأثرية في العام 1843.

وأخيراً، كان فهرس مجموعة من المزهريات، لمؤلفه أوتو يان العام 1854 في ميونيخ، المعيار للوصف العلمي للفخار اليوناني وخاصة للأواني المرسومة *Figures noires, Figures rouges*. ركزت بعض الأعمال على محترفات كورنث *Corinthe* من القرن السابع إلى القرن السادس. اعتمدت دراسة أوتو يان مرجعاً أساسياً لتاريخ الفخار اليوناني وتسلسله الزمني لسنوات عديدة. اشترك المؤرخ جيرهارد في تصنيف أسلوب الشكل الأحمر تحت تاريخ متأخر عما كان عليه في الواقع. صُحح هذا الخطأ بعد التنقيب عن الأكروبول في العام 1885 واكتشاف ما يسمى «الحطام الفارسي» لأواني الشكل الأحمر التي دمرتها الإمبراطورية الأخمينية في العام 480 قبل الميلاد. بعد أن كان القرن التاسع عشر زمن الاكتشافات اليونانية ووضع المبادئ الأولى، جاء القرن العشرون وكان قرن الاندماج والصناعات الفكرية. بدأت الجهود تبذل لتسجيل المجموعات العامة من المزهريات ونشرها تحت إدارة إدموند بوتير وأرشيف بيزلي لجون بيزلي. درس بيزلي وآخرون البقايا الأثرية من الفخار اليوناني ضمن مجموعات، ونسبوا العديد من القطع الفنية لفنانين فرديين. وقد سمى العلماء هذه البقايا الأثرية «الأجزاء المبعثرة» وتمكنوا من تصنيفها في مجموعات مختلفة تنتمي إلى نفس الإناء. استمر الأمر حتى العام 1837 مع أوتو ماغنوس فون ستاكلبرغ في كتابه قبور الهيلينيين، الذي أنهى الخلاف بشكل قاطع. استحدث تصنيف خاص للأواني اليونانية يعتمد بشكل أساسي على استخدام الآنية (Aaron, 1997, p. 4,10).

كان أول ذكر لأواني خشنة غير مطلية من مرحلة *protogéométrique* في ميسان سنة 1893، (Brüncker et al. 1893) واصطلح على هذا النوع الفخار المنزلي *Céramique domestique* سنة 1933 في تنقيبات أثينا. وفي سنة 1952 كان هناك إشارة لنوع سمي الفخار الخشن *Coarse Ware*.

في العصور القديمة اليونانية والرومانية، كانت الأدوات المعدنية المصنوعة يدوياً من الحديد والبرونز المستخدمة في الأسلحة والسفن والزخرفة التي لها معنى رمزي، تعدّ سلعاً مشهورة ورمزاً للثروة. ما دفع هذه الشعوب إلى إنتاج الأدوات الفخارية ذات اللون الأسود اللامع ومنها *bucchero*، إذ تعود قيمتها الجمالية إلى اللون الأسود اللامع لأسطحها.

أنتج "bucchero" في Etruria و Latium و Campania منذ منتصف القرن السابع قبل الميلاد، ولاحقًا، فرضت الأواني الأتيكية ذات اللمعان الأسود نفسها (BGW)، وهي خزف قديم يستخدم كأواني للمائدة، منذ نهاية القرن الخامس قبل الميلاد، في أسواق البحر الأبيض المتوسط لاستبدال الأدوات المعدنية، في أعقاب أزمة تصنيع المعادن خاصة في جزيرة إلبا، على ساحل فيتولونيا وكورسيكا من القرن الرابع إلى القرن الأول قبل الميلاد. الخزف الأتيكي الأسود اللامع أُنتج لأول مرة في اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد. الفخار الكامباني هو الإنتاج الإيطالي النموذجي، الذي يقلد الفخار الأتيكي. بناءً على السمات المورفولوجية، ميّزت إلى "كامبانيان أ" وهو خزف أحمر الطلاء، "كامبانيان ب" خزف ذو طلاء بني فاتح أو مصفر و"كامبانيان س" مع عجينة مائلة إلى الرمادي.

تطورت دراسة الفخار المشترك Céramique commune في أماكن مختلفة جغرافياً (Dedet et al, 1975 ; Hochstetter, 1984). حتى ظهور دراسة ل Karl Reber سنة 1980 وقد فصلت الناحية الجمالية عن الدراسة النمطية والإحصائية.

هـ- المنهج النمطي في الدراسات الكلاسيكية (أة. دة. مهي المصري)

يعتمد المنهج النمطي كنظام تصنيف لتحديد تأريخ جميع المصنوعات اليدوية المتعارف عليها. استخدم هذا المنهج في علم الآثار بشكل شائع يتناسب مع المادة المدروسة، ما يسمح بدمجه مع الدور الوظيفي. يُعد التصنيف طريقة أساسية لدراسة الخزف القديم: فهو يجعل من الممكن تنظيم مجموعة، لتحديد المنتجات وتأثيراتها ويؤدي إلى اقتراح التواريخ. يأخذ التحليل النمطي، في الحسبان الخصائص المورفولوجية للأواني. من خلال مراقبة شكلها وسمكها ولونها، من الممكن ربطها بمخزون معروف (تصنيف حسب النوع)، حتى عندما تبقى كسر قليلة فقط (الحافة أو الخلفية). ويعتمد معه الفحص البصري والمجهري للعجين وسطح القطع. كدلالة على أماكن الإنتاج وأماكن استخلاص الطين، وكذلك الشوائب التي تحتوي عليها الشظايا (قشر البيض، الرمل، العناصر العضوية، إلخ). بالإضافة إلى هذه المناهج، هناك تقنية الشيء المستخدمة (الشيء المختزل أو المؤكسد). بناءً على كل هذه العناصر، من الممكن تحديد محترفات تصنيع أو على الأقل منطقة إنتاج جغرافية.

الفخار الآتيكي

لا يوجد منهج نمطي معتمد للفخار الآتيكي، وإنما ظهرت بعض الدراسات التأسيسية للفخار الآتيكي سنة 1950 مع نينو لامبوغليا Nino Lamboglia في كتابه *Classificazione preliminare della ceramica campana* من دون أن يحدد هذا النوع من الفخار. ولكنه أطلق عليه مصطلح "precampanian" متبعاً مقارنة بين الأواني الغربية من أثينا Athènes وأولنت Olynthe من دون أن يضعهم ضمن التصنيف نفسه. عاداً أنه مرحلة إنتقالية ما بين الفخار الآتيكي المزخرف والكومباني من دون زخارف. مع A. Shepard من خلال كتابها المنشور سنة 1956: الفخار لعلماء الآثار Archeologist Ceramics for the يشكل مثلاً علمياً يتناول الجوانب المادية والنمطية للفخار بأسلوب منهجي، بهدف الحصول على رمز لكل آنية قابلة للاستخدام في التصنيف التقني. إذ يجب أن يتوافق وصف كل قطعة خزفية معها. هذا المنهج اعتمد في دراسة الفخار اليوناني الكلاسيكي، مع الأخذ بالحسبان تقنيات التصنيع والزخارف التصويرية.

اتبع بعض العلماء الأسباب رأي لامبوغليا سنة 1970 أمثال كويدرادو Emeterio Cuadrado. في حين اعتمد سباركس Brian A. Sparkes، دراسة نمطية للفخار الآتيكي لاسيما السرج، وكذلك دراسة سيردا Damián Cerdá سنة 1987 من خلال مرجع جان بوردمان Early Greek Vase Painting, 11th-6th C. BC : a handbook John Boardman سنة 1998 المتعارف به، في دراسة الفخار اليوناني المرسوم انطلقت الدراسات فخار العصر الكلاسيكي. ومن ثم كل من المراجع عن الفخار الآتيكي Les vases athéniens à figures noires (1996), Les vases athéniens à figures rouges. La période archaïque و Les vases athéniens à figures rouges. La période classique سنة 2000، اقترح دراسة مفصلة مع صور للأواني اليونانية محدداً الأساليب المستخدمة قبل الهندسية، الهندسية والشرقية، موضحاً التأثيرات الاتروسكية والشرقية. ومن بعدها أتى مرجع أ. كوليه A. Coulié، (Études thasiennes, XIX), La céramique thasienne à figures noires سنة 2002 إذ أظهر التأثيرات الشرقية والأساليب البيوتية béotien موضحاً تقنيات التصنيع والوظيفة للأواني.

الجرار

ظهرت بدايات هذا المنهج في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، عندما عمد عالم الآثار الألماني دريسل Dressel إلى إدخال عنصراً أساسياً في علم الخزف: التصنيف. طبق التصنيف الخاص به على الجرار amphores المكتشفة في حفريات مونتي تيستاشيو Monte Testaccio في روما العام 1872 (Dressel, 1891).

الفخار المختوم

واصل عالم الآثار الألماني دراغندورف Dragendorff هذا التصنيف في العام 1895 من خلال دراسة الفخار المختوم Terres sigillées الإيطالي المصدر -وهذا المصطلح ما زال يطلق على هذا النوع من الفخار من عدة علماء- (Dragendorff, 1895). واقترح هذان الباحثان تأريخ الفخار معتمدين على التطورات المورفولوجية (الشكل) لكل نمط محدد. وبذلك أعدوا دراسات عن الفخار محددة التاريخ. في العام 1904 بدأ Déchelette منهج عمل جديد من خلال النظر في مصدر الأواني المزخرفة المكتشفة في بلاد الغال الرومانية (Déchelette, 1904). محاولاً تصنيف الأواني حسب محترفات الخزافين في جنوب ووسط بلاد الغال.

في ما يخص الفخار المختوم من بلاد الغال نشر F. Oswald et T.-D. Price حول التصنيف النمطي وحول الاستخدام (Oswald, 1931). معتمدين على جمع بين العديد من التصنيفات الجزئية، التي طوّرت خلال الأعمال القديمة (Dragendorff, 1895 ; Ritterling, 1904 ; Déchelette, 1919 ; Knorr) كما حول مراكز الانتشار (Curle, 1911 ؛ Ritterling, 1913). وخلافاً للاعتقاد الشائع، فإن المعرفة الأساسية للخزف جالو-روماني المقولب لا يعود تاريخه إلى نهاية القرن التاسع عشر، أو بداية القرن العشرين مع منشورات ه. دراغيندورف وجي ديشليت. فمنذ القرن السادس عشر، تُعرَف عليها على أنها تعود إلى العصر الروماني مع Claude-Madeleine Grivaud de la Vincelle سنة 1807 و Arcisse de Caumont سنة 1823 تبعهم Bouillet بتسمية الفخار الأحمر اللامع ب samienne. وكانت التنقيبات في ثكنات العسكر في limes على نهر الرين، مؤسسة لعلم الخزف في فرنسا. وفي العام 1909 درس S. Loeschcke الخزفيات المكتشفة في معسكر Haltern هالترن

الروماني في ألمانيا (Loeschcke, 1909). وهو أول من عالج جميع المواد الخزفية المكتشفة، وقد قام بتصنيف هذه المجموعة حسب المعايير المورفولوجية. يمكننا أيضاً الاستشهاد بـ J. Curle الذي درس خزفيات من مخيمات نيوستيد Newstead العام 1911 أو دراسات ريتزلنج E. Ritterling العام 1913 في مخيمات هوفهايم (Curle 1911 و Ritterling 1913). على مرّ العقود، ازداد الاهتمام بعلم الخزف فقط كما هو واضح من خلال إنشاء⁵⁶ GECAG (مجموعة دراسة الخزف القديم في بلاد الغال) في العام 1962 م.

شيئاً فشيئاً، تطورت دراسة الخزف إلى آفاق مختلفة عن التأريخ. فبدأ الاهتمام بشكل خاص بالمحترفات التي أنشأها الخزافون. تعددت التصنيفات النمطية أكثر وأدخلت المعايير التقنية والشكلية ضمن الدراسات. كما سمح تطور التقنيات الجديدة بإحراز تقدم كبير في الدراسة الخزفية، وقد أدخل موريس بيكون Maurice Picon باحث في الفيزياء والكيمياء والجيولوجيا مناهج علم الآثار التقني الفرنسي في دراسة الفخار. أتاحت هذه الأساليب الجديدة بشكل خاص طرح الأسئلة بدقة أكبر حول مصدر الفخار المكتشف. في الواقع، يسمح التركيب الكيميائي للطين بالتعرف على الرواسب الطينية القريبة التي تزود المحترفات. على نقيض ليون Lyon، فإنّ الأبحاث حول إنتاج السيراميك في فيينا Vienne في فرنسا بدأ متأخراً جداً (Desbat and Laroche 1990/1992, p. 82). إنّ اكتشاف محترف للفخار الاستخدام اليومي céramiques communes شمال موقع Saint-Romain-en-Gal الأثري مهد الطريق لعلم الخزف في فيينا (Canal and Tournenc, 1979). واستكملت الدراسات النمطية للفخار اليوناني والروماني بأصنافه وأنواعه كافة، مع جون هايز John Hayes وويليام بيكوك William Peacock وبول رينولدز Paul Reynolds. وكذلك في ما يخص المرحلة المتأخرة (العصر البيزنطي والمسيحي)، بدأت الدراسات الأولى مع واغي Waagé و لومبوغليا Lamboglia و غورفيست Gourvest الذي لم تنل دراسته شهرة واسعة، وتناولت فخار هذه المرحلة منذ القرن السادس والقرن السابع م. تطورت الدراسات في أواخر القرن العشرين مع جون هايز، وكان تأثير دراساته ليس فقط على العالم الإنكليزي، وإنما في المحيط الأوروبي والمتوسط. ففي سنة 1972 نشر كتابه Late Roman Pottery محدداً نوع فخار المائدة وتطوره النمطي، والتأريخي ولاسيما

⁵⁶ أصبحت في العام 1973 SFECAG (Société Française d'Étude de la Céramique Antique en Gaule)

الفخار المختوم الإفريقي والذي سيطر على أسواق البحر المتوسط خلال القرن الخامس م. كما أوضحت دراسات جون هايز وج. ريلي Riley من خلال حفريات القيصرية في فلسطين وسيدي خرييش قي تريبوليتان وقرطاجة ما بين سنة 1975 و1985 تصنيف نمطي للجرار البيزنطية والمتأخرة. ولا ننسى الدراسات التي أغنت هذه المرحلة مثل دراسات كل من روبنسون Robinson ورومنكوك Romancuk وسكوربان Scorpan وكي Keay و أومبرور Empereur J.Y و M. Picon و روتمان M. Rautmann و بييري D. Pieri وغيرهم من العلماء (Démians d'Archimbaud, 1999, p.525-527).

فخار العصور الوسطى

بدأت الدراسات حول فخار العصور الوسطى من ناحية الزخرفة، وليس التأريخ إذ صنّفه حسب تقنية الخزاف، وحدد إحدى عشرة عملية زخرفية (Franchet, 1911, p. 72, 78-):

- التنعيم، باستخدام أداة خشبية أو عظمية، أو قطعة قماش.
- الصقل باليد أو بالجل.
- التلوين الاصطناعي للعجينة بالتدخين أو بخلطها مع الفحم المسحوق.
- النقش البارز أو تطبيق زخارف مقولبة أو مصبوبة.
- التحزيزات الغائرة.
- التطعيم بأدوات معدنية أو غيرها.
- التلوين باستخدام الأتربة الملونة أو الألوان النباتية أو الأكسيد المعدني.
- الطلاء مع الطين الناعم المخفف.
- استخدام الورنيش.
- المينا، باستخدام السيليكات المصحوبة بأكسيد قاتم.
- التزجيج باستخدام سيليكات شفافة.

وصنّفه غونزالس Manuel Gonzalez Marti (1944, p.63-64) في دراسته لفخار مدينة الزهراء في اسبانيا كالآتي:

- خزف البسكوت مع زخارف محززة أو بارزة.
- خزف مزخرف بالمنغنيز.
- خزف مطلي.

- خزف مطلي بفرنيش الرصاص.
- خزف esgrafiada، أي مع زخرفة منقوشة على خلفية مرسومة.
- سيراميك كويردا سيكا cuerda seca، مع رسم خط المنغنيز وملء الخطوط باستخدام ورنيش أخضر سميكة.
- سيراميك مع طلاء أبيض، مزخرف باللون الأخضر والبني ومغطى بورنيش الرصاص.
- خزف بطلاء القصدير "بدائي" rudimentaire.
- خزف "رخامي" jaspée مقلد الرخام واليشب.

وبالتالي هذان التصنيفان لا يساعدان في تحديد تأريخ دقيق للفخار.

III. ثالثاً: الاتجاهات الحديثة في الدراسات الفخارية

يهتم الآثاريون في هذه الدراسة على توضيح جانبين مهمين؛ أولهما إظهار أسباب التنوع في الفخار، وتحديد لها، وثانيهما يركز على معرفة التقنية ومدلولاتها الثقافية-الاجتماعية. ويمكن إدراجه في ثلاثة جوانب منفصلة عن بعضها: التقنية والوظيفة والتصميم. فالتقنية يمكن دراستها من خلال تحديد طبيعة المادة الخام ومراحل الإنتاج، وهي نتيجة المحيط البيئي الذي يفرض الطريقة المستخدمة، أما الوظيفة فيرتبط باستخدام الفخار، والتصميم والزخرفة له دور رمزي وتأريخي للطبقات الأثرية والانتشار الجغرافي. وإن دراسة الزخارف تؤدي إلى نتائج تتعلق بالنظم الاجتماعية أو الفكرية وحتى التي تتعلق بالجانب السياسي (Conkey and Hastorf, 1990).

1. الدراسات الاثنوآركيولوجية

في الستينيات من القرن العشرين، ركز علم الآثار على الجوانب السلوكية من خلال دراسة المادة الثقافية (Gould, 1974; Kramer, 1979; Kleindiest and Watson, 1956; David and Kramer, 2001). والهدف من هذا النوع الذي أطلق عليه اسم الدراسات الاثنوآركيولوجية Ethnoarchaeology محاولة تفسير الماضي من خلال إيجاد أوجه الشبه والاختلاف مع الحاضر (Stiles, 1977 ; Binford, 1968b ; Kramer, 1979). أسهم هذا النوع من الدراسات على إبراز التنوع السلوكي المتعلقة بإنتاج الأواني الفخارية وحجم

الإنتاج وطبيعة المحتوى المرتبط به والتنوع الزخرفي المنفذ على الأواني الفخارية والتنظيم الاجتماعي (Hodder, 1979).

IV. رابعاً: المادية وقياس الآثار (Archaeometry) والطرق التحليلية (دة مي حيدر)

يشتمل علم الأركيوميتري على مجموعة من التقنيات التحليلية المطبقة في دراسة الثقافة المادية التي تهدف إلى الحصول على معلومات كمية وتقنية. من خلال هذه التقنيات يمكننا الحصول على بيانات تزودنا بمعلومات تتعلق بتقنية صناعة الفخاريات في المجتمعات القديمة التي تمكّنا التعرف إلى تقنيات المجتمعات القديمة في إنتاج الفخاريات وإستخدامها والحفاظ عليها وتخزينها وتبادلها. وبالتالي، فإن التقنيات الفخارية التي توصلنا إليها من خلال استخدام التقنيات الأركيو-مترية، تسمح لنا بالحصول على مجموعة من البيانات القويّة، التي من خلالها يمكن لنا الوصول إلى تفسيرات مختلفة حول المجتمع الذي صنع أو استخدم الفخاريات.

الدراسات التي ركزت على الفخاريات الأثرية، قد أغنت بوساطة تطبيق تحاليل كيميائية ومعدنية. هذا التحسن قد سمح لنا بتجاوز المقاييس التحليلية المستنتجة بواسطة التقنيات الأقل تعقيداً أو بواسطة الدراسات التصنيفية للفخاريات. ولهذا إنّ استخدام التقنيات الأركيومترية سمح لنا برفع البيانات المتاحة المتعلقة في المجتمعات القديمة (Falabella et al., 2013, p.44).

عملياً إنّ الأركيوميتري تعتمد تقنيات تحليلية تمكّن من الحصول على كم كبير من المعلومات من كل عينة مفحوصة. الحجم الهائل من المعلومات المقدمة تجعل من الممكن التعامل مع ظواهر مختلفة في ثقافة مادية ما. إنّ تحاليل الأركيوميتري تركز بشكل أساسي على تحديد التركيب الصخري والمعدني والكيميائي للأواني الفخارية. وبهذا المعنى التحاليل التركيبية التي من الممكن أن تمارس، والتقنيات والطرق المتعددة تتسم بأهمية كبيرة في تحديد خواص اللقى الفخارية (Rice, 2015, p.291).

من أجل معلومات مفصلة حول التقنيات التحليلية التي ترافق التحاليل التركيبية المختلفة وتأسيسها العلمي والتقني راجع:

(Cuomo Di Caprio, 1985; Orton *et al.*, 1993; Rice, 1987; Sheppard, 1971; Velde and Druc, 1999 Banning, 2005; Esparza and Cárdenas, 2005; Hurcombe, 2007; Sutton and Arkush, 2002).

1. طرق التحاليل

التحاليل المجهرية للفخاريات هي أساسية في أي دراسة أثرية، ومن غير الممكن الاستغناء عنها في دراسة العديد من جوانب الفخاريات كتقنية التصميم، الشكل، معالجة السطح الخارجي، عملية الشبي، أنماط الزخرفة. إن تطبيق التحاليل المجهرية والتحاليل التركيبية هما مهمان في الخوض عن قرب في التقنية ودراسة العجينة ومكوناتها، (Cuomo Di Caprio, 1985 p.155) هذه التحاليل تسمح بتصنيف إضافي للأواني الفخارية، التي من الممكن أن تتعلق بتقنيات وأنماط توزع مختلفة. علاوة على ذلك سيتعامل مع التحاليل التركيبية والصخرية والمعدنية والكيميائية الدقيقة. تحاليل كهذه هي مستخدمة على نطاق واسع في توصيف تركيبة الفخاريات في عدة مراحل. بالتالي إن منافع استخدام واحدة من هذه التحاليل في دراسة أصل المواد الخام، تحضير العجينة، تقنيات التشكيل، معالجة السطح الخارجي، عملية الشبي أو تناوب المكونات ستكون موضحة (Rice, 2015, p.377).

أ- تحاليل التركيب

العناصر المنيرالية وقطع الصخور الموجودة في الطين تتوافر من خلال العديد من العوامل الناقلة، ومتركة في العديد من الترسبات، وهي متعرضة لدورات تآكل مختلفة. الترسبات والتآكل بفعل المياه الجارية وبالإضافة إلى عوامل تآكل أخرى تحدد التغير في بنية وحجم حبيبات الرواسب المستخدمة في العجينة المستخدمة في صناعة الفخاريات. بهذه الطريقة كل من رواسب العجينة الطينية له سمات محددة، لحجم الحبيبات التي تميزه عن العجينات الأخرى (Rice, 2015, p.291).

هذه الدورة التّربّئية تحدّد في ما بعد النسبة التّقريبية للعناصر المركّبة لبنية العجينة الطينية. إنّ تحديد مقاسات المقاييس التّركيبية قد أصبح من قواعد تحديد سمات الطين الخام والفخاريات الأثرية. لذلك إنّّه من المعتاد إجراء دراسة قياسية للحبيبات، من أجل تحديد العديد من الإجراءات البشريّة الممارسة على الطين كتحضير العجينة واستخدام الأدوات (Rice, 2015, p.292).

كان هناك تطور مهم بطرق الدّراسة منذ العام 1980 يتعلق بالبروتوكولات المستخدمة في التّحليل التّركيبية. حتى مقدّمة استخدام تحاليل الصور تركيبات الفخاريات كانت مدروسة باتّباع نوعين من الإجراءات. من خلال جدول مقارنة كميّة مطور من خلال الدّراسات الرّسويّة (e.g., Barraclough, 1992; Matthew *et al.*, 1991; Tucker, 1991). من جهة، وعن طريق الأساليب شبه الكمية التي تتبع عملية شاقة من القياسات اليدوية لحجم الجسيمات، التي أجريت على عدد معين من الحبوب الموجودة في كل قطاع فخاري من جهة أخرى. إنّ تمييز الرواسب بواسطة حجم الجسيمات، يقدم معلومات مهمة حول البيئة التي كانت متموضعة فيها تلك الرواسب ودرجات تناوبها (Hein *et al.*, 2004a).

يمكن أن يكون تقدير توزيعات حجم الحبوب "أحادية النّسق" أو "ثنائية النّسق" داخل الجزء الخشن أمراً حاسماً لتحديد وجود عناصر مضافة في العجينة (Velde, 2005). قد يكون توزيع حجم الجزيئات للصخر أو المعدن المسحوق أيضاً "متعدد الأشكال" أو "نسيج متسلسل". إنّ تحاليل لمقاييس التّركيبات تسمح بتوصيف قياس الحبيبات للنسيج الفخاري، وكما تساهم في تأسيس اختلاف التركيبات ما بين الفخاريات، التي تعرض تركيب معدني مشابه. بالتالي إنّ التنوع في حجم الجزيئات، شكلها وحجم العناصر غير البلاستيكية المضافة يمكن أن تساعد في تجمع العينات، وتؤسس بعض السمات التّقنية للأواني الفخارية متعلقة بأصول قريبة من بعضها، أو أنها كانت منتجة باستخدام تقنيات ومواد متشابهة. بناء على ذلك إنّّه من المتوقع من التّحليل التّركيبية أن تكون فعالة بحالة تّوجد العديد من العجائن بمكونات مختلفة (Betts, 1982; Darvill and Timby, 1982; Gibson and Woods, 1990; Middleton *et al.*, 1985; Tucker, 1991; Velde and Druc, 1999).

ب- التحاليل المعدنية Mineralogy

تحديد نوع معين من معادن الطين، أو المعدنية المشكلة للسلسلة تتطلب بشكل عام أدوات أكثر تعقيداً، ونطاق أضيق من الشروط من أجل عمل تحديد دقيق من هذا النوع. التقنيات المستخدمة في الدراسات الفخارية من أجل تحديد المعادن اعتمدت في الحقبة الأخيرة على تحديد الخصائص من خلال نواتها الكريستالية أو البنية الشبكية. من أكثر أنواع التقنيات انتشاراً تعتمد على الخصائص البصرية للمعادن كما يعرض المسح المجهرى، أو من خلال نشاطها عند تسليط أشعة السينية (X-rays) (Rice 2015, p.292).

التحاليل البتروغرافية: (Petrography) للمقاطع (Thin-section) الفخارية الرقيقة

التحاليل المعدنية البصرية، أو بتروغرافية الفخاريات هي دراسة مكونات وبنية الصخور والمعادن. البتروغرافي هي مستخدمة بشكل أساسي من أجل الفخاريات لتحديد التداخلات كجسيمات المعادن، أو قطع الصخور التي يمكن أن يتسم بها أحد المصادر المعنية (Rice, 2015, p.291).

تحاليل البتروغرافية أصبحت من الممارسات الأساسية، في دراسة الفخاريات من أجل تحديد أصلها وفي بعض الأحيان تحديد المراكز التي كانت منتجة بداخلها. التحاليل البتروغرافية أصبحت أساسية في تحديد تحركات البضائع التجارية بواسطة تحليل الحاويات، التي نُقل بها وُحِّدَت أصولها. هذا النوع من تحاليل الحاويات كان وما زال مستخدم لتجديد اتصالات التجارة ما بين فينيقيا، والمناطق المختلفة في بلاد الشام وما بين المدن الكنعانية / الفينيقية والشرق المتوسط (Shmitt et al, 2018, p.74).

هذه الحاويات بأغلبيتها قد نقلت الأمفورات، التي تناسب النقل البحري وأيضاً النقل البري. وعلى أية حال حاويات أصغر حجماً حملت قطع أكثر قيمة يمكن أن تكون كمقياس بالتعرف على الاتصالات التجارية.

- البتروغرافي تتطلب معرفة جيدة في الجيولوجيا للمناطق المدروسة وسماتها من أجل تحديد الأصل الدقيق للطين المستخدم صناعة الأواني الفخارية.

- إن جيولوجية الساحل السوري الفلسطيني تحتوي على واحدة من العجائن الطينية المستخدمة في مواقع الساحل، وهي مكونة من الرمل الذي كان مستخدماً كعنصر داخلي.
- تختلف مرفولوجية تكوين جسيمات الرمال في كل قطاع من سواحل غزة وأوغاريت فتسمح بتحديد المصدر المنتج.
- هذا بشكل أساسي يعتمد على الحجم والنسبة المئوية لجسيمات الكوارتز في تركيب الطين.
- بوساطة الدمج ما بين البيانات المسترجعة من تكوينات الرمال وأنواع الطين، إنه بالأمكان تقسيم ساحل بلاد الشام إلى أماكن كل واحدة تمثل تكويناً مختلفاً للرمل والتراب.
- إن أهمية الدراسة البتروغرافية في دراسات التجارة والاقتصاد الفينيقي بشكل عام كان الدافع الأساسي للعديد من الدراسات الحديثة.
- Bettles (2003) كانت من أوائل الباحثين المختصين في دراسة الأمفورات (amphores) من الحقبة الفارسية، التي تُعدّ الأمفورات الأكثر استخداماً في النقل البحري من أجل تحديد أصلها وتوزعها وتقنيات إنتاجها.
- من الدراسات الأخرى التي تهدف إلى تحديد امتداد التبادلات الفينيقية وبشكل رئيسي البحرية منها، في داخل الحدود الفينيقية وما بعدها اعتمدت بشكل رئيسي على تصور المعادن، قد برهنت عكس الرأي الشائع حول أن سواحل لبنان الجنوبية، لم تكن المنطقة الوحيدة التي أُنتجت الفخاريات الفينيقية، ولكن مناطق أخرى في سهل عكار وسواحل الكرمل، كانت أيضاً مناطق لإنتاج هذا النوع من الأواني الفخارية الفينيقية المصدرة إلى شرق البحر المتوسط.
- التحاليل البتروغرافية للأواني التي وجدت في قبرص وفي كريت قد حددت أصلها المناطق، وكما حددت أيضاً مراكز إنتاجها.
- بما يتعلق بالأواني الفخارية البيكروم (bicrome) في قبرص على سبيل المثال، قد تحدّدت منطقتان من مناطق أصلها، صور وصيدا مع مركز إنتاج محتمل في صور، وساحل الكرمل مع مركز إنتاج في دور في فلسطين.

- التحاليل البتروغرافية لم تقدم معلومات عن أصل الأواني الفخارية المستوردة إلى قبرص بل، وصحت تمييز عشر عينات كانت عادة من الفخاريات الفينيقية وبرهن على أنها منتجة محلياً.
 - التحاليل البتروغرافية أداة لتمييز المستورد من التقليد المحلي للأواني.
 - دراسة حديثة قد أخذت بالحسبان الأمفورات ذات الكتف المنتفخ المكتشفة في تل بورك، إذ كان من الممكن متابعة تطورها لحوالي 400 سنة منذ عصر الحديد المتأخر الثاني إلى نهاية العصر الفارسي، في الحقبة التي ازدهار تل البورك.
 - الأمفورات هو النوع الأكثر انتشاراً في مجال النقل البحري في فينيقيا خلال هذه الحقبات.
 - قد اعتمدت الدراسة على نهج معين بمداخلة التحاليل المورفوميترك مع التحاليل البتروغرافية، الجيوكيميائية مع تحاليل البقايا العضوية.
 - عرضت الدراسة أنّ شكل الأمفورات لم يتغير بشكل جذري على مدار السنين: أنجبت بشكل واسع، ووحدت أشكالها ما دل على تقنية مركزية في إنتاجها.
- التحاليل البتروغرافية هي الطريقة الرئيسة في تحديد المعادن في الفخاريات الأثرية. المعادن تميز من خلال خواصها الشكلية، خواصها الملاحظة في التحاليل البتروغرافية أو المجهرية عند مرور الضوء من خلالها. سلوك الضوء المعين المعدل بواسطة العديد من العدسات المجهرية هو القاعدة في تمييز المعادن (Kerr, 1959). المقاطع الرقيقة (lames minces) للمواد الفخارية، هي كسرة مأخوذة من كسرة فخارية مشربة بالإبوكسي بثخانة 3 مم ومثبتة على قطعة زجاج معظم المقاطع الرقيقة هي مقاطع عرضية لجدران الوعاء متوازية مع محوره الرئيسي. المقاطع الرقيقة تسمح بتحديد نوع المعادن الموجودة وقياس حبيباتها، شكلها، تصنيفها ونسبتها المئوية في العجينة، إنحراف وانتشار هذه التوزيعات (Stoltman, 1989, 2001 : Quinn, 2013). هي تسمح أيضاً بتحليل ترافق المعادن واتجاهاتها، معاملة السطح الخارجي والتناوب ما بين الشّي أو عوامل ما بعد الترسيب كإعادة التبلور أو التكون (Stoltman, 2001, p.323).

X-RAY Diffraction (XRD)

إنّ تحاليل X-Ray diffraction هي طريقة في تحديد المعادن من خلال هيكلها الكريستالي عبر معادلة براج $n\lambda = 2d \sin \theta$ عند تسليط أشعة X-rays على العينة الخريطة الذرية d للمكونات المعدنية تعكس الموجات على طول جهة معينة أو زاوية تُجمع بواسطة الكاشف. هذه الطريقة تحتاج حوالي 20 غرام من العينة المطحونة. هذه الطريقة هي نصف كمية ولا تقدم معلومات في ما إذا المعادن التي نبحث عنها، هي موجودة بشكل طبيعي في الطين أو أُضيفت في ما بعد، أو حول حجمها، شكلها وتناوبها (Rice, 1987). وهي تمتلك احتمالية عالية لتمييز مكونات معادن الطين (Rice, 2015: p.297).

ج- التحاليل الكيميائية (دة. مي حيدر)

- تحدد التحاليل الكيميائية العناصر في الفخاريات التي تتركز في تركيب المعادن. هذه العناصر تُناقش كمكونات رئيسة وثنائية وتعقبية وتعقبية جداً. الرئيسة توجد بنسبة 2% أو أكثر، الثانوية 0.1% أو 2% التعقبية والتعقبية جداً تُوجد بشكل ضئيل بأقل من 0.1% لأن العناصر التعقبية تتسم بها بشكل خاص الطين الفردي ومنتجات الطين، مشار لها بالعادة كطبعة الأصبع (Neff, 1993).
 - أغلب التحاليل الكيميائية مبنية على electromagnetic spectrum للطاقة المشعة. عندما نسلط الطاقة على العينة بواسطة التسخين أو بواسطة تسليط أشعة X-rays الذرات العناصر المكونة تتفاعل بطريقة معروفة.
 - تحاليل البقايا العضوية قدمت دلائل على وجود أحماض دهنية، من المحتمل أنّها تكون قادمة من المزروعات كزيت الزيتون.
- عينة واحدة فقط قدمت دلائل على النبيذ. هذه النتائج تحظى بأهمية كبيرة من أجل فهم الاقتصاد الفينيقي، وتدل على عكس الرأي الشائع أنّ الزراعة أدت دوراً مهماً في الاقتصاد في البلد الأم (Rice, 2015, p.298).

X-Ray Fluorescence Spectroscopy (XRF)

في تحاليل ال XRF يتم تسليط أشعة XRF من أنوب XRF أو من مصادر مشعة على القطعة الفخارية محيدين بعض الالكترونات في مستوى الطاقة المداري الذري. يمكن لتحاليل XRF أن تستخدم للحري حول 80 نوع من العناصر الكيميائية الموجودة بكميات رئيسة وثنائية وتعقبية. الطريقة تحلل السطح الخارجي وتستخدم من أجل توصيف طلاء سطح الفخار، كمزجج أو أملس أو ملون، حديثاً XRF هو أكثر استخداماً في حقول البحث جميعها مع توافر الأجهزة النقالة (Rice, 2015, p.302).

Neutral Activation Analysis (NAA)

هي نوع من تحاليل العناصر التي تتطلب مصادر من النوترونات. العينات المحللة مشعة بواسطة شعاع نوتروني (كمفاعل نووي على سبيل المثال). عند التقاط النوترون تُنتج الأشعة النووية: عند تحليلها تصدر إشعاعات أخرى مختلفة ما بينها كل واحدة منها يميز نوع من أنواع النوات وبالتالي العناصر الموجودة في العينة. قياس الطاقة وكثافة الإشعاعات تسمح لنا بتحديد كمية التمرکز لمختلف النويدات. NAA مستخدمة في لتحديد تركيز العناصر الرئيسية الثانوية والتتبعية في مختلف العينات. قد طبقت على اللقى الأثرية منذ العام 1960 وكانت تقنية مهمة في دراسات المنشأ. كم كبير من نتائج ال NAA المأخوذة من الفخاريات القديمة مخزنة في بيانات تحليلية متاحة للباحثين. الآن أصبح من الممكن تبادل العينات القياسية بين المختبرات ومقارنة البيانات التحليلية من العديد من المختبرات (Rice, 2015, p.299).

2. التحاليل الهيكلية والميكروهيكلية Microstructural (دة. حنان شرف)

أ. مجهر المسح الإلكتروني (SEM) و Micropobe الإلكتروني

تنتج أنواع مختلفة من المجاهر الالكترونية صوراً لسطح وعاء فخاري. الأكثر شيوعاً هو مجهر المسح الإلكتروني (SEM) لأنه يوفر عمقاً كبيراً للمجال. ينتج صوراً ثلاثية الأبعاد لتضاريس السطح عن طريق مسح سطح وعاء خزفي بحزمة إشعاعية مركزة من الالكترونات. يحتوي SEM على نطاق واسع من نطاق التكبير يصل إلى 500000 مرة من

حجم العينة (Rice, 1987, p.401-402). يستخدم بشكل أكثر شيوعاً في تحليل التلوين والدهانات في دراسات الفخار (Tite, Freestone, Meeks and Bimson, 1981). يجمع Electron Micropobe بين تقنيات SEM و XRF مما يسمح بتعدد استخدامات أعلى في تحليلات الفخار (Rice, 1987, p.402-403). ومع ذلك، فهو مدمر لأنه يجب استخراج عينة كبيرة من الإناء الفخاري للتحليل.

ب-التصوير بالأشعة السينية X-Ray radiography والتصوير الشعاعي Xeroradiography

تمت استعارة التصوير الشعاعي بالأشعة السينية، والتصوير الشعاعي من المجال الطبي واتباع المبدأ نفسه، الذي يتكون من حزم من الأشعة السينية تمر عبر جسم ما لإنتاج صورة إشعاعية، تعرض تفاصيل وتباينات مختلفة (Rye, 1977؛ Rice, 1987, p. 403-404). تُستخدم كلتا الطريقتين في دراسات الفخار ليس فقط لتحديد خصائص تقنيات التصنيع في الفخار خاصة في ما يتعلق بتشكيل اليد أو التصنيع على دولاب (Berg, 2008; Choleva, 2018; Choleva, Jung and Kardamaki, 2020) ولكن أيضاً للكشف عن التزوير. فهي غير مدمرة وسهلة الاستخدام إلى حد ما. توفر الكاميرات الملونة الحديثة وإمكانيات الأبعاد ثلاثية الأبعاد 3D أدوات تكميلية لتحديد والكشف عن رسومات أو لوحات مخفية.

ج- تحليل الطب الشرعي

تقنيات الطب الشرعي المطبقة لتحديد، بصمات الأصابع ودراساتها على الأواني الفخارية لم تبدأ حتى بداية القرن الحادي والعشرين مع (Králík, 2000). سمحت الاختلافات في عرض الحافة والكثافة لعلماء الآثار بتحديد ليس فقط جنس الخزاف ولكن أيضاً عمره / عمرها. أثبت تطبيق هذه الطريقة العلمية الجديدة على الفخار من تل ليلان في سوريا، على سبيل المثال، الاختلافات في جنس الخزاف وتخصص الحرف وفقاً للحقبات التاريخية (Sanders, 2015).

د- طرق التأريخ الزمني

تتضمن طرق تأريخ الخزف الأثري فئتين رئيسيتين: النسبي والكرونومتري chronometric (Rice, 1987, p. 436). يعطي التأريخ النسبي الترتيب أو التسلسل الذي تظهر به أنواع الفخار. وهي تعتمد على المقارنة مع المواد الأخرى ولا تقدم تواريخ مطلقة. بينما يستخدم التأريخ الكرونومتري التحليلات المخبرية لتقديم التأريخ المطلق المعطى بالتقويم أو السنوات المعايرة calibrated.

التأريخ الزمني النسبي relative dating

تستخدم طريقتان في التأريخ النسبي:

يستخدم التأريخ المتقاطع cross-dating المواد المقارنة الموجودة في السياقات، أو المواقع المؤرخة لاستنتاج المعاصرة وبالتالي التأريخ الزمني المتطابق أو المشابه (Rice, 1987, p.436).

يتمثل التأريخ المتسلسل sequence dating بشكل أساسي من خلال التسلسل seriation. وهي طريقة ترتب مجموعات الفخار من المواقع المعاصرة في سلسلة بالنظر إلى البعد الزمني (Rice, 1987, p. 436-438; Cowgill, 1972, p. 381; Ginouès and Guimier-Sorbets, 1972, p.381).

بينما ابتكر عالم الآثار البريطاني بيتري Petrie سلسلة في العام 1899 لترتيب الخزف المصري من مقابر ما قبل الأسرات في نقادة Naqada والتأكيد على العلاقة بين نوع وآخر، وقام الفرنسي غاردن Gardin بتحسين هذه التقنية من خلال إنشاء نظام بطاقات مثقبة يهدف إلى إظهار تواتر أنواع الفخار المماثلة في مجموعات من مواقع مختلفة معاصرة (Cowgill, 1972, p.381; Gardin, 1976, p. 7; Renfrew and Bahn, 1991, p.106). تُستخدم هذه الطريقة بشكل أساسي لتقييم التطور الملموس في تسلسل أنواع الفخار. يمكن للطرق الإحصائية المختلفة بعد ذلك استخراج المعلومات من مخططات التسلسل وفقاً لاحتياجات عالم الآثار.

التأريخ الزمني الكرونومتري *chronometric*

تتبع طرق التأريخ المطلقة المطبقة على علم الآثار من التجارب النووية للحرب العالمية الثانية (Michels, 1973). أجريت اختبارات مؤقتة لاستخراج التأريخ من الفخار منذ العام 1950 وتقدم مجموعة من التحليلات المخبرية، لعلماء الآثار اليوم أنظمة تأريخ دقيقة. هناك سبع طرق معروفة:

يمثل التأريخ بالكربون المشع carbon 14 حدثاً فاصلاً في علم الآثار بلا منازع. كان لاكتشاف الكربون 14 C١٤ المستخدم لحساب التاريخ عام 1949م أثر واضح في تطور دراسة علم الآثار إذ لم يعد الهدف الأساسي لهذا العلم التركيز على دراسة الفخار من أجل الوصول إلى تاريخ الطبقات الأثرية، أو دراسة التشابه في الشكل أو الزخرفة لإظهار العلاقات بين الدول، بل وصل إلى دراسة البيئة والوظيفة (Binford, 1965) إنها واحدة من أكثر طرق التأريخ المطلقة استخداماً في علم الآثار. تقيس هذه الطريقة كمية تحلل الكربون المشع 14 المتبقية في مادة عضوية. يوجد الكربون 14 في الفخار الطبيعي (تكوين الطين) والمصادر الثقافية (شواء نباتية أو عضوية، السخام، امتصاص الدهون). تتطلب تقنيات التأريخ الكربوني التقليدية 14 كمية كبيرة من الفخار المسحوق لاستخراج الكربون 14، لكن طريقة قياس طيف الكتلة المسرع Accelerator Mass Spectrometry (AMS) باستخدام تسريع الأيونات إلى طاقات حركية عالية بشكل غير عادي يمكن أن تقيس كميات دقيقة من الكربون 14 باستخدام كميات صغيرة جداً من المواد (Rice 1987, p. 439). منذ العام 1990، طور فريق من جامعة بريستول في المملكة المتحدة طريقة جديدة للتأريخ بالكربون المشع باستخدام آثار وجبات قديمة أو كمية صغيرة جداً من بقايا الدهون (الحليب والزيت والدهون) المتبقية في جدران الوعاء (Casanova et al., 2020). ومع ذلك، فإن التأريخ بالكربون المشع له قيود جدية لأنه يحتوي على حدود علوية وسفلية كبيرة وفقاً لمعدل الانحلال اللوغاريتمي.

يقيس تأريخ أرغون البوتاسيوم Potassium Argon (K-Ar) تراكم غاز الأرجون في معدن ناتج عن التحلل الإشعاعي لنظير البوتاسيوم في ظروف الحرارة (Foland, 1998). يمكن تحديد التاريخ المطلق لهذا التغيير في التركيب الكيميائي للمعدن بدقة. في دراسات

الفخار، يمكن لتقنية أرغون البوتاسيوم أن تعطي تاريخ الفخار الذي تعرض للحرارة أثناء الطهي، أثناء التدمير الناري الطبيعي أو البشري المنشأ.

يستخدم التحليل الطيفي للرنين المغزلي Electron Spin Resonance للالكترن الإشعاع لتأريخ المعادن والمواد العضوية. على الرغم من أن هذه الطريقة تُستخدم عمومًا في تحديد تاريخ الأسنان القديمة من خلال فحص الضرر الإشعاعي على المينا، فقد حاولت المحاولات الأخيرة، تطبيق هذه الطريقة على الفخار بنتائج غير حاسمة بسبب نسبة كبيرة من عدم اليقين (Bartoll and Ikeya, 1997).

استخدمت تقنية اللمعان الحراري Thermoluminescence (TL) لأول مرة في تأريخ الفخار في السبعينيات. يتطلب تسخين الفخار إلى ما يزيد عن 500 درجة مئوية لإطلاق إلكترونات بلورية من المصفوفة، ما يخلق وميضًا من الضوء يسمى اللمعان الحراري (Aitken 1985 ؛ Aitken 1994 ؛ Rice 1987, p. 440-443). ثم تحدد تحليلات المكونات المعدنية الوقت المنقضي منذ أول شي للفخار. إنه مرتبط بطريقة التألق المحفز بصريًا Optically Stimulated Luminescence (OSL) التي تحسب الوقت منذ آخر مرة تعرضت فيها المعادن في الفخار للضوء قبل طمرها (Aitken, 1985). نطاق دقة كلتا الطريقتين يقع ضمن هامش 5-15%

يقيس التأريخ الأثري المغناطيسي Archaeomagnetic اتجاه وشدة المغناطيسية المتبقية لجزيئات الحديد في الفخار المحروق مقابل منحنى ثابت (Rice, 1987, p.439-440). تُستخدم هذه الطريقة عادةً لتأريخ الأشياء غير المنقولة مثل الأفران وعلى الفخار المحروق فوق 600 درجة مئوية، نطاق دقة هذه التقنية يقع ضمن هامش 5-15%.

لائحة المصادر والمراجع

- Aaron J. Paul, Spring (1997). *Fragments of Antiquity: Drawing Upon Greek Vases*. Harvard University Art Museum's Bulletin, Vol. V, No. 2.
- Adams, W. Y. and Adams, E. W. (1991). *Archaeological typology and practical reality: A dialectical approach to artifact classification and sorting*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Aitken, M. J. (1985). *Thermoluminescence dating*. London: Academic Press.
- Aitken, M. J. (1994). Optical dating: a non-specialist review, *Quaternary Science Reviews*, 13, 5, 503-508.
- Amiran, R. (1969). *Ancient pottery of the Holy Land: from its beginnings in the Neolithic period to the Iron Age*. Jerusalem: Massada Press.
- Arnold, D. (1985). *Ceramic theory and cultural process, new studies in archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Arnold, D. (1993). *Ecology and Ceramic Production in an Andean community*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Bahn, P. (ed.) (1992). *Dictionary of Archaeology*. Glasgow: Harper Collins Publishers.
- Banning, E. (2005). *The Archaeologist's Laboratory: The Analysis of Archaeological Data. (Interdisciplinary Contributions to Archaeology)*. New York: Kluwer Academic/Plenum Publishers.
- Barracough, A. (1992). Quaternary sediment analysis: a deductive approach at A-level. *Teaching Geography*, 17, 1, 15-18.
- Bartoll, J. and Ikeya, M., (1997). ESR dating of pottery: a trial. *Applied Radiation and Isotopes*, 48, 7, 981-984.
- Berg, I., (2008). Looking through pots: recent advances in ceramics X-radiography. *Journal of Archaeological Science* 35, 5, 1177-1188.
- Bettles, E. A. (2003). *Phoenician amphora production and distribution in the Southern Levant. A multi-disciplinary investigation into carinated-shoulder amphorae of the Persian Period (539-332 BC)*. British Archaeological reports, International series 1183. Oxford: Archaeopress.
- Betts, I. M. (1982). Roman brick and tile: a study in fabric variability. In I. Freestone, C. Johns and T. Potter (Eds.), *Current research in ceramics: Thin-section studies*. British Museum Occasional Paper 32.
- Binford, L. (1962). Archaeology as anthropology. *American Antiquity*. 28, 217-225.
- Binford, L. (1965). Archaeological systematic and the study of cultural process. *American Antiquity*. 31, 203-210.

- Binford, L. (1968a). Some comments on historical versus processual archaeology, *Southwestern Journal of Anthropology*.24, 267-275.
- Binford, L. (1968b). Methodological considerations of the archaeological use of ethnographic data. In R. B. Lee. and I. DeVore (eds.), *Man the Hunter*, Chicago: Aldine Publishing, 268-273.
- Binford, L. (1983). *In pursuit of the past*. London : Thames and Hudson.
- Binford, L. (1989). *Debating archaeology*. New York: Academic Press.
- Birmingham, J. (1975). Traditional potters of the Kathmandu Valley: an ethnoarchaeological study, *Man*.10, 370-386.
- Boardman, J. (1998). Early Greek Vase Painting 11th.-6th C. BC : a handbook. London: Thames & Hudson.
- Brew, J. O. (1946). The use and abuse of taxonomy. In *The Archaeology of Alkali Ridge, southeastern Utah, Papers of the Peabody Museum of Archaeology and Ethnology*. 21, Harvard University, Cambridge, MA, 44-66.
- Brückner, A. and Pernice, E. (1893). Ein attischer Friedhof. *Athenische Mitteilungen*. 18, 73-208.
- Canal, A. and Tournenc, S. (1979). Les ateliers de potiers trouvés à Saint-Romain-en-Gal (Rhône). *Figlina*. 4, 85-94.
- Casanova, E., Knowles, T., Bayliss, A., Dunne, J., Barański, M., Denaire, A., Lefranc, P., di Lernia, S., Roffet-Salque, M., Smyth, J., Barclay, A., Gillard, T., Claßen, E., Coles, B., Ilett, M., Jeunesse, C., Krueger, M., Marciniak, A., Minnitt, S., Rotunno, R., van de Velde, P., van Wijk, I., Cotton, J., Daykin, A., and Evershed, R. (2020), Accurate compound-specific 14C dating of archaeological pottery vessels. *Nature*. 580, 506-510. DOI: [10.1038/s41586-020-2178-z](https://doi.org/10.1038/s41586-020-2178-z)
- Chang, K. C. (1967). Major aspects of the interrelationship of archaeology and Ethnology. *Current Anthropology*, 8 (3), 227-243.
- Chapman, R. (1989). The Three Ages revisited: A critical Study of Levantine Usage: Part I: The Critique. *Palestine Exploration Quarterly*. 121 (2), 89-111.
- Chapman, R. (1990). The Three Ages revisited: A critical study of Levantine usage Part II: The proposal. *Palestine Exploration Quarterly*. 122 (1), 1-20.
- Childe, V. G. (1929). *The Danube in Prehistory*. Oxford: Clarendon Press.
- Choleva, M. (2018). L’histoire d’un savoir-faire. La transmission du tour de potier et l’émergence de nouvelles traditions technologiques dans le monde égéen préhistorique. *Annales de la Fondation Fyssen*. 33, 192-234.
- Choleva, M., Jung, R., and Kardamaki, E. (2020). Working on the potter’s wheel: Technological insights into Mycenaean pottery production. *Ägypten und Levante*.30, 219-282.
- Clarke, D. (1968). *Analytical archaeology*. Revised by B. Chapman, 2nd ed. London: Methuen and Co. Ltd.

- Conkey, M. and Hastorf, C. (1990). *The uses of style in Archeology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Cook, R. M. (1997). *Greek Painted Pottery*. London: Routledge.
- Courtin, J. (1993). Avant-propos , in *Terre cuite et société. La céramique, document technique, économique, culturel; XIV^e Rencontres Internationales d'Archéologie et d'Histoire d'Antibes*. 21-22-23 octobre 1993, APDCA, Juan-les-Pins, 1-19.
- Cowgill, G. L. (1972). Models, methods and techniques for seriation, in D.L. Clarke (ed.), *Models in archaeology*, London: Ed. Methuen & Co Ltd, 381-424.
- Cuomo Di Caprio, N. (1985). *La ceramica in archeologia: Antiche tecniche di lavorazione e moderni metodi d'indagine*. Roma: Collana di Scienze dell'antichità, La Fenice.
- Curle J. (1911). *A roman frontier post and its people: the fort of Newstead in the parish of Melrose*. Glasgow: James Maclehose and sons.
- Darvill, T., & Timby, J. (1982). Textural analysis: a review of potentials and limitations. In I. Freestone, C. Johns & T. Potter (Ed.), *Current research in ceramics: Thin-section studies* (pp. 73-84). London: British Museum Occasional Paper 32.
- David N. and Kramer C. (2001). *Ethnoarchaeology in action*. Cambridge: Cambridge Universty Press.
- DeBoer, W. and Lathrap, D. (1979). The making and breaking of Shipibo-Conibo ceramics, in C. Kramer (ed.), *Ethnoarchaeology: Implications of ethnography for archaeology*, New York: Columbia University Press, 102-138.
- Déchelette J. (1904). *Les vases céramiques ornés de la Gaule romaine (Narbonnaise, Aquitaine et Lyonnaise)*. 2 vol. Paris: Éditions Picard.
- Dedet B., et Py M. (1975). *Classification de la céramique non tournée protohistorique du Languedoc méditerranéen*. Revue Archéologique de Narbonnaise. 4. Paris : éd. De Boccard.
- Deetz, J. (1967). *Invitation to archaeology*. Garden City: The Natural History Press.
- Deetz, J. (1968). The Inference of Residence and Descent Rules from Archaeological Data. In: S., and L. Binford (eds.). *New Perspective in Archaeology*, 41-48. Chicago: Aldine.
- Delougaz, P. (1952). *Pottery from the Diyala region*. Oriental Institute Publications Vol. 63. Chicago: University of Chicago.
- Démians d'Archimbaud G., et al. (1999). Discussion – Table ronde. De Rome à Byzance ; de Fostat à Cordoue : évolution des faciès céramiques en Méditerranée (Ve-IXe siècles), Edition: M. Bonifay. *Actes du VIIe Congrès international de la céramique Médiévale du bassin Méditerranéen*, 11-16 Octobre 1999, Thessalonique, 523-594.
- Desbat, A., Laroche C. dir. (1990/1992). Les ateliers de céramiques antiques de la moyenne vallée du Rhône, *Programme collectif de recherche H.13*, Sous-direction de l'Archéologie. Rapport 1990/1992.

- Dever, W. (1992). Archaeology, Syro-Palestinian and Biblical, in *Anchor Bible Dictionary*. Vol. 1, New York : Doubleday, 354-367.
- Djindjian, F. (1991). *Méthodes pour l'archéologie*. Paris : Armand Colin.
- Dragendorff, H. (1895). *Terra sigillata. Ein Beitrag zur Geschichte der griechischen und römischen Keramik*, Bonner Jahrbücher. 96, 18-155.
- Dressel H. (1891) : *Inscriptiones Urbis Romae Latinae : instrumentum domesticum*, vol. XV, Allemagne, coll. *Corpus inscriptionum Latinarum*.
- Duncan, J. (1930). *Corpus of dated Palestinian pottery*. London: British School of Archaeology in Egypt.
- Dunnell, R. (1971a). *Systematics in Prehistory*. New York: Free Press.
- Dunnell, R. (1971b). Sabloff and Smith's, "The Importance of both analytic and taxonomic classification in the type-variety system": *American Antiquity*, 36 (1), 115-118.
- Esparza, R., & Cárdenas, E. (Eds.) (2005). *Arqueometría. Técnicas nucleares y convencionales aplicadas a la investigación arqueológica*. Michoacán: El Colegio de Michoacán.
- Falabella, F., Sanhueza, L., Correa, I., Glascock, M.D., Ferguson, T.J. & Fonseca, E.(2013). Studying technological practices at a local level: neutron activation and petrographic analyses of Early Ceramic period pottery in central Chile. *Archaeometry* 55 (1), 33–53. <https://doi.org/10.1111/j.1475-4754.2012.00681.x>
- Foland K. A. (1998). Potassium-argon dating method. In: *Geochemistry*. Encyclopedia of Earth Science. Springer, Dordrecht. https://doi.org/10.1007/1-4020-4496-8_259
- Ford, J. (1954). On the concept of types. *American Anthropologist*. 56, 42-57.
- Franchet, L. (1911). *Céramique primitive. Introduction à l'étude de la technologie*. Paris : Geuthner.
- Franken, H. J. (1974). *In Search of the Jericho Potters: Ceramics from the Iron Age and from the Neolithicum*. Amsterdam: North-Holland Publishing Co.
- Franken, H. J. (1995). Theory and practice of ceramic studies in archaeology, *Newsletter Department of Pottery Technology Leiden University*. 13: 81-102.
- Frendo, A. (1988). H. J. Franken's method of ceramic typology: an appreciation, *Palestine Exploration Quarterly*. 120(2), 108-129.
- Furumark, A. (1972). *Mycenaean pottery I. Analysis and classification*. Vol. 20 (1). Stockholm :Svenska Institutet I Athen.
- Gardin, J.-C. (1976). *Code pour l'analyse des formes de poterie*. Paris : Centre National de la Recherche Scientifique.
- Gardin, J.-C. (1979). *Une archéologie théorique*. Hachette Littérature, Evreux.

- Gibson, A., & Woods, A. (1990). *Prehistoric pottery for the archaeologist*. Leicester University Press.
- Griffin J. B. (1953). *Prehistoric Pottery of the Eastern United States*. Ann Arbor, Mich.: Museum of Anthropology, University of Michigan.
- Gifford, J. (1960). The type-variety method of ceramic classification as an indicator of cultural phenomena, *American Antiquity* 25 (3): 341-347.
- Ginouvès, R. and Guimier-Sorbets, A.-M. (1978). *La constitution des données en archéologie classique*. Paris : Centre National de la Recherche Scientifique.
- Gonzalez Marti, M. (1944). *Ceramica del Levante español, siglos medievales*. Barcelona: Labor.
- Gould, R. (1974). Some current problems in ethnoarchaeology. In Ch., Donnan, and C., Clewlow (eds.) *Ethnoarchaeology*. Los Angeles: University of California Press: 29-48.
- Hally, D. J. (1983). Use alteration of pottery vessel surfaces: An important source of evidence in the identification of vessel function. *North American Archaeologist*, 4 (1), 3-26.
- Hein, A., Day, P. M., Cau, M. A., & Kilikoglou, V. (2004). Red clays from Central and Eastern Crete: geochemical and mineralogical properties in view of provenance studies on ancient ceramics. *Applied Clay Science*, 24, 245-255.
- Heizer, R. F. (1959). *The archaeologist at work: A source book in archaeological method and interpretation*. New York: Harper and Row.
- Heizer, R. F. & Graham, J. (1967). *A guide to field methods in archaeology: Approaches to the anthropology of the dead*. Palo Alto: The National Press.
- Hill, J. N. and Evans, R. K. (1972). A model for classification and typology. in D. Clarke (ed.), *Models in Archaeology*. Oxford: Methuen, 231-273.
- Hochstetter A. (1984). *Kastanas, Ausgrabungen in einem Siedlungshügel der Bronze- und Eisenzeit Makedoniens 1975-1979*. Prähistorische Archäologie in Südosteuropa, 3. Berlin.
- Hodder, I. (1979). Economic and Social Stress and Material Culture Patterning. *American Antiquity*. 44 (3), 446-454.
- Hole, F. et Heizer, R. (1973). *An introduction to Prehistoric archaeology*. 3rd ed. Holt, Rinehart and Winston, New York.
- Hurcombe, L. (2007). *Archaeological artefacts and material culture*. London: Routledge.
- Kempton, W. (1981). *The Folk classification of ceramics: A study of cognitive prototypes*. New York: Academic Press.
- Kerr, P. F. (1959). *Optical mineralogy*. New York, Toronto, London: Mcgraw-hill Book Company.
- Kidder, A. (1927). Southwestern Archaeological Conference. *Science*. 66, 486-491.
- Kidder, A. (1931). *The Pottery of Pecos*, Vol. 1. Papers of the Southwestern Expedition, Phillips Academy. New Haven: Yale University Press.

Kleindiesnt, M., and Watson, P. (1956). Action Archaeology: the archaeological inventory of a living community. *Anthropology Tomorrow*. 5, 75-78.

Klejn, L. (1982). *Archaeological typology*. British Archaeological Report, International Series, 153. Trans. P. Dole, Oxford.

Kluckhohn, C. (1960). The use of typology in anthropological theory, in A. F. C. Wallace (ed.), *Men and Cultures*, University of Pennsylvania, Philadelphia: 134-140.

Knorr, R. (1919). *Töpfer und Fabriken verzierter Terra-Sigillata des ersten Jahrhunderts*. Stuttgart: W. Kohlhammer.

Kolb, Ch. (1989). Ceramic Ecology in retrospect: A critical review of methodology and results. In , Ch., Kolb (ed.). *Ceramic Ecology, 1988: current research on Ceramic Materials*. British Archaeological Reports, international series: 513, 261- 376. Oxford.

Králík M. (2000). *Otisky prstů a dlaní na keramickém materiálu (Fingerprints and palm-prints on ceramics)*. Unpublished PhD dissertation, Masaryk University, Brno.

Kramer, C. (1979). Introduction. In C., Kramer (ed.), *Ethnoarchaeology: implications of ethnography for archaeology*. New York: Columbia University Press, 1-20.

Kramer, C. (1985). Ceramic Ethnoarchaeology. *Annual Review of Anthropology*, 14, 77-102.

Krieger, A. (1944). The typological concept. *American Antiquity*, 9 (3), 271-288.

Krieger, A. (1960). Archaeological Typology in Theory and Practice. In A. F. C. Wallace (ed.), *Men and Cultures. Selected Papers of the Fifth International Congress of Anthropological and Ethnological Sciences*, Philadelphia, September 1-9, 1956, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, 141-151.

Loeschcke, S. (1909). *Keramische Funde in Haltern: Ein Beitrag zur Geschichte der augusteischen Kultur in Deutschland*. Aschendorffsche Buchdruckerei.

Longacre, W. A. (1968). Some aspects of prehistoric society in east-central Arizona. In: S. and L. Binford (eds.). *New perspectives in archaeology*. Chicago: Aldine: 89-102.

Longacre, W. A. (1981). Kalinga pottery, an ethnoarchaeological study, in I. Hodder, G. Isaac and N. Hammond (eds.), *Pattern of the past: Studies in honour of David Clarke*. Cambridge : Cambridge University Press, 49-66.

MacWhite, E. (1956). On the interpretation of archaeological evidence in historical and sociological evidence in historical and sociological terms. *American Anthropologist*, 58, 3-25.

Matthew, A. J., Woods, A. J., & Oliver, C. (1991). Spots before the eyes: new comparison of charts for visual percentage estimation in archaeological material. In A. Middleton and I. Freestone (Eds.). *Recent developments in ceramic petrology*. Occasional Paper, 81, 211-264. London: British Museum .

Matson, F. (1965). Ceramic ecology: An approach to the study of the early cultures of the Near East. In F., Matson. (ed.). *Ceramics and Man*. Chicago: Aldine, 202-217.

- Matson, F. (1974). The archaeological present: Near Eastern village potters at work. *American Journal of Archaeology*. 78, 345-347.
- Matson, F.R. (1984). Ceramics and man reconsidered with some Thoughts for the Future. In S.A. van der Leeuw and J.C. Pritchard (eds.), *The Many Dimension of Pottery*. A.E. Van Giffen Institute, 27-49.
- McKern, W. C. (1939). The Midwestern Taxonomic Method as an aid to archaeological culture study. *American Antiquity*. 4, 301-313.
- Michels, J. (1973). *Dating Methods in Archaeology*. Academic Press.
- Middleton, A., Freestone, I., & Leese, M. (1985). Textural analysis of ceramic thin sections: evaluation of grain sampling procedures. *Archaeometry*, 27 (1), 64-74.
- Neff, H. (1993). Theory, sampling, and analytical techniques in the archaeological study of prehistoric ceramics. *American Antiquity*. 58 (1), 23-44.
- Orton, C. and Hughes, M. (2013). *Pottery in archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Oswald F. (1931). *Index of potter's stamps on Terra sigillata*, Margidunum.
- Peacock, D. (1982). *Pottery in the Roman world: an ethnoarchaeological approach*. London: Longman
- Petrie, F. (1899). Sequences in Prehistoric remains. *The Journal of Anthropological Institute of Great Britain and Ireland*. 29 (3/4), 295-301.
- Petrie, F. (1904). *Methods and aims in archaeology*. London : Macmillan and Co.
- Quinn, P. S. (2013). *Ceramic Petrography. The Interpretation of Archaeological Pottery and Related Artefacts in Thin Section*. Oxford: Archaeopress.
- Renfrew, C. and Bahn, P. (1991). *Archaeology: Theories, methods and practice*. Thames & Hudson, London and New York.
- Rice, P. (1987). *Pottery analysis. A sourcebook*. Chicago: University of Chicago Press.
- Rice, P. (2015). *Pottery analysis. A sourcebook. Second Edition*. Chicago: University of Chicago Press.
- Ritterling E. (1913). *Das Frührömische Lager bei Hofheim im Taunus*. Wiesbaden: Verein für assauische Altertumskunde und Geschichtsforschung.
- Rouse, I. (1960). The Classification of Artifact in Archaeology. *American Antiquity*. 25 (3), 313-323.
- Rye, O. S., (1977). Pottery manufacturing techniques: X-ray studies. *Archaeometry*. 19, 205-211.
- Sabloff, J., & Smith, R. (1969). The importance of both Analytic and Taxonomic classification in the Type-variety system. *American Antiquity*. 34 (3), 278-285.
- Sanders, A., (2015). Fingerprints, sex, state, and the organization of the Tell Leilan ceramic industry. *Journal of Archaeological Science*. 57, 223-238.

- Shepard, A.O. (1956). *Ceramics for the Archaeologist*. Washington: Carnegie Institute of Washington.
- Sheppard, A. (1971). *Ceramics for the archaeologist*. Washington D. C.: Carnegie Institution of Washington.
- Schmitt, A., Badreshany, K., Tachatou, E., & Sader, H. (2018). Insights into the economic organization of the Phoenician homeland: a multi-disciplinary investigation of the later Iron Age II and Persian period Phoenician amphorae from Tell el-Burak. *Levant*, 50 (1), 52-90.
- Sinopoli, C.(1991). *Approaches to archaeological ceramics*. New York: Plenum Press.
- Skibo, J. (2013). *Understanding Pottery Function*. New York: Springer.
- Spaulding, A. (1953). Statistical techniques for the discovery of artifact types. *American Antiquity*, 18 (4), 305-313.
- Steward, J. (1954). Types of types. *American Anthropologist*, 56 (1), 54-57.
- Stiles, D. (1977). Ethnoarchaeology: A Discussion of Methods and Applications. *Man*. New Series 12 (1): 87-103.
- Stoltman, J. B. (1989). A quantitative approach to the petrographic analysis of ceramic thin sections. *American Antiquity*, 54, 147-160.
- Stoltman, J. B. (2001). The role of petrography in the study of archaeological ceramics. In P. Goldberg, V. Holliday, C. Ferring (Eds.), *Earth Sciences and Archeology*, New York: Kluwer Academic/Plenum Press, 297–326.
- Sutton, M., & Arkush, B. (2002). *Archaeological laboratory methods: An introduction*. Dubuque, Iowa: . Kendall-Hunt Publishing Co.
- Tainter, J. (1988). *The collapse of complex societies, new studies in archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Taylor, W. (1948). *A study of archeology*. Memoirs, American Anthropological Association, No. 69. Menasha, Wisconsin: Southern Illinois University Press.
- Tite, M. S., Freestone, I., Meeks, N. and Bimson, M. (1981). The use of scanning electron microscopy in the technological examination of ancient ceramics. In J. S. Olin and A. D. Franklin, *Archaeological ceramics*. Smithsonian Institution Press, 109-120.
- Trigger, B. (1989). *A history of archaeological thought*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Tucker, M. (1991). *Sedimentary Petrology: An introduction to the origin of sedimentary rocks*. Texas: Blackwell Scientific Publications.
- Van der Leeuw S.E. and A.C. Pritchard (1984). *The Many Dimension of Pottery: ceramics in archaeology and anthropology*. Amsterdam: Universiteit van Amsterdam.
- Velde, B. (2005). Use of image analysis in determining multi-source ceramic materials. In A. Livingstone, D. Bosquet, R. Martineau (Eds.), *Pottery Manufacturing Processes: Reconstitution and Interpretation*, BAR International Series 1349, 95-100.

Velde, B., & Druc, I. (1999). *Archaeological Ceramic Materials: Origin and Utilization*. Berlin: Springer.

Whallon, R. (1972). A new approach to pottery typology. *American Antiquity*, 37 (1), 13-33.

Whallon, R. (1982). Variables and dimensions: the critical step in quantitative typology, in R. Whallon and J. A. Brown (eds.). *Essays on archaeological typology*, Center for American Archaeology Press, Evanston, 127-161.

Wheat, J., Gifford, J. and Waskey, W. (1958). Ceramic variety, type cluster, and ceramic system in southwestern pottery analysis. *American Antiquity*, 24 (1), 34-46.

Willey, G. and Phillips, P. (1958). *Method and theory in American archaeology*. Chicago: University of Chicago Press.

Willey G., and Sabloff, J. (1974). *A History of American Archaeology*. London : Thames and Hudson.

عبد الساطر عثمان، محمد (2015). البعد الوظيفي في دراسة الفنون التطبيقية الإسلامية. شدت 2. مصر: كلية الآثار- جامعة الفيوم.

المسكوكات

د. زياد العريضي

المقدمة

تعد صناعة المسكوكات جانباً متقدماً من أوجه الحضارة الانسانية حيث تحتل محلاً مميّزاً في الصناعات المعدنية، فهي بالإضافة إلى ما تكشفه من قابلية تقنية وفنية تتمثل في صناعته، وأوجه إدارية وتنظيمية تتمثل في الإشراف عليها وضبط أوزانها، وهي خير دليل تساعدنا على تقدير مدى النمو والازدهار التي كانت تشهده الدول أو الدويلات في العصور القديمة. لذلك فهي تعد وثائق تاريخية مهمة تعين الباحثين في الوصول إلى حقائق الأحداث التاريخية فالمسكوكة بما تحمل على وجهيها من كتابة ورسوم وعلامات ترسم لنا أبعاداً تاريخية وسياسية وفكرية ودينية واقتصادية. ومن هنا تبرز أهمية دراسة المسكوكات كووثائق تاريخية.

1- التعريف بعلم المسكوكات

أ- تعريف العملة

العملة أو السكة هي قطع نقدية ذات أشكال معينة عليها رسومات وصور متعددة الطرز والأشكال تعود لفترات مختلفة، وهي أداة يتم تداولها بين الشعوب والأمم تستخدم كوثيقة رسمية ذات تأثير وانتشار سريع ويمكن من التعريف بمنجزات السلطة لأنها تمثل الفن الرسمي الصادر عن هذه الطبقة الحاكمة من رموز وموضوعات

مصورة على العملة سياسية كانت أو دينية أو عسكرية أو حتى شعارات الدعاية، ومنه فهي مصدر استنباط معلومات عديدة عند دراستها والتي تساوي إلى حد ما دراسة المصادر الكتابية، إذ تمثل سجلاً واسعاً للعديد من الجوانب الحضارية، فهي الترجمان الأول للعقيدة عند مختلف الشعوب والأمم ويظهر ذلك من خلال المعالم والشعارات الدينية أو مجموع الآلهة المصورة على ظهر القطع النقدية، ولأن السكة تضرب من مجموعة معادن مختلفة في قيمتها ووزنها فإنها تعتبر المعيار الحقيقي لمدى ازدهار أو تقهقر اقتصاد دولة ما، فاكتملت خصائص تميزها عن مختلف الأدوات والمقتنيات الأثرية الأخرى تمثلت في نوعية المعادن التي تكونها، ثم حجمها وميزانها واللذان عرفا تغيرات كثيرة تماشياً مع الأوضاع السياسية والاقتصادية للمجتمعات وكذلك الأنماط والطرز المعتمدة فيها إلى جانب الهيئة التي أصدرتها والمتمثلة في ورشات الضرب (عبد الرزاق، ناهض 1988، 5-6).

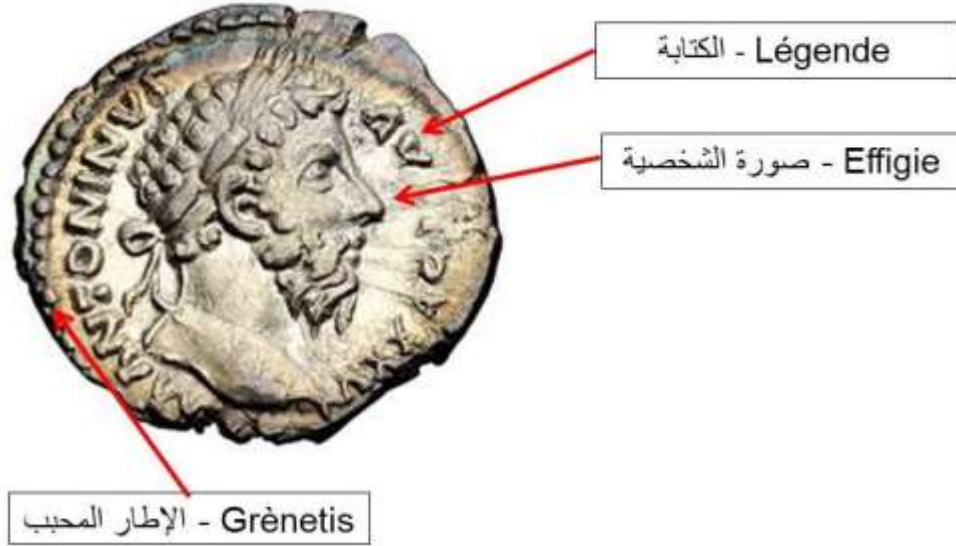
ب- وصف العملة

إنَّ المسكوكات على اختلافها وبغض النظر عن ظروف الزمان والمكان تميزت بعدد من العناصر الرئيسية المشتركة، فالقطعة النقدية لها وجهان أحدهما وهو "النقشة" avers يحمل اسم المدينة أو رمزها أو صورة الملك الذي سكت القطعة في أيامه واسمه. أما الوجه الآخر وهو "العلمة" revers فيحمل رمزاً أو شعاراً أو صورة اله وما شابه من الأشكال التي لها علاقة بالمدينة أو معبوداتها أو بأي شعار ذي بعد إعلامي أو سياسي معين إضافة إلى بعض الرموز التي كان لها تأثير على ثقة المتعاملين بها، لاسيما وأن المسكوكات بسبب انتشارها، كانت أداة اعلام ودعاية تفوق بمفاعيلها أية وسيلة أخرى (سلهب، زياد وكيوان، خالد 2016، 15-22).

قراءة القطعة النقدية:

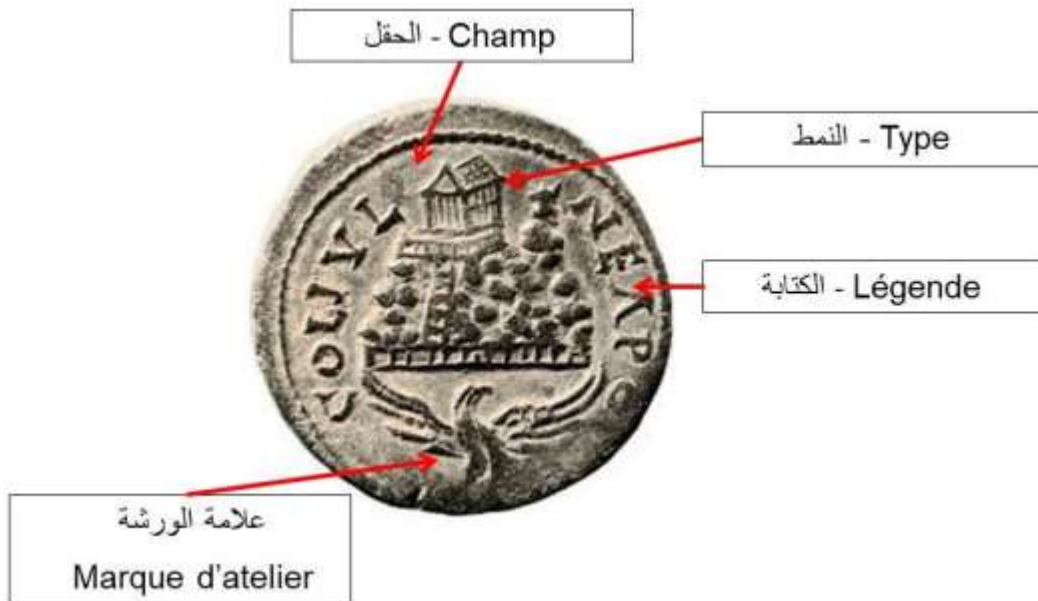
- الكتابة على وجه العملة (صورة رقم 1) تحدد اسم الأمبراطور الذي سكت في عهده هذه العملة وهي تساعدنا على تأريخ القطعة بالإعتماد على سنين حكم هذا الحاكم.

- شكل رأس الحاكم واتجاه النظر والإطار تحدد تاريخ السكة إذا وردت أكثر من واحدة. وأحيانا نجد إشارة لأي سنة من حكم هذا الأمبراطور تم سك هذه العملة.



الصورة رقم 1: وجه القطعة.

- الصورة في وسط ظهر القطعة (صورة رقم 2) والكتابة المحيطة بها تحدد المناسبة التي سكت فيها العملة (وفاء لنذر ديني - انتصار في معركة).



الصورة رقم 2: ظهر القطعة.

- في أسفل القطعة نجد رمز ورشة السك التي قامت بهذا الإصدار وقد يكون الرمز يدل على المدينة أو اختصار لأحرف المدينة التي سكّت هذه العملة (ANT=Antioche = أنطاكية - القسطنطينية = CON=Constantinople).

ج- خصائص العملة

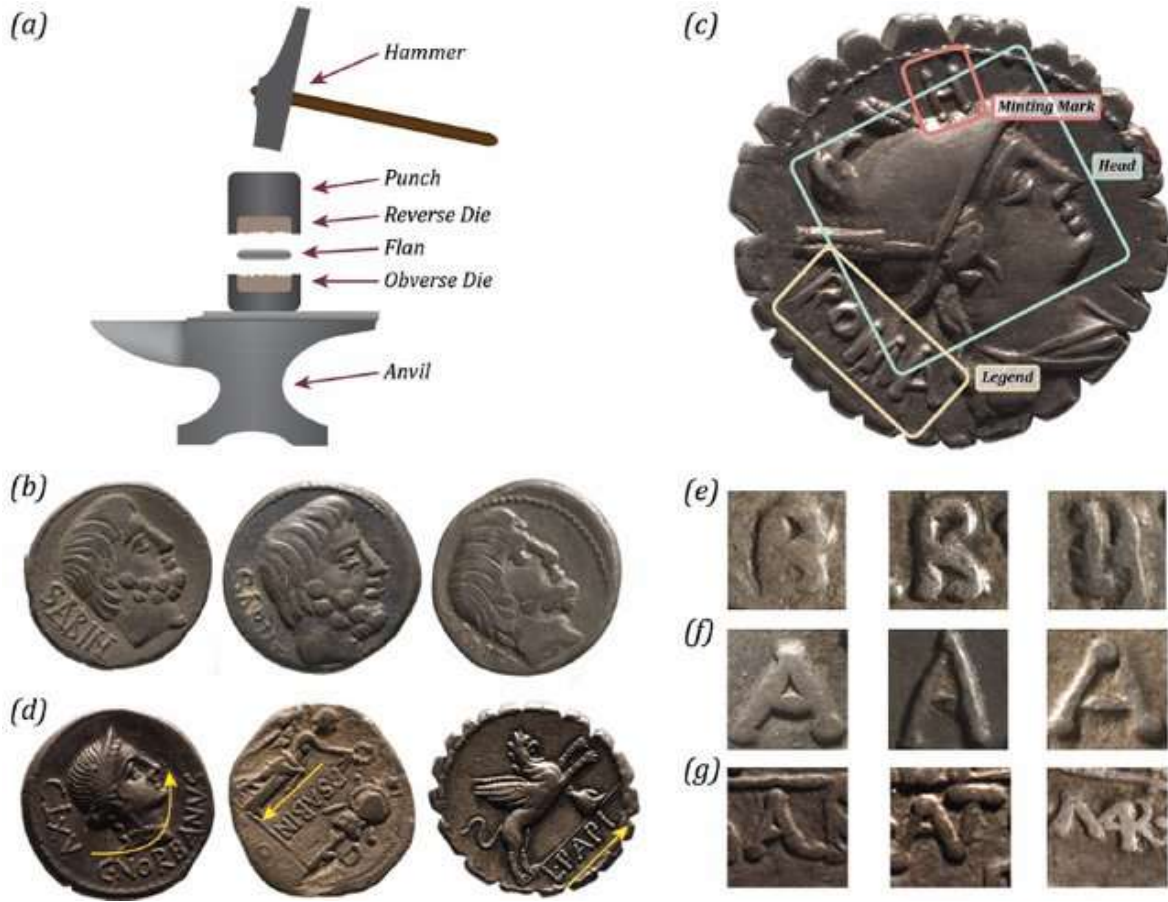
- إن أول وأهم ما يميز العملة كونها أداة أساسية من مجموعة الأدوات الأثرية التي يعتمد عليها في الكشف عن ما هو مبهم وغامض من الأحداث التاريخية عبر العصور، مما جعلها تحظى بمرتبة علمية بين العلوم الأخرى فأصبحت تكنى بعلم المسكوكات .
- تميزت العملة منذ نشأتها بأنها الأداة التي لا يمكن الاستغناء عنها بعد اختراعها باعتبارها الوسيلة الوحيدة واليسيرة في المعاملات التجارية والاقتصادية، بعد التخلي عن أسلوب المقايضة الذي لم يكن يخلو من العيوب.
- كانت العملة و مازالت المادة التي تنتج بكميات كبيرة جداً ودون انقطاع لما لها من دور في الترويج وفي الإنماء التجاري والاقتصادي وفي الإنماء الحضاري وذلك من خلال انتشارها وتداولها بطريقة واسعة.
- تعتبر القطعة النقدية الأداة التي تدل عن المعمل الذي صنعت فيه خلافاً لباقي الأدوات، وذلك بالإشارة إلى طريق حروف ورموز ترد أسفل ظهر القطعة والدالة عن الورشة التي أصدرتها.
- لقد تميزت القطعة النقدية بجمعها بين الصورة الحقيقية للشخصية والتي عادة ما تكون على وجه القطعة وبين الرمزية التي تتنوع من حيث دلالاتها وتكون غالباً على ظهر القطعة.
- رغم نقص وزن وحجم القطعة النقدية وتغير المعدن التي تضرب منه في بعض الأحيان، إلا أن المهمة التي تؤديها هذه العملة على الصعيد التجاري تبقى نفسها وفي نفس المستوى.

د. تقنية السك

كانت تقنية السك في العصور القديمة تعتمد إحدى وسيلتين : إما الصب في قوالب ذات جانبيين ، وهي الأقل انتشاراً في المناطق المتوسطة، وإما الضرب بواسطة مطرقة على قطعة معدنية (صورة رقم 3). وهي الأكثر شيوعاً. ففي هذا المجال، كان يتم حفر قطعتين من الفولاذ، أو إمامتين (matrices)، واحدة للوجه أو النقشة وتعرف بالسكة والاخرى للقفأ وتعرف بالمعلمة. فتثبت السكة في "سندان السك" (enclume monetaire)، فيما تثبت المعلمة في جعبة متحركة (trousseau mobile). وبعد أن تكون "إدارة السكة" (administration des monnaies) قد حضرت سبائك المعدن (lingots) وقطعتها بحسب مواصفات الوزن والنقاوة والحجم المطلوب وحولتها إلى أقراص (flans)، غالباً ما تكون دائرية الشكل، تؤخذ القرصة بعد ضبط وزنها أو شكلها بواسطة المبرد، وتوضع على إمامة السكة (matrice de l'avvers) وتوضع فوقها إمامة المعلمة (matrice du revers) ويضرب عندئذ على جعبة المعلمة ضربة محكمة بواسطة مطرقة، بحيث تطبع الأشكال المحفورة في الإمامتين على القرصة لتصبح عندئذ صالحة للاستعمال والتداول كقطعة نقد شرعية.

مما لا شك فيه أن تلك العملية لم تكن تتمتع بالدقة المطلوبة، الأمر الذي يظهر من خلال تفحص المسكوكات القديمة التي تظهر عليها في معظم الأحيان فروقات في عمق النقش أو سطحيتها، كما تظهر عليها آثار انزلاق القرصة بين الإمامتين، أو اختفاء جانب من نقش الإمامة وما إلى ذلك من عواهن/شوائب.

وتظهر أحياناً على بعض المسكوكات آثار طرقتين أو أكثر (surfrappes)، بسبب ضعف الطريقة الأولى. هذا فضلاً عن أن بعض المسكوكات يحمل دمغة (contremarque) دائرية أو مربعة أو مستطيلة أو نجمية وغيرها من الأشكال من خلال إعادة ضربها بواسطة (poinçon) يضيف إلى شكلها الأساسي علامة فارقة أو أكثر لضمان سلامتها أو لتأكيد شرعية استعمالها على أثر طارئ طرأ على الوضع السياسي الذي كان قائماً عند حصول السكة الأولى (سلامة سركيس، 2003).



الصورة رقم 3: (a) رسم توضيحي لعملية تصنيع العملات المعدنية. (b) ثلاث عملات معدنية رومانية من نفس الفئة. (c) الخصائص المختلفة لعملة قديمة. (d) التوجهات المختلفة للكتابات. (e) ثلاثة أمثلة مختلفة للحرف "ب". (f) ثلاثة أمثلة مختلفة للحرف "أ". (g) توصيلات مختلفة على العملات القديمة. الصورة مأخوذة من: (Kavelar, A., Zambanini S., Kampel M., 2014: Fig. 1)

2- علم المسكوكات (Numismatique)

يُعنى علم المسكوكات أو علم النميات بدراسة النقود القديمة التي بطل تداولها والتي أصدرتها السلطة الحاكمة. تعد المسكوكات من الوثائق التاريخية الهامة التي يستعين بها الباحثون من أجل الوصول إلى حقيقة الأحداث التاريخية، فالعملة بما تحمله على وجهيها من كتابة ورسوم وعلامات تساعد على إعادة تشكيل وتصور مختلف جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والدينية والوقوف عند الحوادث التاريخية التي تمّ تخليد أهمها على أحد وجهي العملة (Howgego, 2001 :12-35).

علم المسكوكات من العلوم التي لا يستغني المؤرخ عنها لما تقدمه من معطيات ومعلومات هامة حول ميادين مختلفة. فغالباً ما تحمل النقود كتابات وصور للملوك والحكام. فسنوات ضرب النقود حددت الى حد كبير سنوات حكم بعض الملوك والتي كانت قبل ذلك مجهولة، كما أنّ بعض هذه المسكوكات قد ضربت في مناسبات تاريخية معينة فكانت دليلاً عليها. فتطور علم النميات حيث أصبحت القطعة النقدية تدرس من جوانب ونواح مختلفة من ناحية ما هو منقوش على وجهيها ومن ناحية المعادن التي ضربت منها. لقد كانت العملة من دلالات استقلال الدولة وتمتعها بشخصيتها المميزة أو قد تدل على ضعف الدولة في حالة ما استحوذ حكام المقاطعات على ضرب العملة مثلما حدث عند الفرس أو في حالات الفوضى والاضطراب السياسي وحدثت الغزوات حيث تتم عملية إخفاء الكنوز النقدية أو تخفيض وزن العملة، وهو ما حدث في روما اثناء الانهيار الاقتصادي خلال القرن الثالث الميلادي. وقد تكون العملة وسيلة للدعاية السياسية فكثيراً ما سك الملوك النقود بأسماء وصور أولادهم نذكر هنا مثال الملك النوميدي سيفاكس حيث سك نقود لابنه فرمينيا في عهده وكذلك الإصدارات النقدية المشتركة ليوبا الثاني مع ابنه الأمير بطليموس. كما عرف أن أبا جعفر المنصور مثلاً سك النقود باسم ابنه "المهدي" كوسيلة للدعاية وهو لا يزال ولياً للعهد. تقدم لنا العملة بالإضافة للمعلومات السياسية معلومات متنوعة حول الجانب الديني والجانب الاقتصادي حيث صورت العملة آلهة الشعوب والحضارات المختلفة وكشفت عن التطور والركود الاقتصادي، فإذا كان النقد المستخدم من معدن الذهب أو الفضة فهذا دليل على توفر هذا المعدن لدى تلك الدولة أو الحضارة، ومن ثم شاهد على رخائها، وإن كان من النحاس أو الرصاص فهو دليل على ضعفها الاقتصادي، فالعملة إذاً تعكس الحالة الاقتصادية للدول، كما أن إنتشار استخدام نقد دولة ما خارج حدودها دليل على وجود علاقات وحركة تجارية وعلى وجود نفوذ اقتصادي ونفوذ سياسي لدى تلك الدولة، وتساعدنا المسكوكات في التعرف على الأساطير ودراساتها والعبادات والفنون والعلاقات السياسية.

فعلم المسكوكات يهتم بدراسة القطع النقدية والميداليات دراسة وصفية وتاريخية سواء في التنظيم السياسي أو التطور الديني أو الحياة الاجتماعية، وللتعبير عن العملة استعمل الإغريق كلمة NOMISMA، وهو نفسه المصطلح الذي استعمله الرومان أنفسهم وليس

مصطلح MONETA رغم أن عملتهم تستمد أصلها من إلهتهم الحامية MONETA JUNO.

إنّ دراسة المسكوكات هي عملية تبدأ بمعاينة المادة الأولية المستعملة في إنتاج هذا الإبداع الحضاري المميز، والاجتهاد في شرح وتحليل وترجمة الرموز والصور والعلامات الموجودة على القطع ثم ترتيبها كرونولوجيا وتاريخيا، وهذا عمل ليس باليسير، مع العلم بأن علم المسكوكات بدأ على يد هواة اهتموا بجمع مختلف القطع النقدية التي كانوا يجدونها بداية بالصدفة ثم بالبحث عنها وأولوها الكثير من الاهتمام والدراسة التي كانت في البداية سطحية تعتمد على الوصف والحجم والوزن، ثم تطورت لتعطينا سجلات خاصة بالعملة.

3- علاقة المسكوكات بعلم الآثار

يعتبر علم المسكوكات من العلوم التاريخية الجديرة بدراستها والبحث فيها، فهو عنصر هام من العناصر التي تغذي الأبحاث لمعرفة الحقائق والأحداث التاريخية من جميع جوانبها، وفي بعض الأحيان نجد بأن المسكوكات هي الأداة الوحيدة التي تتم عن الحقبة التاريخية الخاصة بملك أو إمبراطور أو أمير أو أي شخصية أخرى مصورة - على وجه أو ظهر القطعة-، أو عن مجتمع ما أو أمة من الأمم، ومن خلالها يمكننا الاطلاع على الشؤون الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية وحتى الحضارية لدولة من الدول أو شعب من الشعوب عبر التاريخ (Heymans & Termeer, 2018).

وغالباً ما يعجز الدارس لعلم التاريخ وعلم الآثار على السواء في التعرف على العديد من الشخصيات التاريخية مهما كانت مكانتها في مجتمعاتها وكذا وصف مختلف الآلهة المعتقد بها قديماً إذا لم يعتمد على قطعة نقدية. فعلم المسكوكات هو علم مساعد لعلم الآثار وعلم التاريخ وهو أحد أهم العناصر الأساسية التي يقومون عليها في جميع الجوانب الحضارية.

وإذا كان علم الآثار مساعداً لعلم التاريخ في التأريخ والاستشهاد بما هو مادي وقائم من معالم وأدوات، فإنّ المسكوكات هي مادة أساسية يعتمد عليها في علم الآثار بما تقدمه

من معلومات مرسومة ومكتوبة على وجه وظهر القطعة. ومن خلال موضوع البحث الذي يضاف أن الفن النقدي بدوره مادة مهمة جداً في دراسة المسكوكات، ومنه نلاحظ مدى الترابط المتسلسل بين العلوم وعلاقتها الشديدة ببعضها البعض. كما أن العملة مادة أثرية محضة تروي بنفسها تاريخ تطورها المتسلسل عبر الزمن انطلاقاً من ظهورها كوثيقة نقدية بدائية ثم قديمة لتصل إلى مستوى العملة الحديثة المتطورة وذلك بما توحى من مواضيع مؤكدة وواضحة أو الخفية منها، ومن أشكالها وأحجامها ونوعية المادة المعدنية المضروبة منها، والأهم تقنيات تصنيعها.

المسكوكات لها علاقة جد وطيدة بعلم الآثار بل هي عنصر هام من العناصر التي أوجدت هذا العلم، ويتأكد هذا في كون العملة النقدية هي مادة من مجموعة المواد الأثرية التي يعثر عليها في شكل كنوز أو مجموعات نقدية من خلال الحفريات أو عن طريق الصدفة خلفها القدماء، فمنها يستقي الباحث معظم الأحداث التاريخية الخاصة بالمجتمعات القديمة ويستشهد بها لأنها المادة الحية المعبرة عن الحضارات البائدة.

4- طريقة تنظيف العملات

إنّ تواجد قطع العملة بكثرة في الطبقات الأثرية يعطينا معلومات جداً مهمة عن الموقع الذي وجدت فيه وتساعدنا على تأريخ الطبقات الأثرية (ماكدوال ديفيد وليم 1986، 9-13)، ولكن تواجد هذه القطع في الطبقات الأثرية (التربة) يعرضها للتلف بسبب تفاعل المعدن المصنوعة منه هذه العملة مع المحيط الطبيعي الموجودة فيه (تغير اللون، ظهور طبقة الصدأ، تآكل...) مما يحتم علينا القيام بعملية تنظيف وحماية لهذه القطع لنصبح قادرين على قرائتها واستخراج المعلومات منها والحفاظ عليه وحمايتها من التلف وهناك عدة طرق تستخدم لهذه الغاية بحسب انواع المعادن المصنوعة منها قطع العملة أو بحسب المناهج المعتمدة من الفرق الأثرية العاملة ويمكننا أن نلخص بعض هذه الطرق على الشكل التالي :

أ- **الطريقة الميكانيكية (اليدوية):** وهي تعتمد على إزالة الأوساخ والأتربة عن القطع بطريقة يدوية بواسطة فرشاة ناعمة وابرة صغيرة وهي طريقة فعالة مع قطع النقود الذهبية أو القطع التي لم يتآكلها الصدأ بصورة كبيرة حيث يتم الحفاظ على

طبقة الصدأ الرقيقة التي تحافظ على المعدن الأصلي وتمنع إعادة انتشار الصدأ المؤذي ولكنها لا تفيد مع قطع النقود البرونزية التي تعرضت للتآكل الكبير الناتج عن وجود الكلور في التربة والذي يؤدي إلى تلف عميق في المعدن.

ب- **الطريقة الكيميائية:** وهي تعتمد على نقع قطع النقود (كل على حدة) بمحلول من الماء المقطر والمضاف إليه كمية قليلة من الحمض الكيميائي (nitric acid- formic acid) أو غيرها بحسب المعدن المصنوعة منه العملة وطبيعة ولون الصدأ. وهذه الطريقة فعالة نسبياً مع قطع النقود القوية والتي تكون سماكة المعدن فيها كبيرة ولكنها تؤذي النقوش والكتابات عن وجه العملة وقد تعرضها للتلف كما أنها تجعل قطعة العملة مجردة من طبقة الحماية (الباتينا) وتجعلها معرضة للتلف.

ج- **الطريقة الألكتروليتية (electrolyse):** وهي تعتمد على وصل قطع العملة بتيار كهربائي خفيف حيث تربط قطعة العملة بمقطب خاص متصل بالتيار الكهربائي من الجهة السالبة (negative pole) وتغطس في وعاء زجاجي يحتوي على مياه مقطرة مع كمية قليلة من كربونات الصوديوم ويتصل بالماء القطب الموجب العائد للتيار الكهربائي (positive pole)، وبعد وصل التيار الكهربائي تبدأ عملية انتقال الإلكترون من الجهة السالبة نحو الجهة الموجبة عبر قطعة العملة مما يفكك الصدأ الموجود على سطحها ويجعلها سهلة التنظيف بأعتماد الطريقة اليدوية. وتمتاز هذه الطريقة بسرعتها إذ يمكن وضع أكثر من قطع على نفس الجهاز وفي ذات الوعاء دون أن يكون لها أي تأثير سلبي على قطع العملة كما أن هذه الطريقة تحافظ على طبقة الصدأ الرقيقة التي تحمي القطعة من إعادة تأكلها (الباتينا) ولكن يجب الإنتباه إلى قوة التيار الكهربائي التي يجب أن تكون خفيفة لكي لا تشوه العملة كما يجب علينا أن نقوم بوضع طبقة حماية عازلة على القطع المنظفة عبر نقعها بمحلول البارالوييد (paraloid-B72) لكي نضمن عدم تعرض القطع للتلف مجدداً.

5- أهمية العملات

تلعب المسكوكات دوراً مهماً في حياة المجتمعات منذ أن عرفت إلى يومنا هذا خاصة في الحياة الاقتصادية وذلك بتسهيلها للمبادلات والتعاملات التجارية، وتظهر أهمية دراسة المسكوكات في كونها شاهداً حياً يعين على دراسة تطور الحضارات والثقافات والفنون عبر التاريخ، وهي مادة خام للبحث العلمي البناء والثراء المعرفي.

فغنى مجتمع ما يتوقف على كثرة هذا الثراء الذي لم يصبح حكرا على أمة معينة وإنما هو ملكية عامة للإنسانية جمعاء (Howgego, 2001: 12-35).

إنّ المعلومة التي يستقيها طالب علم الآثار أو طالب علم التاريخ لا تدعم إلا بما توحى به الشواهد المادية من معالم تاريخية وشتى الأدوات الأثرية، والقطعة النقدية المتواجدة عموما في مخازن المتاحف أو القليل المعروض منها، دليل مادي كفيّل بأن يسرد التاريخ بأكثر دقة، فيجب النظر إليها على أنها شاهد ناطق عن أحداث تاريخية متنوعة وأداة بحث عن مختلف جوانب الحياة البشرية، رغم ما يواجهه الباحث من صعوبة قراءة ووصف هذه الوثيقة. وهي بإمكانها أن تكون أكثر دلالة وإيحاء إذا ما وضعت في إطار تاريخي معين إن العملة أو القطعة النقدية هي الوثيقة المادية التي يعتمد عليها الباحث للغوص في أعماق حياة المجتمعات القديمة من جميع جوانبها، وبهذا التعمق يجد أنها قد جعلت منه مؤرخاً للعلوم التجارية والاقتصادية وفناناً ومختصاً في أنظمة الحياة الاجتماعية وعلى دراية بالديانات القديمة وتطورها وحتى عارفاً بالخبايا العسكرية، فيستقي المعلومات من القطعة النقدية ليبرر تعليقاته حول الموضوع المدروس ويوضح كل ما هو مبهم لينشر من خلالها ثمرة علمية ومعرفية تعكس روح المجتمع الذي تواجدت فيه وذلك من خلال التطورات الفنية والتقنية عبر التاريخ.

في غالب الأحيان هناك نوع من العملة المتوفرة والمتداولة بشكل كبير بسبب إنتاجها بكميات هائلة وفي حالة حفظ جيدة تدل على تقنية الضرب المتطورة جداً والمستوى الفني الرفيع، وفي أحيان أخرى يظهر مستواها الفني والتقني المتدني من خلال بعض القطع وهو ما يدل على ضعف مهارة الفنان لشدة تأثره بالأوضاع الاقتصادية والظروف الاجتماعية والضغوطات السياسية السائدة.

إنّ دراسة المسكوكات والبحث فيها يضاهي البحث في المصادر الكتابية، فهي تختلف عن باقي الأدوات الأخرى كدراسة الفخاريات والتماثيل وغيرها، لأنها مادة واسعة وسريعة الانتشار وكانت متداولة محلياً وعالمياً، وهي تتطلب الكثير من الاهتمام والعناية للتمكن من البحث فيها والوصول إلى النتائج المستهدفة والبلوغ بهذا العلم إلى مستوى هام باعتباره وسيلة للإشهار الحضاري والسياسي، ودلالة استقلالية وقوة سلطة ما. ويمكن القول أن علم المسكوكات قبل أن يرقى إلى درجة العلوم بدأ كوسيلة ما فتئ

أن أصبح فنًا يبدع من خلاله صانع القطعة النقدية في إبراز كل جوانب الحياة اليومية بدقة من خلال المشاهد التي يصورها على الوجه والظهر، فنتج عنه ما يسمى بالفن النقدي وهو الجزء الأساسي في علم المسكوكات وحصيلة تأثير متبادل بين عوامل ثلاث :

أ- العامل الفكري المتمثل في فكرة اهتدى إليها الإنسان، وهي الوسيلة التي تسهل عليه عملية التبادل التجاري ويحقق من خلالها التكافؤ من حيث القيمة بين ما يباع وما يشتري، ولم ترد هذه الوسيلة إلا بعد الحاجة الملحة التي أجهدت فكر الإنسان حتى تولدت عنه فكرة ضرب العملة.

ب- العامل المادي والمتمثل في المادة الخام وهي كل المعادن المتوفرة من ذهب وفضة ونحاس وبرونز وورصاص وغيرها من المعادن الأخرى، وهو العامل الذي تنجز من خلاله الفكرة، فكان ضرب العملة بمعدن معين يتم حسب التغيرات التي تطرأ على الجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي وحتى الديني في المجتمع.

ج- العامل الحسي المتمثل في النزعة الشخصية المتأثرة بالنزعة القومية، والتي تترأى من خلال مدى دقة وبراعة تصوير المواضيع المراد ترجمتها على القطعة ومستوى تقنية التصنيع المستعملة.

في القرون الأولى كانت الأنماط النقدية جد متنوعة لأن السلطة أولت أهمية كبرى لصور الأباطرة على وجه القطعة والمواضيع الخاصة بالظهر وهذا من حيث دقتها وجمالها. لكن ابتداء من القرن الثالث الميلادي فقدت القيمة الفنية والنقدية من قيمتها بسبب ما عرفته الإمبراطورية الرومانية المتأخرة من فوضى عسكرية معقدة، حيث تم تنصيب وعزل الكثير من الأباطرة حتى أن إحصائهم بات غير ممكن والمصادر الأدبية التي حاولت ذلك لم تذكر بعضهم. ولولا العثور على بعض القطع النقدية التي ضربت بأسمائهم لبقوا طي النسيان وهذا بسبب عدم استمرارهم في مناصبهم طويلاً. فتراكمت الأحداث وتشابكت لدرجة أن جمعها من شتى المصادر وترتيبها وحتى تفسيرها يتعب الفكر ويتيه به بين طيات التاريخ. واتبع الانهيار الفني التدهور السياسي وسوء التسيير أدى بدوره إلى تضخم مالي، ورغم كل الإصلاحات المتتالية عبر العديد من الفترات إلا أن الأباطرة لم يتمكنوا من إنقاذ البلاد التي عاشت الخلل الاقتصادي رغم استقرار الأمن الذي كان يبدو على سياسة الحكم ففقدت الأنماط من تنوعها وأصبحت صور الأباطرة على العملة جامدة ومتشابهة إلى حد ما حتى أن التعرف على أحدهم يتم من خلال

الأساطير فحسب. والأكثر من هذا هو أنه في بعض الأحيان ضربت عملة لم تكن الشخصية المقدمة فيها تلك التي تشير إليها الكتابة لأسباب ربما سياسية أو الحاجة للإنتاج النقدي.

لقد كان ضرب العملة في جميع المراحل التاريخية يتأثر بمختلف الأنظمة السياسية المتعاقبة ومختلف التغيرات الاقتصادية والأحوال الاجتماعية. لأن الفن النقدي هو نتيجة حتمية لتمازج مجموعة من عناصر إصدار العملة، أهمها المادة الأولية المتمثلة في المعادن بأنواعها ووزن القطعة النقدية وسمكها وقطرها ولأنه فن تتحكم فيه عوامل عديدة ترتبط أساساً بتقنية سك العملة والصور الشخصية التي تحتل وجه القطعة إلى جانب مختلف الموضوعات المصورة على الظهر.

لقد برز البورتري الذي يعتبر العنصر الأساسي في الفن النقدي منذ بداية ظهور صورة الشخص المنقوشة بواقعية وكأن الفنان يعتمد عدم إخفاء بلية من بلايا الطبيعة أو السن. ثم بدأ الفن النقدي يتخلى على خاصية الصرامة التي سادت تحت حكم الأباطرة، فحاول منذ نهاية العهد تجديد القوة والحرية التي ميزت الفن النقدي في بداية العهد الروماني إلا أن الوجه على القطعة النقدية كان أقل شموخاً من أسلافه. فكانت الفكرة الشاملة للبورتري التي سادت في عهد أغسطس ترتكز أساساً على الاتجاه الخيالي حيث كانت الصورة النقدية المجردة ترسم على مساحة ما وبدون حدود مما جعل منها فناً تحليلياً ووصفياً، فتوحي للناظر صورة معبرة عن مختلف المشاعر الإنسانية كالعطف والكره وحتى ألوهية الشخصية، لكن مع نهاية القرن الأول الميلادي بدأ البورتري النقدي يعرف نوعاً من الحركة.

في العصر الإمبراطوري بدأ البورتري النقدي في التضخم فأخذ حجم الجزء المصور من الجسم في الازدياد، فبينما اقتصر النحات على تصوير الرأس والعنق في بداية الحكم الإمبراطوري نجده في أواخر العصر يصور المنكبين والجزء الأعلى من الصدر، كما نلاحظ في عملية التصوير على العملة أن حجم الصورة على القطعة النقدية ومكانها ليس لهما أي قاعدة محددة أو مقاسات معينة، فمرة نجد الرأس يشغل تقريباً كل مساحة القطعة ومرة تتقلص الصورة فتكون صغيرة جداً في مركز القطعة كما نجد في بعض الأحيان إطاراً من الغار يلفها، لكن تبقى تلك التقاطيع والقسمات الفردية الدقيقة تبهر الناظر.

تلاحظ على ظهر بعض القطع النقدية علامات كثيرة أهمها علامة: SC (Senatus Consulto) وهذا يعني أن هذه العملة صدرت باسم مجلس الشيوخ وهو الهيئة المسؤولة عن إصدار العملة. واستمرت العملات السيناتورية في الصدور إلى عام 255م لكن في إطار رمزي فقط، كما ظهرت علامات أخرى على العملة وذلك خلال القرن الرابع الميلادي منها ما يعبر عن القيمة وأخرى خاصة بالمراقبة وأخرى قصد الإشهار أو إعلامية حتى يتسنى للناس معرفة نوع وقيمة هذه المادة، ومن بين هذه العلامات التحام الحرفين اللاتينيين X و p التي يظن أنها الحرفين الأولين لإسم السيد المسيح بالإغريقية، وهناك علامات بقيت مجهولة المعنى.

يمكن القول بأن المسكوكات هي المادة التاريخية الوحيدة التي يمكن من خلالها دراسة أي جانب كان من جوانب الحياة اليومية في المجتمعات القديمة سياسية واقتصادية واجتماعية ودينية وفنية وثقافية وغيرها من الجوانب الأخرى، فالناحية السياسية يمكن استنباطها من الصور الموجودة على وجه العملة والخاصة بالحكام الذين تداولوا على السلطة. والملاحظ أن مجموع القطع النقدية والتي تعود لفترة الإمبراطورية الرومانية- خاصة المتأخرة- هو كثرة الحكام الذين تقلدوا الحكم عن طريق النزاعات وفي فترات زمنية قصيرة جداً في بعض الأحيان خاصة في فترة الفوضى العسكرية، وكذلك التذبذب والتشابك في سياسة الحكم المشترك خاصة فترة الحكم الرباعي وبداية الفترة البيزنطية، حيث كانت الدولة مسيرة من قبل أربعة حكام منهم إمبراطورين وقنصلين وهذا ما يرهق الباحث والمؤرخ في التأريخ الدقيق وتفصيل الأحداث المتداخلة لفترة من فترات الحكم الروماني.

أما الناحية الاجتماعية والدينية فتستلهم من الجهة الثانية للعملة المتمثلة في ظهر القطعة حيث تظهر في أغلبها مختلف الآلهة الخاصة بالمعتقد القديم كآلهة النقود وإله الشمس هذا من جهة ومن جهة أخرى مختلف الشعارات الخاصة بالديانة الجديدة المتبناة من قبل المجتمع الروماني والمتمثلة في الديانة المسيحية.

بينما الجانب الاقتصادي الذي يعتبر أساس قيام الأمة يدل على مستواه نوع القطعة النقدية. فضرب العملة من البرونز الذي أصبح المعدن الأساسي والوحيد في فترة الحكم الإمبراطوري - بعدما كان الذهب والفضة أولى المعادن في ضرب العملة- وخلطه في بعض

الأحيان بمعادن أخرى كالرصاص، وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على تدني المستوى الاقتصادي للإمبراطورية من جهة ومن جهة أخرى الحاجة الماسة إلى ضرب كميات كبيرة جداً من النقود لتغطية التكاليف الخاصة بمصاريف الأسلحة والعتاد الحربي ورواتب الجنود، فحكام الإمبراطورية الرومانية خاصة المتأخرة لم يتوان الواحد منهم عن التنافس المميت والمحاربة لأجل الوصول إلى السلطة.

أما الناحية الفنية فيمكن استنباطها من التحام جميع العناصر السابقة الذكر والتي تستلهم من كل عنصر منها جانباً من جوانب الحياة، وهذا ما جعل من الفن النقدي مادة هامة من مواد الدراسة العلمية والتاريخية - في علم المسكوكات- التي تغذي الأبحاث والتي تهتم بالكشف عن الحقائق والأحداث والتاريخية لمختلف الأمم عبر التاريخ (Heymans & Termeer, 2018).

6- نشأة المسكوكات وتطورها

لا يمكننا دراسة المسكوكات كمادة تاريخية هامة دون أن التعرف على طرق التبادلات الأولية ما قبل نقدية التي أدت بطبيعة الحال إلى ظهور وسيلة أحدثت ثورة في جميع مجالات الحياة، بداية بالجانب الاقتصادي، فالسياسي فالاجتماعي والديني وصولاً إلى الجانب الإبداعي الفني.

بداية عاشت البشرية عصوراً طويلة في تاريخها القديم بدون التعامل بالمسكوكات. حيث لم تكن الحاجة إلى المسكوكات كسلعة وسيطة قائمة. ومع خطوات الانسان الأولى صوب الإستقرار والزراعة وتدجين الحيوانات وظهور التخصص الحرفي في المجتمعات الزراعية، أصبحت الحاجة إلى التبادل السلعي قائمة بين الاختصاصات والمهارات المختلفة في المكان الواحد، كذلك نشأت الحاجة للحصول على مواد و سلع من أماكن أخرى قريبة أو بعيدة، عندها برزت الحاجة إلى السلع الوسيطة لتكون أساساً لقيمة السلع المتبادلة. وكانت أكثر الحاجات توفراً في المجتمعات القديمة تعتمد عادة سلعة وسيطة يتم على أساسها تبادل السلع المختلفة، لذلك كان الشعير ومعدن الفضة أساس التبادل السلعي بين مدن العراق القديم، واتخذ المحار في الصين كسلعة وسيطة وكان الثور السلعة الوسيطة في اليونان

القديمة وغيرها من المواد (الرز، الشاي، الجلود، الخيول، الملح) تبعاً للاوضاع الاقتصادية لكل بلد من بلدان العالم القديم.

غير أن الصعوبات التي تلازم السلعة الوسيطة وقابليتها للتلف وسعة المكان التي تحتاجه لحفظها والتكاليف اللازمة للحفاظ عليها (في حالة العبيد والخيول والثيران) وصعوبة نقلها مع التجار المعنيين بالتجارة، كل هذه الصعوبات وغيرها دفعت الانسان للتفكير بإيجاد سلعة وسيطة تنتفي عندها كل هذه الصعوبات فكانت المعادن النفيسة وعلى رأسها الذهب والفضة السلعة الوسيطة المناسبة التي تتوفر عندها كل الامكانات لتؤدي دورها في التبادل السلعي الذي اخذ يتسع ويزداد حجماً بتطور المجتمعات الانسانية القديمة. فالمعدن غير قابل للتلف ويسهل حفظه ونقله، وهو قابل للتجزئة دون ان يتعرض للتلف.

استقرت الحضارة العراقية القديمة على اعتماد معدن الفضة، والشعير، كسلعة وسيطة مقام النقود في المعاملات المالية المختلفة. وقد أوردت الشرائع والقوانين العراقية القديمة العديد من الأمثلة على ذلك (شريعة اورمو، لبت عشتار، حمورابي، وغيرها). وبفضل تطور علم الرياضيات عندهم ومعرفة الأوزان المختلفة وتحديد الدقيق الذي كان يشهد مراقبة من قبل السلطات الحكومية فقد تطورت التجارة والمعاملات المالية في تاريخ العراق القديم تطوراً كبيراً حتى غدت واحدة من الأسس المتينة التي يستند عليها البناء الاقتصادي للدولة والمجتمع. ولكن المعادن النفيسة، بما فيها الفضة والذهب، لا تضبط فقط بموازينها، وانما بنوعها ومقدار المعادن الرخيصة المخلوطة بها (الرصاص أو النحاس) مما دفع السلطات المختصة في العراق القديم إلى الالتفات إلى مراقبة السلع الوسيطة والتدقيق فيها إلى أن اعتمدوا في العصر الأشوري الحديث (القرن 8-7 ق. م) على أقراص دائرية الشكل ذات أوزان ثابتة نقش على بعضها شكل كف وسميت رؤوس عشتار وهذا ما يمكن اعتباره بداية لظهور المسكوكات في العالم القديم ومن الأشوريين انتقلت صناعة المسكوكات إلى الليديين (سكان المناطق الساحلية في آسيا الصغرى) خلال القرن السابع قبل الميلاد الذين طوروا هذه الصناعة إلى أن اصدر الملك الليدي أَرْدِيس (625-652 ق. م) مسكوكات من خليط معدني الذهب والفضة ونقش عليها صورة أسد فاتحاً فمه (أقدم نموذج للمسكوكات)، وسار على نهجه الملوك الليديون الذين اعقبوه مع

اعتماد صور أخرى من الحيوانات، وذلك لتمييز عهودهم (عبد الرزاق، ناهض 1988 - 11-5).

ظهرت أولى المسكوكات بالمعنى المتعارف عليه في منطقة "ليديا" في آسيا الصغرى في نهاية القرن السابع قبل الميلاد وكان أول معدن تم استخدامه لسك النقود "الإلكتروم" (electrum) وهو مزيج طبيعي من الذهب والفضة. وانتشر بعد ذلك سك النقود الذهبية والفضية والبرونزية والبرونزية المغلفة بالفضة في جميع أنحاء العالم القديم بحسب مواصفات واوزان اختلفت بين منطقة وأخرى وأحياناً بين مدينة وأخرى وفترة وأخرى وكانت عملية السك تخضع لتقاليد وقوانين وأطر إدارية تختلف بحسب ظروف الزمان والمكان. ولم تشهد بعض أشكال التوحيد إلا في أطر الأمبراطوريات القارية الجامعة (Bresson, 2006).

وانتقلت صناعة المسكوكات من الليديين إلى اليونان والفرس الاخمينيين، إما عن طريق التجارة كما حدث مع اليونانيين أو بالحروب كما حدث مع الفرس. ولكنها أخذت تحمل صوراً وشعارات مختلفة ومتميزة، مما يساعد على دراستها واعتمادها كوثائق رسمية لدراسة المراحل التاريخية المختلفة. فالمسكوكات اليونانية كانت تحمل صورة الإلهة أثينا بينما العملة البيزنطية فكانت تحمل الشارات المسيحية كالصليب وصولجان الحكم. وأصبحت المسكوكات اليونانية والإخمينية (مسكوكات الإسكندر والحكام السلوقيين بشكل خاص) بما تحمله من صور الملوك على أحد وجهيها وصور الآلهة أو رموزها ووثائق هامة بيد الباحثين لتتبع الأحداث التاريخية والسياسية ومناطق النفوذ وأسباب الاتصالات، بالإضافة إلى كشفها عن جوانب من الطقوس والمعتقدات الدينية. وتُشكل الكتابات التي كانت تحيط بالصور المرسومة على المسكوكة مصدراً لكشف النقاب عن اسم صاحب المسكوكة ولقبه كما تفيد في تتبع مراحل تطور الخط واللغة لأصحاب المسكوكات (Sear, 2020).

وقد تسربت المسكوكات اليونانية الفارسية والرومانية إلى بلاد العرب الذين أخذوا يتداولون بها عن طريق التجارة التي كانت ناشطة قبل الإسلام مع ظهور مجموعة من المسكوكات في المقاطعات الرومانية والبيزنطية في الشرق والتي كانت تحمل صوراً لملوك محليين (لاسيما مملكة الأنباط في البتراء، Sear, 2020).

ومع ظهور الإسلام والفتح العربي لمناطق واسعة في العالم القديم وبعد استخدام العملة التي كانت سائدة سابقاً أخذ الخلفاء المسلمون بتغيير المسكوكات التي كانت متداولة في المناطق التي سيطروا عليها بإضافة كلمات عربية (بسملة أو محمد أو غيرها من الكلمات المرتبطة بالدين الجديد) وهناك نماذج عديدة عن مسكوكات كانت منتشرة قبل الإسلام وتمت إضافة إشارات وكلمات عربية عليها إلى أن بدأ العرب بسك عملتهم الخاصة في العهد الأموي (أقدم نماذجها سك في أرمينيا عام 78 للهجرة) مع إشارات ورموز تشير إلى الدين الجديد مع أسماء الخلفاء والحكام وبحسب دور السك في مختلف انحاء الخلافة الإسلامية والدويلات التي نتجت عن تفكك هذه الخلافة في العصور اللاحقة (عبد الرزاق، ناهض 1988 - 5-11).

ومن هنا نرى أن معظم الحضارات قامت وازدهرت في مجالات متباينة ميزتها عن بعضها البعض. ولقد تألفت بعض الأمم القديمة بمجرد توفيقها بمجال النقود وما يتصل به من أبعاد اقتصادية أو تجارية تصاحب الإنسان في كل زمان ومكان. فمجال المسكوكات من الناحية القومية تتجلى مكانته في كونه تراثاً يتصل بشخصية الأمة ويعطيها طابعاً مميزاً، كما يحدد درجة رقيها.

وتعتبر النقود ذات أهمية خاصة في الكشف عن العديد من مظاهر الحياة اليومية بمختلف مجالاتها في العصور القديمة باعتبار ما تحمله القطعة النقدية من كتابات ونقوش وصور وهي كلها مصادر لمعلومات تاريخية هامة لا يمكن أن توفرها العلوم الأخرى، ويمكن أن تثير هذه القطع مواضيع عديدة أهمها المعتقدات الدينية والتي تعبر عنها بصور لمختلف الآلهة الحامية المعتقد بها أو بعض المنشآت الدينية. كما يمكنها أن تثير المواضيع العسكرية المعبر عنها بمشاهد حربية أما التاريخ السياسي فتعبر عنه الكتابات المتواجدة على وجه القطعة وظهرها.

7- اقسام علم المسكوكات

أ- المسكوكات اليونانية

قسمت المسكوكات اليونانية (Caza, 2021) إلى ثلاثة اقسام بحسب العصور التاريخية على الشكل التالي :

- العصر الأرخي القديم (من القرن السابع إلى القرن الخامس قبل الميلاد)

اعتبر سكان ليديا أول مخترعي النقد وكان المعدن المستعمل في أول مراحل هو الألكترولوم (electrum) (مزيج طبيعي من الذهب والفضة عثر عليه في مجرى نهر يمر في عاصمة ليديا ساردس sardes). في البداية كانت هذه العملات عبارة عن قطع معدنية مستديرة خالية من النقوش ثم أخذت تحمل نقوشاً أو تحزيراً على أحد وجهيها ولاحقاً أصبحت تحمل رمز المدينة التي سكها على وجه واحد ثم على الوجهين (صور حيوانات: اسد = افسس، اسد وثور = ساردس، أو صور ميثولوجية كالحصان المجنح وال griffon أو صور للآلهة زوس، أثينا).

- العصر الكلاسيكي (أواخر القرن الخامس إلى القرن الرابع قبل الميلاد)

الشكل الكلاسيكي للعملة أصبح على الوجهين، من جهة رأس آلهة المدينة وعلى الجهة الثانية شكل مرتبط بالوجه الأول وأبرز الأمثلة عن هذه المرحلة تعود إلى أثينا (صورة تمثل الإلهة أثينا وعلى الوجه الآخر نقش البومة رمز هذه الإلهة).

- العصر الهلينيستي (أواخر القرن الرابع إلى القرن الثاني قبل الميلاد)

مع التوسع الأغريقي نحو الشرق وتحول اليونان إلى امبراطورية كبيرة مع الإسكندر الأكبر وخلفاءه (السلوقيون والبطالسة في الشرق) شهدت العملة تطوراً في شكلها حيث تميزت مسكوكات الاسكندر الأكبر بصورته على أحد وجهيها وصور الآلهة أو رموزها على الوجه الآخر، (مثل تلك العملة التي تحمل صور الإسكندر بقرون الكبش على الوجه الأول. وعلى

الوجه الآخر صورة زيوس جالسا على العرش، ممسكاً بالصاعقة بيده اليسرى، والنسر بيده اليمنى) ولاحقاً في عصر خلفاء الإسكندر (السلوقيون والبطالسة) استبدلت صورة الإسكندر بصور للحكام الذين أصدروا هذه العملة مع بقاء رموز معينة تشير إلى حدث ما أو مناسبة إصدار هذه العملة (تولي الحكم، انتصار في معركة، ذكرى دينية).

ب-المسكوكات الفينيقية

كان الفينيقيون قبل اختراع العملة يلجأون إلى طريقة المقايضة البسيطة بالبضائع ثم اتخذوا السبائك المعدنية التي كانت توزن مع كل صفقة ثم بدأوا يقلدون مسكوكات العالم اليوناني ويصدرون عملتهم الخاصة (منذ نهاية القرن السادس قبل الميلاد-بعد خضوع هذه المدن لسيطرة الفرس) حيث سكت كل مدينة عملتها الخاصة التي تحمل رموزاً وشعارات خاصة بها : أسد ينقض على ثور حصان البحر المجنح، سفينة حربية، رأس الإله ملكارت (صور)، الحاكم الفارسي في عربة تجرها الأحصنة، سفينة تجارية مبحرة (صيدا)... وبعد سيطرة الأغريق اعتمدوا على العملة السلوقية وعملة البطالسة ولاحقاً اتبعوا النظام النقدي الروماني حيث اعطيت عدد من المدن الفينيقية (الساحلية أو الداخلية) حق إصدار النقد (بيروت ، بعلبك ، أرتوزيا، Elayi & Elayi, 1993).

ج-المسكوكات الرومانية

إنّ النقد الروماني لم يظهر إلّا حوالي 300 سنة ق.م وهي فترة متأخرة. بعد أن كانوا قد استبدلوا طريقة المقايضة بالعملة الإغريقية التي كانت النظام النقدي الدخيل على هذه المجتمعات و الذي انطلق على شكل صفائح برونزية سميت آس سيغناتوم Aes Signatum. بعد أن تطور هذا الاختراع النقدي اتخذ الرومان العملة الخاصة بهم بما تحمل من خصائص تدل على هذا المجتمع، فطراً على هذا النظام النقدي إصلاح في العهد الجمهوري حيث اعتمد على الدوني Denier كعملة الدولة (Metcalf , 2014).

تميز النظام النقدي في فترة الإمبراطورية القديمة بالرخاء والازدهار ومنه كانت العملة آنذاك مستقرة في قيمتها ومادتها الخام حيث ظهرت عملة من الذهب تسمى أوريوس (Metcalf, 2014) Aureus.

لم تكن العملة تتغير إلا بتغير الحكام وكان هذا التغير في المنظر الخارجي المتمثل في الصورة - التي اهتم الأباطرة بمعالجتها - وكذلك الكتابة لاستعمالها للترويج، عرفت العملة الرومانية من حيث نمطها نماذج فنية تميز هذا المجتمع، فقد كان النموذج الفني المنقوش على وجه العملة عبارة عن الصور الشخصية الخاصة بالحكام والسياسيين والذي استمر خلال العصرين الجمهوري والإمبراطوري، أما على ظهر العملة فقد كان النموذج الفني بالدرجة الأولى صور الآلهة التي ترمز لبعض المعاني الروحية، أو عناصر معمارية ذات الدلالة الدينية أو العسكرية، إلى جانب العلامات الخاصة بدور سك العملة والمنطقة التي تتواجد بها (Metcalf, 2014).

اعتمد الرومان معدن البرونز (خليط غير طبيعي من النحاس والقصدير وهو أكثر صلابة وأكثر مقاومة من النحاس نفسه) في سك نقودهم حيث كانت التبادلات التجارية اليومية تتطلب التعامل بالقطع النقدية البرونزية أكثر من الفضية أو الذهبية، كما أن الحاجيات المرتبطة بالجيش والأنظمة المالية الخاصة بالحروب المحلية خاصة قد زادت من أهمية وجود العملة البرونزية، والتي تمثلت قيمتها في كونها استعملت بكثرة وتداولتها بالدرجة الأولى السلطة الحاكمة، وقد كانت العملات البرونزية واسعة الانتشار.

في نهاية القرن الأول وخلال القرن الثاني الميلادي كان ضرب العملة الرومانية من الذهب والفضة يتم في ورشتين رئيسيتين هما ورشة روما وورشة ليون خصيصاً للإمبراطورية، أما العملة البرونزية فقد خصصت لها ورشات محلية لضرب قطع متداولة بقيمة ضعيفة، وهي غالباً للاستعمال المحلي، لكن أزمة القرن الثالث ميلادي غيرت الوضعية تماماً، فارتفاع الكميات المضروبة وخاصة ارتفاع الحاجة في بعض المناطق لدفع رواتب الجنود دفع بالأباطرة لإنشاء مجموعة كبيرة من ورشات ثانوية لضرب العملة.

ضربت قطع نقدية برونزية كانت مواضيع الوجه والظهر فيها متشابهة لكنها تختلف من حيث الوزن والحجم، كما ضربت قطع بأوزان وأحجام متساوية لكن المواضيع المصورة على الوجه والظهر تختلف وهو اختلاف في القيمة. ففي النوع الأول تختلف القطع فيما بينها

من حيث القيمة المادية، أما النوع الثاني فتختلف من حيث القيمة المعنوية (Guest , 1999).

عرفت العملة تدهوراً فادحاً في قيمتها خلال عهد الإمبراطورية السفلى وعرف النظام النقدي خللاً فادحاً بسبب الوضع السياسي الذي انعكس سلباً على الوضعية المالية خلال النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي (256م-280م) فارتفعت الأسعار وانتشرت المجاعة في ربوع الإمبراطورية السفلى ونتج عن هذا الوضع توقيف ضرب المحلي للعملة البرونزية بسبب الاختلاف القائم بين المخازن الشرقية والغربية، كما أن المصاريف العسكرية الكبيرة التي كانت تتداول في فترات الحرب أدت إلى نتائج وخيمة من الناحية المالية بصفة خاصة والنقدية الرومانية بصفة عامة، فنقص وزن العملة الفضية والبرونزية والقليل من القطع الاستثنائية التي ضربت من الذهب. فبعدما كانت القطعة النقدية تضرب من المعادن الثمينة من ذهب وفضة أصبحت تضرب من معادن أقل قيمة كالبرونز والرصاص والنحاس ما أدى بالأباطرة إلى القيام بإصلاحات نقدية عديدة استمرت إلى نهاية القرن الثالث الميلادي أهمها إصلاحات ديوكليسيانوس السياسية والاقتصادية والاجتماعية فاستتب على يده الحكم بعد وضع النظام الرباعي وهو نظام سياسي جديد بحيث يقتسم السلطة العسكرية والسياسية إمبراطوران وقنصلان. ولكن ما لبست أن عادت الأوضاع إلى التدهور حتى مجيء قسطنطين الذي تغير على يده النظام السياسي والاقتصادي، فقام بضرب العملة الذهبية التي تسمى " السوليدوس"، كما ضرب العملة البرونزية بأعداد كبيرة جداً للقضاء على الأزمة الاقتصادية التي أرهقت المجتمع الروماني وللتحسين من القدرة المعيشية لطبقة الشعب، والتي تميزت بتنوع الإكونوغرافيا الخاصة بالأباطرة الرومان في نهاية القرن الثالث بداية الرابع الميلادي (Zambanini, Kavelar, Kampel, 2014).

ج- المسكوكات البيزنطية

بعد انتقال الدولة الرومانية الشرقية (البيزنطية) إلى الدين المسيحي في القرن الرابع الميلادي تم سك الدينار البيزنطي وهو عبارة عن قطعة ذهبية مستديرة الشكل بوجهين مختلفين بالرسوم البارزة، الوجه الأول يحمل صورة للملك البيزنطي (هرقل) يتوسط ولديه (قسطنطين وهيرقليس) وعلى رأس كل واحد منهم تاج يعلوه صليب، وكل واحد منهم

I - B. ماسكاً بصليب طويل، وأما الوجه الثاني يتوسطه المدرج الذي يعلوه الصليب والحرفان I - B. وتحيط به عبارات بالخط اللاتيني تتضمن اسم الملك وتاريخ السك وعبارات دعائية.

وفي بعض النقود نقش على الوجه الأول هرقل مع أحد ولديه دون الآخر، وعلى هامش الصورة دونت عبارات دعائية باللاتينية مثل VICTORIA، أما الوجه الآخر فنقش في مركزه مدرج يعلوه صليب وأسفله الحروف الأولى من كلمة القسطنطينية بصيغة CONO B وهي ترمز إلى مكان ضربها (Sear, 1987).

د- الدرهم الساساني

الدرهم بصفة عامة مصنوع من الفضة ومستدير الشكل نقش على وجهه صورة نصفية لكُسرى، ووجهه في وضع جانبي، وعلى رأسه التاج الساساني المجنح، وأمام وجهه كتب اسمه وألقابه باللغة الفارسية القديمة "البهلوية"، وخلف رأسه كتابات دعائية، وعلى الهامش أربعة أشكال نجمية داخل أربعة أهلة ترمز إلى الرخاء والازدهار الذي كانت تعيشه الإمبراطورية الفارسية، أما الظهر فقد نقش في مركزه الشعلة المقدسة التي ترمز إلى معبد النار، يحرسها حارسان مسلحان، وعلى يمين ظهر الدرهم كتابات بهلوية تحدد مكان الضرب، وعلى اليسار كتابات تحدد تاريخ الضرب (Malek, 2019).

هـ- المسكوكات الإسلامية

مميزات المسكوكات الإسلامية

تُعد النقود الإسلامية (قازان وليم 1983 وعبد الرزاق، ناهض 1988) مصدراً مهماً من مصادر التاريخ والآثار والحضارة الإسلامية فقد حظيت النقود باهتمام خاص في الدولة الإسلامية، واهتمت الشريعة الإسلامية بها في ميدان العبادات والمعاملات، وذلك لاتصال النقود بالزكاة والصدقات والعقود وغيرها.

ويمكننا أن نحدد أهمية النقود في الحضارة الإسلامية على الشكل التالي :

- تعتبر الجهاز الإعلامي الحكومي الذي يقوم الآن مقام وسائل الإعلام الحديثة المختلفة، وذلك لما تتمتع به النقود من سرعة في التداول وسعة في الانتشار.

- تمثل أهم شارات الملك والسلطان التي حرص على اتخاذها الخلفاء والحكام بعد اعتلائهم للحكم مباشرة، فكان على الخليفة أو الحاكم أن يقوم بأمور رئيسية للإعلان عن توليه الحكم ابرزها ضرب السكة وتسجيل اسمه عليها. فهي تعتبر وثيقة رسمية صادرة من دار سك الدولة - برعاية الحاكم - يصعب الشك فيها أو الطعن في قيمتها.
- وتكمن أهمية النقود الإسلامية في أنه سجل عليها - ما عدا القليل - أسماء الخلفاء والحكام الذين قاموا بسكها، لذلك أمكن من خلال تصنيف النقود الإسلامية الحصول على قوائم للسلاسل والأسرات والدول الحاكمة في العالم الإسلامي، وضبط تواريخ حكمها بمزيد من الدقة وذلك لأن النقود الإسلامية كانت تحمل تاريخ سكها في كثير من الأحيان.
- أدرك الثوار والخارجون أهمية النقود كوسيلة إعلامية مهمة لمخاطبة الرعية، وبث أفكارهم ومبادئ ثوراتهم من خلالها، في محاولة لجذب تأييد الرعية إلى جانبهم، وهو ما حقق النجاح للكثير منهم في هذه الثورات حيث أن الثوار والخارجين قاموا بسك النقود كمظهر مهم من مظاهر الحكم والسيادة والاستقلال، ومنازعة للحاكم في أهم شارات الملك، وهي ضرب السكة.
- لعبت النقود دوراً مهماً في إثبات عقيدة الحاكم ومذهبه الديني. فقد حرص الحكام - إلى جانب نقش أسمائهم على النقود - على إعلان عقيدتهم منذ توليهم الحكم حتى يتضح توجه الحاكم الديني والمذهبي للرعية منذ بداية حكمه.
- النقود الإسلامية التي وصلتنا، تحمل في كثير من الأحيان أسماء مدن السك التي أصدرتها، مما يجعل دراسة النقود الإسلامية من هذا الجانب ذا أهمية خاصة للباحثين في مجال جغرافية الأقاليم والولايات والمدن الإسلامية، حيث أن النقود الإسلامية التي وصلتنا تحمل ما يقرب من 1500 اسم لمدينة وإقليم وولاية وكورة، وقرية، ونهر، ومعسكر، وقصر، وغيرها تنتشر في العالم الإسلامي الممتد من المحيط الأطلسي غرباً إلى أواسط الصين شرقاً، ومن أواسط أوروبا شمالاً حتى أواسط وشرق أفريقيا جنوباً؛ مما يجعل من هذه الأسماء المسجلة على النقود الإسلامية ثروة هائلة للجغرافيين والباحثين في جغرافية أرض الإسلام، خاصة وأن كثيراً من هذه المدن والأقاليم قد اندثرت، ولم يبق لنا سوى اسمها المسجل على هذه النقود. كما لعبت النقود دوراً مهماً في تحديد أماكن كثير من المدن والبلاد التي فشل الجغرافيون في نسبتها إلى مكان معين، أو تحديد الإقليم الذي تقع فيه.

- ويمكن من خلال دراسة مدن ضرب النقود معرفة الحدود الجغرافية لكل دولة، وتحديد الأقاليم التابعة لها والأقاليم التي انفصلت عنها، والمدن والبلاد الجديدة التي بسط عليها الحكام سلطانهم طوعاً أو كرهاً.
- حظيت النقود كأداة اقتصادية باهتمام الحكام والدول على مر العصور باعتبارها المقياس الحقيقي لقوة الدولة الاقتصادية، فهي تعبر بصورة واضحة عما يصيب النظام الاقتصادي من قوة أو ضعف، فالدول التي تمتلك نظاماً اقتصادياً قوياً وثابتاً تضرب نقوداً جيدة العيار، وعلى وزن ثابت، وتلقى رواجاً تجارياً كبيراً في أسواق التداول النقدي والتجاري، وتصبح نقوداً دولية معترف بها في الأسواق العالمية، وتتجاوز كل الحدود السياسية والدينية والجغرافية بين الدول. أما الدول ذات النظام الاقتصادي المضطرب والضعيف فإن نقودها تعكس هذا الاضطراب من خلال نقص عيارها، واضطراب وزنها، وانخفاضه عن الوزن المقرر، وتفقد هذه النقود قبولها التجاري ويرفض الناس تداولها مما يفسح المجال أمام العملات الأجنبية القوية لغزو الأسواق المحلية.
- لعبت النقود دوراً مهماً في الحياة الاقتصادية في العالم الإسلامي وذلك لاتصال النقود بجوانب مهمة في الشريعة الإسلامية من حيث المعاملات والعبادات والصدقات والديات والوقف والزكاة وغيرها. لذلك حظيت النقود بأهمية خاصة في العصر الإسلامي، وسعى الحكام إلى ضبط وزنها وسكها على عيار جيد حتى تقوم بدورها الشرعي في أداء الزكاة وسائر المعاملات. وعندما انفصلت العديد من الدول عن كيان الخلافة الإسلامية واختلفت أوزان نقودها وعيارها قام الفقهاء في معظم بقاع العالم الإسلامي بوضع المؤلفات التي تحدد قيمة الزكاة بالنقود الجارية، وقياسها على المقدار الذي أقره رسول الله ﷺ للزكاة بالنقود المتداولة في عصره.
- كان الغش والتزييف يلحق بالنقود في بعض الفترات، ومن أهم طرق الغش والتزييف في النقود الإسلامية طريقة القرض، وهي قرض الدنانير والدراهم من أطرافها فينقص ذلك من وزنها ثم يتعامل بهذه القراضة بعد ذلك أو تعاد إلى دار الضرب لإعادة سكها نقوداً جديدة. وكانت الدنانير تضرب أحياناً من الفضة والنحاس وتطلى بالذهب، أو أن تضرب الدراهم من النحاس وتطلى بالفضة وغير ذلك. وكانت الحكومة تتدخل لإيقاف غش العملة وتزويرها والذي من شأنه إفساد النظام النقدي للدولة وإلحاق الضرر بمصالح المتعاملين بهذه النقود، فكانت تفرض عقوبات شديدة على من يقوم بهذا الفعل مثل قطع الأيدي والجلد والسجن.

- وضعت طرق مختلفة للكشف عن عيار النقود ودقة وزنها مثل الحك أو استخدام الكثافة النوعية للمعدن أو استخدام ميزان خاص أطلق عليه ميزان الحكمة. كما وجد في الأسواق شخص يختص بعملية فحص النقود وتمييز الجيد من الرديء عرف بالنقاد، والذي ينقد الدنانير والدراهم ومنها أخذ مصطلح النقود.
- كانت الحكومة تلجأ إلى استخدام النقود - باعتبارها الجهاز الإعلامي الرسمي للدولة - في تحذير الناس من غش النقود وتزييفها، فكانت تسجل عليها عبارات تحث على الالتزام بوزن النقود والبعد عن الغش والتزييف مثل «أمر الله بالوفاء والعدل»، و «هذا الدرهم ملعون من يغيره»، وغيرها.
- كانت النقود تُسك تخليداً للعديد من المناسبات المهمة مثل: تأسيس الدول واعتلاء الحكام للعرش، والمبايعة بولاية العهد، والحب والزواج والمصاهرة، وحالات المرض والوفاة، والانتصارات العسكرية، والمناسبات السيئة والاضطرابات التي تشهدها البلاد، والمناسبات الدينية كالأعياد وغيرها. وقد أطلق على النقود التذكارية التي تُسك تخليداً لهذه المناسبات «نقود الصلة» لأنها كانت توزع كهدايا وصلة لأولي الأرحام والفقراء واليتامى، والأمراء وكبار القواد ورجال الدولة. وهذه النقود التذكارية كانت تختلف - في كثير من الأحيان - عن النقود المخصصة للتداول من حيث الشكل العام والكتابات والزخارف والوزن والقطر، وكانت تحمل أسماء الحكام والأمراء أصحاب المناسبة، أو صورهم، وبعض الرسوم والنقوش التي تعبر عن المناسبة التي ضربت فيها، والنقود التذكارية لم تكن مخصصة للتداول، ولكن لتوزيعها كهدايا لذلك لم يكن يهتم - في كثير من الأحيان - بتسجيل اسم مكان أو تاريخ السك عليها. ولم يكن هناك قاعدة محددة لوزنها مثل نقود التداول.
- يتجلى دور النقود كوسيلة مهمة من وسائل الإعلام في العصر الإسلامي من خلال استخدامها في الوعظ والإرشاد ونشر المبادئ الأخلاقية بين الناس، ومن هذه المبادئ ما يخص الفرد مثل: «بركة العمر حسن العمل»، «الدنيا ساعة فاجعلها طاعة»، «العدل أساس الملك».
- إنَّ تسجيل تاريخ السك على بعض النقود إلى جانب مكان السك يساعد في كثير من الأحيان على تحديد الفترة الزمنية لغزو بعض الحكام لأقاليم أو مدن بعينها، أو احتلالهم لهذه الأماكن لفترات معينة، وهو الأمر الذي يساعد على دراسة التاريخ السياسي والعسكري لبعض الدول بمزيد من الدقة.

- استخدم على النقود الإسلامية العديد من الخطوط مثل الخط العربي بأنواعه: الكوفي (البسيط، المربع أو الهندسي)، والنسخ والثلث. بالإضافة إلى بعض الخطوط العربية القديمة مثل خط المسند الحميري. كما استخدمت بعض الخطوط الأخرى غير العربية على النقود الإسلامية مثل: الفهلوي، واللاتيني، الفارسي، السنسكريتي، الأرمني وغيرها.
- تعد النقود الإسلامية مدرسةً فنيةً يمكن من خلالها دراسة العديد من الزخارف المختلفة التي نقشت عليها، مثل الرسوم الآدمية والحيوانية، ورسوم الطيور، والأشجار والنباتات، والزهور، والرسوم المعمارية، وأدوات القتال، وأدوات الإضاءة، والرسوم الفلكية وغيرها.
- أن دار السك كان يعمل بها بعض الفنانين والمصورين الذين قاموا بتنفيذ تلك الرسوم والزخارف والتي تحتاج إلى مهارة خاصة لأنها تنقش مقلوبة على قالب السك حتى تظهر على النقود في وضعها الصحيح بعد سكها.
- ارتبط ظهور هذه الزخارف على النقود- في كثير من الأحيان- بدلالات مختلفة سياسية ودينية ومذهبية واجتماعية واقتصادية، تتضح بجلاء من خلال دراستها في ضوء الظروف المعاصرة لكل حاكم ظهرت على نقوده تلك الزخارف. كذلك ترتبط الزخارف المنقوشة على النقود بالطراز الفني السائد في الدولة - في كثير من الأحيان- لذلك تتجلى أهمية النقود في الاعتماد عليها في تأريخ العديد من التحف الفنية غير المؤرخة من خلال مقارنة زخارف تلك التحف بالزخارف المنقوشة على النقود المؤرخة.

أهم مراحل المسكوكات الإسلامية

مرّ تاريخ العملات الإسلامية بالعديد من التغيرات، فقد كانت الدولة الإسلامية تقوم بسك العملات كغيرها من دول العالم. حيث كان يتم استخدام العملات التجارية؛ لتسهيل التبادل التجاري بين البلاد وبعضها البعض.

مرّ تاريخ العملات الإسلامية بعدة تغيرات مختلفة، وكانت كغيرها من باقي العالم تقوم بسك العملات. ومن ثمّ يتم تداولها في الحياة التجارية، كل دولة من الدول كان لها عملة محددة. في عهد النبي كان المسلمون يتعاملون بالدنانير والدارهم (البيزنطية و الساسانية) حيث فرضت الزكاة بهذه العملات. لم يحدث أيّ تغيير في مضمون الكتابات التي كانت توجد على العملات، أو في الشكل الفني لها. استمرت هذه العملات في عهد

الخليفة أبو بكر الصديق دون حدوث أية إضافات لها. بينما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب على الرغم من انشغال المسلمين بالفتوحات. إلا أنهم أرادوا أن يبرزوا شخصياتهم المستقلة، فتمّ ضرب العملات الإسلامية ذات الطابع الفارسي أو البيزنطي لكن تمّ استبدال كلماتها بالكلمات الإسلامية، مثل: الحمد لله، محمد رسول الله. بالإضافة إلى استبدال الأسماء، فبدلاً من اسم كسرى تمّ وضع أسماء الخلفاء الراشدين (Vardanyan, 2022).

ثمّ بعد ذلك مرت العملات بالعديد من التغيرات خلال مرحلة الفتوحات والدولة الإسلامية، والتي كانت كالتالي: العملات الأموية. العملات العباسية. العملات الفاطمية. العملات الأيوبية. العملات المملوكية. العملات العثمانية.

العملات الأموية

كانت العملات في العصر الأموي (Algabri, 2016) متأثرة بشكل كبير بالعملات البيزنطية من حيث الأسماء والوزن، لكن كان هناك العديد من الاختلافات كرسوم النصوص الدينية على وجه وظهر العملة وكتابة مكان وتاريخ سك العملة، بالإضافة إلى كتابة اسم ولقب الوالي.

العملات التي تمّ سكها في العصر الأموي، هي: الدينار الذي كان يتمّ سكه من الذهب. والدرهم من الفضة. وكان الدينار الأموي العملة الرسمية للدولة الأموية منذ أن تمّ تأسيسها حيث تمّ سك النقود منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وفي عهد الخليفة الأموي الخامس عبد الملك بن مروان شهدت العملة تنظيمًا وتعريبًا كبيرًا. حيث أمر الخليفة بضرب العملة بشهادة الإسلام، وصورة الخليفة وذلك لتكون بدلاً من صورة هرقل وتمت إزالة صورة الامبرطور هرقل (القرن السابع ميلادي) وأبنائه من على الدنانير ووضع صورة الخليفة عبد الملك بن مروان عليها وفي يده سيف حيث يرمز إلى الجهاد والإمامة، بالإضافة إلى وضع كتابات كوفية بشكل دائري بالإضافة إلى وضع شهادة التوحيد عليها "لا إله إلا الله محمد رسول الله". وإن ما قام به عبد الملك بن مروان كان تنظيم سك النقود والذي كان عن طريق توحيدها بمختلف أنحاء الدولة، بالإضافة إلى وضع بعض المعايير القياسية لأشكالها، وأوزانها وذلك من أجل المساعدة في تسهيل جمع الزكاة. النقود التي سكّت في عهد عبد الملك بن مروان تمّ نقش "قل هو الله أحد"

و"لا إله إلا الله وحده" عليها، هذا بالإضافة إلى وضع طوق على وجهيها تم كتابة "ضرب هذا الدرهم بمدينة كذا". كما أنه تمّ وضع "محمد رسول الله" أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ويرى بعض الباحثين إنّ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان تعد من أهم فترات الإصلاح النقدي البارزة في تاريخ الإسلام. وكانت أوزان عبد الملك يتم استخدامها في العديد من العصور التالية. حيث كانت تُستخدم في عصر الوليد، وسليمان. بالإضافة إلى عصر عمر بن عبد العزيز، لكن في عهد يزيد قام واليه بالعراق عمر بن هبيرة بضرب الدراهم والتي عُرفت بعد ذلك باسم "الهبيرية". ثم جاء هشام بعد ذلك وأعاد العملة إلى سابق عهدها كما أنه أصدر أمراً بحظر ضرب النقود في أي مدينة غير العراق، واستمر الحال على هذا حتى جاء آخر خلفاء بني أمية وهو "مروان بن محمد". حيث قام بنقل دور سك العملة إلى حرّان في الجزيرة والذي ظلت هناك حتى قُتل وبعدها سقطت الدولة الأموية.

العملات العباسية

تتشابه العملات في العصر العباسي كثيراً مع العصر الأموي، والتي ظل إصدارها بمصر ودمشق بالعبارات نفسها عدا تاريخ الإصدار واسم الخليفة تحت الشهادتين. تميزت العملات العباسية بالخطوط الكوفية الدقيقة بالإضافة إلى رشاقته، وجاذبيتها. كما أن العملة الإسلامية التي تمّ إصدارها في الدولة الطولونية، أو الإخشيدية لا تختلف كثيراً عن العملة العباسية في الشكل والمضمون الخاص بها والتي لم تزد عنها في أي شيء سوى في إضافة اسم حاكم مصر، وذلك بداية من أحمد بن طولون.

تختلف تاريخ العملات الإسلامية عن بعضها البعض من حيث تاريخ الإصدار، وكتابة اسم الحاكم بالإضافة إلى الدولة التي قامت بسك العملة حيث تمّ ضرب العملة في عام 164 هـ، 780م والتي تمّ إصدارها في عهد الخليفة العباسي المنصور. تمّ نقش عبارة التوحيد "لا إله إلا الله" على وجه العملة، ويحيط بها محيط دائري يحتوي على نقوش من الآيات القرآنية بينما على الوجه الآخر يوجد نقش لعبارة "محمد رسول الله"، وحوله بشكل دائري تمّت كتابة كلاً من: تاريخ العملة ودار السك الخاصة بها. فوفقاً لما جاء في مجلة الحج والعمرة في عام 2005م أنه في بدء عهد العباسيين لم يحدث تغيير هام في

نسق الشكل الأموي للعملة. الاختلاف الذي حدث في العملة هو العبارة التي وُضعت في المنتصف في الوجه الخلفي للدينار حيث تَمَّت كتابة "محمد رسول الله" (Nicol, 2006, (Bacharach 2006).

العملات الفاطمية

تطورت العملات في عهد الدولة الفاطمية تطوراً كبيراً بالمعالجة الفنية، حيث اختلف شكلها ومضمونها واصبحت تحتوي على العديد من الزخارف والنقوش، حيث يوجد على كل وجه من وجهيها ثلاث دوائر متداخلة والذي كُتب فيما بينهما بالخط الكوفي. وعلى الوجه الآخر للعملة تَمَّت كتابة اسم الخليفة وبعض الكتابات الأخرى، تمّ ضرب العملة بإشراف الدولة في دار الضرب التابع لها وفي عهد الخليفة الإمام المنصور أمر ببناء مدينة جديدة في جنوبي شرق القيروان بنصف ميل تَمَّت تسميتها باسم مدينة المنصورية، حيث تم ضرب الدينار الذهبي المؤرخ بها، ومنذ عام 386 هـ حملت النقود في العصر الفاطمي الأفكار الشيعية حيث قامت باستخدام عبارة "عليّ وليّ الله".

العملات الأيوبية

اختلفت العملة أثناء حكم الدولة الأيوبية اختلافاً كبيراً عن باقي العصور السابقة، وتُعد هذه المرحلة من أهم مراحل تاريخ العملات الإسلامية. لم تتم كتابة أية صيغ لشهادة التوحيد على العملة، حيث تم الاكتفاء بكتابة اسم الخليفة وحاكم مصر هذا بالإضافة إلى اختلافها في التصميم الفني لها، واختلاف طبيعة التشكيل على الكتابة الكوفية والتي أخذت شكلاً زخرفياً يعكس العديد من ملامح الفنون التشكيلية التي تمّ ابتكارها. تمّ ضرب العملة النحاسية لأول مرة في العصر الأيوبي في عصر صلاح الدين الأيوبي، حيث تنوعت العملات النحاسية الأيوبية في زخرفتها، وكتابتها وشكلها.

تعددت أشكال العملة النحاسية التي تمّ إنتاجها في العصر الأيوبي، الشكل الأول للعملة كان يحمل أسماء سلاطين وخلفاء الدولة الإسلامية. بينما الشكل الثاني فكان يحمل صورة صلاح الدين الأيوبي وعلى رأسه خوذة حربية وكتابة "المملك لله" على العملة. أما

الشكل الثالث فكان يحمل صوراً للحيوانات كنقش صورة أسد رمز القوة بالإضافة إلى كتابة القاب صلاح الدين الأيوبي عليها.

الدينار الذهبي الأيوبي مرّ بشكّلين، **الأول**: كان يُشبه الدينار الذهبي الفاطمي. وجه العملة كان يحمل اسم الإمام الحسين، في المنتصف كانت مكتوبةً عبارةً "لا إله إلا الله وحده لا شريك له" بينما ظهر العملة كانت مكتوبةً عليها في المنتصف عبارة "محمد رسول الله". أما **الشكل الثاني** من الدينار الذهبي فقد كُتب على وجه العملة "لا إله إلا الله أبو العباس الناصر لدين الله" تم ضرب هذه العملة في عهد صلاح الدين الأيوبي.

وتعد الدراهم الفضية التي تمّ ضربها في العصر الأيوبي من أهم مراحل تاريخ العملات الإسلامية، حيث مرت عملية سك الدرهم الفضي بالعديد من المراحل، وهي: **مرحلة ما قبل الاستقلال** حيث تمّ ضرب الدرهم الفضي فيه والذي كان في عهد الخليفة نور الدين محمود، كان يكتب اسمه عليه. بينما المرحلة الثانية تسمى **مرحلة ما بعد الاستقلال**، والتي تمّ سك العملة فيها باسم صلاح الدين الأيوبي. ومرّ الدرهم الفضي بالعديد من الأشكال، ومن أبرز هذه الأشكال: **الدائري**. الوجه الأمامي كان يحمل صورة الخليفة المستنصر بأمير الله بينما على ظهر العملة تمّت كتابة اسم "صلاح الدين الأيوبي". **والسداسي الأطراف** والوجه الأمامي للعملة كُتب عليه "الناصر لدين الله أمير المؤمنين" (Bacharach, 2006).

العملات المملوكية

يُعتبر العصر المملوكي من أبرز العصور الذي مرّ به تاريخ العملات الإسلامية، حيث حدث عدة تطورات للعملة الإسلامية في هذا العصر والتي بدأت منذ تولي الملكة شجرة الدر الحكم عام 648 هـ والتي قامت بكتابة "المستعصمة الصالحة ملكة المسلمين والدة المنصور خليل أمير المؤمنين". حول العملة توجد صيغة مطولة لشهادة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله". هذه العملات تُعد من أندر العملات التي توجد في العالم وذلك لأن حكم شجرة الدر لم يتجاوز الشهرين. تولى بعدها العديد من الملوك في هذه الفترة، حيث تولى السلطان قطز حكم مصر الذي تمّ تسجيل انتصاره على المغول في معركة عين جالوت على

العملات الفضية والذهبية، حيث حملت اسمه منفرداً والتي كانت كالتالي "الملك المظفر سيف الدنيا والدين قطز". بينما العملات التي تمّ ضربها أثناء عصر الظاهر بيبرس تعد من أجمل العملات التي تمّ إصدارها في هذه الفترة.. حيث تحتوي على النقوش الجميلة، وفي عهد دولة المماليك الشراكسة فقد تمّ إنشاء دار من أجل ضرب العملة في مدينة الإسكندرية، والتي تمّ إنشاؤها بجانب دار السك الذي يوجد بالقاهرة (Bacharach, 2006).

العملات العثمانية

قامت الدولة العثمانية بسك العديد من العملات أثناء فترة حكمها وتمّ سكها من الذهب، وكانت العملة تأخذ الشكل الدائري. والكتابة عليها باللغة العربية وكانت تحمل اسم السلطان بمثابة الطغراء الذي يتمّ ضربها في عهده (المجيدية = السلطان عبد المجيد) كما تمّ إصدار عدة أنواع من النقود الصغيرة للمعاملات اليومية مثل : القرش، البارة، البشك والبرغوث ولكل منها قيمتها المادية المرتبطة بالعملة الذهبية (Bacharach, 2006).

لائحة المصادر والمراجع

- عبد الرزاق، ناهض (بدون تاريخ). المسكوكات. جامعة بغداد، كلية الآداب، قسم الآثار.
- عبد الرزاق، ناهض (1988). المسكوكات وكتابة التاريخ. وزارة الثقافة والاعلام، بغداد.
- سلامة سركيس، حسان (2003). الأرخيولوجيا. منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت.
- سلهب، زياد وكيوان، خالد (2016). المسكوكات القديمة. جامعة دمشق، كلية الآداب، دمشق.
- قازان، وليم (1983). المسكوكات الإسلامية. بيروت.
- ماكدوال، ديفيد وليم (1986). مجموعات النقود: صيانتها، تصنيفها، عرضها. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

- Kavelar, A., Zambanini S., Kampel M., (2014). Reading the legends of Roman Republican coins. *Journal on Computing and Cultural Heritage*, 7, 1, 1-20.
- Algabri, S. H. (2016). *A Period of Transition: Early Islamic and Umayyad Coinage*, University of Al-Qadisiyah.
- Bacharach, J. L. (2006). *Islamic history through coins: An analysis and catalogue of tenth-century Ikhshidid coinage*. Cairo. The American University in Cairo Press.
- Barrett. D. S. (2000). *Greek and Roman coins in the antiquities Museum University of Queensland*. St. Lucia: Department of Classics and Ancient History, University of Queensland.
- Bland, R. A. (1990–1991). Hoard of Syrian Tetradrachms of the Third Century A.D. from Trans-Jordan, *INJ* 11:81–88.
- Bland, R. (1991). Six Hoards of Syrian Tetradrachms of the Third Century AD, *Numismatic Chronicle* 151:1–33.
- Bresson, A. (2006). The origin of Lydian and Greek coinage: Cost and Quantity. *Li Shi Yan Jiu*, 5, 149-159.
- Bresson, A., & Rendall, S. (2016). *The Making of the Ancient Greek Economy: Institutions, Markets, and Growth in the City-States*. Princeton: Oxford Princeton University Press.
- Butcher, K. (1991). *Coinage in Roman Syria: Northern Syria, 64 BC- AD 253*. London: Royal Numismatic Society.
- Caza, S.-M. (2021). *A Handbook of Late Roman Bronze Coin Types*, 324-395.
- Elayi, J., (1992). Les sicles de Tyr au dauphin, *Numismatica e Antichità Classiche* 31, pp. 37–49.
- Elayi, J., & Elayi, A. G. (1993). *Trésors de monnaies phéniciennes et circulation monétaire (Ve-IVe s. av. J.-C.)*, Gabalda, Paris.
- Elayi, J., & Elayi, A. G. (1993). Nouveaux trésors de monnaies de Byblos (1992), *Revue Belge de Numismatique* CXXXIX, 17–30.
- Elayi, J., & Elayi, A. G. (1993). Une nouvelle division de la première série de Sidon, *Bulletin de la Société française de Numismatique* 48, 603–604.
- Elayi, J., & Elayi, A. G. (1993). La galère à voile ferlée des premières monnaies de Sidon, *Cahiers Numismatiques* 117, 13–15.
- Elayi, J., & Elayi, A. G. (1993). L'ordre de succession des derniers rois de Byblos, *Syria* 70, 109–115.
- Elayi, J. (1994). La diffusion des monnaies phéniciennes en Palestine, in éd. E. M. Laperrousaz et A. Lemaire, *La Palestine à l'époque perse*. Paris, 289–309.
- Elayi, J. (1995). L'ouverture du premier atelier monétaire phénicien, *Bulletin du Cercle d'étude Numismatique* 32 : 7-73
- Elayi, J., and Elayi, A. G. (2014). *A Monetary and Political History of the Phoenician City of Byblos in the Fifth and Fourth Centuries B. C. E*. Wiona Lake, Indiana: Eisenbrauns.
- Goussous, N. G., Alzuod, H. A., Naghawy, A. M., (2014): *Inedited and Rare Ancient, Classical and Byzantine Coins*, Jordan Ahli Bank Numismatic Museum.

- Guest, P. (1999). The Interpretation of Roman Coins - Practice and Theory IN Theoretical Roman Archaeology and Architecture. In A. Leslie (ed.). *Theoretical Roman Archaeology and Architecture: The Third Conference Proceedings*. Glasgow: Cruithne Press: 200–212.
- Harl K. W. (1996). *Coinage in the Roman Economy, 300 B.C. to A.D. 700*. Baltimore. Maryland: Johns Hopkins University Press.
- Heymans, E., & Termeer, M.K. (2018). Politics of Value: New Approaches to Early Money and the State: Panel 5.11, Heidelberg: Propylaeum. *Archaeology and Economy in the Ancient World – Proceedings of the 19th International Congress of Classical Archaeology*, Cologne/Bonn 2018, Vol. 33.
- Hill, G. F. (1910). *Catalogue of the Greek coins of Phoenicia*. London.
- Malek, H. M. (2019). *Arab-Sasanian Numismatics and History during the Early Islamic Period in Iran and Iraq*. London: Royal Numismatic Society.
- Howgego, C. J. (2015). *Ancient history from coins*, Routledge.
- Kindler, A. (1993). On the Coins of the Itureans, *Proceedings of the XIth International Numismatic Congress*, Brussels, September 8th–13th 1991, I, (Louvain-la-Neuve), 283–288.
- Martin Rowe, (2019). An unusual depiction of Ba'al Arwad and a hippocampus on coins of Arados during the Persian Period. *KOINON*, II. 23-28.
- Metcalf, W. E. (2014). *The Oxford Handbook of Greek and Roman Coinage*. New York: Oxford University Press.
- Nicol, N. D. (2006). *A corpus of Fāṭimid coins*. Trieste: Bernardi.
- Webster, O. (2019). *Identity, Religion and Empire: the Civic Coins of Roman Phoenicia*, Thesis (Ph.D.), University of Nottingham.
- Sear, D.R. (2020). *An Introductory Guide to Ancient Greek and Roman Coins*. London: Spink.
- Sear, D. R. Bendall, S., & O'Hara, M. D. (2006). *Byzantine coins and their values*. London: Spink.
- Baldwin A. (2000). *Symbolism on Greek coins*. New York: S.J. Durst.
- Societas De Tauro Cum Facie Humana. (2018). *Koinon: The international journal of classical numismatic studies*.
- Vardanyan, A. R. (2022). *Dinars and Dirhams: Coins of the Islamic lands*. The Nasser D. Khalili Collection of Islamic Art volume XIX.
- Ali, W. (2004). *Islamic Coins During the Umayyad, Abbasid, Andalusian and Fatimid Dynasties. Foundation for Science Technology and Civilisation*.

الجزء الثالث
مناهج البحث العلمي في تاريخ الفن

الفن الإغريقي والهلنستي والروماني

(الفن الكلاسيكي)

أ. دة. زينا فاني

تعود مجموعات المنحوتات اليونانية والهلنستية والرومانية الموجودة في أوروبا إلى القرن الخامس عشر. كان إقتناؤها طابع زهو الملوك أو الباباوات أو الأرستقراطيين قبل تعليمها الشعوب، لتصبح فيما بعد ملكاً عاماً مشتركاً ولتشكّل في النهاية تمهيداً لفكرة إرث خاص بالبشرية برمتها.

كان ممتلكو المجموعات الفريدة هذه يرغبون في فهم هذه الأعمال المكتسبة بشغف، ومعرفة الحضارات التي ساهمت في ابداعها. إذ انتقلوا من حجرة الفضول (cabinet de curiosités) إلى التصنيف الذي يُشكل بداية كل دراسة علمية. إذ سمح إنشاء سلسلة إصدارات العملات (séries de monnaies)، التي تُسمى "الإصدارات الإمبراطورية" (suites impériales) والتي كانت تحمل صور مختلف الأباطرة، وبتحديد وتأريخ صور الأباطرة المسكوكة في بادئ الأمر والأعمال الأخرى فيما بعد.

بدأت فهرسة (répertorisation) الأعمال المصنوعة في روما أو المستوردة إلى إيطاليا منذ العصور القديمة مع علماء مثل جورجيو فازاري (Giorgio Vasari) في القرن السادس عشر، ويوهان يواخيم فينكلمان (Johann Joachim Winckelmann) في القرن الثامن عشر. وخلال تلك الفترة، اعتُبر الفن المصنوع في اليونان أو في آسيا الصغرى في بعض الأحيان التحفة المطلقة (le chef-d'œuvre absolue) التي تعكس الجمال المثالي. ونتجت عن ذلك رغبة الباحثين خلال عقود في إعادة إنشاء أو في استطاعة تخيل المنحوتة الأصلية التي كانت تُقلد. ويمكن إعادة بناء العمل الفني المثالي (Idealskulpturen) الضائع أو المدمر

عبر مختلف النسخ التي وصلت إلينا. ولكن حالياً، توصل الباحثون إلى أن البحث لا يؤدي إلا إلى أعمال مُعيدة الإنشاء لا تكون إلا افتراضية. وكان بياض الرخام، الذي بحسب فينكلمان وخليفته، يعكس طهارة المنحوتة، بينما تظهر الدراسات الحديثة تعدد الأصلي للألوان. إذاً، قد حيرت مشكلة النسخ الرومانية للأعمال اليونانية مؤرخي فن العصور القديمة خلال عقود.

بالإضافة إلى ذلك، سعى مؤرخو الفن نشر مجلدات (catalogues) تعرف عن الأعمال المحفوظة في مختلف المتاحف. وتم إجراء دراسات مكثفة من أجل معرفة تطور صور الأباطرة وصور عامة الناس. حالياً، إن البحث يتعلق بشكل أساسي بالإطار المنزلي أو الديني أو المدفني حيث وُضعت الأعمال. ويتم السعي إلى معرفة دور الجهة الراعية. والهدف هو فهم المجتمع بما فيه من طبقات مختلفة، لأن لم يكن للحرفيين على الأرجح دور ضمني في تصنيع هذه التحف. ولكن، أليس بإمكاننا الكشف عن الأيدي التي صنعتها؟ أليست لها رسالة ضمنية؟

تم نشر فهرس منحوتات إلهية من تماثيل أو نحت بارز، مثلاً: إ. إسبرانديو (E. Espérendieu)، ص. ريناخ (S. Reinach). وبالتالي إدخال الفرق بين هاتين التقنيتين في بداية القرن العشرين. وتبين أن الإبداع والخلق الروماني يكمنان في العمائر التاريخية (أقواس النصر أو الأعمدة المؤرخة).

أثارت اهتمام الباحثين دراسة الصناعة الامبراطورية في روما وفي المراكز المدنية الرئيسية في العالم الروماني في بداية القرن العشرين. فقد حاولوا تمييز أنماط بعض المدن مثل بيرغامون أو أفروديسياس أو أثينا، وحتى طرح الفرضيات أدت إلى اكتشاف ورش العمل القديمة.

اتضح أن دراسة تقنية النحت تظهر أحياناً آثار أيدي النحات أو ورشة العمل التي صنعت فيها التحفة. كما وأظهرت دراسة نوع الحجر المنحوت إلى معرفة أعمق للمواد ومكان استخراجها.

لفتت منحوتات مقاطعات الإمبراطورية الرومانية الأنظار، ولا سيما تلك المتعلقة بالآلهة. وتم إجراء دراسات دقيقة على بعض القطع. في لبنان وسوريا، أجرى هانري سيريج (Henri Seyrig) هذه الدراسات وتابعها إيرنست ويل (Ernest Will). فكان السعي

الاساسي هو تحديد عناصر مجامع الآلهة من أجل إغناء المعارف المتعلقة بالعقائد الدينية القديمة. وكانت أيضاً هناك منحوتات مدفنية على النواويس والتماثيل والشواهد. فإشتهرت مملكة تدمر والجنوب (حوران) وشمال سوريا وأجريت العديد من الدراسات التصنيفات على صناعاتها.

ومنذ بضع العقود فقط، أصبحت التماثيل من الفخار في المقدمة لأنّ هذه الصناعة الكوروبلاستيكية (coroplastique) لا تعكس نسخ الأعمال المشهورة وحسب، بل إنّها صناعة أصلية. شهدنا إذًا ازدهار هذه الصناعات انطلاقاً من فنّ بسيط غير جدير بالذكر.

لائحة المصادر والمراجع

Andreae, B. (2012). *L'art romain. D'Auguste à Constantin*. Paris: Picard.

Fowlkes-Childs B., Seymour, M. (2019). *The World between Empires. Art and Identities in the Ancient Middle East*. Yale.

Holtzmann, B. (2020). *La Sculpture grecque*. Paris.

Kleiner, F. (2017). *A History of Roman Art*. Boston.

Leriche, P. (Dir) (2014). *Art et civilisation de l'orient hellénisé. Rencontres et échanges culturels d'Alexandre aux Sassanides*. Paris.

Neer, R. T. (2011). *A New History. Greek Art and Archaeology*. London.

Queyrel, F. (2016). *La sculpture hellénistique. Formes, thèmes et fonctions*. T.1. Paris.

Queyrel, F. (2020). *La sculpture hellénistique. Royaumes et cités*. T. 2. Paris.

أهم المدارس التي تركت أثراً كبيراً

في دراسة تاريخ الفن

أ. د. محمود الزياوي

في منتصف القرن السادس عشر، وضع جيورجيو فازاري كتابه الشهير "حياة الفنانين"، وفيه استعرض سيرة ونتاج أكثر من مئتي فنان، من نهاية القرن الثالث عشر إلى عصره. ويُعتبر هذا الكتاب من أولى المؤلفات التي أسّست لما يُعرف بـ "علم تاريخ الفن". كان فازاري أول من تحدث عن "نهضة الطريقة الجميلة"، أي انبعاث الأسلوب اليوناني الروماني الذي يوصف اليوم بالكلاسيكي، كما كان أول من أطلق صفة "الغوطي" على الأسلوب الذي طبع نتاج الفن الأوروبي في نهاية القرون الوسطى، وذلك حين قارن هذا الأسلوب ببربرية شعوب القوط التي بلغت وسط وجنوب شرق القارة، وسيطرت على روما، وأقامت ممالكها فيها حتى مطلع القرن الثامن.

أسس فازاري لـ "تاريخ الفن"، غير أنه قيّده بهذا التقييم الذي ساد حتى مطلع القرن العشرين، فسادت جمالية "عصر النهضة" بكلاسيكيته، وبدأت سائر الفنون التي سبقتها فنوناً "بدائية" لا ترتقي إليها. بعده، ظهر يوهان يواخيم فينكلمان، ووضع كتابه "تاريخ الفن في العصور القديمة" في النصف الأول من القرن الثامن عشر، وحدّد فيه مراحل تاريخ الفن الإغريقي، كما أوضح الفرق بين الفن اليوناني، واليوناني الروماني، والروماني، وكان أول من طبق تصنيفات الأسلوب على أساس منهجي واسع في تاريخ الفن. أقام فينكلمان في روما حيث تبنته كنيسته، وقام بدراسة موروثة في النحت، ورأى فيه "الكمال التام للنحت القديم"، ودعا في مؤلفاته إلى اعتناق الكلاسيكية الإغريقية. ساهمت هذه المؤلفات في بروز حركة الكلاسيكية الجديدة في أواخر القرن الثامن عشر، وانتشرت في أنحاء أوروبا، وطبعت "علم الآثار" في بداياته وفي نموه على مدى عقود من

الزمن. خضعت الفنون المسيحية في هذه المرحلة لهذا التقييم الكلاسيكي، ولم تخرج عنه إلا في القرن العشرين.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، تطوّر "علم تاريخ الفن" كاختصاص أكاديمي قائم بذاته في فيينا، مع ألويس ريجل، وماكس دفوراك وجوليوس فون سكلوسر، وفي هذه المدرسة، بدأ الخروج عن الثوابت التي سادت منذ عصر فازاري. أعاد ماكس دفوراك الاعتبار إلى الفن الغوطي، وأظهر أسسه الروحية العميقة، وأكّد بأن الرؤيا القروسطية لم تؤثر سلباً على الفن. ودعا تلميذه جوليوس فون سكلوسر إلى استكشاف "الفن المسيحي التاريخي" وتوثيقه بشكل متجرد، بعيداً عن التصنيفات الكلاسيكية التي ساهمت في تحجيمه. بموازاة هذه الدراسات التي شكلت بداية لانبعثات الفن المسيحي بعد نفيه طويلاً. شرعت روما باستكشاف هذا الفن وتوثيقه. كرّس جيوفاني باتيستا دو روسي نفسه لدراسة دياميس روما المسيحية، واكتشف مقبرة كاليستو في 1849، وألهم البابا بيوس التاسع تأسيس "البعثة البابوية للفن المقدس" في 1852. في المقابل، تنقل الأب اليسوعي رفايل غاروشي في أنحاء الأراضي الإيطالية، وسافر إلى فرنسا واسبانيا وألمانيا، وجمع مادة هائلة لإصداراته الخاصة بالفن المسيحي الأول، ثم شرع في نشر موسوعته في عام 1872 "تاريخ الفن المسيحي في القرون الثمانية الأولى للكنيسة". تواصل هذا النشر حتى عام 1881، وأدى إلى صدور ستة مجلدات كبيرة حوت خمسة منها توثيقاً متقناً لتراث الفنون المسيحية.

خرج "الفن المسيحي التاريخي" من الظلمة إلى النور بعد أن حجبته عصر النهضة على مدى قرون من الزمن، وشرعت المعاهد الأكاديمية الكبرى في العواصم الأوروبية في توثيقه ودراسته. في فرنسا على سبيل المثال، أشرف فرنان كابرول وهنري لوكير على إصدار "قاموس الأركيولوجيا المسيحية والليتورجيا" في فرنسا بمعاونة فريق كبير من المؤلفين المختصين، وصدر هذا القاموس في خمسة عشر مجلداً من الحجم الكبير بين 1924 و1953. فتح غابريال ميبه باب دراسة الفنون البيزنطية، وأصدر بين نهاية القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين سلسلة من الكتب والمقالات تناولت مجموعة من المواقع الفن البيزنطي. لم تقتصر هذه الدراسات على المواقع والآثار التي تعود إلى الحقب البيزنطية الأولى، بل طالت كذلك القرنين الرابع عشر والخامس عشر، وشملت تطور فن الكتاب في هذه الحقب. إلى جانب غابريال ميبه، عمل لويس برييه الذي جمع بين

دراسة التاريخ العام ودراسة تاريخ الفن، فقدم للجمهور العريض "العالم البيزنطي" في كتاب من ثلاثة أجزاء، ووضع كتاباً جامعاً عرف به بفن هذه الإمبراطورية، كما كتب عن "حرب الصور"، و"تطور فن التصوير المسيحي"، وخص الفن الرومانسكي بعدد من الدراسات. في هذه الفترة، وضع اميل مال بين 1899 و 1956 سلسلة من الكتب تناول فيها تاريخ "الفن الديني" في فرنسا في القرون الوسطى، كما تناول "كنائس روما القديمة" و"الفسيفساء المسيحية بين القرن الرابع والقرن السابع". كذلك، قام هنري فوسيون بدراسة الفنون الرومنسكية والقوطية، ووضع سلسلة من المؤلفات الخاصة بهذه الفنون صدرت 1932 و 1954.

عرفت الدراسات التي وضعت خلال النصف الأول من القرن العشرين بالفنون المسيحية في القرون الوسطى بمختلف أنواعها، وأعادت الاعتبار للعوامل البيزنطية والقوطية والرومنسكية، غير أنها لم تتحرر كلياً من سطوة روما وعصر النهضة. في فيينا، كان جوزيف سترزيغوفسكي رائداً في دراسة الفنون البيزنطية والإسلامية، غير أن السؤال الذي ظل يشغل فكره طوال حياته بقي هو ذاته: "ما هي روما، وما هما فعلاً الفن الإيطالي والأوروبي؟". أصدر هذا الباحث النمساوي في 1901 كتاباً بعنوان "الشرق أو روما؟"، عالج فيه تطور الفن المسيحي في القرون الأولى، وخلص إلى القول بأن خروج الأسلوب الفني عن الأطر الكلاسيكية الرومانية كان نتيجة لمؤثرات سامية وشرقية غلبت عليه. وتردد صدق هذه القراءة على مدى نصف قرن في الدراسات الخاصة بالفنون المسيحية في القرون الوسطى، ومنها على سبيل المثال لا الحصر دراسات غابريال ميه التي تناولت أصول الفن المسيحي، ورأت في هذه الأصول صراعاً بين الحضارة الهلنستية من جهة والأساليب الشرقية السورية من جهة أخرى. تجاوزت الدراسات اللاحقة هذه القراءة، ونجحت في إبراز الجمالية الخاصة بالفنون المسيحية، وبدأت هذه الجمالية روحية بامتياز، ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسيحية، وترجمها فنياً بقوالب مختلفة.

هكذا وجدت هذه الفنون في النصف الثاني من القرن العشرين طائفة جديدة من البحاثة ساهمت بإعادة التعريف بها بشكل جديد، وعلى رأسهم أندريه غرابار، تلميذ غابريال ميه ووريثه، والمؤسس الفعلي للمدرسة الفرنسية في الدراسات البيزنطية. في مقابل هذه المدرسة، نشأت مدارس ألمانية وإيطالية وأميركية ساهمت بشكل كبير في اغناء هذا الميدان. في هذا السياق كذلك، نشأت المدرسة الروسية وتميزت أولاً بمنهج

خاص بقراءة تطور فن التصوير، ثم تميزت بتأسيسها نظرية تحليل الأيقونة من حيث الأسلوب. كان رائد هذه المدرسة ومؤسسها نيقوديم كونداكوف الذي توفي في 1925. وتبعه في مرحلة لاحقة ميخائيل ألباتوف وفكتور لازاريف. امتدت هذه الدراسات لتطال العوالم المسيحية الشرقية التي انفصلت تاريخياً عن بيزنطيا عقائدياً وكنسياً، غير انها ظلت على تواصل معها فنياً، كما طالت الحقبة التي تلت سقوط بيزنطية في منتصف القرن الخامس عشر، وهي الحقبة التي أطلق عليها تسمية "ما بعد بيزنطيا"، وتشمل النتاج البيزنطي الغزير في الحقبة العثمانية. يبقى علينا أن نشير على هامش هذه المداخلة إلى الدراسات التي تناولت الفنون المسيحية في المشرق العربي.

لائحة المصادر والمراجع

- A. Baruffa, A. (1994). *Giovanni Battista De Rossi :L'archéologo exploreur delle Catacombe*. Vaticano : Libreria editrice vaticana.
- Alpatov, M. (1974). *Early Russian Icon Paintings*, Moscow.
- Alpatov, M. (1975). *Histoire de l'art russe*, Paris : Flammarion.
- Bréhier, L. (1918). *L'Art chrétien, son développement iconographique des origines à nos jours*, Paris.
- Rossi, G. B. (1966). *La Roma sotterranea cristiana: Pubblicata per ordine della Santità di N.S. Papa Pio Nono :Roma 1864-1877*. Frankfurt am Main: Minerva.
- Décultot, É. (2000). *Johann Joachim Winckelmann : enquête sur la genèse de l'histoire de l'art*, Paris : PUF.
- Dvořák, M. (1984). *The History of Art as the History of Ideas*.
- Cabrol, F., Leclercq, H. (1924-1953). *Dictionnaire d'archéologie chrétienne et de liturgie*, Paris.
- Focillon, H. (1947). *Art d'Occident 1 : Moyen Âge roman et gothique*, Paris.
- Focillon, H. (1955). *Art d'Occident 2 : Moyen Âge gothique*, Paris.
- Focillon, H. (1932). *L'Art des sculpteurs romans*, Paris.
- Focillon, H. (1952). *L'An mil*, Paris.
- Focillon, H. (1943). *Moyen Âge : survivances et réveils*, Paris.
- Focillon, H. (1938). *Peintures romanes des églises de France*, Paris.
- Foletti, I. (2017). *From Byzantium to Holy Russia, Nikodim Kondakov (1844-1925) and the Invention of the Icon*, Rome.

- Garrucci, R. (1812-1885). *Storia della arte cristiana nei primi otto secoli della chiesa*. Roma.
- Grabar, A. (1966). *L'Âge d'or de Justinien*. Paris.
- Grabar, A. (1953). *La Peinture byzantine*, Genève.
- Grabar, A. (1966). *Le Premier art chrétien*, Paris, Paris.
- Grabar, A. (1967). *Byzance, L'art byzantin du Moyen Âge (du VIIe au XVe siècle)*. Paris : A. Michel.
- Lazarev, V. (2000). *Mosaïque et fresques de l'ancienne Russie (XI-XVI siècles)*, Paris.
- Leclercq, H. (1907). *Manuel d'archéologie chrétienne depuis les origines jusqu'au VIIIe siècle*, Paris.
- Lescourret, M.A. (2013). *Aby Warburg ou la tentation du regard*, Paris.
- Mâle, É. (1924). *L'Art byzantin*, Paris.
- Mâle, É. (1908). *L'Art religieux de la fin du Moyen Âge en France*, Paris.
- Mâle, É. (1945). *L'Art religieux du XIIe au XVIIIe siècle*, Paris.
- Mâle, É. (1943). *Les Mosaïques chrétiennes primitives du IVe au VIIe siècle*, Paris.
- Mâle, É. (1942). *Rome et ses vieilles églises*, Paris.
- Millet, G. (1910). *Monuments byzantins de Mistra*, Paris.
- Millet, G. (1916). *Recherches sur l'iconographie de l'Évangile aux XIVe, XVe Et XVIe siècles : d'après Les monuments de Mistra, de la Macédoine et du Mont-Athos*, Paris.
- Millet, G. (1899). *Le Monastère de Daphni, histoire, architecture, mosaïques*, Paris.
- Riegl, A. (1998). *Questions de style : Fondements d'une histoire de l'ornementation*. Paris.
- Strzygowski, J. (1901). *Orient or Rome ?*, Leipzig.
- Strzygowski, J. (1920). *Origin of Christian Church Art*, Leipzig.
- Talbot Rice, D. (1963). *Art of the Byzantine Era*, London.
- Talbot Rice, D. (1975). *Icons and their History*, London.
- Vasari, G. (1995). *Les vies des meilleurs peintres, sculpteurs et architectes*, ed. A. Chastel, Paris.
- Warburg, A. (2015). *Fragments sur l'expression*.
- Winckelmann, J. J. (2018). *Histoire de l'art chez les Anciens*, Paris.
- Wölfflin, H. (2017). *Principes fondamentaux de l'histoire de l'art*, Paris.

الفن المسيحي في لبنان

أ. دة. ندى الحلو

المقدمة

يحظى الفن المسيحي على انتشار واسع في جميع أنحاء لبنان وتظهر معاملته الأولى مع انتشار الفن المسيحي في القرن الرابع م. حيث لاقت العمارة ومعها فن الفسيفساء رواجاً كبيراً. دام هذا الفن حتى أواسط القرن السابع. أما النهضة الثانية لهذا الفن فكانت في العصور الوسطى وبالتحديد مع مجيء الافرنج في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، فشهدت المنطقة ظهور نمط جديد من التعبير الفني تجسد في العمارة وفي تزيين جدرانها الداخلية بالرسوم التي تميزت بتأثرها بالتراث البيزنطي.

كان العلماء الفرنسيون الرواد الأوائل الذين اهتموا بمعالم لبنان في القرون الوسطى فلعبوا دوراً هاماً في تسليط الضوء على الآثار المسيحية في لبنان. أولهم الباحث والمفكر إرنست رينان الذي إبان تواجده في لبنان (من 1860 إلى 1864)، أصدر كتابه الشهير "البعثة الفينيقية" الذي تطرق فيه إلى الآثار في لبنان وركز على الكتابات والنقوش. أما عن المعالم الوسيطة كالكنائس، فيكتفي بالإشارة إليها منوهاً بأهميتها التاريخية، غير أنه عندما تحدّث عن الجداريات اعتبر بأن "دراستها سوف تكشف عن فرع هام في تاريخ الفن البيزنطي". أثبت التاريخ بعد قرن ونيف صحة هذا التوقع. ويبقى كتابه مرجعاً أساسياً للآثاريين حتى يومنا.

I. الدراسات عن الحقبة البيزنطية في لبنان

تعاني فترة المسيحية الأولى في لبنان من ضالة الدراسات، خلافاً لما نشهده فيما يتعلق بسوريا وفلسطين. تركت هذه الفترة عدداً من الكنائس التي لم يرد إلينا سوى أساساتها، وبعض من عناصر العمارة كأعمدة وتيجان وفسيفساء ولقى أخرى متفرقة. أهم ما نُشر عنها في القرن العشرين يقتصر على كتابات موريس شهاب وهو الذي نُقّب عنها واكتشف معظمها في الخمسينات والستينات وهي موجودة في مجلة متحف بيروت. أبرز الدراسات تلك التي يتناول فيها شهاب الفسيفساء المكتشفة في الكنائس التي تعود إلى القرنين الخامس والسادس وقد نشرت في مجلة المتحف في سنتي 1958-1959. ثم غابت الأبحاث في الربع الأخير من القرن العشرين بسبب الحرب الأهلية. لكن أصدرت بولين دونسيل-فوت في باريس مجلداً عن أرضيات كنائس سوريا ولبنان في الفترة البيزنطية الأولى وكان ذلك سنة 1989. تتناول الباحثة فن الفسيفساء من حيث الأسلوب ورمزية تواجده في الكنيسة. ونشهد نهضة علمية مع مطلع القرن الواحد والعشرين حيث كثرت التنقيبات الأثرية في بيروت وفي الريف وأظهرت الحفريات العديد من الكنائس والفسيفساء وكانت أهمها الكنيسة البازيليكية في شحيم وفسيفساؤها التي اكتشفها عالم الآثار البولوني توماس فاليشفسكي سنة 1997 ونشرها في كتيب سنة 2002. وللباحث العديد من الدراسات منشورة في مجلة بعث. توجت هذه الأبحاث بأطروحة دكتوراه (2007) لصوفي غارو التي كتبت عن "عمارة الكنائس في فينيقيا البحرية في الفترة البيزنطية الأولى"، حيث جمعت الباحثة أكبر عدد ممكن من الكنائس، معظمها غير مدرّوس.

II. الدراسات التي تتناول العصور الوسطى

تتوزع على الأراضي اللبنانية وخصوصاً في الشمال ثلاثة أنواع من تصاميم الكنائس، وهي العمارة البازيليكية والكنائس ذات الصحنين وذات الصحن الواحد. ولكل من هذه التصاميم خصوصيتها. أول من سلط الضوء على العمارة المسيحية في الأراضي المقدسة أثناء التواجد الإفرنجي كان المؤرخ وعالم الآثار كامبي إنلار الذي كتب مجلدين (1925-1929) عن تلك العمارة في فلسطين ولبنان وسوريا فاعتبرها جزءاً لا يتجزأ من العمارة

الرومنسكية الفرنسية والإيطالية في شرقنا. واتبع كل من بيار كوبيل وبول ديشان المنحى نفسه في أبحاثهما في فترة ما بين الحربين العالميتين. لعبت هذه المجلدات دوراً هاماً في التعرف على هذه المعالم ولكن لم يصدر من بعدها شيء يذكر طوال القرن العشرين حتى أواخره. قد يعود السبب إلى الحرب الأهلية اللبنانية.

صدرت في العقد الأخير من القرن الماضي موسوعة من ثلاثة مجلدات (1992-1993) للباحث الإنكليزي دينيس برينغل يتناول فيها العمارة الصليبية في الأرض المقدسة. وقد استنبط من المصادر القديمة والوثائق جميع المعلومات مما ساعده على تكوين جردة لجميع كنائس مملكة القدس التي شملت بيروت والنصف الجنوبي من لبنان. في الموسوعة إعادة تكوين ما قد دمر وما تعرض لعمليات ترميم فضلاً عن التصاميم والصور لكل من هذه الكنائس. تكمن أهمية هذه الموسوعة في إفساحها المجال للمقارنات. في إطار دراسة الفن في الأراضي المقدسة نذكر جاروسلاف فولدا، الباحث الأمريكي، الذي خصص مجلدين (1995 و 2005) لدراسة تحليلية عميقة وشاملة لكل المعالم الأثرية والمعمارية والفنية من منحوتات وجداريات وأيقونات ومخطوطات التي تعود إلى الفترة الصليبية في مملكة القدس. بما يتعلق بكنائس لبنان، نرى أن هذه الإصدارات اقتصرت على العمارة الصليبية الموجودة في المدن الساحلية، في حين غابت عن الاهتمام العمارة الريفية التي تشكل الجزء الأكبر من العمارة في هذه الحقبة.

برز في العقدين الأخيرين اهتمام الباحثين بالعمارة الوسيطة في لبنان، ومن الأثاريين المحليين المهتمين بالعمارة الدينية نذكر ليفون نورديغيان الذي ينشر دراسات تحليلية جديّة عن الكنائس الوسيطة من بازيليكية ومزدوجة وذات صحن واحد. أصدر كميل الأسمر بين العامين 2010 و 2011 كتابه "على خطى المسيحية في لبنان"، درس فيه عدداً كبيراً من الكنائس الوسيطة بمختلف تصاميمها. تكمن في أهمية الكتاب بالمخططات الذي اتقنها المؤلف، غير انه لم يدخل في التفاصيل الدقيقة لعناصر البناء ولا في الناحية التاريخية. وهناك مجموعة من الباحثين يتطرقون إلى العمارة الكنائسية في مقالات منفردة نذكر منهم أنيس شعيا وباتريسيا أنطاي وهاني قهوجي جنحو. تصدر جامعة البلمند منذ بداية هذا القرن مجموعة من الكتب عن التراث المعماري والفني الأثرودكسي وهي تتسم على الاجمال بمضمونها العلمي الشعبي. ووضعت على منصتها على الإنترنت جردة لكل كنائس وأديرة البطيركية الإنطاكية مع وصف شمولي لكل

منها، مما يسهل عمل الباحث. كما يحظى اليوم موضوع الكنائس اهتمام طلاب الماجستير والدكتوراه ومن أبرز ما كُتب: أطروحة دكتوراه لخولى الخوري التي تعالج فيها العمارة الريفية ذات التصميم البازيليكي، وقد اعتمدت على مقارنة هذه الكنائس مع العمارة في فلسطين وبيزنطيا وأوروبا. وبالرغم من هذا لا تزال الكنائس تفتقد لدراسة شاملة ومعمقة.

تجدر الإشارة هنا إلى ان المديرية العامة للآثار قامت ببعض التنقيبات وعمليات الترميم وهي لا تزال تشرف على أعمال التنقيب ضمن مشروع بالتعاون مع جامعة إسترغون الهنغارية (منذ سنة 2017) يضم ثلاثين كنيسة قديمة موزعة في جبل لبنان، وسيصدر تقارير ودراسات عنها.

أما عن الجداريات فقد تضاءلت الدراسات في القرن العشرين واقتصرت على الوصف. ولكن عاد النشاط العلمي، ولو خجولا، في العقدين الأخيرين من القرن الماضي مع منشورات الأب يوحنا صادر للجداريات (1987 و 1997) ما فتح المجال للأبحاث التي استهلت القرن الواحد والعشرين مع عدد كبير نسبياً من الباحثين. وتتالت الدراسات النوعية التي تناولت في معظمها الأيقونوغرافيا والأسلوب فوضعتها في أطرها التاريخية والفنية. هؤلاء هم ليفون نورديغيان (1999) وإيريك دود (2004) وندى الحلو (2007-2008) ومحمود الزياوي (2009)، ومات إمريز (2009)، وأخيرا دراسات رفقا نصر التي ركزت على التواصل ما بين الفن والليتورجيا. أظهرت هذه الدراسات أسلوبيين مختلفين يتصف بهما فن الجداريات في لبنان: أحدهما يمتاز بأسلوبه المحلي أما الثاني فعلاقته جلية مع الفن السائد في بيزنطيا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر.

لائحة المصادر والمراجع

Antaki- Masson, P. (2013). Le baptistère médiéval de Jbeil : un joyau de l'art franco-oriental revisité. IFPO, Beyrouth.

Asmar, C. (2010). *Christian Footprints in the Lebanon*, Lebanese British Friends of the National Museum, Beyrouth.

Chaaya, A. (2010). Observations sur l'abbaye de Belmond (monastère de Balamand) à partir des archives photographiques de la DGA, BAAL 14, 385-396.

Chaaya, A. (2016). Le château médiéval d'Enfeh. Résultats préliminaires des travaux de fouille de 2011 à 2015, BAAL 16, 281-283.

Chéhab, M. (1957-1958). Mosaïques du Liban. *Bulletin du Musée de Beyrouth*, 14-15.

Coupel, P. (1941). Trois petites églises du Comté de Tripoli. *Bulletin du Musée de Beyrouth* 5, pp. 46-52.

Cruikshank Dodd, E. (2004). *Medieval Painting in the Lebanon*, Wiesbaden: Reichert Verlag.

Deschamps, P. (1973). *La Défense du Comté de Tripoli et de la Principauté d'Antioche*, Paris (Les Châteaux des Croisés en Terre Sainte III).

Donceel-Voute, P. (1988). *Les pavements des églises byzantines de Syrie et du Liban : décor, archéologie et liturgie*, Louvain-la-Neuve : Département d'Archéologie et d'Histoire de l'Art.

El-Khoury, K. (2019). *Les églises rurales de structure basilicale dans le comté de Tripoli*, Thèse pour obtenir le grade de Docteur de l'Université Libanaise en archéologie, soutenue le 15 mai 2019, Beyrouth.

Enlart, C. (1925-1928). *Les monuments des Croisés dans le Royaume de Jérusalem; architecture religieuse et civile*, 4 vols, Paris : Geuthner.

Folda, J. (1995). *The Art of the Crusaders in the Holy Land, 1098-1187*, Cambridge University Press.

Folda, J. (2005). *Crusader Art in the Holy Land. From the Third Crusade to the Fall of Acre, 1187-1291*, New York.

Garreau Forest S. (2007). *Les églises protobyzantines de Phénicie libanaise et maritime. Architecture et aménagements extérieurs et intérieurs pour la liturgie, Vol. I-III*, Thèse pour obtenir le grade de Docteur de l'Université Paris IV en archéologie, sous la direction de F. Baratte, Paris.

Hélou, N. (2007 a). *La fresque (I) dans les anciennes églises du Liban. Régions de Jbeil et Batroun*, Beyrouth.

Hélou, N. (2007 b). *L'icône dans le patriarcat d'Antioche (VIe – XIXe siècles)*, Beyrouth.

Hélou, N. (2008). *La fresque dans les anciennes églises du Liban. Région du nord (II)*, Beyrouth.

Hélou, N. (2019). *Les mosaïques protobyzantines du Liban. Iconographie et symbolisme*, Publications de l'Université du Saint-Esprit Kaslik (PUSEK).

Immerzeel, M. (2000). "Inventory of Lebanese Wall Paintings", *Essays on Christian Art and Culture in the Middle East*, 3, pp. 3-19.

Immerzeel, M. with the co-operation of Hélou N. (2007). Icon Painting in the County of Tripoli of the Thirteenth Century, in: C. Hourihane (Ed.), 67-83.

Immerzeel, M. (2009). *Identity Puzzles. Medieval Christian Art in Syria and Lebanon*, (Orientalia Lovaniensia Analecta, 184) Leuven-Paris-Walpole: Peeters.

Nasr, R. (2016). *Les images presbytérales des églises du Liban à la lumière de la liturgie eucharistique : les théophanies aux XII^e et XIII^e siècles*, Thèse de doctorat soutenue le 19 novembre 2016 à l'Université de Poitiers. Poitiers.

Nasr, R. (2018). Les images et leur agencement dans l'espace liturgique. Les peintures de Deir es-Salib (Liban, Qadisha). *Iconographica* 19 : 26-46.

Nasr, R. (2019). Les peintures de Mar Élias en-Nahr à Kfar Qahel (Liban) Du XIII^e siècle. Étude iconographique et interprétation. *Chronos*, 39, 23-34.

Nordiguan, L. Reveyron, N. (2001-2002). L'église Mar Saba de Eddé (Batroun). Pour une archéologie du bâti au Liban. *Tempora* 12-13, 115-123.

Nordiguan, L. (2013). "Chapelles rurales médiévales dans le territoire du comté de Tripoli (Liban) : essai typologique », F. Briquel-Chatonnet (éd.), *Les églises en monde syriaque*. Études syriaques 10, Paris : Geuthner, pp. 169-196.

Nordiguan, L., Voisin, J.-C. (1999). *Châteaux et églises du Moyen Âge au Liban*, Beyrouth.

Pringle, D. (1993/1998). *The Churches of the Crusader Kingdom of Jerusalem. A Corpus*, 2 vols, Cambridge.

Renan, E. (1874). *Mission de Phénicie*, Paris.

Waliszewski, T., Alpi F. (1997). Une église byzantine à Majdal Zoun (Liban-Sud), *BAAL* 2, 290-306.

Waliszewski, T. et al. (2006). Jiyeh (Porphyron), « Un site hellénistique, romain et byzantin sur la côte sud du Liban. Rapport préliminaire des sessions de fouilles 1997 et 2003-2005, *BAAL* 10, 5-80.

Waliszewski, T., Ortali-Tarazi R. (2002). *Ch'im. 2000 ans d'histoire au cœur d'un village antique du Liban*. Catalogue de l'exposition Palais Beiteddine 7 septembre 2002 – 7 janvier 2003. Varsovie-Beyrouth.

Zibawi, M. (2009). *Images chrétiennes du Levant*, Paris, Picard, Paris.

Zibawi, M. (1998). *L'art paléochrétien*, Paris.

Zibawi, M. (1996). *Orients chrétiens*, Paris.

الجزء الرابع

مناهج البحث العلمي في اللغات القديمة



مناهج البحث العلمي في لغات الشرق القديم

أ. دة. شيراز حميدان

المقدمة

تشكّل الآثار الكتابية والمادية (العمرانية والفنية) ركائز أساسية لكتابة التاريخ القديم؛ السياسي والحضاري. والبحث فيها مترابط متصل، ويجري وفق مناهج علمية تتكامل في تحقيق الغرض المنشود. ونعني بالآثار الكتابية نصوص الوثائق المدونة بلغات قديمة على رُقْم طينية كالأكادية والأوجاريتية، أو المنقوشة في مواد صلبة من حجر وغيره كالفينيقية والآرامية.

برز الاهتمام بنصوص الوثائق القديمة مع تزايد أعمال التنقيب الأثري في مناطق المشرق العربي، ووفرة المكتشفات؛ ولا سيما في القرن العشرين. وقد تمّ ذلك بجهود الباحثين الأجانب، ولذلك فإن معظم البحوث التطبيقية التي تناولت لغات تلك الوثائق ونصوصها اللغوية منشورة بلغات أجنبية، أما البحوث العربية المتعلقة بها فما تزال قليلة (الطعان، 1978). ولعلّ ما سنعرضه فيما يأتي سوف يساعد ويلبي حاجة طلاب مرحلة الماجستير في اختيار موضوعات بحوثهم وإنجازها.

أولاً- التعريف وأهم الأعلام والمؤلفات

اللغات السامية أسرة لغوية مستقلة، وصفت بـ "السامية" أول مرة من قبل شلوتسر Schlötzer سنة 1781، وقد اعتمد على تقسيم التوراة للأمم بنسبتهم إلى أبناء نوح الباقين بعد الطوفان: سام وحام ويافت (حجازي 2003، 135). وتشمل لغات مرتبطة بالكتب المقدسة (العبرية، السريانية، العربية) ولغات أقدم منها؛ كاللغة الأكادية، والأوجاريتية والفينيقية والآرامية القديمة. وتتميز بأنها لغات تصريفية Flexionnelles تتغير بنيتها

بتغير المعاني، وتُحلَّل أجزاؤها المترابطة فيما بينها بروابط تدل على علاقاتها (الصالح، 1986، ص 46).

بدأت دراسات الأولى للمستشرقين في اللغات السامية القديمة، في أحضان كليات اللاهوت، فأدركوا العلاقة بين العبرية والعربية والسريانية. وبدأت هولندا في القرن الثامن عشر، على يد شولتنس Schultens بمقارنة العبرية بالعربية، وجاء بعده كل من: إيفالد Ewald، وألسهوزن Olshausen فألَّفَا في اللغة العبرية مستخدمين العربية في المقارنة، كما حاول مثل ذلك نولدكه Nöldeke في الآرامية. وفي عام 1890م أَلَّفَ وليم رايت W. Wright كتابه "محاضرات في النحو المقارن للغات السامية Lectures on the comparative Grammar of the Semitic Languages"، كما أَلَّفَ بعده بعام كل من: لاجارد Lagarde وبارت Barth "بحوث في أبنية الأسماء السامية Untersuchungen über die semitische Nominalbildung"، كما أَلَّفَ لندبرج Lindberg "النحو المقارن للغات السامية Vergleichende Grammatik der semitischen Sprachen" وأَلَّفَ تسمرن Zimmern كتابه الذي سَمَّاهُ "النحو المقارن للغات السامية" كذلك، ونشره في برلين سنة 1898م. وجاء بعد هؤلاء جميعاً، عملاق هذا الفن المستشرق كارل بروكلمان C. Brockelmann فأَلَّفَ كتابه الضخم "الأساس في النحو المقارن للغات السامية Grundriss der vergleichenden Grammatik der semitischen Sprachen" في جزأين، برلين 1908، 1913 (عبد التواب، 1997، ص 203).

ولبروكلمان نفسه كتابان صغيران؛ "فقه اللغات السامية" الذي ترجمه رمضان عبد التواب (الرياض 1966)، "مختصر النحو المقارن للغات السامية، برلين 1908. وكل من جاء بعده عالمة عليه، أمثال أوليري، برجشتراسر، موسكاتي، شبيتالر، فون زودن. (عبد التواب، 1997، ص 204).

بدأت في القرن العشرين مرحلة جديدة من البحث في اللغات السامية، حيث بدأ اكتشاف نصوصها يزداد؛ كالنصوص الأكادية والفينيقية والآرامية، أو تكتشف لأول مرة؛ كالنصوص الأوجاريتية. ولم يعد الاهتمام يقتصر على البحث في المظاهر اللغوية في النصوص، بل بالمضمون المعرفي التاريخي فيها، انطلاقاً من مفهوم التأريخ بأنه "فعالية علمية من فعاليات المعرفة البشرية، تتسع ساحتها لكل شؤون الإنسان (دويدري، 2000، ص 151)، وهدفه توضيح طبيعة حياة الإنسان القديم، من شتى الجوانب، وقد تمَّ ذلك

ضمن أطر جغرافية، أو حقبة زمنية، أو وفق مجموعات النصوص (الأرشيفات) المكتشفة، كما يتضح من أعمال بيبليوغرافية أعدّها المستشرقون تتعلق بالنصوص الأكاديمية. (Mattila, R.-K. Radner, 1997; Luukko, M. S. Gaspa, 2008)، أو الأوجاريتية (Smith, Mark S., 2004) أو الفينيقية (راجع: حميدان، مدونة النقوش الفينيقية، قيد الطباعة).

ثانياً- مصطلحات

علم النصوص هو ما يطلق عليه في اللغات الأوروبية Philology، وقد تحدد مجاله بتحقيق المخطوطات وإعدادها للنشر العلمي وفك رموز الكتابات القديمة، وكل ما يتعلق بتقديم النصوص والنقوش القديمة على نحو يمكن من القيام بأبحاث متخصصة فيها (حجازي، 2003، ص31). وتلك البحوث يمكن أن تكون بحوثاً لغوية تدرج في مجالات علم اللغة، أو أدبية أو تاريخية وغيرها.

علم اللغة Linguistics في أبسط تعريفاته هو دراسة اللغة على نحو علمي، ويكون في مجالات علم الأصوات، وعلم بناء الكلمة (الصرف)، وعلم بناء الجملة (النحو)، وعلم المعاجم (حجازي 2003، ص30).

الاستشراق: كلمة اصطلاحية لا يراد بها مدلولها اللغوي، من حيث التوجه نحو الشرق. يقال استشرق أي توجه نحو الشرق، وانتسب إليه. واستشرق في المفهوم الاصطلاحي طلب علوم الشرق واتجاه للتخصص في معرفتها. والمستشرق هو المتخصص في علوم الشرق وحضارته وآثاره وفنونه. (النبهان، 2012، ص 11).

التوثيق اللغوي Language Documentation هو جمع عينة من بيانات لغة ما، تمثل بنيتها اللغوية، وتعطي انطباعاً وافياً عن كيفية استخدامها، ثم دراستها. والهدف من تلك العملية هو وصف تلك اللغة لمن لا يستطيعون الوصول إليها (Lehmann 2001, p. 7).

ثالثاً- إجراءات

1- الإجراءات وفق منهج علم اللغة الوصفي Descriptive Linguistic

هو المنهج الأكثر اتّباعاً في البحوث اللغوية، وهو ذو إطار واسع، يبحث في مستوى لغوي واحد ضمن أبواب اللغة (الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية). يعرفه الباحثون بأنه

"الدراسة العلمية للغة واحدة أو لهجة واحدة أو في زمن بعينه ومكان بعينه" (حجازي، 1997، ص 21).

ظهر بتأثير نظرية الباحث السويسري دي سوسير، التي أكدت على إمكانية بحث اللغة الواحدة بالتعرف على بنيتها الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية. وهذا البحث يرتبط عنده بمستوى لغوي بعينه في زمن واحد، ومعنى هذا أن البحث الوصفي لا يجوز له أن يخلط المراحل الزمنية أو أن يخلط المستويات المختلفة. ثم انبثقت عن نظريته مدارس عديدة، انطلقت من الأسس نفسها، ولكنها اختلفت في تقنيات الوصف اللغوي (عبد التواب، 1997، ص 181).

وإمكانية تطبيقه لدى البحث في اللغات القديمة واسع ومهم، يؤسس لمزيد من البحوث، ويسهم في فهم اللغات وصلاتها.

2- الإجراءات وفق منهج علم اللغة التاريخي Historical Linguistic

يتم الاعتماد على هذا المنهج لدى البحث في تطور اللغة الواحدة عبر القرون، أو بمعنى أدق (التغيير في اللغة الواحدة على مدى الزمن). وقد كانت البحوث اللغوية المقارنة أيضاً ذات سمة تاريخية، ولكنها لم تكن تهتم بالتغيرات بل بالصلات (حجازي، 1997، ص 23؛ عبد التواب، 1997، ص 196). إنه يهدف إلى الاهتمام بتاريخ اللغات وانتشارها والتغيرات الحاصلة؛ تبعاً للزمان والمكان.

3- الإجراءات وفق منهج علم اللغة المقارن Comparative Linguistic

أدى اكتشاف اللغة السنسكريتية، في القرن الثامن عشر، إلى نشوء علم اللغة المقارن (عبد التواب، 1997، ص 201؛ وافي، 2004، ص 53)، وأثار قصد علماء الساميات في تطبيق المنهج المقارن للغات الهندوأوروبية على مجموعة اللغات السامية (عبد التواب، 1997، ص 201).

هو الأقدم لدراسة اللغات السامية، وهو منهج تاريخي أصيل يتم اتباعه لدى البحث في لغتين أو أكثر، تنتميان إلى الأسرة اللغوية نفسها، وذلك لرصد وجوه التشابه والاختلاف، والتأثر والتأثير. وقد ازدهر البحث المقارن مع تزايد الكشف عن النصوص الأكادية

والفينيقية والأوجاريتية. ويمكن للباحث أن يعتمد عليه في تناول مظاهر لغوية مختلفة، تتعلق بالكلمة أو الجملة، أو الأساليب التعبيرية.

4- الإجراءات وفق منهج البحث التاريخي Historical Method

يُعرف منهج البحث التاريخي بأنه "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه، وكما كان عليه في زمانه ومكانه، وبجميع تفاعلات الحياة فيه" (دويدري، 2000، ص 151). ومادة البحث في التاريخ القديم هي النصوص الكتابية والآثار المادية، وتتفوق الأولى على الثانية في أنها تذكر المعلومات بشكل مباشر، ولكن متفرق، وعلى الباحث أن يتتبع جزئياتها (تقميش المصادر) ويصنفها ويحللها وينقدها ويربط بينها لتركيبها ومن ثم استرداد الحقيقة التاريخية الماضية.

وصياغة البحث التاريخي تكون وصفية دقيقة، واضحة في الإجابة على إشكالية البحث وفرضيته، مستندة إلى التوثيق العلمي، والشاهد النصي، بعيداً عن الأهواء الذاتية.

رابعاً- ميادين

إنَّ ميادين البحث في نصوص اللغات السامية القديمة واسع؛ يمكن تقسيمه إلى قسمين أساسيين، هما:

- البحث اللغوي المستند إلى تطبيقات؛ كالبحث في ظواهر صرفية أو نحوية أو معجمية دلالية من خلال نصوص محددة، تمثل مرحلة أو أكثر من تاريخ لغة، وذلك بوصفها أو تتبع تغيراتها أو المقارنة بينها.

- البحث التاريخي في مجموعة نصوص أو أرشيف من حقبة تاريخية، أو إطار مكاني، لرصد جانب من جوانب الحياة السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو الدينية، أو أي جانب آخر من حياة الإنسان ومستلزماتها وما يتصل بها.

- البحث الأدبي في نص سردي طويل؛ كأسطورة أو ملحمة وغيرهما من الفنون الأدبية، أو البحث في موضوع تشترك فيه عدة أعمال أدبية، أو في أسلوب أدبي.

خامساً- مصادر ومراجع

يصعب حصر المصادر والمراجع المفيدة في هذا المجال التخصصي، لضخامة المكتبة الأوروبية المتعلقة بها، ولذلك نشير إلى أهمية الانطلاق من الأعمال البيبليوجرافية المساعدة، ونذكر منها:

Archiv für Orientforschung [AfO]

مجلة سنوية تصدر في فيينا منذ 1923، وتتضمن في أعدادها فهارس بالبحوث الجديدة، مصنفة بحسب موضوعاتها.

Del Olmo Lete, G. (2009). *A Bibliography of Semitic Linguistics (1940-2006)*. Barcelona.

Donner, H., Röllig W. (1971-1976). *Kanaanäische und aramäische Inschriften*. 3rd ed, 3 vol., Wiesbaden: Otto Harrassowitz.

Luukko, M., Gaspa, S., (2008). *A Bibliography of New-Assyrian Studies (1998-2006)*. State Archives of Assyria Bulletin, Vol. XVII, pp. 189-257.

Mattila, R.-K. Radner (1997). *A Bibliography of New-Assyrian Studies (1988-1997)*. State Archives of Assyria Bulletin, Vol. XI, pp. 115-137.

Orientalia

مجلة سنوية تصدر في روما منذ 1932، وتتضمن في أعدادها فهارس بالبحوث الجديدة، مصنفة بحسب موضوعاتها.

Smith, Mark S. (2004). *A Bibliography of Ugaritic Grammar and Biblical Hebrew Grammar in the Twentieth Century*. Oriental Institute Research Archives, University of Chicago.

<http://oi.uchicago.edu/OI/DEPT/RA/bibs/BH-Ugaritic.html>

سادساً- قراءات تطبيقية

نعرض فيما يأتي نماذج متنوعة مختارة من أعمال علمية بالعربية، معظمها بحوث جامعية، تشكل تصوراً عن طبيعة البحوث في هذا المجال التخصصي، ويمكن أن تثير الأذهان وتساعد على الاختيار:

أبو صالح، سما محمد عبد القادر (2008). *الخبرو Hapīrū في النصوص الأكديّة*. رسالة ماجستير غير منشورة، حلب: جامعة حلب.

- إسماعيل، خالد سالم (1990). نصوص مسمارية غير منشورة من العصر البابلي القديم - منطقة ديالى - تلؤل خطاب، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد: جامعة بغداد.
- إسماعيل، فاروق (1998). إرأ وملك كل الديار. ملحمة بابلية. حلب: دار جدل.
- إسماعيل، فاروق - أمل فرداوي (2010). الإدارة الفارسية (الأخمينية) في مصر على ضوء الوثائق الآرامية. حلب: مجلة بحوث جامعة حلب، سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية.
- جاسم، صفوان سامي سعيد (2006). التجارة في بلاد آشور خلال الألف الأول قبل الميلاد في ضوء المصادر المسمارية. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الموصل: جامعة الموصل.
- حميدان، شيراز (2019). أخبار مدينة صور في مراسلات العمارنة (دراسة تحليلية لكتابات مسمارية). مجلة الحداثة، العدد 201-202، بيروت، ص 343-371.
- الزعبي، آمنة صالح (2005). في علم الأصوات المقارن. التغير التاريخي للأصوات في اللغة العربية واللغات السامية. الأردن-إربد: دار الكتاب الثقافي.
- عبد، هيفاء أحمد (2012). لقب أبّ abu في المصادر المسمارية. مجلة التربية والعلم، مج 1/19، ص 155-171، الموصل.
- محمد، جهان عزت (2009). مملكة أمورو في النصوص الأكديّة. رسالة ماجستير غير منشورة. حلب: جامعة حلب.
- محمد، حياة إبراهيم (1983). نبوخذ نصر الثاني 604-562 ق.م. بغداد: وزارة الثقافة والإعلام.
- محمد، محمد (2017). الألفاظ الدينية ودلالاتها في النصوص الأوجاريتية. دراسة معجمية-دلالية. مجلة جامعة البعث، المجلد 39، العدد 15، ص 11-31.
- المحمود، بسمة وليد (2017). الألفاظ الأموريّة في نصوص ماري الأكديّة "دراسة معجمية مقارنة في ضوء اللغات السامية". رسالة ماجستير غير منشورة، حلب: جامعة حلب.
- يونس، أمين عبد النافع أمين (2006). أزمنة الفعل في اللغة الأكديّة، دراسة مقارنة. أطروحة دكتوراه غير منشورة. الموصل: جامعة الموصل.

لائحة المصادر والمراجع

- حجازي، محمود فهمي (1997). مدخل إلى علم اللغة. القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.
- حجازي، محمود فهمي (2003) أسس علم اللغة العربية. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.
- دويدري، رجاء وحيد (2000). البحث العلمي. أساسياته النظرية وممارسته العملية. دمشق، بيروت: دار الفكر.
- الصالح، صبحي (1986). دراسات في فقه اللغة العربية (ط11). بيروت: دار العلم للملايين.
- الطعان، هاشم (1978). مساهمة العرب في دراسة اللغات السامية (ط1). بغداد: دار الحرية للطباعة.
- عبد التواب، رمضان (1997). المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي (ط3). القاهرة: مكتبة الخانجي.
- النبهان، محمد فاروق (2012). الاستشراق. تعريفه، مدارسه، آثاره (ط1). الرباط: منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة.
- وافي، علي عبد الواحد (2004). علم اللغة (ط9). القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

Huehnergard, J., Pat-El N. (2019). *The Semitic Languages* (2. Edition). London-New York: Routledge.

Lehmann, C. (2001) Language documentation a Program. In: W. Bislang (ed.) *Aspects of Typology and Universals*. Berlin: Akademie Verlag.

Weninger, S., Khan, G., Streck, M. P., & Watson, J. C. E. (2012). *Semitic languages: An international handbook*. Berlin-Boston: Walter de Gruyter.

Woodard, R. D. (2008). *The Ancient Languages of Syria-Palestine and Arabia*. Cambridge: Cambridge University Press.

مناهج البحث العلمي في اللغات السامية القديمة (عبري وسرياني)

الخوري د. مخايل قنبر

المقدمة

ارتبطت كل من السريانية والعبرية بطريقة أو بأخرى باللغة الآرامية. فبالإضافة إلى انتشارهن في منطقة جغرافية واحدة فقد انتمين جميعهن إلى أرومة واحدة هي "اللغات السامية" Semitic Languages. وتدل هذه التسمية على مجموعة اللغات التي كانت مستعملة في الشرق الأوسط خلال العصور التاريخية القديمة، ولم يبق منها اليوم سوى العربية، وكذلك العبرية (القديمة) والسريانية ضمن أطر محددة. وتشكل هذه اللغات أسرة لغوية واحدة⁵⁷ ذات مظهر لغوي مشترك ومتشابه في جوانب عديدة كالنحو والصرف. وهي مجال خصب للدراسات اللغوية التاريخية والمقارنة، وتفيد دراستها في معرفة التاريخ القديم لمنطقتنا، وفي تحليل الرقم والكتابات المنتشرة في المواقع الأثرية. ولما أن التاريخ يعتمد بشكل أساسي على الوثائق الكتابية المدونة بهذه اللغات. وقد عني المستشرقون منذ عصر التنوير بدراسة هذه "اللغات السامية" فأرسوا أسس هذا العلم، وألفوا فيه مئات، بل آلاف الكتب والمصنفات. أما علماء الشرق فظلوا بعيدين عن طر ق هذا الباب، باستثناء قلة أظهرت أن الشرقي، إذا ما اهتم، بإمكانه أن يبرع في هذه الدراسات أكثر من المستشرق، نظراً لتقارب اللغة واللهجة والفكر. نعمد في هذا البحث

⁵⁷ البابلية والآشورية والكلدانية وهي لغات القسم الشرقي. الكنعانية والفينيقيّة والآرامية والعبريّة والسريانيّة والتدمريّة والنبطيّة وهي لغات القسم الغربي. أما القسم الجنوبي فيقسم إلى فرعين، العربي ولهجاته: العربية القديمة والقحطانيّة والحميريّة والمعينيّة والسبئيّة والعدنانيّة المضريّة أو القرشيّة الفصحى. والفرع الحبشي ولهجاته: الأثيوبية والجزعية والتيجرية والهررية.

إلى الإضاءة على تاريخ هذه اللغات وصلة القربى بين الآرامية واللغتين السريانية والعبرانية، مع إبراز تطورهما، وتفرعهما، وأهميتهما بالنسبة إلى العلوم الإنسانية، ونلمح بإيجاز إلى محتوى المواد الدراسية المتعلقة بهما في إطار اختصاص الفنون والآثار في كلية الآداب والعلوم الإنسانية.

1- أصل اللغات السامية

لنعد بالتاريخ إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد حين اجتاحت جموع الآراميين الساميين بلاد ما بين النهرين وشمال سوريا وأواسطها. والآراميون قبائل رحل كانوا ضاربين في البادية الواقعة بين أرض الجزيرة العربية وسوريا "وقد ظهر اسمهم في النقوش البابلية الآشورية، والتي ترجع إلى القرن الرابع عشر قبل الميلاد باسم اريمي او اخلامي، وكانوا يهددون الحدود الغربية لامبراطوريات وادي الفرات ودجلة" (مراد 1973: 20). وقد طغت هذه الموجة على سكان البلاد من أموريين وحوريين وحثيين. "لم تُصَب الجاليات الأمورية والحثية في المناطق الجبلية بسوء بل ظلت محتفظة باستقلالها وازدهارها. وأما أهل الساحل من الكنعانيين فلم يشعروا بهذه الموجة لا من قريب ولا من بعيد. أما في سوريا فإن دمشق العاصمة العتيدة للدولة الآرامية أصبحت حوالي سنة ١٢٠٠ ق. م. مدينة آرامية بسكانها. وعلى مر الزمن أخذ هذا الشعب الجديد بجميع أسباب الحضارة الأمورية الكنعانية الراقية التي جاء ليقم في كنفها. ولكن القوم الجدد احتفظوا بشيء واحد مهم لغتهم" (حتى 1978: 110).

تميز الآراميون عن جيرانهم الجنوبيين والفلسطينيين، الذين توطنوا البلاد في أواخر القرن الثالث عشر والثاني عشر، باحتفاظهم بلهجتهم السامية الأصلية التي نسميها الآرامية وهي اللغة التي تكلم بها السيد المسيح والتي شاعت وأصبحت اللغة السائدة في منطقة غربي آسيا بأكملها. أما انتشار هذه اللغة في طول البلاد وعرضها فلم يكن بفضل عوامل سياسية بل بفضل عوامل تجارية. "ففي القرن الثامن قبل المسيح حلت الآرامية محل الكنعانية التي كانت لغة سورية، وظلت اللغة السائدة في البلاد إلى الفتح العربي في القرن السابع للميلاد، عندما أخذت العربية تحل محلها" (حتى، 1978: 110).

رافق هذه التغيرات الجيوسياسية بروز اللغة الآرامية كلغة دولية. وهذه اللغة تنتمي إلى عائلة اللغات السامية. و أول من استعمل مصطلح اللغات السامية كان عالم اللاهوت الألماني - النمساوي لودفيك شلوتزر Schlötzer في أبحاثه وتحقيقاته في تاريخ الأمم الغابرة سنة 1781. فـ"السامية" تسمية حديثة العهد، وقد أصبحت علماً موضوعه الشعوب التي أنشأت حضارات في غرب آسيا وترتبط لغوياً وتاريخياً، كما ترتبط من حيث الأنساب التي انحدرت من صلب سام بن نوح، كما بين شلوتزر، بناء على ما جاء في التوراة، عن الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين (ولفنسون، 1929: 2) و(ربحي، 1958: 7). إلا أن الملفت في الأمر أن التوراة قد بنت هذا التقسيم على اعتبارات سياسية لا اثنوغرافية، إذ نجد فيها أقواماً كالعيلاميين والليديين ذكرتهم التوراة على أنهم من أبناء سام رغم أن لغتهم لا رابط لها باللغات السامية. وغيبت أقواماً تكلموا اللغات السامية ككنعان الذي ألحقته التوراة بحام وليس بسام بالرغم من أن النص التوراتي ذكر أن اللغة العبرية هي في الأصل لهجة كنعانية (غريسة، 2004: 11).

1-1- السريانية وريثة الحضارة الآرامية

وإذا ما عدنا إلى انتشار اللغة الآرامية الواسع يستوقفنا ما ساقه المطران ميخائيل الجميل في بحثه عن كنيسة السريان الكاثوليك، أن الآرامية انتشرت في بلاد فارس والهند وعمت بلاد الشام والجزيرة العربية. وأصبحت بعد ذلك اللغة الرسمية في الإمبراطورية البابلية الحديثة والفارسية وبقيت لغة الشعب في الشرق كله في الفترة الهلنستية والرومانية والبيزنطية. بها تكلم السيد المسيح، وبها كتبت بعض أسفار الكتاب المقدس في عهده القديم والجديد" (الجميل، 2010: 125). ويشير الدكتور يوسف قوزي ومحمد روكان في كتابهما "آرامية العهد القديم" أنه في حدود القرن السادس قبل الميلاد تم انتشار اللغة الآرامية بين الآشوريين، وذلك "لما امتازت به هذه اللغة من مرونة في النطق وسهولة في التعبير فضلاً عن أبجديتها وسهولة خطها مقارنة مع لغة الآشوريين (الأكدية) ذات القواعد الصعبة والكتابة (المسمارية) المعقدة. وهكذا بدأ استخدام اللغة الآرامية في بلاد آشور، فصار للحكام الآشوريين كتاب آراميون إلى جانب الكتبة الآشوريين" (قوزي، 2006: 16). و يعود سبب انتشار اللغة الآرامية إلى نشاط الآراميين أنفسهم وحبهم للغتهم، فقد كانوا ذوي ثروات طائلة واستطاعوا بواسطة تجارتهم أن ينشروا لغتهم وثقافتهم في كل

البلاد التي وطأتها أقدامهم، وقد حملت القوافل الآرامية التجارية قوائم حسابات التجارة وسنداتها مكتوبة بالحروف واللغة الآرامية حتى الهند. "ولما هبت ريح المملكة الفارسية، جعلت اللغة الآرامية لغة الدولة الرسمية، وكانت جميع الصكوك الرسمية تُكتب على ورق البردي بالقلم والحبر، وأخذ موظفو الحكومة باستعمالها في جميع أعمالهم فكانوا يرسلون بها أوامر الحكومة حتى إلى مصر وآسيا الغربية. الأمر الذي يدل على أنها كانت مفهومة ومعتبرة في تلك الأصقاع ولذلك أطلق اسم السريان منذ فجر المسيحية (النصرانية) على الآراميين القاطنين في البلاد التي ذكرناها" (مراد، 1973: 20).

بعد هذه البانوراما التاريخية المقتضبة عن انتشار الآراميين واللغة الآرامية في المنطقة المذكورة نسأل عن ارتباط اسم هذا الشعب باسم سوريا والسريان واللغة السريانية. وللإجابة نورد أولاً أن دولة آرام دمشق التي تأسست في زمان معاصر لقيام الملكية عند الجنوبيين في أواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد "تشمل البلاد الواقعة شرقي جبل لبنان إلى داخلية سورية وشمالها وباشان. هذه الدولة الآرامية، أو آرام دمشق - ومركزها دمشق - أصبحت فيما بعد مترادفة الاسم بما كان يدعوه الإغريق سورية. واسم سورية في العهد القديم «بلاد آرام» أو «آرام، ولا ذكر لسورية في أسفار العهد القديم" (حتي، 1978: 111). نستنتج استناداً إلى ما تقدّم أن لفظة سرياني جاءت متأخرة أي في الفترة الهلنستية، والظاهر أن هذه اللفظة (سرياني) جاءت من سوروس وهو رجل آرامي الجنس استولى على بلاد الشام وما بين النهرين ومنه سميت البلاد سوريا، وأهلها سرياناً. وتقول مصادر تاريخية موثوق بها، مثل معجم أبو بهلول، "أن كلمة سوريا مشتقة من سوروس الذي قتل أخاه وملك ما بين النهرين فسميت مملكته كلها سوريا"، وإن السريان كانوا يسمون قديماً آراميين، وإنهم، حين ملك سوروس، سموا سرياناً والبلاد سوريا. وغني عن القول أن اسم "السريان" لا يمكن أن يرتقي إلى أكثر من القرن الخامس قبل المسيح، وإلا لورد ذكرها ولو مرة واحدة في الكتاب المقدس والحواليات الآشورية، علماً بأن الآشوريين والجنوبيين كانوا على اتصال مستمر بالآراميين. وفي كل الأحوال، إذا كان نجم الآراميين قد بدأ بالأفول إدارياً وسياسياً منذ القرن الخامس قبل الميلاد، فإن حضارتهم ولغتهم قدّمت للأمبراطوريات المتعاقبة تراثاً فكرياً وغنى حضارياً لا يّضاهى. هذا فضلاً عن أن لغتهم بقيت لغة الشعب في جميع جنات بلاد الشام وما بين النهرين.

فالإمبراطوريات الفارسية والبيزنطية والعربية نهلت من تراث الآراميين السريان واستعملت لغتهم، وذلك حتى أجيال متأخرة من التاريخ الميلادي" (الجميل، 2010: 126).

2-1- السريانية تُثبت هويتها وتتفرع

يدعو فريق من العلماء اللغة السريانية موضوع بحثنا بالآرامية نسبة إلى بني آرام خامس أبناء سام بن نوح على ما ورد في سفر التكوين: "وبنو سام: عيلام وأشور وأرفكشاد ولود وآرام" (تك 10: 22). "ونجد فريقاً آخر من المؤرخين يتمسك بتسميتها بالسريانية نسبة إلى الشعب السرياني القاطن بلاد الشام وسوريا، وإذا كانت السريانية والآرامية صفتين للغة واحدة فلا شك أن أكثر من شعب كانت السريانية لغته الأصلية، وكان بنو آرام أول من سكن البلاد السورية منحدرين من الشمال إلى الجنوب حتى ملأوها بحضارتهم الجليلة عدة أجيال" (مراد 1973: 19). الآرامية والسريانية إذاً لفظتان مترادفتان رغم اختلاف ذكرهما وتعدد لهجاتهما وأن كلا منهما تدل على الأخرى بتمام معناها أينما وجدت. "وقد نوّه الدكتور كلاي أستاذ اللغات السريانية في جامعة بابل الأمريكية أثناء خطاب له، ما ملخصه: "كان في شمال سوريا وما يجاورها في بلاد ما بين النهرين أقدم مدنية في الشرق الأدنى وأن هذه المدنية أقدم من حضارة مصر ومن تمدن بابل نفسها". إذاً اللغة السريانية أو الآرامية هي إحدى اللغات الشرقية القديمة المعروفة بالسامية وسماها أئمة السريان القدماء "اللغة النهرية" وكانت السريانية لأزمان طويلة لغة لشعوب عظيمة سكنت المواطن التي ذكرناها، وكانت لغة التجارة والمعاملات الرسمية والمعاهدات الدولية وربما كانت لغة دولية أزماناً طويلة. ويقول يوهانس فريدريش أن اللغة والكتابة الآراميتين أصبحتا في العصر الآشوري الجديد، والعصر الفارسي القديم، اللغة والكتابة الرسميتين للدولة في الشرق الأدنى، وامتدت حتى مصر وآسيا الصغرى والهند، وكمثال على ذلك، النقوش الآرامية في العصر الفارسي التي دُوت باللغتين الليدية والآرامية، وعُثر عليها في ساردس وتعود إلى القرن الخامس ق.م. (فريدريش، 2013: 126). وفي الإطار نفسه يقول سمير عبده في كتابه "السريانية العربية الجذور والامتداد" أن السريانية هي الوريثة الحية المباشرة والرئيسة لحضارات بلادنا. هذه البلاد هي مهد الحضارة في العالم من خلال حضارات سومر وبابل وأشور وأرام وفينيقيا، ومنها عرف الإنسان: البيت الأول، الزراعة والصناعة الأولى، الكتابة المسمارية

(سومر، بابل) والكتابة هي الفاصل بين (التاريخ) وما (قبل التاريخ)، الأبجدية الأولى: أوغاريت - رأس شمرا، بيبلوس، الملحمة الأولى لأقدم الآداب جلامش، أول دولاب وأول نظريات الهندسة والجبر التي سبقت نظريات فيثاغورس وطالس، أول تقسيم للوقت: أي لسنة وأيام وساعات ودقائق ووثان، أقدم علوم الفلك، أقدم خريطة في العالم (بابل)، أقدم الشرائع: حمورابي، أقدم مكتبة ومتحف: آشور بانيبال، الجامعة الأولى، أقدم طب، أول مدرسة ديمقراطية: في سومر وأكاد، أول معزوفة موسيقية: في سومر، أقدم الحكم والأمثال التي تقدس القيم الإنسانية: أحيقار، وزير الملك سنحريب الأشوري (عبده، 2002: 16).

مما لا شك فيه أن للجغرافية السياسية دورها الهام في توحيد اللغات وتفرعها، فلما ظهر العرب وامتدت فتوحاتهم إلى الشمال أصبح السريان تحت سلطتين، بعضهم خضعوا للعرب في الشرق والآخرين خضعوا لبيزنطية في الغرب، وهذا ما أسهم في بروز فرعين لهذه الآرامية؛ الفرع الشرقي والفرع الغربي. "ومهما يكن فإن أقدم النصوص الآرامية الباقية يهودية وهي الأجزاء الآرامية من سفر عزرا وسفر دانيال من العهد القديم حيث ذكر العلامة الفرنسي شابو فقال: وأقدم الآثار الأدبية للفرع الغربي نجدها في آرامية الكتاب المقدس وليس من رأينا أن نفصل عن هذا الفرع نصوص المخطوطات البردية التي اكتشفت في مصر" (مراد، 1973: 20). وفي الزمن المسيحي ظهرت اللغة السريانية الآرامية في صورة لهجتين الغربية والشرقية، وقد سادت السريانية الآرامية في سوريا والعراق وفلسطين منذ القرن السادس قبل المسيح إلى أوائل الفتح العربي وما بعده، والباحثون من أهل التحقيق قد اتفقوا على أن اليهود في زمن السيد المسيح لم يكونوا يتكلمون العبرية لغة أجدادهم التي تكلم بها موسى وداود بل السريانية التي كانوا قد تعلموها في بابل لما سباهم إليها نبوخذ نصر في سنة 587 ق م. (مراد، 1973: 22). وهذا ما يؤكده يوهانس فريدريش بقوله أن الكتابة الآرامية التي كانت تحتفظ بخط موحد متشابه في نهاية القرن الثالث وبداية الثاني ق.م واجهت إنقساماً وتبايناً إلى عدة مجموعات، وذلك تبعاً لنشوء اللهجات والتقسيمات السياسية (فريدرش، 2013: 126).

وتعد الكتابة السريانية التي ترتبط بعلاقات القربى مع الكتابة التدمرية ولم تشتق منها مباشرة، الكتابة التي دُون فيها الآراميون الشرقيون الأدبيات المسيحية الهامة في العصور الوسطى، حيث تبدو الحروف في أقدم النقوش التي تعود إلى القرنين الأول والثاني

الميلاديين منفصلة عن بعضها بعضاً، ولكن ما لبثت حروف الكلمة الواحدة أن بدأت ترتبط ببعضها مشكلة وحدة متكاملة على شاكلة الخطوط الأوروبية المعاصرة، وقد استمر نمط الكتابة الموصولة في الكتابة السريانية مستخدماً في تدوين المؤلفات. وقد استخدم السريان لتدوين آدابهم المسيحية في القرن الخامس الميلادي في عاصمتهم الروحية (أديسا) الكتابة القديمة المعروفة بالخط السطرنجيلي من الكلمة اليونانية strongylo (الكتابة الدائرية). ونظراً لانقسام الكنيسة السريانية سنة 489 ميلادية أدى هذا بالطبع إلى إنقسام اللغة الأدبية والكتابة، فالسريان الشرقيون أنصار نسطوريوس الواقعون تحت السيطرة الفارسية، استمروا في استعمال اللغة السريانية في مدينة نصيبين بشكلها المؤلف لهم، وباقتنائها مع الكتابة السريانية الشرقية أو الكتابة النسطورية مع لفظها أيضاً، في حين أخذت اللغة السريانية في أديسا تتطور من خلال الاحتكاك المباشر مع اللغة الشعبية، وبالاقتزان مع الكتابة السريانية الغربية، أو الكتابة اليعقوبية، وطريقة لفظها. وتسمى حروف الكتابة اليعقوبية عادة بسَـرطو أي «الكتابة الخطية» ١٣٣، وهذه هي الكتابة المستخدمة الآن عند السريان (فريدريش، 2013: 129).

2- اللغة العبرية

تُنسب اللغة العبرية إلى الشعب العبراني، وهم بنو إسرائيل من ذرية ابراهيم. ولعبت هذه اللغة دوراً هاماً في حياتهم. فتاريخها ضارب في القدم، وقد توافقت نشأتها مع ظهورهم على مسرح التاريخ، ورافقتهم في كل مراحل وجودهم، وبها كتبوا أسفار التوراة والأنبياء، واعتبروها لغة مقدسة، فتعلقوا بها تعلقهم بتوراتهم وأنبياهم. وبدأ تاريخ الشعب العبراني مع خروج ابراهيم من أور الكلدانيين في العراق، ونزوحه مع لوط ابن أخيه إلى أرض حرّان، ثم توجهه إلى أرام الشام، ونزول عشيرته إلى أرض مصر بعد قصة يوسف، وإقامتها هناك بحسب ما ورد في سفر التكوين. وبعد أن عاش الشعب العبراني أيام عزّ ورخاء بفضل يوسف المذكور في مصر، تحولت إقامته في بلد النيل إلى استعباد وذل على يد سلاله فرعونية ناقمة. ثم كان تحريرهم من العبودية على يد موسى الكليم ومكوّثهم في الصحراء وتيهانهم فيها أربعين سنة. وفي أثناء ترحالهم خصهم الله بالوصايا العشر المحفوظة على الألواح المقدسة، (سفري الخروج والعدد). وعند دخولهم أرض الميعاد أصبحت السلطة الدينية والسياسية عندهم بيد القضاة إلى حوالي سنة 1040 ق.م.

(سفر القضاة). ومع انتشار الملكية عند كافة الشعوب المحيطة بهم، اعتمد اليهود نظاماً جديداً في الحكم، بتنصيب شاوول أول ملك عليهم بعد محاربته الكنعانيين وتأسيسه ملكاً كبيراً في أرض كنعان (سفر الملوك الأول). ثم بلغت الأمة الإسرائيلية أوج مجدها في عهد الملكين داود وابنه سليمان (سفر الملوك الثاني).

بعد تحديد النسب نتوقف عند محاولة تحديد معنى كلمة عبري. من المعلوم أن كلمة عبري (עברי) لا تطلق إلا على من كان من ذرية إبراهيم، أب المؤمنين. ولكن لماذا سمي إبراهيم بالعبري؟ يقول إسرائيل ولفنسون في كتابه "تاريخ اللغات السامية" إن كلمة "عبري" لا ترجع إلى شخص بعينه أو إلى حادثة معينة، وإنما ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل. وذلك أن بني إسرائيل كانوا في الأصل من الأمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى بإبلها وماشيتها بحثاً عن الماء والكلأ (ولفنسون 1929: 77). ويستنتج الأخير أن كلمة (עבר) "عبر" التي تعني الصحراء باللغة العبرية مرتبطة باسم موطن الجنوبيين.

لكن هناك نظريات أخرى عديدة حاولت شرح نسبة هذا المصطلح إلى بني إسرائيل. فأخبار اليهود القدماء قالوا إن إبراهيم إنما عرف بالعبري لأنه عبر النهر، "فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر، وسيرته في كل أرض كنعان، كثرت نسله ورزقته إسحق" (يشوع 24: 3). وقال بعض العلماء أن إبراهيم وصف بالعبري بسبب نسبه إلى أحد آبائه الأقدمين الذي كان يعرف باسم عابر (עבר). ومن يمعن النظر في سلالة عابر يجد أن أغلب الأمم السامية منسوبة إليه. "وولد لعابر ابنان: اسم أحدهما فالج لأنه في أيامه انقسمت الأرض، واسم أخيه يقطان. ويقطان ولد الموداد وشالف وحصرموت ويارح. وهدورام وأوزال ودقلة وعوبال وأبيمائيل وشبا وأوفير وحويلة ويوباب. جميع هؤلاء بنو يقطان. وكانوا يقيمون في ميشا وأنت آت نحو سفار، جبل المشرق. هؤلاء بنو سام بحسب عشائريهم ولغاتهم وبلدانهم وأممهم. هؤلاء عشائر بني نوح بحسب سلالاتهم وأممهم. ومنهم تشتت الأمم في الأرض بعد الطوفان" (تك 10: 25-32).

2-1- نشأة اللغة العبرية

أما عن نشأة اللغة العبرية فيدل الاستقراء العلمي أنها نشأت في أرض كنعان، حتى قبل نزوح الإسرائيليين إليها. وهذه اللغة هي التي ورد ذكرها في سفر أشعيا تحت اسم "لغة كنعان" (أشعيا 19: 18). "فإنه لما هاجر العبريون إلى أرض كنعان حوالي القرن الثالث عشر ق. م. كانوا يتكلمون آنذ لهجة تقرب من إحدى لهجات اللغة الآرامية القديمة. ومن ثم راحوا يستعملون لغة البلاد التي هاجروا إليها وأخذوا ينسون تدريجياً لغتهم الأصلية، ولم يأت القرن الحادي عشر حتى أضحت اللغة الكنعانية هي اللغة المستعملة" (ربحي 1958: 34). واللغة العبرية ليست لغة العبريين جميعاً، أي الأدوميين والمؤابيين والعمونيين، بل هي لغة فرع واحد من فروعهم وهو فرع بني إسرائيل. ويخبرنا الكتاب المقدس أن إبراهيم خرج من أور الكلدانيين مع ابن أخيه لوط، وأنه ولد اسحاق واسماعيل، وأن اسحاق ولد يعقوب وعيسو. فكان لكل من لوط واسماعيل وعيسو قبائل وشعوب تقطن جهات مختلفة وتتميز عن الإسرائيليين في الحضارة والمدنية. فكان من نسل لوط قبائل "عمون ومؤاب" في شرق الأردن حيث الأراضي الزراعية الخصبة التي ساعدتهم على إنشاء مملكة متحضرة ضارعت ملك بني إسرائيل وتفوقت عليه في القوة الحربية، كما كانت لغتها العبرية، والخط المنتشر بينها هو الفينيقي العبري (Proto-canaanéene). وكان من نسل اسماعيل قبائل "المستعربة" المعروفة، وكانت مساكنهم في بلاد الحجاز حيث طرق القوافل التي كانت تسير بين سينا ومصر، لذلك نراهم يقومون بنقل البضائع التجارية بين مصر وسوريا والعراق منذ قديم الزمان. كما كان من أقرباء بني إسرائيل أهل "مدين" سكان شواطئ البحر الأحمر من شمال الحجاز. وكان من نسل عيسو قبائل "أدوم" التي كانت تسكن (طور سينا) وحاضرتها أيلة "العقبة"، وكانوا في صراع مستمر مع اليهود من جهة السياسة والدين. وانجلت الأحوال بذوبانهم في اليهود من الشمال، والعرب من الجنوب، والنبط من الشرق. هذا وقد زالت كل القبائل التي تفرعت من إبراهيم باستثناء بني اسماعيل وبني إسرائيل. ويرجع السبب في زوال هذه القبائل إلى موقع بلادهم الجغرافي بين أكبر قوتين عرفهما التاريخ القديم وهما بابل وآشور شرقاً، والمصريون غرباً.

نستنتج أن هذه اللغة تأثرت بالعديد من العوامل التي أدت إلى ازدهارها في طورها الأول، حيث كان طابعها عبري محض، فكانت خالية من عوارض العجمة، وكانت مجمل

ألفاظها من أصل عبري خالص. "ويرى مؤرخو الأدب العبري أن هذا الطور يمتد من القرن العاشر قبل الميلاد حتى سقوط مملكة يهوذا سنة 586 ق. م." (ربحي 1958: 38). وقد وصل لنا من هذه الحقبة معظم أسفار أنبياء العهد القديم كأشعيا وإرميا وعاموس. وقد ظهرت من خلالها عقلية الأديب العبري المتسمة بطابع البداوة. وفي الفترة الأخيرة من هذه المرحلة تم تدوين أسفار العهد القديم التي دامت زهاء ثلاثة قرون.

2-2- انحلال العبرية وانبعائها بحلة أخرى

بعد ازدهار العبرية في طورها الأول شهدت انحلالاً على الصعيد الشعبي في طورها الثاني، وثباتاً على الصعيد الديني، بحيث بقيت تستخدم في الطقوس الدينية. ويعود سبب هذا التراجع في استخدام العبرية إلى عوامل سياسية تمثلت في سقوط مملكة الشمال (مملكة إسرائيل) على يد سرجون الثاني سنة 722، وسقوط مملكة يهوذا من بعدها على يد "نبوخذ نصر" البابلي سنة 587 ق. م، وهدم اورشليم والهيكل، وأسر أهاليها وجلائهم إلى "بابل"، وهو السبي الشهير عند اليهود. وفي سنة 539 ق. م. عاد اليهود إلى فلسطين بأمر "كورش" ملك الفرس الذي استولى على بابل، وأسقط دولة الكلدان. ومع عودتهم بدأوا يعيدون بناء ما تهدم، وعمدوا إلى عملية تحديث عامة - لكن تحت طاعة الفرس وسلطانهم- طالت هذه العملية كل النواحي الدينية والعمرانية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية. استمرت الحالة على هذا النحو إلى أن ظهر الإسكندر ذو القرنين اليوناني سنة 333 ق. م. فأطاح بسلطان الفرس. وخلف الإسكندر على فلسطين ملوك سلوقيون ساموا اليهود مرّ العذاب وأرغموهم على السجود لأصنامهم، طغياناً وتجبراً، فنالهم من ذلك عنف شديد وفتنة كبيرة في دينهم، إلى أن استولى الرومان عليهم في القرن الأول قبل الميلاد، فكان على أيديهم القضاء المبرم على دولة بني إسرائيل سنة 70 م.

وأثناء إقامتهم في بابل ترك الأسرى اليهود لغتهم العبرية وتحدثوا وكتبوا بالآرامية التي كانت لغة أبناء الشعب في نينوى وبابل وأرجائهما. ثم نبذوا خطهم العبري القديم واختاروا لكتابة أسفاره المقدسة، الخط الآرامي العراقي المعروف بالمربع والذي لا يزالون يستخدمونه حتى الآن، وهو المعروف بالخط المطبوعي. (قوزي 2006: 16). ولعلّ استيلاء اليونان على البلاد بعد ذلك وانتشار اللغة اليونانية والثقافة الإغريقية أفقدت العبرية

مقومات صمودها. "حقاً إنّ الأحبار اليهود بذلوا قصارى جهدهم في سبيل الإبقاء على لغتهم ومكافحة الآرامية وحمل اليهود على كرهها. وأن اليهود الذين أجلاهم نبوخذنصر إلى بابل قد أبدوا حرصاً شديداً على لغتهم طوال مدة النفي وبعد عودتهم إلى فلسطين، وأن اليهود الذين بقوا في فلسطين لم يقلّوا عن إخوانهم حرصاً على لغتهم ورغبة في المحافظة عليها. بيد أن هذه الجهود جميعها لم تستطع التغلب على تيار اللغة الآرامية ولم تقوَ على عرقلة قوانين الصراع اللغوي" (ربحي 1958: 39). نعم لقد بدأ اليهود أثناء وجودهم في بابل يستعملون الخط المربع (المشتق من اللغة الآرامية) الذي كتبوا به العهد القديم والتلمود والأدب العبري وغير ذلك من فنونهم وآدابهم، ومنذ تلك الفترة بدأ تأثير الآرامية في لغتهم، وازداد التأثير باطراد بعد ذلك حتى أصبحت العبرية لغة طقوس محدودة لا غير. وعندما شاع استعمال الآرامية بين السكان واستخدموها، تليت التوراة بالعبرية وشرحوها بالآرامية، فنشأ الترجوم (الترجمة) للأسفار الخمسة المعروفة بكتب موسى. وقبل تهديم القدس عام 70 م كُتب ملف الصيام لدى اليهود بالآرامية، كما أن الطائفة السامرية تكلمت الآرامية، ومنذ القرن الثاني أطلق على الآرامية اسم اللغة السورية (السريانية) التي ازدهرت آدابها وفنونها بعد أن أصبحت المسيحية دين السكان، وقد حملت هذا الإرث (أورفه). وكُتب أكثر من نصف التلمود بالآرامية وكذلك بعض أسفار وأجزاء العهد القديم، مثل سفرى عزرا وإرميا، كما أنه لا يوجد في أسفار العهد القديم ما يشير إلى تسميتهم لها بالعبرية، وإنما كانت تسمى باللغة اليهودية، كما جاء في سفر اشعيا: "فقال ألياقيم وشبنا ويواح لرئيس السقاة: "كَلِّمْ عبيدَكَ بِاللُّغَةِ الْآرَامِيَّةِ فَإِنَّا نَفْهَمُهَا، وَلَا تُكَلِّمْنَا بِالْيَهُودِيَّةِ عَلَى مَسَامِعِ الشَّعْبِ الْقَائِمِ عَلَى السُّور" (أشعيا 36: 11). ولم تُعرف لغة بني إسرائيل باسم العبرية أو اللغة المقدسة إلا بعد الأسر البابلي في كتاب ابن سيراخ وفي مصنفات المؤرخ اليهودي يوسفوس وفي المشنا والتلمود.

خاتمة

إنّ تعلّم العبرية والسريانية يجعل الطلاب قادرين على الاطلاع وعلى قراءة النصوص التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحضارات الشرق، وهي عنصر أساسي من هذه الحضارات، وشرقنا يزخر بالآثار التي تحتوي هذه الكتابات السامية الضاربة في القدم. من أجل ذلك تؤمّن

الكلية تعليم مواد أساسية للتّمكن من هاتين اللّغتين، تبدأ بمادة تاريخ الكتابة التي تشتمل على نشأة الكتابة والتّعرّف على الكتابة التصويرية المسماية، والكتابة الهيروغليفية المصرية، ونشأة الكتابة الأبجدية وانتشارها، وتقنيات الكتابات القديمة. يتمّ بعد ذلك شرح المبادئ الأساسية وقواعد هاتين اللّغتين ونشأتهما وتطوّرهما. كما يصار إلى تعليم كتابة أبجديتهما ورسم حروفهما وطريقة كتابتهما، بالإضافة إلى تعلّم قواعد قراءتهما وتركيب الألفاظ والمقاطع الصّوتية وتقسيم الكلمات في كلّ منهما. وتعلّم النّبرات، والحركات، والحذف، والإدغام، والوصل، ونقط الفصل... والأعداد، وعلامات التّرقيم. وفي وقت لاحق يتمّ تعلّم الاسم والقواعد الأساسية، ومتابعة التّدرب على قراءة النّصّ وص البسيطة وفهمها. ويحصل الطّالب مخزوناً لغوياً ومفردات وعبارات تمكّنه من فهم النّصوص بشكل عام.

لائحة المصادر والمراجع

- الجميل، ميخائل وآخرون(2010). دليل إلى قراءة تاريخ الكنيسة المجلّد الثاني الكنائس الشرقية الكاثوليكية. ط2. بيروت: دار المشرق.
- حتّي، فيليب (1978). تاريخ لبنان منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر. بيروت: دار الثقافة.
- عبد، سمير، (2002). السريانية العربية الجذور والامتداد، ط2. دمشق: منشورات دار علاء الدين.
- غريسة، سلوى (2004). دروس في اللّغة العبرية القديمة من خلال نصوص التوراة. تونس: مركز النشر الجامعي.
- يوهانس، فريدريش (2013). تاريخ الكتابة، ترجمة سليمان ضاهر. دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.
- قوزي، متّى، روكان، محمد (2006). آرامية العهد القديم وقواعد ونصوص. بغداد: مطبعة المجمع العلمي.
- ربحي، كمال (1958). اللّغة العبرية، دمشق: مطبعة الجامعة السورية.
- مراد، موسى (1973). حركة الترجمة والنقل في العصر العباسي. العطشانة: مطبعة مار افرام.
- ولفنسون، إسرائيل، (1929). تاريخ اللّغات السامية، ط 1. مصر: مطبعة الاعتماد

مناهج البحث العلمي في اللغات الهندوأوروبية القديمة (يوناني)

المطران أ. د. شربل عبد الله

المقدمة

اللغات الهندو الأوروبية (indo-européennes) هي إحدى أكبر أسر اللغات. يُعتقد أن كل هذه اللغات تشترك في جذر مشترك، أي لغة تعود إلى ما قبل التاريخ وتفرعت منها كل هذه اللغات، وتدعى اللغة الهندية الأوروبية البدائية. يقدر عدد اللغات واللهجات المنتمية لهذه الأسرة بقرابة الخمس مائة. ويبلغ تعداد المتكلمين بها (كلغة أم) في العالم حوالي الثلاثة مليارات.

1- الهندو أوروبي في منظار القاسم المشترك

يظهر عبر كل العصور أن أحد أهم الاكتشافات في العلوم الانسانية هو التحالف بين اللغات الأساسية في أوروبا وكثير من اللغات الكبيرة في آسيا (من هذا التحالف جاء مفهوم الهندوأوروبي)، وذلك كما ظهر في القرن التاسع عشر إنما انطلاقاً من أسس قديمة جداً. فاللاتيني (وما تحدر عنه من لغات حديثة، من ضمنها الفرنسية)، واليوناني، واللهجات الجرمانية، والسلتية، والسلافية، والإيرانية والسنسكريته ولغات أخرى عديدة محكية في الهند، وكما هو الحال للغات أخرى عديدة، كان لها فيما بينها قاسماً مشتركاً ليس فقط على صعيد كمية كبيرة من المفردات إنما أيضاً نظراً إلى العديد من الهيكليات النحوية والصرفية الأكثر قدماً. فهذه التشابهات تُقضي فكرة الصدق، وهي تبرر تجمع كل هذه اللغات المندثرة أو الحية في عائلة توصف اليوم وبعد الكثير من الجدل وبعد الكثير من الترددات في اختيار المفردات أنها "هندو-أوروبية".

2- نشأة الأبجدية اليونانية بالاستناد إلى الأبجدية الفينيقية

التشابه التصويري لغالبية أحرف الأبجدية اليونانية، وذلك في أشكالها القديمة مع الأحرف الفينيقية لجهة قيمتها واسمها وتسلسلها بالإضافة إلى أمور لغوية أخرى لا يترك أي شك في الأصل الفينيقي للأبجدية اليونانية، وهذا ما أوضحه المؤرخ هيرودوت⁵⁸: "عندما استقر الفينيقيون في البلاد، حملوا إلى اليونانيين الكثير من المعارف الجديدة من بينها الأبجدية التي كانت لم تزل بعد غير معروفة في اليونان؛ بحسب رأيي: في البداية كانت الأبجدية المعروفة تلك التي كان يستخدمها الفينيقيون، لكن لاحقاً ومع الوقت تطورت الأصوات وكذلك أشكال الأحرف. فجيرانهم كانوا في غالبيتهم، في تلك الحقبة، من اليونانيين الإيونيين فتعلّموا من الفينيقيين أحرف الأبجدية واستخدموها مع بعض المتغيرات؛ فعندما تبناها اليونانيون - وهذا عدل لأن اليونان أخذتها من الفينيقيين - أطلق عليها اسم الأحرف الفينيقية"⁵⁹.

3- أصل الكتابات الأبجدية اليونانية

تعود الشواهد الأولى للكتابة اليونانية إلى القرن الثامن ق. م. وهي تحوي على الكثير من المتنوعات اللغوية. إلا أنه، وأبعد من ذلك التنوع، عينا الأمور الجديدة المستجدة مقارنة مع الأبجدية الفينيقية، خصوصاً لجهة المصوّتات، فاللغتان الفينيقية واليونانية تبقيان متشابهتين، وهذا ما يجعلنا نستنتج أنّ أصلهما مشترك. لكن الجديد على صعيد الأبجدية اليونانية سيظهر بعد قرون لاحقة. إلا أنه ليس لدينا أي أثر عن تلك المتغيرات (جدول 1).

⁵⁸ هيرودوت أو هيرودوتس (باليونانية: Ἡρόδοτος باللاتينية: Herodotus)، كان مؤرخاً إغريقياً يونانياً آسيوياً عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (حوالي 484 ق.م - 425 ق.م). اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها حول العالم المعروف آنذاك، وأناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان. عرف هيرودوتس بفضل كتابه تاريخ هيرودوتس الذي يصف فيه أحوال البلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر المتوسط. كما زار مختلف أنواع مسارح المعارك كما إن موضوع كتابه الأساسي هو الحروب بين الإغريق والفرس أو الميديين، ولعله كان حاضراً شخصياً في بعض المعارك مثل ماراثون (معركة) وسالاميس (معركة).

⁵⁹ L'Enquête, V, 58. in : Hérodote – Thucydide, 1979 : 379.

	Phoenician	Ionia	Athens	Corinth	Argos	Crete	Euboea	Modern	AP	MP
alpha	Α	Α	Α	Α	Α	Α	Α	Α α	[a]	[a]
beta	Β	Β	Β	Β	Β	Β	Β	Β β	[b]	[v]
gamma	Γ	Γ	Γ	Γ	Γ	Γ	Γ	Γ γ	[g]	[ɣ]
delta	Δ	Δ	Δ	Δ	Δ	Δ	Δ	Δ δ	[d]	[ð]
epsilon	Ε	Ε	Ε	Ε	Ε	Ε	Ε	Ε ε	[e]	[e]
digamma	Ϝ	Ϝ	Ϝ	Ϝ	Ϝ	Ϝ	Ϝ	Ϝ Ϝ	[w]	[w]
zeta	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ	Ζ ζ	[zɛ]	[z]
eta	Η	Η	Η	Η	Η	Η	Η	Η η	[e:]	[i]
heta	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ θ	[h]	
theta	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ	Θ θ	[tʰ]	[θ]
iota	Ι	Ι	Ι	Ι	Ι	Ι	Ι	Ι ι	[i]	[i]
kappa	Κ	Κ	Κ	Κ	Κ	Κ	Κ	Κ κ	[k]	[k]
lambda	Λ	Λ	Λ	Λ	Λ	Λ	Λ	Λ λ	[l]	[l]
mu	Μ	Μ	Μ	Μ	Μ	Μ	Μ	Μ μ	[m]	[m]
nu	Ν	Ν	Ν	Ν	Ν	Ν	Ν	Ν ν	[n]	[n]
xi	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ	Ξ ξ	[ks]	[ks]
omicron	Ο	Ο	Ο	Ο	Ο	Ο	Ο	Ο ο	[o]	[o]
pi	Π	Π	Π	Π	Π	Π	Π	Π π	[p]	[p]
san	Ϻ								[s]	
koppa	Ϙ	Ϙ	Ϙ	Ϙ	Ϙ	Ϙ	Ϙ	Ϙ Ϙ	[k]	
rho	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ	Ρ ρ	[r]	[r]
sigma	Σ	Σ	Σ	Σ	Σ	Σ	Σ	Σ σ	[s]	[s]
tau	Τ	Τ	Τ	Τ	Τ	Τ	Τ	Τ τ	[t]	[t]
upsilon	Υ	Υ	Υ	Υ	Υ	Υ	Υ	Υ υ	[u, ʊ]	[i, v]
phi	Φ	Φ	Φ	Φ	Φ	Φ	Φ	Φ φ	[pʰ]	[f]
khi	Χ	Χ	Χ	Χ	Χ	Χ	Χ	Χ χ	[kʰ]	[ç, x]
psi	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ	Ψ ψ	[ps]	[ps]
omega	Ω	Ω	Ω	Ω	Ω	Ω	Ω	Ω ω	[o:]	[o]
sampi	Ϻ	Ϻ	Ϻ	Ϻ	Ϻ	Ϻ	Ϻ	Ϻ Ϻ	[s]	

جدول 1: جدول بياني مقارنة بين الأبجدية الفينيقية والأبجدية اليونانية في متفرعاتها الإيونية والكورنثية والكريتية والمعاصرة.

4- حروف فينيقية مستخدمة مع قيمة صوتية مشابهة في اليونانية

في الجدول التالي (جدول 2): مقابل كل حرف يوناني تم وضع شكل واسم الحرف الفينيقي، بالإضافة إلى وضع الحروف اليونانية الكبيرة والصغيرة الحالية مع اسمها باليونانية (مدونًا بالحروف اللاتينية) بالإضافة إلى اسم الحرف كما هو معروف باللغة الفرنسية حاليًا⁶⁰:

⁶⁰ Selon la norme ISO 843:1997.

Phénicien		Grec moderne			
Lettre	Nom	Majuscule	Minuscule	Nom grec	Nom français
𐤁	bet	B	β	vêta	bêta
𐤂	gaml	Γ	γ	gámma	gamma
𐤃	delt	Δ	δ	délta	delta
𐤄	zai	Z	ζ	zīta	zêta
𐤅	tet	Θ	θ	thīta	thêta
𐤆	kaf	K	κ	káppa	kappa
𐤇	lamd	Λ	λ	lámdba	lambda
𐤈	mem	M	μ	my	mu
𐤉	nun	N	ν	ny	nu
𐤊	semk	Ξ	ξ	xi	xi
𐤋	pe	Π	π	pi	pi
𐤌	rosh	P	ρ	rô	rhô
𐤍	shin	Σ	σ	sigma	sigma
𐤎	tau	T	τ	tay	tau

جدول 2: مقارنة بين الأبجدية الفينيقية والأبجدية اليونانية.

5- الإبداعات الرئيسة للغة اليونانية مقارنة مع اللغة الفينيقية

تمثّل الجديد الأساسي في اليونانية في إضافة المصوّتات (voyelles) إلى الحروف الصوامت (consonnes) التي أخذت فقط من الأبجدية الفينيقية. لذا فإن اليونانيين استخدموا الحروف الفينيقية التي تمثّل حروفاً صوامت غير موجودة في اليونانية. إلى الحروف الفينيقية فقد تمّت إضافة حروف أخرى لتتمّ كتابة صوامت في اللغة اليونانية لم تكن موجودة أصلاً في اللغة الفينيقية.

6- إبداع علامات للحروف المصوّتة

ارتبط إبداع علامات صوتية من أجل كتابة اليونانية بتركيبة اللغة وبالدور الذي تلعبه الحروف المصوّتة في عملية تمييز ومعرفة المعاني الإجمالية للكلمات كما هو الحال في بقية اللغات الهندوأوروبية الموثّقة⁶¹. بحسب Février فإن إبداع العلامات الصوتية قد تهيأ له من خلال معرفة الكتابة السابقة لليونانية. مقارنة مع الكتابة الفينيقية، بات يكمن الإبداع بعدم اعتبار الكتابة ككتابة كلمات (حيث كانت تركيبة الصوامت هي الممثلة)،

⁶¹ Selon Février, 1959 : 385.

بل بات الأمر يقضي باستخدام تركيبة لتصوير الصوامت مستقلة ثم مع إضافة المصوتات⁶².

7- حروف فينيقية مستخدمة لكتابة المصوتات (في اللغة اليونانية)

لكتابة المصوتات (جدول 3)، استخدم اليونانيون علامات اللغة الفينيقية التي لم يكن لهم العادة باستخدامها لكتابة لغتهم. بحسب Healey فإن مصور حرف Ω oméga (المبتكر في اليونانية) هو شكل آخر لحرف O omicron (المأخوذ أصلاً من الفينيقية) لكن بحجم أكبر ومنفتح في القاعدة⁶³.

Phénicien		Grec moderne			
Lettre	Nom	Majuscule	Minuscule	Nom grec	Nom français
𐤀	alf	A	α	álfa	alfa
𐤁	he	E	ε	épsilon	epsilon
𐤂	het	H	η	íta	êta
𐤃	yod	I	ι	iôta	iota
𐤄	ain	O	ο	ómikron	omicron
𐤅	wau	Υ	υ	ýpsilon	upsilon
		Ω	ω	ómega	oméga

جدول 3: مقارنة بين المصوتات في الأبجدية الفينيقية واليونانية الحديثة.

8- حروف يونانية غير مأخوذة من الفينيقي (جدول 4)

Grec moderne			
Majuscule	Minuscule	Nom grec	Nom français
Φ	φ	fi	phi
Χ	χ	chi	khi
Ψ	ψ	psi	psi

جدول 4: حروف يونانية غير مأخوذة من الفينيقي.

9- حروف يونانية خرجت من الاستخدام

F digamma Ϻ stigma Ϻ san Ϟ koppa

⁶² Voir aussi Février, 2005.

⁶³ Healey, 1994.

10- الأشكال القديمة للحروف اليونانية

في البداية كانت الكتابة من اليمين إلى اليسار كما في اللغة الفينيقية (هذا ما يفسر كيف أن أشكال الأحرف لها ذات الاتجاه)، أو بشكل نادر كتابةً في وُضْع قلب (en boustrophédon) (سُطراً من اليمين إلى اليسار والذي يلي من الشمال إلى اليمين وهكذا دواليك). إلا أن التوجه من اليسار إلى اليمين فقد تعمم حوالي العام 500 ميلادياً.

Athènes	Thera	Crète	Naxos	Corcyre	Béotie
Α α	Α Α	Α Α	Α Α	Α Α	Α Α
Β β	Β Β	Β Β	Β Β	Β Β	Β Β
Γ γ	Γ Γ	Γ Γ	Γ Γ	Γ Γ	Γ Γ
Δ Δ	Δ Δ	Δ Δ	Δ Δ	Δ Δ	Δ Δ
Ε ε	Ε Ε	Ε Ε	Ε Ε	Ε Ε	Ε Ε
Ζ ζ	Ζ Ζ	Ζ Ζ	Ζ Ζ	Ζ Ζ	Ζ Ζ
Η η	Η Η	Η Η	Η Η	Η Η	Η Η
Θ θ	Θ Θ	Θ Θ	Θ Θ	Θ Θ	Θ Θ
Ι ι	Ι Ι	Ι Ι	Ι Ι	Ι Ι	Ι Ι
Κ κ	Κ Κ	Κ Κ	Κ Κ	Κ Κ	Κ Κ
Λ λ	Λ Λ	Λ Λ	Λ Λ	Λ Λ	Λ Λ
Μ μ	Μ Μ	Μ Μ	Μ Μ	Μ Μ	Μ Μ
Ν ν	Ν Ν	Ν Ν	Ν Ν	Ν Ν	Ν Ν
Ξ ξ	Ξ Ξ	Ξ Ξ	Ξ Ξ	Ξ Ξ	Ξ Ξ
Ο ο	Ο Ο	Ο Ο	Ο Ο	Ο Ο	Ο Ο
Π π	Π Π	Π Π	Π Π	Π Π	Π Π
Ρ ρ	Ρ Ρ	Ρ Ρ	Ρ Ρ	Ρ Ρ	Ρ Ρ
Σ σ	Σ Σ	Σ Σ	Σ Σ	Σ Σ	Σ Σ
Τ τ	Τ Τ	Τ Τ	Τ Τ	Τ Τ	Τ Τ
Υ υ	Υ Υ	Υ Υ	Υ Υ	Υ Υ	Υ Υ
Χ χ	Χ Χ	Χ Χ	Χ Χ	Χ Χ	Χ Χ

جدول 5: جدول بياني بالأشكال القديمة للحروف اليونانية (Healey 2005 : 64)

11- الحروف اليونانية القديمة — بصورتها النهائية

A	α	άλφα	A	alpha
B	β	βήτα	B	bêta
Γ	γ	γάμμα	G	gamma
Δ	δ	δέλτα	D	delta
E	ε	έψιλον	E	epsilon
Z	ζ	ζήτα	Z	zêta
H	η	ήτα	Ê	êta
Θ	θ	θήτα	TH	thêta
I	ι	ιώτα	I	iota
K	κ	κάππα	K	kappa
Λ	λ	λάμβδα	L	lambda
M	μ	μυ	M	mu
N	ν	νυ	N	nu
Ξ	ξ	ξι	X	Ksi (xi)
O	ο	όμικρον	O	omicron
Π	π	πι	P	pi
P	ρ	ρω	R	rhô
Σ σ -	ς	σίγμα	S	sigma
T	τ	ταυ	T	tau
Y	υ	ύψιλον	U	upsilon
Φ	φ	φι	PH	phi
X	χ	χι	KH	khi
Ψ	ψ	ψι	PS	psi
Ω	ω	ωμέγα	Ô	ômega

جدول 6: الحروف اليونانية القديمة.

Aα	Bβ	Γγ	Δδ
alpha (άλφα)	bêta (βήτα)	gamma (γάμμα)	delta (δέλτα)
Eε	Zζ	Hη	Θθ
epsilon (έψιλον)	zêta (ζήτα)	êta (ήτα)	thêta (θήτα)
Iι	Kκ	Λλ	Mμ
iota (ιώτα)	kappa (κάππα)	lambda (λάμβδα)	mu (μυ)
Nν	Ξξ	Oο	Ππ
nu (νυ)	ksi (ξι)	omicron (όμικρον)	pi (πι)
Pρ	Σσ	Tτ	Υυ
rho (ρω)	sigma (σίγμα)	tau (ταυ)	upsilon (ύψιλον)
Φφ	Xχ	Ψψ	Ωω
phi (φ)	khi (χι)	psi (ψ)	ômega (ωμέγα)

α	β	γ	δ	ε	ϛ	ζ	η	θ
1	2	3	4	5	6	7	8	9
ι	κ	λ	μ	ν	ξ	ο	π	ρ
10	20	30	40	50	60	70	80	90
ρ	σ	τ	υ	φ	χ	ψ	ω	ϣ
100	200	300	400	500	600	700	800	900

Greek Alphabetic Numerals

12- مراحل تطور اللغة اليونانية:

تنتمي اللغة اليونانية (الإغريقية) إلى أسرة اللغات الهندية — الأوروبية، والثابت حتى اليوم أنها أقدمها؛ إذ ثمة أدلة كتابية على استخدامها تعود إلى القرن 14 ق.م. وقد تطورت اليونانية لفظاً وكتابةً عبر أربع مراحل:

اليونانية القديمة: وهي تنقسم إلى فرعين:

أ. الميسينية Mycenaean منذ القرنين 14 - 13 ق. م، وقد استخدمت الكتابة المقطعية المعروفة بخطية ب Linear B.

ب. العتيقة والكلاسيكية الممتدة من القرن 8 حتى القرن 4 ق.م، وتميزت بتبني الأبجدية الفينيقية وتطويعها لملاءمة المصوتات والصوامت اليونانية⁶⁴.

اليونانية العامة Koine أو الهيلينية Hellenistic:

امتدت من القرن 4 ق.م حتى 4 م، وأساسها محكية أثينا اليونانية — الأتيكية التي صارت لغة امبراطورية الإسكندر المقدوني في جميع المستعمرات اليونانية. وقد اتسمت اليونانية العامة ببساطة قواعدها، مما سهل انتشارها. وهذه اليونانية هي التي تُدرس في قسم الفنون والآثار في الجامعة اللبنانية لأن كل الكتابات اليونانية في الآثار الموجودة في لبنان وكامل حوض بحر الأبيض المتوسط تنتمي إلى هذه الحقبة.

اليونانية البيزنطية Byzantine

امتدت من القرن 5 حتى 15م. عانت اللغة اليونانية في هذه المرحلة من ازدواجية كبيرة وصعبة بين الحفاظ على نقاء لغة أفلاطون ومدرسته على صعيد الكتابة وبين تطورات

⁶⁴ مما أدى مثلاً إلى تدوين أعمال هوميروس وهسيودوس وآخرين.

اليونانية العامة المحكية. وفي أثناء هاتين المرحلتين الثانية والثالثة دُوّنت أهم الأعمال الكلاسيكية في الميادين كافة، إما على ورق البردي وإما بشكل مخطوطات، بلغة الدواوين البيزنطية، ولكن للأسف ليس بالدقة المرجوة.

اليونانية الحديثة: وقد بدأت تظهر معالمها منذ القرن 15م، وهي ذات نوعين: أولهما يتضمن جميع المحكيات المحلية⁶⁵، وثانيهما هو الفصحى العامة الحديثة Koini Neoelliniki أي لغة اليونان الرسمية على صعيدي الكتابة والكلام⁶⁶. وفي عام 1967 أعلنت اليونانية الشعبية Demotic لغة الدولة الرسمية⁶⁷، فصارت تدريجياً لغة الأدب أيضاً⁶⁸.

⁶⁵ التي قد تختلف اختلافاً بيناً فيما بينها، ولكن ليس إلى حد عدم الفهم المتبادل.

⁶⁶ والتي نجمت عن التقارب بين نوعين تاريخيين من اليونانية الحديثة، أي بين اللغة الشعبية التي كانت تُنطق في جميع المراكز المدنية وهي مفهومة تقريباً من قبل الجميع؛ وبين لغة الدواوين المكتوبة Katharevusa المحافظة على النقاء القديم، والمستخدم في الدوائر الرسمية وفي ميادين أخرى من الحياة العامة.

⁶⁷ في الدوائر الحكومية والوثائق والصحافة والتعليم بدلاً من لغة الدواوين العتيقة.

⁶⁸ حتى ذلك الوقت كان التقارب قد حصل بصورة طبيعية بين الصنفين، ومن ثم فإن أفضل وصف للفصحى الحديثة هو أنها اليونانية الشعبية بسمات ديوانية.

لائحة المصادر والمراجع

- Février, J. G. (1959). *Histoire de l'écriture*. Nouvelle édition. Paris : Payot. 1ère édition 1948.
- Février, J. (2005). Les Sémites et l'alphabet. Écritures concrètes et écritures abstraites. in: M. Cohen, & J. Peignot. *Histoire et art de l'écriture*. Paris : Laffont, 570-582.
- Healey, J. (1994). Les débuts de l'alphabet. in: L., Bonfante, J. Chadwick et al., 1994. *La naissance des écritures. Du cunéiforme à l'alphabet*. Paris : Seuil 1994, 253-327.
- Lebedynsky, I. (2014). *Les Indo-Européens, Faits, débats, solutions*, 3^e édition revue et corrigée. Paris : édition errance.
- Lockwood, W. B. (1969-1972). *Indo-European Philology: A Panorama of Indo-European Language*, Londres.
- Meillet, A. (1922). *L'introduction à l'étude comparative des langues indo-européennes*, Paris :Hachette.
- Martinet, A. (1986). *Des steppes aux océans*, Payot.
- Hérodote & Thucydide (1979). *Œuvres complètes*. Paris : Gallimard.
- Haudry, J. (1979). « L'indo-européen », Collection « Que sais-je ? », Paris.
- Hombert, J.-M. (2005). *Aux origines des langues et du langage*. Paris : Fayard.
- Mallory, J.P. (1997). *À la recherche des Indo-Européens*. Paris : Seuil.
- Delamarre, X. (1984). *Le vocabulaire indo-européen*. Paris : Maisonneuve.
- Dumezil, G. (1999). *Mythes et dieux des Indo-Européens*. Paris : Flammarion.
- Bertrand, J. (2012). *Vivre Grec Manuel pour débutants en grec ancien*, Fascicule 1, éd ellipses.
- Bertrand, J. (2012). *Vivre Grec Manuel pour débutants en grec ancien*, Fascicule 2, éd ellipses.
- Guiraud, C. (1967). *Grammaire du Grec*, Presses universitaires de France, 3^{ème} édition.
- Deliyannis, C. (1990). *Le Grec moderne en 40 leçons*. Paris : Presses Pocket.
- Lieutaud, I. (2014). *Lire le grec biblique*. 2^{ème} édition revue et augmentée, Bibliques éditions.
- Wenham, J. W. (1997). *Initiation au grec du Nouveau Testament, Grammaire – Exercice – Vocabulaire*, Paris :Beauchesne.

مناهج البحث العلمي في اللغات الهندوأوروبية القديمة (لاتيني)

الخوري د. جورج يرق

المقدمة

تتمتع دراسة اللغة اللاتينية في لبنان بميزات كبرى: أولاً، لأنها لغة الإمبراطورية الرومانية التي تركت آثاراً عديدة في الأرض اللبنانية. ثانياً، لأنها لغة الحق الروماني Codex الذي كانت كلية بيروت للحقوق الناشر والمفسر الأساسي لنصوصه. ثالثاً، بكونها اللغة- الأم لعائلات اللغات اللاتينية وبخاصة الفرنسية والإيطالية اللاتي تركن الكثير من آثارهن في الموروث اللبناني اللغوي.

وفي علم الآثار، تحتل الرقم اللاتينية، أولاً، موقع الصدارة في المكتشفات على الأرض اللبنانية إلى جانب اليونانية والفينيقية. يضاف إليها، ثانياً، العديد من المخطوطات اللاتينية القابعة في بطون المكتبات، داخل لبنان وخارجه، تنتظر من يقوم بإصداراتها النقدية، والتي يختص بعضها بجزء كبير من تاريخ لبنان كالمراسلات البابوية مثلاً. كما أن الكثير من النقوش والمسكوكات قد حُفظت لنا في اللغة اللاتينية.

1. ملحة مختصرة عن تاريخ اللغة اللاتينية

تنتمي غالبية لغات أوروبا، إضافةً إلى بعض لغات آسيا، إلى جذر مشترك هو الجذر الهندو-أوروبي، الذي يشمل مجموعات من اللغات هي:

- المجموعة الهندو-إيرانية indo-iranienne (السنسكريتية، الفارسية القديمة...).
 - اليونانية.
 - المجموعة الإيطالية-السلتية italo-celtique وتشمل لغات إيطاليا (إتروسكان étrusque، أوسكان osque، أومبريا ombrien، لاتيني latin)، وبعض اللهجات السلتية (بلاد الغال gaulois).
 - المجموعة الجرمانية germanique (الألمانية، الإنكليزية، الهولندية، الفلامان، اللغات السكندنافية).
 - المجموعة السلافية slave (البulgارية، الروسية، البولونية، التشيكية، الصربو-كرواتية)، ويمكن أن نضيف لها مجموعة البلطيق (الليتوانية).
- تُعتبر اللاتينية لغة منطقة لاتيوم Latium المحيطة بالعاصمة روما، وهذه المنطقة تُدعى اليوم مقاطعة لازيو Regione Lazio في الدولة الإيطالية، وتُعتبر موئل الحضارة الرومانية، والبؤرة التي توسّعت منها الإمبراطورية الرومانية، مركزها روما العاصمة، وفيها أصغر دولة في العالم وهي الفاتيكان.
- في البداية، كانت اللاتينية لغة أهل روما ولاتيوم فقط، ثم تفوّقت على اللغات المحكية في سائر مناطق إيطاليا (الإتروسكانية، الأوسكانية، الأومبرية، اليونانية). وبفضل الغزوات الرومانية، انتشرت اللاتينية فأصبحت، مع توسّع الإمبراطورية الرومانية، اللغة الثقافية الثانية في العالم القديم، بعد اليونانية. ولقد سُميت اللغة المشتركة lingua franca التي تربط بين أجزاء البحر الأبيض المتوسط كلّها في فترة الحكم الروماني.
- كانت اللاتينية محكية منذ ما قبل المسيح، لكنها لم تأخذ شكلاً أدبياً إلا في بداية القرن الثالث ق. م.، حيث تكوّنت لغة مكتوبة بدأت بالتطور رويداً رويداً. ويمكن القول إنّ اللغة اللاتينية مرتّ بحقب تاريخية متعدّدة:
- الحقبة القديمة في نظام الجمهورية الرومانية، وتمتدّ من القرن الخامس ق.م. حتّى سقوط الجمهورية باغتيال يوليوس قيصر في 15 آذار عام 44 ق.م.، حيث كانت اللاتينية حكراً على سكان لاتيوم، وعُرف من أدبائها القدامى المؤرخ كاتو الكبير Marcus Cato (234 - 149 ق.م.)، وكان مناهضاً شديداً للهليينية وأول من كتب

باللاتينية، وأدباء المسرح الكوميدي بلاوتوس Plautus (254 - 184 ق.م.)، وتيرينسيوس Terentius (195 - 159 ق.م.).

- الحقبة الكلاسيكية أو العصر الذهبي، الممتد من 75 ق.م. في عهد سيلا، وحتى نهاية حكم الإمبراطور الأول أغسطس قيصر (63 ق.م. - 14 ب.م.)، الذي أنهى نظام الجمهورية لتبدأ بعده مرحلة الإمبراطورية. في هذا العصر، كُتب الكثير من الأدب اللاتيني، وعُرف الكثير من الأدباء اللاتين وعلى رأسهم شيشرون Cicero (106 ق.م. - 43 ق.م.)، سالوستيوس Sallustius (86 ق.م. - 35 م.) وفيرجيل Virgile (70 ق.م. - 19 ق.م.) وغيرهم.

- الحقبة ما بعد الكلاسيكية، وتشمل بدايات المسيحية، وفيها برز الكثير من الأدباء والمؤرخين والجغرافيين: اللاتين: تيتوس ليفيوس Titus Livius (59 ق.م. - 17 ب.م.)، سينيكا Seneca (4 ب.م. - 65 م.)، بلينيوس القديم Caius Plinius (23 ب.م. - 79 م.) وغيرهم الكثير.

- الحقبة المسيحية، وتبدأ من القرن الثالث الميلادي، وإشتهر منها الكثير من آباء الكنيسة القديسين، نذكر منهم: ترتليانوس القرطاجي Tertullianus (155 - 220 م.) ويعتبر أبا الأدب اللاتيني المسيحي، القديس أوغسطينوس Augustinus (354 - 430 م.)، والقديس جيروم Hieronymus (342 - 420 م.) وغيرهم.

إلى جانب لغة الأدب والفصاحة المكتوبة، تواجَدَت لغةً لاتينيةً محكيةً، أكثر تحرراً، وصلت إلينا بعض بقاياها عبر الشواهد الأثرية والرُّقْم وبعض النصوص غير الأدبية. وهذه اللغة الشفهية الأكثر قابليةً للتطور هي التي أعطتنا اللغات الرومانية المعروفة بعائلة اللغات اللاتينية: الفرنسية، الإيطالية، البروفنسالية، الإسبانية، البرتغالية والرومانية (lingua romana)، وهي التي غَدَت مهيمنة منذ الحقبة المسيحية.

ما تزال اللاتينية لغةً دولة الفاتيكان الرسمية إلى اليوم. وفي العام 1976، أنشأ البابا بولس السادس مؤسسة Opus Fundatum Latinitas في الفاتيكان، بهدف تعليم اللاتينية، والحفاظ عليها وتطويرها، ونشر المقالات باللاتينية. ومنذ العام 1989، انكبت مجموعة من علماء المؤسسة الحبرية، بإدارة الأبائي النمساوي كارلو إيغر Carlo Egger، على تحديث الحقل المعجمي اللاتيني بحيث يطال المفردات المعاصرة. وفي غضون ثماني

سنوات، أصدرت أجزاء القاموس اللاتيني المعاصر Lexicon Recentis Latinitas الذي اغتنى بإضافة 15000 كلمة مترادفة جديدة، نُشرت على موقع المؤسسة. وفي العام 2012، أنشأ البابا بندكتوس السادس عشر الأكاديمية الحبرية لللاتينية Pontificia Academia Latinitatis التي حلت محل المؤسسة.

2. مناهج البحث في اللغة اللاتينية

في دراستنا للغة اللاتينية نعتد المنهج الوصفي التحليلي أولاً، في استقراءنا لملامح الحضارة اللاتينية أو الرومانية، على كافة الصعد. ثم المنهج المقارن في تفكيكنا لرموزها بما فيها الأحرف، والأرقام، والنقوش، والرقم. ونُعطي أهمية ملحوظة للمنهج الفيلولوجي الذي يفكّ الكلمات والنصوص ليعيد إنتاج صياغة جديدة إن على صعيد الحرف، أو على صعيد المعنى. ولا نغفل عن المنطق الخاص بالتركيب اللغوي الخاص باللاتينية، إن على مستوى المبنى أو المعنى.

3. تصميم المقررات

يمتدّ تعلّم اللغة اللاتينية في الجامعة اللبنانية على مدى ثلاثة فصول أكاديمية من مرحلة الإجازة هي: الفصل الأكاديمي الثاني (لاتيني 1 في السنة الأولى) والفصل الأكاديمي الثالث (لاتيني 2 في السنة الثانية) والفصل الأكاديمي السادس (نقوش ورقم لاتينية في السنة الثالثة).

في المستوى الأول (لاتيني 1) نبدأ باستكشاف تاريخ الحضارة الرومانية بوصفها الحاضنة الرئيسية للغة اللاتينية، فنعطي فكرة أولية عن امتداد الإمبراطورية الرومانية الجغرافي، وأبرز المحطات في تاريخها القديم والوسيط والحديث، ونتوقّف عند بعض أشهر رجالها: الأباطرة منهم كأغسطس قيصر مثلاً، والكتّاب المشهورين كشيرون مثلاً، ورجال الدين المسيحيين كأوغسطينوس وغيرهم. بعد هذا الكشف السريع، نعطي فكرة أولية عن مراحل تطوّر الأبجدية- الأم اللاتينية بمقارنتها مع الأبجديات- اللهجات، الفرنسية

والإنكليزية بشكل خاص. ثم نعالج الطرق الخمسة لتصريف الأسماء كما والأفعال، ونستنبط القواعد الخاصة بها.

في المستوى الثاني (لاتيني 2)، يبدأ الطالب أولى محاولات الترجمة والتعريب من وإلى اللاتينية. ويتعرف على النعوت والضمائر اللازمة للصرف، فالأعداد والترقيم اللاتيني والكلندار الروماني. هنا، نبدأ بالاحتكاك ببعض النصوص اللاتينية الكلاسيكية في الميدان المدني والديني. وفي الميدان الحقوقي، نخرج على مدرسة بيروت للحقوق ونصوص التشريع الروماني الموحد الذي أسهمت به.

في المستوى الثالث (نقوش ورقم لاتينية) نتطرق الى النقوش والرقم اللاتينية، ما ينتمي منها إلى الإمبراطورية بشكل عام كقوس نصر تيطس في روما مثلاً، والموجودة في لبنان ومنطقة الشرق الأوسط بشكل خاص. ولكل منها، نقوم بتحليل جغرافي، تاريخي، ثقافي، ولغوي، ثم نعطي الترجمة الأكثر احتمالاً، في العربية والفرنسية والإنكليزية. وتهدف الدراسة التحليلية لوضع هذه النقوش والرقم في إطار لبنان الحضاري. والعمل يطل الأبجدية اللاتينية نفسها بوصفها واحدة من هذه الرقم.

خلاصة

إن دراسة اللغة اللاتينية مهمة في لبنان، للطلاب والباحثين على السواء. فهي نافذة لا مفر منها تفتح الباب على علاقة لبنان بالإمبراطورية الرومانية، وبالكروسي الرسولي في الفاتيكان، مع ما يستتبع ذلك من انفتاح على اللغات، وبالتالي الحضارات، المحيطة بروما، ومن تفرس على منطق اللغة اللاتينية الفريد. ويغتنى البحث، دون شك، عن طريق القيام بدراسة فيلولوجية معمقة تقارن اللاتينية بسواها من اللغات، المعاصرة لها كال يونانية مثلاً، أو السابقة لهما عنيّت الفينيقيّة، أم كلّ الأبجديات.

لائحة المصادر والمراجع

- Auzanneau, B. & Avril, Y. (2000). *Dictionnaire Latin de poche (latin – français)*. Paris : Livre de Poche.
- Baudiffier, E., Gason, J., Morisset, R., & Thomas, A. (1963). *Précis de grammaire latine*. Paris : Magnard.
- Cart, A., Grimal, P., Lamaison, J. & Noiville, R. (1965). *Grammaire Latine*. Paris : Fernand Nathan.
- Ernout, A., Meillet, A. (2001). *Dictionnaire étymologique de la langue latine. Histoire des mots*, Paris : Éditions Klincksieck.
- Gaffiot, F. (2016). *Dictionnaire Latin-Français*, Paris.
- Grimal, P. (1975). *La première année de Latin*. Paris: Fernand Nathan.

مواقع الكترونية

- [COLLATINUS](#); (consultation durant le mois d'avril 2022).
- [Dictionnaire latin français - Traduction en ligne - LEXILOGOS](#); (consultation durant le mois de mai 2022).
- [Dossier des latinistes : plan du site \(oldlatinistes.ch\)](#); (consultation durant le mois de mai 2022).
- [GRAND DICTIONNAIRE LATIN OLIVETTI \(grand-dictionnaire-latin.com\)](#); (consultation durant le mois d'avril 2022).
- [La question du latin \(hypotheses.org\)](#); (consultation durant le mois d'avril 2022).
- LATINITAS Foundation : https://www.vatican.va/roman_curia/institutions_connected/latinitas/documents/index_en.htm (consultation durant le mois d'avril 2022).
- Pontificia Academia Latinitatis : <https://www.pontificiaacademia-latinitatis.org/>; (consultation durant le mois de mai 2022).
- [Site de Philippe Remacle](#): site de l'Antiquité Grecque et Latine du Moyen Âge. (consultation durant le mois de mai 2022).
- Yon, J.-B. *Inscriptions Grecques et Latines inédites du Musée De L'Université Du Saint-Esprit À Kaslik (Usek), Liban* : [Musée Archéologique de l'USEK | Inscriptions grecques et latines inédites du musée de l'université du Saint-Esprit à Kaslik \(USEK\), Liban ; IFPO PRESSES SYRIA 92_yon.indd \(usek.edu.lb\)](#) (consultation durant le mois de mai 2022).

مناهج البحث العلمي في اللغة الهندوأوروبية

(الفارسية)

د. يوسف أبو خليل

المقدمة

تُعتبر اللغة من أهم الظواهر الثقافية والحضارية للأمم، وكل تقدم حضاري كانت اللغة تلعب دوراً أساسياً فيه، ابتداءً من العصور القديمة إلى عصرنا الحالي، ولعبت اللغة أيضاً دوراً أساسياً في فك رموز كثير من الثقافات والحضارات القديمة.

غير أن صعوبات عديدة واجهت علماء الآثار في تحليل رموز الكتابة المسمارية. فلقد بدأت محاولات فك شيفرة الكتابة المسمارية في القرن الثامن عشر، بعد محاولة بعض العلماء الأوروبيون البحث عن المناطق والاحداث التي ذُكرت في الكتاب المقدس (Bible). وقد لاقى العلماء صعوبة في ترجمة الكتابة المسمارية لعدة أسباب منها: أولاً، كانت الكتابة المسمارية غير مستخدمة لآلاف السنين، حيث استمر استخدام المسمارية حتى القرن الأول قبل الميلاد. مع مرور الزمن، أصبحت منسية حتى القرن 19 الميلادي، عندما قام علماء الآثار بفك رموزها. ثانياً، العديد من الحروف كانت كلمات أو مقاطع. بالإضافة إلى ذلك فإن كثيراً من الشعوب القديمة التي استخدمت هذه الكتابة استنبطت تفاسيرها الخاصة لرموز الكتابة المسمارية. ولهذا فقد يكون للرمز الواحد معانٍ عديدة.

هدفنا الأساسي من هذا الفصل هو تقديم لمحة عن اللغة الهندوأوروبية (الفارسية) تمكن الباحثين من معرفة تاريخ هذه اللغة والمناهج الأساسية التي تُعنى بها. لذلك سنتناول

أولاً تاريخ وتطور اللغة الهندوأوروبية (الفارسية)، وسنعرض بعد ذلك المناهج الفكرية لهذه اللغة.

I. ملحة مختصرة عن اللغة الهندوأوروبية (الفارسية)

سوف نتناول أولاً الكتابة المسمارية وفك شيفرة رموزها، فكان فضل حل رموز اللغة السومرية يعود الى البابليين والاشوريين انفسهم اذ تركوا عدداً من الرقم الطينية عبارة عن معاجم لغوية تكتب فيها الكلمة باللغة الأكادية ومقابلها لفظها السومري وذلك من اجل تعليم الكتّاب اللغة السومرية. فبدأت الخطوات الأولى لحل رموز الخط المسماري من خلال الزيارات والرحلات التي قام بها الرحالة الأوروبيون إلى الشرق. كان أول أولئك الرحالة الذين قاموا بزيارة الشرق هو الايطالي (بترو ديلا فاله) الذي زار أطلال مدينة برسيبوليس⁶⁹ في إيران، فعثر على أجرة مكتوبة بكتابة مسمارية، كما استنسخ بعض الكتابات، وقام بنشرها في أوروبا.

ثم قام العالم الدماركي (كرستن نيبور) باستنساخ بعض كتابات برسيبوليس ونقلها إلى أوروبا عام ١٧٦٥، والتي كانت تتألف من ٤٢ علامة، والتي بين العلماء لاحقاً، ان كتابات برسيبوليس (عاصمة الدولة الاخمينية) تتألف من ثلاث لغات مختلفة (البابلية-العيلامية-الفارسية القديمة).

وقد تمكن العالم (مونتر) في عام ١٨٠٢م من اثبات كون كتابات برسيبوليس تعود إلى الامبراطورية الأخمينية (559-331 قبل الميلاد)، وأن لغتها مشابهة إلى لغة الكتاب المقدس عند الزرادشتيين المعروف بإسم أفستا (Avesta)، كما استطاع إن يحدد العلامات التي تؤلف كلمة "ملك".

وكتب نقش بهستون (Behistun) بثلاث لغات هي الفارسية والعيلامية والبابلية. وهذه الكتابة تعود إلى الملك الاخميني داريوش (دارا الاول ٤٨٦-٥٢٢ ق.م). وبما ان العلماء كانوا يعرفون الخط المسماري الفارسي لذا استخدموا هذه المعرفة في ترجمة النصين العيلامي والبابلي بالتعاقب. ولكن النوع الثالث من الكتابة المدون باللغة البابلية كانت محاولات حله مضنيه للغاية، حيث لاقى العلماء صعوبات كثيرة بسبب تدوينها بعلامات

⁶⁹ برسيبوليس تعني "مدينة الفرس" وهي عاصمة الدولة الاخمينية التي شيدها داريوش الكبير.

مقطعية تزيد عن (٥٠٠) علامة مسمارية، ولكن ظهر ما يساعدهم على استكمال مشوارهم العلمي وحلّ ما تبقى من الكتابة المسمارية بسبب تزايد الحصول على الرقّم الطينية. وقد تمكن العالم (هنكس) عام ١٨٤٧م من تحديد أسماء الأعلام، كما عرف بأن بعض الكلمات كتبت بشكل مقطعي وبعضها بشكل رمزي، وكذلك توصّل إلى معرفة تشكيل العلامة من حرف علة زائد صحيح أو بالعكس. وهكذا توصّل العلماء وبسبب جهودهم الحثيثة المتواصلة وتعاونهم فيما بينهم واستكمال دراسة بعضهم إلى البعض الآخر من التوصل أخيراً إلى حلّ رمز الخط المسماري المدون باللغة البابلية. وبالرغم من النتائج الحقيقية التي توصّل إليها الباحثون في حلّ تلك الرموز والكتابات لكن الشك بقي موجوداً حول صحة تلك القراءات. لذلك ارتأت (الجمعية الملكية الآسيوية The Royal Asiatic Society) في لندن على قطع الشك باليقين فقامت بتوزيع نص من كتابة آشورية تعود إلى الملك الآشوري تغلات فلصر الأول (١١١٥ ق.م) على أربعة من أبرز الباحثين والعلماء بالعالم آنذاك، وهم أوبرت، وهنكس، وتالبوت، ورولنسون لترجمة ذلك النص كلّ على انفراد. بعد شهرين وصلت النتائج وكانت القراءات متقاربة، وبهذا أقرت المحافل العلمية الاعتراف بمولد علم جديد أطلق عليه، الآشوريات (Assyriology) نسبة إلى اللغة الآشورية.

كانت اللغة الفارسية القديمة معروفة بالنسبة للباحثين من خلال دراسات الفرنسي دوبيرون الذي تعلمها من البارسيين الموجودين بالهند، وهم بقايا الزرادشتيين الذي هاجروا من إيران إلى الهند وكانوا ما يزالون حتى القرن التاسع عشر يقرأون كتابهم المقدس بلغته القديمة.

ويعود الفضل إلى العالم الألماني غروتفند في ترجمة النص الفارسي من كتابات برسيبوليس الذي كان يضم ٤٢ علامة مسمارية تمثل حروفاً هجائية وليس كتابة مقطعية، كما تمكّن من قراءة أسماء الأعلام وألقابهم المدونة باللغة الفارسية القديمة. وكان غروتفند قد استند في ترجمته على قاعدتين هما:

أ- إنّ نصوص برسيبولس تعود للإمبراطورية الاخمينية.

ب- معرفة العلماء بأسماء ملوك الإمبراطورية الاخمينية من مصدرين هما:

أولاً: الكتاب المقدس خاصة العهد القديم، اذ ترد فيه معلومات كثيرة عن ملوك الدولة الاخمينية واخبارهم. ثانياً: الكتابات الكلاسيكية لا سيما المؤلفات الاغريقية واهمها كتاب المؤرخ الاغريقي هيرودوت.

فهذا يمكن من خلال دراسة المؤلفات الاغريقية معرفة أنّ الملك الذي بنى برسيبولس هو داريوش الكبير (522-486 قبل الميلاد). بالتالي وبما أنّ كتابات برسيبولس كتابات ملكية فهي تبدأ باسم الملك وبذلك تمكن من أن يعرف اسم الملك داريوش في كتابات برسيبولس.

وبما أنّ داريوش يرد اسمه بلقب ملك الملوك وهذا لقب فارسي تقليدي، تمكن (گروتفند) من قراءة هذا اللقب في كتابات برسيبولس، في حين أنّ اسم ابيه لا يرد معه لقب ملكي وبذلك كان ترجيح داريوش مسألة منطقية لا سيما واننا نعرف اسم والده من خلال كتاب الافستا وهو فيشتاسبا، ويرد هذا الاسم في الكتابات الاغريقية هستاسبس وبهذا تمكن گروتفند عن طريق اسماء الاعلام من قراءة اغلب الأحرف الفارسية المسمارية، لان هذه الحروف قليلة وبذلك تتكرر باستمرار في النص.

إنّ كتابات برسيبولس لم تساعد الباحثين من معرفة كل القيم الصوتية للعلامات المسمارية وهنا جاء دور العالم والضابط البريطاني (هنري رولنسون) الذي قام عام ١٨٥٣م بمحاولة استنساخ بعض النصوص القصيرة، إضافة إلى استنساخه اهم نصوص الدولة الاخمينية وهو (نقش بهستون) المدون على جبل قره داغ في مدينة كرمنشاه في إيران.

II. مناهج البحث في اللغة

1- المنهج الوصفي:

يقوم المنهج الوصفي بدراسة وتحليل البنية اللغوية والصرفية والنحوية والدلالية، فكل لغة ولهجة تتكون من مجموعة من الأصوات اللغوية التي تكون كلمات ومن مجموعة هذه الكلمات تتكون الجمل لتعبر عن معانٍ معينة. فهو يتناول لغة أو لهجة واحدة ضمن نطاق زمني محدد ومكان محدد، ويقوم على دراسة مجموعة من الدراسات الصوتية، الصرفية، النحوية، الدلالية. كما يقوم بدراسة بناء الجمل دراسة نحوية، الى

جانب إعداد بعض من المعاجم الصغيرة التي يعد فيها استخدام ألفاظ معينة في لغة أو لهجة واحدة⁷⁰

المنهج الوصفي يكتفي بوصف أية لغة من اللغات عند شعب من الشعوب، أو لهجة من اللهجات، في وقت معين، أي أنه يبحث اللغة بحثاً عرضياً لا طويلاً، ويصف ما فيها من ظواهر لغوية مختلفة، ويسجل الواقع اللغوي، تسجيلاً أميناً. فأنطوان ميه (Antoine Meillet) يذهب إلى أبعد من هذا، حين يرى أن المنهج الوصفي "يعني بدراسة الاستعمال اللغوي في عمومته، عند شخص بعينه، في زمان بعينه، ومكان بعينه". وهذا المنهج يقوم على أساس وصف اللغة أو اللهجة في مستوياتها المختلفة، أي في نواحي أصواتها، ومقاطعها، وأبنيته، ودلالاتها، وتراكيبها، وألفاظها، أو في بعض هذه النواحي، ولا يتخطى مرحلة الوصف. والمصنفات اللغوية مثال من أمثلة تطبيق هذا المنهج الوصفي على اللغات واللهجات، فهي لا تعرض علينا سوى الواقع اللغوي مصنفًا، دون تدخل من الباحث بتفسير ظاهرة، أو تحليل لإتجاه لغوي، هنا أو هناك.

غالباً ما تنصب هذه الدراسة الوصفية، على اللغات واللهجات المعاصرة "وإن كان بعض العلماء، قد قام بمحاولات لدراسة اللغة، دراسة وصفية في زمن معين في الماضي". فأية دراسة صوتية أو صرفية أو تركيبية أو دلالية، لإحدى اللهجات القديمة أو الحديثة، تُعد دراسة وصفية. وقد حقق علم اللغة الوصفي في القرن العشرين، نهضة كبرى، أدت إلى كثير من التطورات المهمة، في علم اللغة المعاصر، وكان القرن التاسع عشر حاملاً لكثير من الإرهاصات، لهذا العلم الحديث⁷¹.

2- المنهج المقارن:

بدأ ظهور هذا المنهج واستخدامه مع ظهور اللغة السنسكريتية، فهو من المناهج القديمة. يُعد أرسطو وأفلاطون أشهر مستخدمين هذا المنهج، ويقوم هذا المنهج على أساس إجراء مقارنات بين لغتين مختلفتين منتميتين لأسرة لغوية واحدة لإجراء المقارنة النحوية والصرفية والدلالية لهما وذلك من خلال دراسة الأصوات ومخارجها وصفاتها ووظائفها. يتميز المنهج المقارن بالدقة والوضوح وذلك لكونه يقوم بكشف أوجه

⁷⁰ السعدي، عبد الكريم (2011-4-12). مناهج البحث في اللغة.

⁷¹ انظر مدخل الى علم اللغة، عبد التواب، رمضان، ص. 181-183.

الإختلاف والشبه بين أكثر من ظاهرة أو حادثة اجتماعية؛ وتكون الظاهرة واضحة الزمان والمكان وتاريخ حدوثها. والباحثون الذين يستخدمون هذا المنهج يقومون على أساس تصحيح النصوص اللغوية غير الموثوقة واكتشاف الفصائل اللغوية وتركيباتها حتى يصلون الى النتيجة وهي اللغة الأم⁷².

3- المنهج التقابلي:

يقوم هذا المنهج على دراسة ومقابلة لغتين أو لغة ولهجة ضمن مستويين لغويين معاصرين. كما يقوم بإثبات الفروق بين المستويين وتفسير صعوبة تعليم اللغات، وهو بمثابة الأساس الذي تقوم عليه اللغة. ويعتمد المنهج التقابلي على تفسير وتوضيح الفروق بين اللغتين وصعوبة تعلم كل منها للغة الآخر، من خلال الكشف عن أوجه الشبه والإختلاف بينهما⁷³.

4- المنهج التاريخي:

ظهر المنهج التاريخي في بداية القرن التاسع عشر. ويقوم المنهج على أساس حصر وجمع التغيرات التي تطرأ على اللغة عبر العصور وذلك من خلال دراسة وتحليل أصواتها والبنية النحوية والصرفية لها وصولاً الى الأسباب التي أدت الى هذا التغير. وعلى الباحث الذي يقوم بإستخدام هذا المنهج في دراسته أن يستخدم أقدم المصادر المتاحة لدراسة هذه الظاهرة⁷⁴.

الخاتمة

بناء على ما تقدم، فإن تعليم اللغة الفارسية لطلاب قسم الآثار هو من الكفايات التعليمية، التي تجعل الطلاب قادرين على الاطلاع وعلى قراءة النصوص الفارسية القديمة والوسيلة والدرية (الحديثة) التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بحضارات الشرق القديم، وهي جزء أساسي من هذه الحضارات، ومناطقنا تزخر بهذه الآثار التي تم اكتشاف البعض

⁷² انظر نابي، نسبية (2010-2011). مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية. ص. 11-12. بتصرف.

⁷³ ن- م.

⁷⁴ انظر سريسي، أمال (2012). مفهوم اللغة في ضوء مناهج البحث اللغوية. ص. 24.

منها، على أمل اكتشاف الآثار الباقية. فلذلك يمر المتعلم في قسم الآثار بأربع مواد للغة الفارسية، وهي على الشكل التالي:

الفصل الاول: تاريخ الكتابة بشكل عام ومنه تتفرع اللغات القديمة. يتم من ضمنها تقديم اللغات الهندوأوروبية عموماً واللغة الفارسية خصوصاً: فيتعرف فيها الطالب على تقسيم اللغات الام كالسامية وخصوصاً الهندو أوروبية وتقسيماتها واللغات التابعة لها والتعرف على تطور هذه اللغة ومسارها، من لغة فارسية قديمة الى وسيطة وانتهاء باللغة الفارسية الدرية او الحديثة.

الفصل الثاني: لغة قديمة هندوأوروبية (فارسية 1) يتعرف بها الطالب على التقسيمات اللغوية وقواعد اللغة وتركيباتها لا سيما اللغة الفارسية الدرية، ليصبح قادراً على تركيب الجمل البسيطة ومقارنتها باللغات القديمة والوسيطة.

الفصل الثالث: لغة قديمة هندوأوروبية (فارسية 2): يستكمل الطالب التعرف على اللغة الفارسية، وينتقل الى التعرف على الجمل الطويلة، اضافة الى بعض النصوص الادبية للحضارة الفارسية القديمة، ويكون قادراً على ترجمة قصص ونصوص من الفارسية الى العربية وبالعكس، اي من العربية الى الفارسية.

الفصل السادس: كتابات ونقوش هندوأوروبية (فارسية): يتمكن الطالب في هذه المادة من قراءة النصوص والرقم الفارسية المنقوشة سواء بالكتابة المسمارية أو البهلوية، ويكون قادراً على نقلها الى الفارسية الدرية وبالتالي متمكناً من ترجمتها الى العربية.

ويُعتمد في تدريس هذه المواد على مختلف المناهج المتعددة في اللغة خصوصاً المنهج الوصفي والتاريخي والمقارن.

لائحة المصادر والمراجع

أولاً - المصادر العربية:

لواساني، احمد (1981). مدخل الى اللغة الفارسية، ط 3. بيروت: دار الحكمة.
براون، ادوارد (2005). تاريخ الادب في ايران، ترجمة: احمد كمال الدين حلمي، ج1، ط1. القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.

التونجي، محمد (1980). المعجم الذهبي (فارسي - عربي)، ط2، بيروت: دار العلم للملايين.

الخالدي، عبد الله والمجذوب، طلال (2001). مفتاح اللغة الفارسية. بيروت: دار الحق.

الجبوري، تركي عطية (1984). الكتابات والخطوط القديمة. بغداد: دار بغداد.

ديماند، موريس سفن (1982). الفنون الإسلامية. ترجمة: أحمد عيسى. مصر: دار المعارف.

سليم، أحمد أمين (1428هـ - 2008م). دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم، ط1. بيروت: دار النهضة العربية).

الشواري، إبراهيم أمين (1410 هـ - 1989 م). حافظ الشيرازي - شاعر الغناء والغزل في إيران. بيروت: دار الروضة للطباعة والنشر والتوزيع.

الصيد، فؤاد عبد المعطي (1986). القواعد والنصوص الفارسي. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

الصيصي، اغناطيوس (1997). اللغة الفارسية (خطوة خطوة)، ط1. بيروت: دار الروضة.

فولتر، ريتشارد (1428هـ-2007م). الروحانية في أرض النبلاء، ترجمة: بسام شيجا، ط1. بيروت: الدار العربية للعلوم.

القماطي، هنية مفتاح (2003). الفكر الديني القديم (دراسة في نشأت المعتقدات الدينية)، ط1. ليبيا: منشورات جامعة قار يونس.

كريستنسن، آرثر (1982). إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

يوسفي، جمشيد (2012). الزرادشتية (الديانة والطقوس والتحويلات اللاحقة)، ط1. بيروت - لبنان: منشورات زين.

ثانياً - المصادر الأجنبية:

Avesta Reader, by Riechel; Hans (1911), Strassburg.

ثالثاً - المصادر الفارسية:

أبو القاسمي، محسن (1380). تاريخ زبان فارسي. تهران: سازمان مطالعه وتدوين كتب علوم انساني دانسگاهها (سمت) مركز تحقيق وتوسعة علوم انسانی.

بهار، محمد تقی (1321 هـ) سبك شناسي يا تاريخ تطور نثر فارسي، جلد 3، چاپ 4. تهران: مؤسسة انتشارات امير كبير.

صفا، ذبيح الله (1352هـ). تاريخ ادبيات ايران، ج 1، ط2. تهران: مؤسسة انتشارات وجاب دانسگاه.

رابعاً - المجلات والدوريات:

التونجي، محمد (1965). التسرب اللغوي بين العربية والفارسية. مجلة الدراسات الادبية: الجامعة اللبنانية، السنة السابعة، العددان 1 و 2.

د. محقق، مهدي (1961). صور من التعريب ونقل المعاني من الفارسية الى العربية. مجلة الدراسات الادبية: الجامعة اللبنانية، السنة الثانية، العدد الرابع.

الجزء الخامس
الإنسان ومحيطه



الأنثروبولوجيا

د. ندى الياس

المقدمة

الأنثروبولوجيا علم متشعب المسالك يُتيح لنا معرفة الإنسان والشعوب السالفة ودراستها عن طريق عملية التنقيب إضافة إلى عمليات التحقيق والمقارنة. وتعود كلمة "أنثروبولوجيا" (Anthropologia) إلى اللغة اليونانية وتتألف من كلمتين: الأولى (Anthrōpos⁷⁵: Anthropos) وتعني "الإنسان" والثانية (Logia: logia) وهي مشتقة من كلمة (Logos⁷⁶: logos) وتعني الكلمة أو الخطاب أو الحديث خصوصاً والعلم عموماً. وبذلك فإن الأنثروبولوجيا هي علم الإنسان بجميع أبعاده المادية والاجتماعية والفكرية. وتعتمد الأنثروبولوجيا تقنيات ووسائل متنوعة تُساهم في دراسة أصول الإنسان (الباليوانثروبولوجيا، الباليونتولوجيا البشرية)، والبنى البيولوجية والصحية للإنسان (الأنثروبولوجيا البيولوجية)، ووضعها الثقافي-الاجتماعي، وثقافته المادية السالفة إضافة إلى فهم الفكر الديني (الإثنولوجيا وعلم الاجتماع والأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية)⁷⁷.

تندرج الأنثروبولوجيا إذاً، على المستوى الأكاديمي، في إطار ما يُعرف بالعلوم الاجتماعية من جهة وبالعلوم الطبيعية من جهة أخرى. غير أن هذا الفصل الأكاديمي غالباً ما أدى إلى افتقار الرؤيا العلمية العامة والشاملة عند دراسة الشعوب السالفة، وحدّ هذا العلم في إطار اختصاصات ضيقة لا تسمح إلا برؤية مجتزأة لواقع هذه المجتمعات القديمة. انطلاقاً من هذا الواقع، كان على الأنثروبولوجيا عند تطبيقها على علم الآثار ضمّ عدّة

⁷⁵ Bailly, 2000: 164.

⁷⁶ Bailly, 2000: 1200.

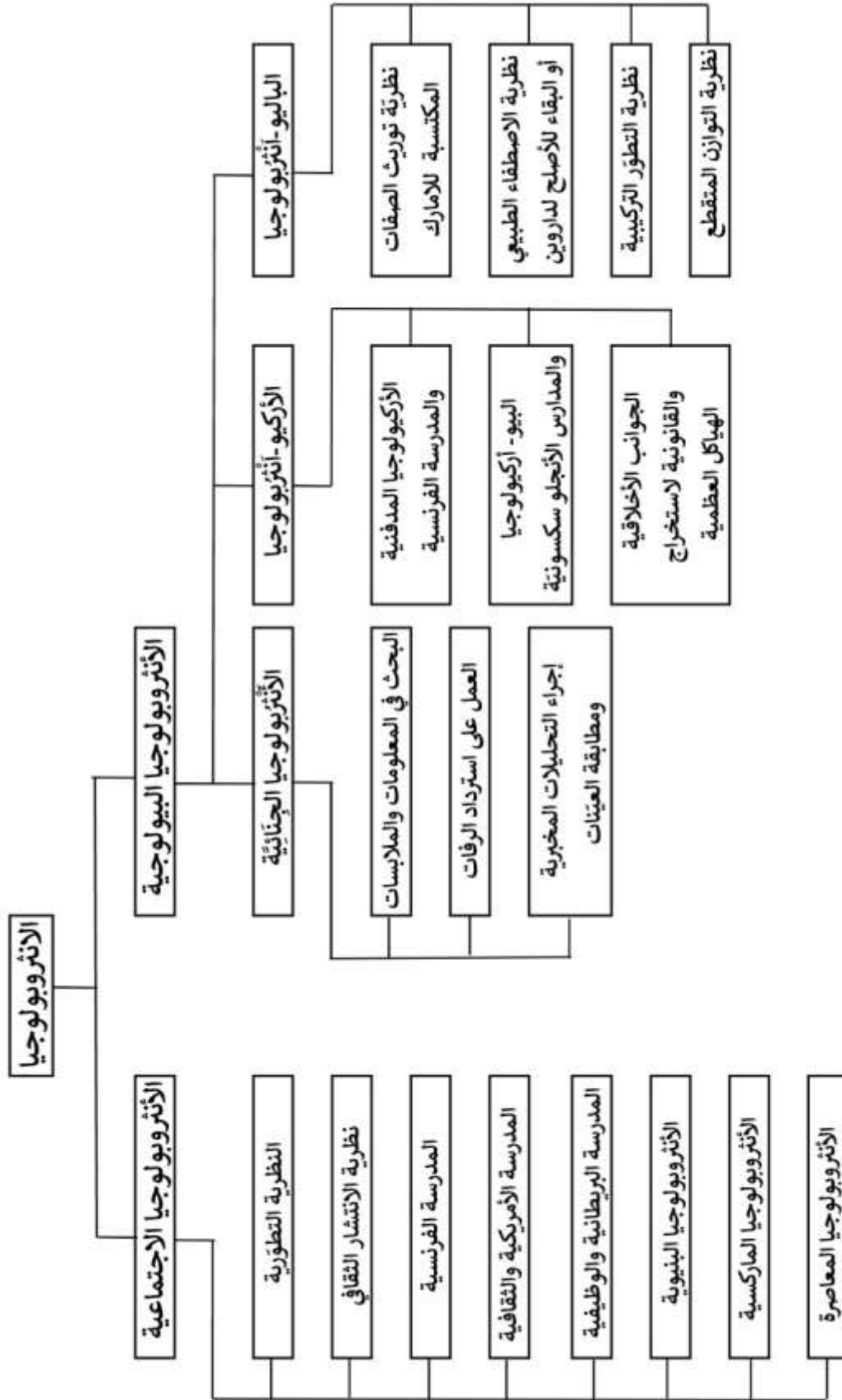
⁷⁷ Copens et Guilaine, 2008: VI.

اختصاصات تتلاقى بعضها مع بعض لدراسة الإنسان والشعوب السالفة من مختلف الأبعاد والمذاهب. فالأنثروبولوجيا عند تطبيقها في علم الآثار تُعنى بالأخص بدراسة البقايا البشرية وإعادة بناء السياق والمحيط الذي وجدت فيه. فيقوم علماء الأنثروبولوجيا، من الميدان حتى المختبر، بفحص البقايا العظمية للتعرف على الهويات البيولوجية وظروف الوفاة والأمراض التي عانت منها الشعوب السالفة. كما يدرسون مختلف خصائص الدفن وطقوسه، ما يتيح لهم معرفة بعض الجوانب الاجتماعية والثقافية لهذه المجتمعات القديمة من خلال الطرق الدفنية: وضعية الجسد، نوع القبر، اللقى الأثرية ومنها التقدّمات، والفكر الديني المرتبط بعلاقة الإنسان بالموّت، إلخ. إذًا فالأنثروبولوجيا عند تطبيقها على علم الآثار تُعنى بعلوم الإنسان من الناحية البيولوجية والاجتماعية، والإثنوأركيولوجية والأركيولوجية والتاريخية معاً.

هدفنا الأساسي من هذا الفصل تمكين الطلاب والباحثين من دراسة الشعوب القديمة من خلال الأنثروبولوجيا التي تسمح بمقاربة هذه الشعوب والمجموعات البشرية السالفة برؤية شاملة أبعاداً وتفصيل. لذلك سنتناول أولاً تاريخ وتطور الأنثروبولوجيا، وسنتطرق بعد ذلك إلى التيارات الفكرية ومدارس البحث في الأنثروبولوجيا البيولوجية والاجتماعية (رسم بياني رقم 1).

وفي القسم المخصّص للأنثروبولوجيا البيولوجية سنعالج أولاً المدارس البحثية والطرق الرئيسية المعتمدة في الأنثروبولوجيا البيولوجية (الباليوأنثروبولوجيا والمدارس البحثية المشهورة في الدراسات التي تُعنى بأصل الإنسان والأركيو-أنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الطبية-الشرعية). ضمن الفقرة المخصصة للأركيو-أنثروبولوجيا سنتناول الأركيولوجيا المدفنية والبيو-أركيولوجيا، حيث نبدأ بنبذة تعريفية تاريخية. ونركّز على أهمية إعادة بناء الطقوس والممارسات المدفنية في المجتمعات السالفة وتطور الفكر الديني المتعلّق بالموّت، فضلاً عن الجوانب الأخلاقية والقانونية للتنقيب عن الهياكل العظمية.

وأخيراً، وفي القسم المخصّص للأنثروبولوجيا الاجتماعية، سنركّز على أبرز المدارس البحثية الرائدة في الأنثروبولوجيا الاجتماعية.



رسم بياني رقم 1: هيكلية تقسيمات الأنثروبولوجيا.

I. نشوء الأنثروبولوجيا

إن تنوع المناهج والمسارات النظرية في الأنثروبولوجيا في بلدان العالم أدّى إلى غياب تعريف موحد للأنثروبولوجيا على الصعيد العالمي (Copans, 1996: 7). لأن الأنثروبولوجيا تتناول أساساً كل المذاهب التي تُعنى بدراسة الإنسان. ولعدة قرون ركّز علماء التشريح والأطباء وعلماء الأحياء من بين علماء آخرين، على تحليل الخصائص البيولوجية والتنوع المورفولوجي (morphologique) للهيكل العظمية البشرية. فكانت هذه الهياكل موضع اهتمام الطلاب في العديد من الاختصاصات (El Najar and McWilliams, 1978: ix). وبدأ الاهتمام بفيزيولوجيا الهيكل العظمي البشري منذ القرن الرابع قبل الميلاد مع هيرودوتس⁷⁸. إذ وصف السكان الأصليين في عدة أماكن في العالم وأشار إلى أنّ جماجم المصريين أكثر سماكة من جماجم الفرس. وأرجع هيرودوتس هذا الاختلافات إلى أنّ المصريين كانوا يحلقون شعرهم منذ سن مبكرة ممّا عرضهم كثيراً لأشعة الشمس فتصلبت جماجمهم خلافاً للفرس الذين كانوا منذ شبابهم يعيشون في الظل⁷⁹. ممّا يعني أن للبيئة تأثيراً على المورفولوجيا البشرية وأيدّ أبقرات⁸⁰ أيضاً هذه الفرضية رابطاً الاختلافات بين المجموعات البشرية المختلفة بالمناخ، ففي مصنفه؛ الهواء والمياه والأماكن، أشار إلى تأثيرات المناخ وبالأخص المياه على صحة الإنسان، إضافةً إلى أثر المناخ في تكوين المزاج وطريقة الحياة وأخلاقيات الإنسان⁸¹. أما أرسطو⁸² فلفت إلى أنّ دماغ الإنسان هو أكبر من دماغ الحيوانات وأشار إلى أنّ الإنسان

⁷⁸ هيرودوتس (Herodotus) مؤرخ يوناني ولد عام 484 ق.م. في مدينة هاليكارناسوس (Halicarnasse) في آسيا الصغرى، وتوفي في ثيرا (Thourioi) سنة 425 ق.م. زار العديد من دول البحر الأبيض المتوسط ودون معلومات حول تاريخها ودين شعوبها وعاداتهم وروى أخبار الحروب بين الإغريق والفرس. وقام بتسمية جميع مؤلفاته (9 مجلدات) "إستوريا" (Ἱστορία)، وهي عبارة يونانية وتعني التحقيق (enquête) أو بحث ومنها اشتقت كلمة التاريخ (983 Bailly, 200:). ويُعتبر هيرودوت "أب التاريخ".

⁷⁹ Hérodote, *Histoires*, Livre III: XII.

⁸⁰ أبقرات (Hippocrate) طبيب يوناني ولد نحو عام 460 ق.م. في جزيرة كوس وتوفي في مدينة لاريسا سنة 375 ق.م. يُعتبر "أب الطب" لأنه طوّر منهجاً طبياً اعتمد على الفحص الجسدي والتفسير الواقعي للمرض والخالي من المعتقدات الميثولوجية، والبعيد عن الأديان أو العقاب الإلهي أو غيره من الأسباب الخارقة للطبيعة. ووضع المعايير الأخلاقية في الممارسة الطبية وأشتهر بقسم أبقرات ولكن يُشتبه أنه لم يكتبه.

⁸¹ Hippocrate, *Airs, eaux, lieux*.

Juuti et al., 2007.

⁸² أرسطو (Aristote) فيلسوف وعالم يوناني ولد عام 384 ق.م. في شبه جزيرة خالكيدكي (Chalcidique) وتوفي في خالكيدا (Chalkida) سنة 322 ق.م. كان النطاق الفكري لأرسطو واسعاً، حيث غطى معظم العلوم والعديد من الفنون، بما في ذلك علم الأحياء، وعلم النبات والكيمياء، والأخلاق، والتاريخ، والمنطق، والميتافيزيقيا، والبلاغة، وفلسفة العقل، وفلسفة العلوم والفيزياء والشعر، والنظرية السياسية، وعلم النفس، وعلم الحيوان.

هو الكائن الأرضي الوحيد الذي يدرك ويتأمل ويحلم⁸³. وفي الفترة الهلنستية مارس العديد من العلماء التشريح في جامعة التشريح في الاسكندرية منهم إيراسيستراتوس⁸⁴ وهيروفيلوس⁸⁵. وتلاههم في الفترة الرومانية الطبيب جالينوس⁸⁶ الذي عمد إلى تشريح الحيوانات (El Najjar and McWilliams, 1978: ix). وبعد جالينوس، استمر أسلوبه العلمي بين العرب بيد أنه استبدل في أوروبا بالدراسة في المكتبات إلى أن أصدر إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة فريدريش الثاني⁸⁷ في العام 1231 مرسوماً لطلاب الطب يقضي بضرورة تشريح جسم الإنسان مرة واحدة على الأقل كل خمس سنوات. وكانت هذه المبادرة خطوة مهمة لأنها ساهمت في تطوير العلوم الطبيعية الإنسانية. غير أن تشريح البشر توقف لفترة قصيرة عام 1299، بعد أن أصدر البابا بونيفاس الثامن (Bonifatius PP.VIII; 1230-1303) مرسوماً بابوياً بعنوان "De sepolturis" يحظر التلاعب بالجثث.

وفي ما يتعلق بالدراسات الأنثروبولوجية، فقد كانت تُعنى في بداية القرن السادس عشر، بدراسة الجسد والروح في فرنسا. ومع نهاية القرن الثامن عشر عرفت الأنثروبولوجيا في ألمانيا وأوروبا عموماً تيارات عديدة: التيار الأول كان التعريف الطبيعي (definition naturaliste) للأنثروبولوجيا الذي أطلقه العالم الألماني يوهان فريدريش بلومنباخ⁸⁸ حيث عرف الأنثروبولوجيا في العام 1795 على أنها التاريخ الطبيعي للجنس البشري⁸⁹

⁸³ Aristote, *Historia Animalium*.

Aristote, *De Generatione Animalium*.

⁸⁴ إيراسيستراتوس (Erasistratus) طبيب وعالم تشريح يوناني ولد عام 304 ق. م. في جزيرة كيوس (Céos) وتوفي سنة 250 ق. م. أسس جامعة للتشريح في الإسكندرية مع زميله التالي ذكره الطبيب هيروفيلوس، حيث أجريا أبحاثاً تشريحية.

⁸⁵ هيروفيلوس (Herophilus) طبيب وعالم تشريح يوناني ولد عام 335 ق. م. في خلفدون (Chalcédoine) وتوفي سنة 280 ق. م. أسس جامعة للتشريح في الإسكندرية مع زميله الأنف الذكر الطبيب إيراسيستراتوس. الجدير بالذكر أنه كان أول شخص يقوم بتشريح منهجي لجسم الإنسان وعرف على نطاق واسع "بأب علم التشريح".

⁸⁶ جالينوس (Claudius Galenus) طبيب وكاتب وفيلسوف يوناني ولد عام 129 ميلادي في مدينة بيرغامون (Pergame) في الأناضول وتوفي سنة 201 ميلادي. مارس الطب في بيرغامون وروما حيث عالج العديد من الأباطرة. وكان له تأثير مهم على الممارسة الطبية في أوروبا من العصور الوسطى وحتى منتصف القرن السابع عشر.

⁸⁷ فريدريش الثاني (Frederich II; 1194-1250).

⁸⁸ يوهان فريدريش بلومنباخ (Johann Friedrich Blumenbach ; 1752-1840) هو عالم أنثروبولوجيا وطبيب ألماني، تعتبر أطروحته حول وحدة البشرية (1795) نقطة انطلاق الأنثروبولوجيا. كان بلومنباخ أستاذاً للطب في جامعة غوتنغن. وكان كتابه التشريح المقارن (1805) نصاً متفوقاً في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء. من خلال دراساته للتاريخ الطبيعي وأبحاثه على الحفريات، طور بلومنباخ أفكاراً ثورية حول الحياة على الأرض، بما في ذلك الاعتراف بأن عدداً من الأنواع الأحفورية قد انقرضت وأن الأنواع الأخرى ظهرت مؤخراً.

⁸⁹ Bertoletti, 1994: 103.

(Naturgeschichte des Menschengeschlechts). وهذا في الواقع ما أدّى إلى استخدام تعبير الأنثروبولوجيا الفيزيائية (anthropologie physique) الذي أطلق على الأنثروبولوجيا في فرنسا حتى منتصف القرن العشرين. التيار الثاني كان التعريف الإثنولوجي الذي تناوله أستاذ اللاهوت السويسري ألكسندر سيزار شافان⁹⁰ الذي نشر في العام 1788 كتابه عن الأنثروبولوجيا أو علم الإنسان العام⁹¹. وفي السنة عينها ألف الفيلسوف الألماني إيمانويل كانط⁹² كتاباً عن الأنثروبولوجيا من وجهة نظر براغماتية (Kant, 1863). وفي فرنسا، استُخدم مصطلح أنثروبولوجيا من الناحية الإثنولوجية، ما بين سنة 1799 وسنة 1804، إلا أن البعض بقي على التعريف الطبي والتشريحي (Copans, 1996: 8). أما في العالم الأنجلوسكسوني (Anglo-saxon) فضمّ مصطلح أنثروبولوجيا كل المذاهب التي تُعنى باستكشاف الماضي والحاضر والتطور البشري كالعلوم الطبيعية والأثرية والقبترائية (préhistorique) واللغوية والإثنولوجية. لم يتخذ المصطلح معنى أكثر تحديداً إلا في نهاية القرن التاسع عشر عندما ارتبط به مصطلح "اجتماعي" في بريطانيا ومصطلح "ثقافي" في الولايات المتحدة (Copans, 1996: 8). ففي اللغة الإنكليزية، يمكن أن تدلّ الأنثروبولوجيا إما على مجموعة علوم إنسانية وطبيعية وتاريخية من جهة، وإما على علوم اجتماعية وثقافية قريبة من الإثنولوجيا من جهة أخرى.

وتناول كلود ليفي شتراوس⁹³ بعدها في الخمسينيات من القرن الماضي، تعبير الأنثروبولوجيا بمعنى العلم الاجتماعي والثقافي العام للإنسان وكان لإقامته في الولايات المتحدة أثر حاسم في توجهه هذا. وإلى ذلك، أضاف ليفي شتراوس إلى الأنثروبولوجيا صفة البنيوية (anthropologie structurale) لتمييز توجهه النظري (Lévi-Strauss 1958, 1973). ومنذ عام 1960، تمّ في فرنسا استبدال مصطلح إثنولوجيا بمصطلح أنثروبولوجيا لما يتضمّن من مفهوم عام لدراسة الإنسان، بيد أنّ كلا المصطلحين لا يزالان قيد الاستخدام

⁹⁰ ألكسندر سيزار شافان (Alexandre César Chavannes ; 1731-1800) درس الفلسفة واللاهوت في لوزان ثم أصبح قسّاً وكان أستاذاً للاهوت في أكاديمية لوزان. من أهم مؤلفاته الأنثروبولوجيا أو العلم العام للإنسان، حيث ساهم في التخلي عن المفاهيم الكالفينية التقليدية، ودعا إلى أنثروبولوجيا ذات توجه تاريخي وتجريبي، والتي تضمّنت مكوناً تربوياً: حيث يجب أن يتبع تعليم الفرد مساراً مشابهاً للإنسانية في تطوّرها الثقافي.

⁹¹ Chavannes, 1788.

⁹² إيمانويل كانط (Emmanuel Kant ; 1724 – 1804)، فيلسوف ألماني عمل منهجياً في نظرية المعرفة والأخلاق كما أثرت نظرياته في كل الفلسفة اللاحقة، وخاصة من خلال المدارس المختلفة كالكانطية والمثالية.

⁹³ كلود ليفي شتراوس (Claude Lévi-Strauss ; 1908-2009)، عالم أنثروبولوجيا اجتماعية فرنسي وأحد رواد البنيوية. والبنيوية هي تحليل النظم الثقافية من حيث العلاقات السائدة بين عناصرها. لم تؤثر البنيوية على العلوم الاجتماعية في القرن العشرين فحسب، بل أثرت أيضاً على دراسة الفلسفة والدين المقارن والأدب.

اليوم تبعاً للمؤسسات التربوية والاتجاهات المنهجية. ويتم في العالم الفرنكفوني عمومًا اليوم التمييز ما بين الأنثروبولوجيا البيولوجية التي تبحث عن أصول التعدد البيولوجي للإنسان منذ وجوده وبين الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية التي تحلل كل النواحي الاجتماعية والثقافية للمجتمعات البشرية.

II. الأنثروبولوجيا البيولوجية (التوجهات والنظريات والمنهجيات)

تمثل التجمعات البشرية أكبر كتلة حيوية (biomasse) في فئة من الثدييات. إن الأنثروبولوجيا البيولوجية تُعنى بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان من خلال دراسة التنوع البشري، من أصول النسب إلى يومنا هذا، مع التركيز بالطبع على التفاعلات بين علم الأحياء والثقافة. واستخدام تعبير الأنثروبولوجيا الفيزيائية (anthropologie physique) حتى منتصف القرن العشرين للدلالة على هذا الاختصاص. وبذلك فإن الأنثروبولوجيا مذهب عام يضم العديد من الاختصاصات الفرعية ومنها الأنثروبولوجيا البيولوجية وفيها ثلاثة تيارات:

- الباليو-أنثروبولوجيا (paléoanthropologie) أو الباليونتولوجيا البشرية (paléontologie humaine) وهي العلم الذي يُعنى بدراسة أصل الإنسان وهو غالباً ما يعود إلى العصور القبتاريخية.
- الأركيو-أنثروبولوجيا (archéo-anthropologie) تُعنى بدراسة الإنسان من خلال بقايا الهياكل العظمية التي تعود غالباً إلى الإنسان العاقل في سياق أثري.
- الأنثروبولوجيا الجنائية (anthropologie judiciaire) أو الأنثروبولوجيا الطبية الشرعية (anthropologie médico-légale) تُعنى بدراسة الهياكل العظمية التي تعود إلى فترات حديثة في سياق قانوني، من خلال تحديد هوية الأشخاص المتوفين الذين تحللت جثثهم أو احترقت أو تشوهت أو أصبح التعرف على أصحابها أمراً عسيراً.

1. الباليو-أنثروبولوجيا (أبرز النظريات)

علم الإنسان القديم، الذي يُطلق عليه أيضًا مصطلح الباليونتولوجيا البشرية أو الباليو-أنثروبولوجيا، هو الفرع من الأنثروبولوجيا الذي يهتم بأصول البشر الأوائل وتطورهم. يتم تقييم الأحافير (fossiles) من خلال تقنيات الأنثروبولوجيا البيولوجية وعلم التشريح المقارن (anatomie comparée). ويتم كذلك إلقاء الضوء على أهمية الثقافة المادية اليدوية المكتشفة، مثل الأدوات الحجرية والعظمية من أجل فهم التطور البدني والعقلي للبشر الأوائل من خلال تقنيات الأركيولوجيا والإثنولوجيا. أما فيما يتعلق بتاريخ الأحافير، فيتم استنادًا إلى الطبقات الجيولوجية أو الاختبارات الكيميائية أو معدلات التحلل الإشعاعي. في هذا القسم سنعمد إلى عرض النظريات الرئيسية ومنها بعض القضايا الخلافية حول التطور البشري.

أ- نظرية توريث الصفات المكتسبة لامارك

ينطلق جان باتيست لامارك⁹⁴ في نظريته عن توريث الصفات المكتسبة من مُسَلِّمة أنَّ تطور الأجناس هو حقيقة مثبتة، وأنَّ للبيئة تأثيراً أساسياً على تطور الأعضاء وعلى تعديلاتها تبعاً لاستخداماتها، وبالتالي يجزم أن هذه الصفات المكتسبة يتم توريثها، ويضرب لامارك مثلاً على ما يقول: عنق الزرافة، فطبقاً لنظريته عندما بدأت الزرافة تأكل الأوراق العالية، قامت بتمديد عنقها أكثر فأكثر. فنقلت هذه الصفة المكتسبة الشخصية إلى صغارها. مما يعني أنه يمكن لعضو كائن حي أن يتحول وفقاً للاحتياجات، ويمكن أن ينتقل هذا التحول إلى الأحفاد، في حين أن الإهمال الدائم لأي عضو يضعفه تدريجياً، وينقص شيئاً فشيئاً من قدرته الوظيفية إلى أن يختفي في النهاية. إن نظرية توريث الصفات المكتسبة لها ميزة إبراز العلاقة بين التطور وتأثير البيئة عليه، غير أنها لم تعد متداولة اليوم (Crubézy, Braga et Larrouy, 2008: 11).

⁹⁴ جان باتيست لامارك (Jean-Baptiste de Monet, chevalier de Lamarck; 1744-1829)، عالم أحياء فرنسي اشتهر بفكرته القائلة بأن الصفات المكتسبة قابلة للتوريث، وهي فكرة تُعرف باسم اللاماركية، والتي يناقشها علم الوراثة الحديث ونظرية التطور. شارك في إنشاء المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي (Museum National d'histoire Naturelle) في باريس في العام 1793. كان هو من اخترع كلمة علم الأحياء (biologie) للدلالة على علم الكائنات الحية ويعتبر مؤسس هذا التخصص.

ب- نظرية الاصطفاء الطبيعي أو البقاء للأصلح لداروين

نشر تشارل داروين⁹⁵ نظريته على مراحل وكانت بدايتها عام 1859. وتستند هذه النظرية على التطور عن طريق الاصطفاء أو الانتقاء الطبيعي (sélection naturelle). وتعتمد هذه العملية على المنافسة بين صغار كل نوع من أجل بقائهم، والناجين الذين يلدون الجيل القادم لديهم الخصائص الطبيعية التي تسمح لهم بالبقاء على قيد الحياة. وبالتالي فإن طول عنق الزرافات هو بسبب أن بعض صغارها ذات الأعناق الأطول لديها سهولة في الوصول إلى الأوراق التي لا يمكن لمن ينافسها الوصول إليها. ما يعني أنها سوف تعيش لفترة أطول وسوف يكون لها نسل أكثر، وسيستمر هذا "الانتقاء الطبيعي". لذلك، ستطول أعناق الزرافات تدريجياً من جيل إلى جيل (Crubézy, Braga et Larrouy, 2008: 11). ووضع داروين القواعد الأساسية الثلاثة لنظرية التطور (Darwin, 1876: 62-105):

- تتطور النباتات والحيوانات باستمرار (التطور).
- تظهر في السلالات اختلافات بين الأفراد في السمات لا يحصرها العد (التباين).
- أخيراً، من خلال الانتقاء الطبيعي الصارم، فإن أدنى اختلاف مفيد هو نافع للسلالة التي تملكه؛ لأن السمات وراثية أي يمكن أن تنتقل من جيل إلى آخر (الوراثة).

ج- نظرية التطور التركيبية

تستند نظرية التطور التركيبية (théorie synthétique de l'évolution) إلى أكثر من طرح. فمنذ نشر نظرية التطور لداروين عام 1859، قام عدد من العلماء بإعادة صياغتها وتعديلها وأبرزهم: ثيودوسيوس دوجانسكي⁹⁶، وتوماس هنري هاكسلي⁹⁷، وإرنست فالتر ماير⁹⁸، وجورج جايلورد سيمبسون⁹⁹، وجورج ليدارد ستينينز¹⁰⁰. وساهم هؤلاء في

⁹⁵ تشارلز روبرت داروين (Charles Robert Darwin; 1809-1882) عالم الطبيعة (naturaliste) الإنجليزي الذي أصبحت نظريته العلمية للتطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي أساس الدراسات التطورية الحديثة، من ضمن نظرياته أن للبشر وللحيوانات أصل مشترك.

⁹⁶ ثيودوسيوس دوجانسكي (Theodosius Grygorovych Dobzhansky; 1900-1975) عالم وراثة أوكراني-أميركي كان لعمله تأثير كبير على الفكر والبحوث في علم الوراثة والنظرية التطورية في القرن العشرين.

⁹⁷ توماس هنري هاكسلي (Thomas Henry Huxley; 1825-1895) عالم أحياء إنجليزي دعم بقوة نظرية داروين عن التطور الطبيعي فلقب "بكلب داروين" (Darwin's Bulldog). ساعدت جهوده التنظيمية ومحاضراته وكتاباته في تطوير علم الأحياء.

⁹⁸ إرنست فالتر ماير (Ernst Walter Mayr; 1904-2005) عالم أحياء أمريكي من أصول ألمانية، عُرف بعمله في تصنيف الطيور وعلم الوراثة والتطور. يُعتبر أحد علماء الأحياء التطوريين الراندين في العالم، وكان يشار إليه أحياناً باسم "داروين القرن العشرين".

سلسلة من الدراسات التطورية في التخصصات البيولوجية التقليدية وفي بعض الدراسات الناشئة لا سيما علم الوراثة، وفي وقت لاحق في علم البيئة التطوري (Crubézy, Braga et al., 2008: 12). بحلول عام 1950 تم قبول نظرية داروين للتطور عالمياً عن طريق الانتقاء الطبيعي بين علماء الأحياء، وأصبحت نظرية التطور التركيبية معتمدة على نطاق واسع. وتُجسد هذه النظرية مجموعة معقدة من المعرفة البيولوجية التي تتمحور حول نظرية داروين للتطور عن طريق الانتقاء الطبيعي المصاغة بمصطلحات جينية. إن أبرز أسس هذه النظرية التطورية الحديثة هي: أولاً إن "أصل الأنواع" هو نتيجة للتكيف. ونتيجة لذلك، لا يتم توجيه التطور نحو هدف، فالتطور ليس عشوائياً ويؤثر تدريجياً على السكان من خلال السماح للأشخاص الذين يحملون طفرات مؤاتية ويتكيفون بشكل أفضل بالحصول على ذرية أكثر من غيرهم.

فيما يتعلق بالتطور البشري، أدت نظرية التطور التركيبية التي تزامنت مع عدة اكتشافات لأحافير (fossiles) مطمورة، إلى تجميع العديد منها معاً، وهي تضم فعلياً أنواعاً مختلفة تندرج تحت الاسم نفسه. فمثلاً تحت مسمى الإنسان المنتصب (Homo erectus) تم جمع عدة أحافير من أفريقيا، أوروبا وآسيا. ووفقاً لهذه النظرية، فإن القرد الجنوبي (Australopithecus) هو سلف الأناسي النظير (Paranthropus) والإنسان الماهر (Homo habilis). وهذا الأخير هو سلف للإنسان المنتصب، وأخيراً للإنسان الحالي (Homo sapiens). إذ إنه تم اعتبار النياندرتال نوعاً فرعياً من الإنسان العاقل (Homo sapiens neandertalensis). وهذا ما تم نقضه حالياً؛ لأن الدراسات الحديثة في الباليو-أنثروبولوجيا تشير إلى أن النياندرتال (Homo neandertalensis) ليس فرعاً من الإنسان العاقل (Homo sapiens) بل هو والإنسان العاقل فصيلتان منفصلتان. ولذلك فإن مصطلح "الإنسان العاقل العاقل" (Homo sapiens sapiens) لم يعد قيد الاستعمال.

ومع تطور الأبحاث في مجالات علم الوراثة، وعلم الأحياء التطوري، وعلم السلالات، وعلم الأحياء الجزيئي واجهت نظرية التطور التركيبية عدة تحديات؛ لأن نتائج هذه الاكتشافات توضح أن هذه النظرية لم تعد الوحيدة المقبولة علمياً. وينتج عن ذلك أن

⁹⁹ جورج جايلورد سيمبسون (George Gaylord Simpson; 1902- 1984) عالم باليونتولوجيا أمريكي معروف بإسهاماته في نظرية التطور وفهم هجرات الأنواع الحيوانية عبر القارات في العصور الجيولوجية السالفة.

¹⁰⁰ جورج ليدارد ستيبينز (George Ledyard Stebbins; 1906- 2000) عالم نبات وعالم وراثة أمريكي معروف بتطبيقه لنظرية التطور الحديثة على النباتات. يُطلق عليه لقب "أبو علم النبات التطوري"، وكان أول عالم يركب اصطلاحاً نوعاً من النباتات القادرة على النمو في ظل الظروف الطبيعية.

السيناريوهات التي تشرح ظهور أجناس جديدة قد تختلف من عالم إلى آخر طبقاً لنموذج التطور الذي يختاره مستمداً، إما من نظرية التطور التركيبية، أو من نظرية التوازن المتقطع (équilibres ponctués) لستيفن جاي غولد¹⁰¹ ونيلز ألدرج¹⁰².

د- نظرية التوازن المتقطع

في العام 1972 طور ستيفن جاي غولد مع نيلز إلدرج نظرية التوازن المتقطع، وهي مراجعة للنظرية الداروينية وتقول: إن إنشاء سلالات جديدة من خلال التغيير التطوري لا يحدث بمعدلات بطيئة وثابتة على مدى ملايين السنين بل في اندفاعات سريعة على مدى فترات قصيرة مثل آلاف السنين، وتليها فترات طويلة من الاستقرار لا تخضع خلالها الكائنات الحية لتغيرات إضافية (Crubézy, Braga et Larrouy, 2008: 22). وفقاً لهذه النظرية، فإن لشجرة الحياة فروعاً تنفصل أفقياً عن الجذع المشترك، وهي مرادفة للانتواع (Spéciation) المفاجئ.

2. الأركيو-أنثروبولوجيا

تُعنى الأركيو-أنثروبولوجيا (archéo-anthropologie) بدراسة الإنسان من خلال بقايا الهياكل العظمية المكتشفة في المسح أو التنقيب الأثري والتي تعود إلى الإنسان العاقل. وغالباً ما تقتصر البقايا البشرية المعينة على العظام، ولكنها قد تشمل الأنسجة الرخوة المحفوظة. على الباحثين في مجال الأركيو-أنثروبولوجيا الاستناد إلى مجموعة اختصاصات من علم العظام البشري (ostéologie humaine)، وعلم الأمراض القديمة (paléopathologie)، والأركيولوجيا، وغالباً ما يأخذون بعين الاعتبار الإطار الثقافي والاجتماعي للبقايا المكتشفة. وتتم دراسة معدل الوفيات، وتحركات السكّان، والوضع الاجتماعي، والتنظيم السياسي، والظواهر الديموغرافية والوبائية والاجتماعية الأخرى في المجتمعات السالفة من خلال الجمع بين الإطار الثقافي للقى، ولاسيما تلك المتعلقة بالممارسات المدفنية، والإطار البيولوجي مثل التغذية القديمة، وعلم الأمراض القديمة، والسمات البيولوجية الخاصة التي يمكن اكتشافها في الهياكل العظمية.

¹⁰¹ ستيفن جاي غولد (Stephen Jay Gould; 1941-2002) باليونتولوجي أمريكي وعالم أحياء تطوري وكاتب.
¹⁰² نيلز ألدرج (Niles Eldredge; 1943-) عالم أحياء باليونتولوجي أمريكي.

أ. الأركيولوجيا المدفنية والمدرسة الفرنسية (التاريخ والنظريات والمنهجيات)

لطالما انجذب علماء الآثار إلى البقايا المادية التي خلفتها ثقافة معينة في مرحلة زمنية ما من تاريخ البشرية. هذا الفضول تجاه الماضي والرغبة في استكشافه بكل أبعاده من أجل فهم الإنسان السالف، جعل علم الآثار علماً متعدد المذاهب والاختصاصات. ورغم ذلك فغالباً ما اقتصر على دراسة الثقافة المادية، مثل الخزف، والزجاج، وعلم العملات، والفنون، والعمارة، إلخ. مع العلم أن الإنسان الذي هو صانع كل هذه البقايا لم يكن دائماً الموضوع الأساسي لهذه الدراسات الأثرية، حتى إن التنقيب في القبور كان هدفه فقط البحث عن الكنوز أو دراسة اللقى المدفنية. ولم يتم تطوير الأركيولوجيا المدفنية إلا في سبعينيات القرن الماضي حين أصبح الإنسان محور الدراسات الأثرية مع أستاذي هانري دوداي¹⁰³ (Henri Duday) وأركيولوجيا الموت (archéothanatologie)¹⁰⁴.

ومرّ تطور الأركيولوجيا المدفنية أو أركيولوجيا الموت بتغييرات مختلفة الحجم وأصبحت اختصاصاً مستقلاً بعد رحلة طويلة. بدأت هذه الرحلة بنقطتي تحول رئيسيتين تتعلّقان بتقنيات التنقيب، الأولى مع أعمال التنقيب التي قام بها الزوجان بيكار¹⁰⁵ (Péquart) في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي. إذ استحدثا مفهوماً علمياً للبحث الأثري وطوّرا المنهجية الميدانية التي لمّا تزل ذات أهمية كبيرة. ولا تزال صورهما وأفلامهما محفوظة إلى يومنا هذا في المتحف الوطني للتاريخ الطبيعي الفرنسي¹⁰⁶. والثانية في الستينيات مع أندري لروا-غورهان¹⁰⁷ الذي طوّر أسس ما قبل التاريخ في سياق إثنولوجي مدفني (Zemmour, 2016: 24-25). وكانت السبعينيات بمثابة نقطة تحول في تطوير ونشر طرق فعّالة للتنقيب ودراسة وأرشفة الهياكل العظمية البشرية. حصل ذلك عندما تمكّن

¹⁰³ هانري دوداي (Henri Duday) طبيب وعالم آثار وأنثروبولوجيا فرنسي، عُيّن مدير أبحاث في مختبر الأنثروبولوجيا للشعوب السالفة (Pacea) في جامعة بوردو (Bordeaux) وفي مختبر الباليونتولوجيا التابع للمدرسة التطبيقية للدراسات العليا في باريس (EPHE)، وهو من مؤسسي الأركيولوجيا المدفنية وأركيولوجيا الموت، تتلمذت عليه في جامعة بوردو.

¹⁰⁴ إن مصطلح (archéothanatologie) المركب يعود إلى اللغة اليونانية ويتألف من ثلاث كلمات: الأولى (ἀρχαίος: arkhaios) تعني "قديم أو ما يتعلق بالماضي" (Bailly, 2000: 280) والثانية (θάνατος: thanatos) وتعني "الموت" (Bailly, 2000 : 916)، والثالثة (λόγος: logos) وتعني الكلمة أو الخطاب أو الحديث أو العلم (Bailly, 2000 : 1200). وبذلك فإن مصطلح (archéothanatologie) يعني أركيولوجيا الموت أو علم آثار الموت.

¹⁰⁵ Marthe et Saint-Juste Victor Péquart ; 1881- 1944.

¹⁰⁶ Muséum national d'histoire naturelle (Paris).

¹⁰⁷ أندري لروا-غورهان (André Leroi-Gourhan ; 1911-1986) عالم إثنولوجيا فرنسي وعالم آثار متخصص في عصور ما قبل التاريخ واهتم أيضاً بالتقنيات الأركيولوجية والثقافة، هدفت أبحاثه إلى الجمع بين الدقة العلمية والمفاهيم الفلسفية.

باحثون مثل أستاذي هانري دوداي وجان لوكليير¹⁰⁸ وكلود ماسي¹⁰⁹ من ابتكار ما يُسمّى الآن بالآركيولوجيا المدفنية أو بآركيولوجيا الموت ليكون اختصاصاً دائماً التطور. ففي البداية كان التركيز لفترة طويلة على العمارة واللقى المدفنية (Zemmour, 2016: 32).

يُعتبر دوداي أنّ الآركيولوجيا المدفنية تهدف أساساً إلى وضع الميت في محور أي خطاب حول المدافن. والغرض من الآركيولوجيا المدفنية إزاءً هو إعادة بناء سلوك الشعوب السالفة في مواجهة الموت، وبصورة أكثر وضوحاً في مواجهة الميت (الجثة)، إنّها آركيولوجيا الإيماءات المدفنية (gestes funéraires) واستخراج المعلومات من البقايا المكتشفة في السياق الآركيولوجي. فموضوع الخطاب هو شيء بيولوجي: عظم الإنسان، ولكن هدفه ثقافي، فهذه السلوكيات هي سلوكيات بشرية واجتماعية. وكما أنّه لدراسة الآداب علينا تعلّم الأبجدية، فإن تنقيب المدفن هو عمل عالم آثار يعرف العظام أو عالم عظام يعرف علم الآثار. إنّ هدف الآركيولوجيا المدفنية إزاءً هو استكشاف إيماءات نظام الفكر الموجودة في العالم الثقافي وليس في العالم البيولوجي.

ولطالما أثارت علاقة الإنسان بالموت اهتمام العقل البشري منذ العصور الأولى. أراد الأحياء تجسيد الصلة التي تجمعهم بموتاهم مثل واجب الذاكرة. وبالتالي، فإن الممارسات والطرائق الدفنية هي جميع الترتيبات الفنية أو الطقسية التي يعتمدها مجتمع معين عند وفاة أحد أعضائه. إن الطرائق الدفنية تتعامل إزاءً مع هذه الترتيبات من خلال نظام مدفني منظم يكشف عن البنية الاجتماعية لشعب معين في فترة زمنية معينة (Forest : 7) (1983). ويتجلى دور الآركيولوجيا المدفنية أيضاً من خلال اطلاعنا على عالم الأحياء. إذ إنّ الدراسات الأنثروبولوجية تسعى إلى الحصول على معلومات، لكن، كما سبق وذكرنا، فإنّ الشخص المتوفي أصبح هيكلًا عظميًا؛ لذلك فإن الإيماءات المدفنية هي الأكثر صعوبة في التعرف عليها. إن الآركيولوجيا المدفنية تُعنى إزاءً بدراسة البقايا المادية المتجسدة بالحاوية والمحتوى مثل: الهيكل العظمي ودراسته، ترتيب الجسد، اللقى المدفنية، والعلاقة بين عالم الأموات وعالم الأحياء. والأنثروبولوجيا البيولوجية تُستخدم إزاءً لمعرفة الممارسات المدفنية للشعوب السالفة.

¹⁰⁸ جان لوكليير (Jean Leclerc ; 1931-2012) عالم آثار وأنثروبولوجيا فرنسي، أبرز من قام بتعريف المدفن من الناحية الأثرية، وتتلذت عيله في جامعة السوربون/ باريس.

¹⁰⁹ Claude Masset ; 1925- .

أبرز قواعد الأركيولوجيا المدفنية:

بفضل الأبحاث الرائدة لأستاذنا هنري دوداي، ستكون عمليات علم التاريخ الحفري التافونوميا (taphonomie)¹¹⁰ أساس أي تحليل أنثروبولوجي، وهو بدوره سيكون هدفه الأساسي إعادة بناء ظروف دفن الميت، من أجل تحديد الطرق والطقوس المدفنية. ويبقى الهدف الأساسي للباحثين مركّزاً على تحليل أركيولوجيا الموت للمدفن، ومن خلاله يتم إجراء تحقيقات فردية من أجل إعادة بناء حكاية كل مدفن من وقت الدفن إلى وقت الاكتشاف. سنناقش بإيجاز أساسيات تحليل أركيولوجيا الموت وهو موضوع توسّع علماء الأنثروبولوجيا في عرضه ابتداءً من عام 1981 (Duday, 1981, 1995, 2009).

من أجل إعادة بناء هيكل المدفن، نحتاج إلى طريقة تهدف إلى فصل كل ما يتعلّق بالإيماءات المدفنية عمّا ينتج عن ظواهر التحلّل داخل المدفن. إذ إنّ هذه الظواهر تتناول الأحداث والتطوّرات التي تؤثر على حفظ وترتيب الهيكل العظمي في المدفن. تنشأ هذه الظواهر نتيجة لظروف عديدة مثل تحلل العناصر القابلة للتلف في المدفن (مثل الجسم، والحاوية، إلخ) وتدخل العناصر الخارجية مثل التدخّل البشري، أو دخول الحيوانات أو التآكل بسبب الظروف المناخية. ويجب الانتباه إلى عدم الخلط بين كل هذه الظواهر والطقوس المدفنية. في الواقع، عندما نكون أمام هيكل عظمي في اتصال مفصلي (en connexion articulaire)، يعتمد التحليل على مناقشة جميع أنواع الاضطرابات مع تحديد موضع الأجزاء التي تكوّن المفصل نفسه. ومن الضروري ملاحظة ما إذا كانت هناك أي مؤشرات لانهيّارات وانزلاقات للعظام.

و من الواجب أيضاً ملاحظة جميع التحركات التي حدثت داخل وخارج الحجم الأولي للجسم ومحاولة شرح سببها. ويمكن أن تُخبرنا العناصر الأخرى عن طرق دفن الجسد، على سبيل المثال وجود أو عدم وجود تأثيرات ضغط (effets de contraintes) وتأثيرات الترسيم الخطي (effets de delimitations linéaires) وتحركات العظام في المدفن. وهذه

¹¹⁰ تعود كلمة تافونوميا (taphonomie) إلى اللغة اليونانية وتتألف من كلمتين: الأولى (Ταφος: Taphos) تعني "المدفن" (Bailly, 2000 : 1902) والثانية (Νομος: Nomos) وتعني "القانون" أو "التقليد" أو "العرف" (Bailly, 2000 : 1332)، وبذلك فإن مصطلح (taphonomie) يعني قانون الدفن وهذا العلم مختصّ بما يحصل للميت من زمن موته إلى حين اكتشافه داخل المدفن.

La taphonomie est « Une approche dynamique qui fonde son discours sur la reconstitution conjointe des gestes funéraires et des distorsions que les facteurs taphonomiques ont induites par rapport à l'agencement initial de la tombe » (Duday, 1995 : 36).

العناصر تجعل من الممكن تحديد مساحة الحاوية التي وضعت فيها الجثة. وبالمثل، فإن حالة اتصال أو عدم اتصال المفاصل تشير إلى نوع الحاوية. في الواقع، تختلف هذه الاضطرابات وفقاً لمساحة التحلل (مساحة فارغة أو مساحة مسدودة) وتُخبرنا عن نوع الحاوية القابلة للتلف (الصلبة أو المرنة). ويجب الانتباه أيضاً إلى أن بعض المفاصل تتحلل قبل غيرها، وبذلك فإنه من خلال دراسة التسلسل الزمني النسبي لتحلل المفاصل يمكننا أن نعرف نوع ومكان التحلل ونوع الحاوية إذا كانت قد تحللت.

يبدأ التحليل قبل كل شيء في الميدان، مما سيؤثر على جودة التفسير. ويجب تسجيل جميع المشاهدات منذ استخراج العظام البشرية من خلال التعرف عليها وتسجيل مواقعها وتوجهاتها وكذلك ترتيبها فيما يتعلق ببعضها البعض. يجب وصف الحاوية، والهندسة المعمارية، واللّقى أيضاً للتمكن من إعادة بناء المدفن. والملاحظات التي لم يتم تسجيلها أثناء الميدان من الصعب جداً استعادتها في وقت لاحق وهي تسمح بتحديد نوع الحاويات التي تحللت.

وبشأن تقنيات الانثروبولوجيا البيولوجية الأساسية المتبعة في المدرسة الفرنسية، سنتحدث عن التقنيات الشائعة المتعلقة بتشخيص جنس الهيكل العظمي. وتستند، إما على التقييم البصري لصفات عظم الورك أو على التقييم المقياسي. وهذه التقنيات الثلاث هي التالية:

- التحديد الأولي للجنس من خلال التقييم البصري المورفولوجي لعظم الورك طبقاً لتقنية استاذي ياروزلاف بروزيك (Bruzek, 1991, 2002).
 - التحديد الأولي للجنس من خلال التقييم البصري المقياسي لعظم الورك طبقاً لتقنية استاذي باسكال موراي وآخرين (Murail et al., 2005).
 - التحديد الثانوي للجنس من خلال تقنية قياس كل العظام ومقارنتها مع مقاييس الأشخاص الذين تمّ تحديد جنسهم من خلال التقييم الأولي.
- وهذه التقنيات موثوقة بها، إذ تمّ فحصها على عينات معروفة الجنس، وجاءت نتائجها بنسبة دقة تساوي 95% لتقنية بروزيك (Bruzek, 2002: 157) و100% لتقنية موراي. يمثّل تحديد جنس بقايا العظام البشرية مرحلة حاسمة في أي دراسة عن الإنسان القديم. ومن المسلّم به أن عظم الورك (os coxae) البالغ هو، إلى حد بعيد، أفضل مؤشر لتحديد

جنس البالغين بشكل موثوق. إن الاستناد على اختلافات غير عظم الورك لتحديد جنس الهيكل العظمي ليست مؤشرات موثوقة. ومع ذلك، يجب ألا ننسى أن شكل وقياسات الهياكل العظمية توضح فروقات في الشكل والحجم حسب الجنس. لذلك، في إطار تحديد الجنس الثانوي، يجب أخذ عدة قياسات لكل عظمة في الهيكل العظمي، من أجل تحديد سمات ثانوية تميز الجنس من خلال المقارنة مع الأفراد الذين تم تحديد جنسهم من التشخيص الجنسي الأولي.

ب. البيو-أركيولوجيا والمدارس الأنجلو-سكسونية (التأريخ، المفاهيم والتقنيات)

استُخدم مصطلح بيو-أركيولوجيا لأول مرة في العام 1972 من قبل عالم الآثار البريطاني جراهام كلارك¹¹¹، وقد استعمله لوصف تحليله لبقايا الحيوانات في موقع ستار كار (Star Carr¹¹²) شمال يوركشير (Yorkshire) الذي يعود إلى ما قبل التاريخ. كان كلارك مهتمًا في المقام الأول بالاقتصاد القديم وتطور العلاقة بين البشر وبيئتهم فركّز على البقايا الحيوانية لدراسة الصيد والذبح في العصور القبتاريخية.

ثم وُضِعَ المصطلح بصورة مستقلة في أواخر السبعينيات على يد عالمة الأنثروبولوجيا جاين بويكسترا¹¹³، التي تأثرت بالأركيولوجيا الحديثة (New Archaeology). وكان هدفها الأساسي الخروج من الإطار الضيق للدراسات الوصفية التي تمّ إجراؤها في العصور السابقة في علم الآثار الأميركي وإيجاد حلول للأسئلة البحثية حول الشعوب السالفة. فانتشر مصطلح "بيو-أركيولوجيا" داخل الولايات المتحدة، كوسيلة لوصف دراسة بقايا الهياكل العظمية البشرية في المواقع الأثرية. أما في المملكة المتحدة، فيشير هذا المصطلح أحيانًا إلى دراسة كل البقايا البيولوجية أو مجموعة فرعية منها (بشرية، وحيوانية، ونباتية) ويمكن أن تُستبدل بمصطلح الأركيولوجيا العظمية (oste archaeology).

وعلى الرغم من أن تعريف البيو-أركيولوجيا لا يزال واسع النطاق في كثير من أنحاء العالم، فإن البيو-أركيولوجيا في الولايات المتحدة تتعامل خصوصًا مع بقايا الهياكل

¹¹¹ جراهام كلارك (Sir John Grahame Douglas Clark; 1907-1995) عالم آثار وما قبل التاريخ بريطاني، عيّن أستاذًا لعلم الآثار في جامعة كامبريدج عام 1952، وعمل أمينًا للمتحف البريطاني. ركزت أعمال كلارك الأثرية على العصر الحجري المتوسط (Mésolithique) لبريطانيا حيث قام بعمليات التنقيب في ستار كار (1951-1949)، وتناولت أبحاث كلارك أيضًا أصول الزراعة في جميع أنحاء العالم.

¹¹² ستار كار هو موقع أثري من العصر الحجري المتوسط (Mésolithique) يقع في شمال يوركشاير في إنجلترا.

¹¹³ جاين بويكسترا (Jane Ellen Buikstra; 1945-) هي عالمة أنثروبولوجيا أميركية يعود إليها الفضل في إنشاء البيو-أركيولوجيا، من خلال تطبيق أساليب الأنثروبولوجيا البيولوجية لدراسة علم الآثار.

العظمية البشرية، ويتعامل علم الأركيوزولوجيا مع بقايا الحيوانات، ويتعامل علم الآثار النباتي (archéobotanie) مع بقايا النباتات.

فيما يتعلق بتقنيات الانثروبولوجيا البيولوجية الأساسية المتبعة في العالم الأنجلو-سكسوني، سنقصر حديثنا عن التقنيات الشائعة الاستخدام حالياً والمتعلقة بتشخيص جنس الهيكل العظمي. وهي بمجملها ثلاث وتستند كلها على التقييم البصري لصفات عظم الورك. وهذه التقنيات هي التالية:

- تقنية تيريل واين فينس¹¹⁴ (Phenice 1969) التي تركز على التقييم البصري لثلاث سمات للعظم العاني (pubic bone).
- تقنية ياسان إشكان وكارن ديريك (Işcan and Derrick 1984) التي تستند إلى التقييم البصري لسمات الحوض الخلفي (posterior pelvis).
- تقنية فريمباخ وآخرين (Ferembach et al. 1980) التي تركز على تحديد الجنس من خلال تقييم إحدى عشرة سمة على كامل الحوض.

إن هذه التقنيات توفر عمومًا دقة مرضية ولكن عددًا قليلًا فقط من الدراسات اختبرت موثوقيتها من خلال المقارنة مع عينات معروفة الجنس. ومع ذلك فغالبًا ما تم تجاهل النتائج بشكل مفاجئ (MacLaughlin and Bruce 1990, Bruzek 2002). فمثلاً فيما يتعلق بتقنية فينس جاءت النتائج غير متناسقة، حيث تتراوح مستويات الدقة من 59% إلى 96% (Bruzek, 2002: 157). هذا التناقض يرجع إلى أنه ينبغي النظر في كل سمات عظم الورك، ويجب ألا تقتصر الملاحظات على عظمة العانة (pubic bone). فبالنسبة لأستاذي ياروزلاف بروزيك (Jaroslav Bruzek) ومجموعة من العلماء التي عملت على التحقق من تقنية فينس فإن من المحتمل أن لا تتعدى موثوقية هذه التقنية نسبة 80%. وعلاوة على ذلك، فنادرًا ما يتجاوز الحفاظ على العانة نسبة 30% في المواقع الأثرية (Bruzek 2002: 157). إن طريقة إشكان و ديريك توفر مستوى دقة يبلغ 90% ولكن لا يمكن اعتبارها متكافئة النتائج لأنها لا تركز على كامل الورك مثل تقنية فريمباخ وآخرين. وهذه الأخيرة يبلغ مستوى دقتها 93%. ومع ذلك، فهي تتطلب مراقبين مدربين تدريباً

¹¹⁴ Terrell Wayne Phenice; 1940 - 1975.

عاليًا مع خبرة في التباين المورفولوجي، لأن هذه التقنية مبنية على مقياس ترتيبي للتقييم¹¹⁵ (Bruzek, 1992 and 2002: 157). إنَّ أي دراسة أركيولوجية، وبالأخص تلك التي تتعلق بالطقوس المدفنية، هي مبنية على النتائج البيولوجية للعمر والجنس. ولذلك فإنَّ موثوقية التقنيات المتعلقة بتحديد الجنس والعمر هي أساسية في البيو-أركيولوجيا؛ لأن الهدف الأساسي هو الأمانة العلمية. لذلك فقبل اختيار أي تقنية من الضروري معرفة نسبة الخطأ لهذه التقنية وما إذا كانت طبقت أولاً على عينات معروفة الجنس والعمر.

ج. الجوانب الأخلاقية والقانونية لاستخراج الهياكل العظمية

غالبًا ما تكشف التنقيبات الأثرية عن بقايا بشرية قديمة. ومع ظهور أركيولوجيا الموت، هدفت هذه الأخيرة إلى إعادة بناء الإيماءات والطقوس المدفنية من خلال دراسة الهياكل العظمية في الموقع. فاكشف الجمهور تدريجيًا، أعمال التنقيب في المدافن، وأولها أهميّة كبيرة تجلّت من خلال نجاح المعارض المخصصة للطقوس المدفنية في السنوات الأخيرة. ولكن، كانت للناس أحيانًا أيضًا ردود فعل سلبية. إذ كانوا كثيرًا ما يردّدون عند زيارة المواقع الأثرية عبارات مثل: يجب على علماء الآثار أن يدعوا الموتى بسلام أو أنّه يجب عدم تدنيس المدافن. ومن الواضح أنّ مشاهدة الرفات البشرية قد تُخالف المعتقدات الدينية أو الفلسفية لمجموعة معينة من الجمهور. وفي لبنان كانت هناك عدة إشكالات مع دور الإفتاء عندما كان علماء الآثار يحاولون التنقيب في مدافن تعود لفترات إسلامية سالفة ولا سيما في بيروت (ساحة رياض الصلح). فلا يمكن للتنقيب الأثري أن يتم بمعزل عن القواعد الأخلاقية المفروضة على أي عمل تشخيصي. فمهما كانت المصلحة الطبية والتاريخية التي تبرّر استخراج البقايا البشرية، ودراستها، فعلى عالم الآثار والأنثروبولوجيا أن يتعهد بالاحترام الذي يليق بالرفات البشرية. والأهم من ذلك، فعليه أيضًا أن لا يتجاهل التقاليد الدينية والثقافية والوطنية القائمة في مكان الدراسة (Thillaud, 2000 :448).

يرتبط موضوع البقايا البشرية إذرًا في علم الآثار، بمسائل أخلاقية أو مجتمعية، تُدخل مفهوم الكرامة وبالتالي واجب الاحترام المفروض لجسد الإنسان. هذه القضايا ليست

¹¹⁵ إن المقياس الترتيبي يفتقر إلى تبرير واضح لطريقة توزيع التصنيفات ومدى الفروقات أو المسافات بين كل تصنيف والذي يليه. أن البيانات في هذا المقياس يمكن ترتيبها غير أنّ المسافة بين مختلف التصنيفات غير واضحة أو تم اختبارها بمقياس رقمي واضح.

مقصورة على علم الآثار، فهي موجودة في قطاعات التراث الأخرى، ولا سيما المتاحف أو في مجال الطب الشرعي (Mathieu, 2019: 201). ونظراً لحساسية الموضوع يتم القيام بعمليات التنقيب الإنقاذية فقط عندما يؤدي عدم تدخل علماء الآثار إلى تدمير المدافن. أما في ما يتعلق بالتنقيبات غير الإنقاذية فإن التنقيب في المدافن هو جزء أساسي من الدراسات الهادفة أيضاً إلى إعادة بناء الماضي. ولذلك يتم التنقيب في المدافن من قبل علماء الأنثروبولوجيا بكل الاحترام الذي يليق بالرفات البشرية وذلك تحت إشراف المديرية العامة للآثار ولأغراض علمية بحتة.

وغالباً ما يتساءل علماء الأنثروبولوجيا عما إذا كان عليهم اختيار حفظ الهياكل العظمية بعد الدراسة. والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا هو هل يتعارض الحفاظ مع المبادئ الأخلاقية أو القانونية؟ أو هل أن إعادة الدفن مسألة إلزامية؟ (Colleter et Adèle, 2019: 97). لا نجد في القوانين اللبنانية المرعية الإجراء إجابات واضحة عن هذه الأسئلة والإشكاليات. هناك طبعاً مجموعة من القواعد في القانون اللبناني تعالج القضايا المعاصرة ولكنها لا تعالج مسألة البشر في السياق الأثري. وبالتالي، ليس هناك أي معيار موضوعي، زمني أو مادي، لتحديد ما إذا كان ينبغي أو يمكن الحفاظ على الهيكل العظمي أو المومياء وبأي طريقة. وبسبب عدم وجود مواد قانونية دقيقة، فيجب إعادة النظر في النظام القانوني اللبناني المتعلق بالآثار لأنه مليء بالعبارات والجمل الرمادية التي تتصف بالغموض وعدم الوضوح وتفتقر عموماً إلى الدقة. فليس هناك تحديد للوضع الأثري والقانوني الذي يجب أن يراعى البقايا البشرية من الماضي. فالرفات البشرية تندرج بلا ريب تحت نطاق العلم. فهي تُعتبر مصدراً للمعرفة، ولها قيمة علمية خاصة يجب أخذها بعين الاعتبار. ولا بد من العمل على مشروع قانون يُحدّد ويرسم أطر التعامل من الناحية القانونية مع البقايا البشرية القديمة المكتشفة في سياق أثري. لأنه حالياً، وفي غياب الأطر القانونية الواضحة، تهدف الأخلاقيات (éthiques) في علم الآثار إلى الجمع بين مجموعتين من المتطلبات التي تتعلق بمعالجة الرفات البشرية: أولاً: متطلبات الحفاظ العلمية وثانياً: المتطلبات الاجتماعية مثل احترام الجسد/الهيكل العظمي (Colleter et Adèle, 2019: 97).

وخلافاً للأنثروبولوجيا الطبية- الشرعية، فإن اكتشاف جثة فرد يمكن التعرف عليه أمر نادر جداً في الأركيو-أنثروبولوجيا. فهذان الاختصاصان ليس لهما الأهداف عينها. إذ أن الأنثروبولوجيا الطبية- الشرعية تهدف إلى تحديد هوية الشخص والأسباب التي أدت إلى

وفاته. أما في الاركيو-أنثروبولوجيا، فإمكانية اقتراح هوية في بعض الأحيان تنتج عن مجموعة من المستندات (نقوش، أرشيفات، إلخ). لأن دراسة المجتمعات القديمة لا تهدف إلى إعادة الجثث إلى الأقارب (Colleter et Adèle, 2019: 103).

3. الأنثروبولوجيا الطبية-الشرعية

تُعنى الأنثروبولوجيا الطبية-الشرعية (anthropologie médico-légale) أو الأنثروبولوجيا الجنائية (anthropologie judiciaire) بدراسة الرفات البشرية التي تعود الى فترات حديثة في سياق قانوني/قضائي، وذلك من خلال تحديد هوية الأشخاص المتوفين، والتي تحللت أجسامهم أو احترقت أو تشوّهت أو أصبح التعرف على أصحابها غير ممكن. فعندما يموت الناس أثناء الحروب أو الكوارث الطبيعية، يضحى من الواجب أن تُعامل جثثهم باحترام وبصورة لائقة. وعلى السلطات إجراء عمليات البحث عن هذه الرفات البشرية، واستخراجها ومعرفة هوية أصحابها. فتُقدّم الأنثروبولوجيا الطبية الشرعية أدوات وخبرات قيمة لأنه من المحتمل أن يكون من العسير معرفة مكان الرفات المفقودة خصوصاً تلك الموجودة في مدافن سرية، وأحياناً يكون أيضاً عديد رفات مجهولي الهوية كبيراً، فتصبح معرفة الهوية أصعب. في مثل هذه الظروف تُقدّم اللجنة الدولية للصليب الأحمر¹¹⁶ (Le Comité international de la Croix-Rouge; CICR) الإرشاد والسند والتدريب للسلطات المحلية والأطباء الشرعيين المحليين من أجل البحث عن رفات مجهولي الهوية. وتختلف حالات حفظ هذه الرفات، وعمليات استخراجها، وتحديد هوية أصحابها. ويستطيع علماء الأنثروبولوجيا الطبية-الشرعية تقدير العمر وتحديد الجنس والسمات الفريدة للمتوفي وتوثيق الصدمات التي تعرّض لها الجسم وتقدير مدة تحليل الجثة. ويعمل هؤلاء العلماء، بشكل وثيق، مع خبراء آخرين في مجال القانون والشرطة والعلوم الطبية والبيولوجية.

ويعتبر تحديد هوية أصحاب الرفات البشرية أمراً هاماً جداً وذلك لدوافع إنسانية وقانونية. لذا فهناك تدابير علمية محدّدة يجري عبرها تحديد هوية أصحاب هذه الرفات. ومن أجل توحيد هذه الإجراءات العلمية عالمياً، أوصت اللجنة الدولية للصليب

¹¹⁶ اللجنة الدولية للصليب الأحمر، أنشئت عام 1863 وهي منظمة محايدة ومستقلة، تؤدّي مهمّة إنسانية بحثة تتمثّل بحماية أرواح وكرامة ضحايا النزاعات المسلحة وغيرها من حالات العنف وتقديم المساعدة لهم.

الأحمر باستعمال سياسات موحدة تباشر بوضعها السلطات المختصة من محاكم، وأجهزة تحقيق، ومنظمات طبية. ويستوجب تحديد هوية أصحاب الرفات البشرية بواسطة الأنثروبولوجيا الطبية- الشرعية ثلاث مراحل تحقيق أساسية، أولاً: البحث في المعلومات والملابس الرئيسية. ثانياً: العمل على استرداد الرفات. وثالثاً: وأخيراً إجراء التحليلات المخبرية ومطابقة العينات¹¹⁷.

أ- البحث في المعلومات والملابس الرئيسية

في إطار تحديد هوية أصحاب الرفات البشرية ينبغي أولاً على السلطات المختصة إجراء تحقيقات أولية لجمع كل المعلومات والبيانات المتوافرة عن الأشخاص المفقودين وعن مكان احتمال وجود رفات هؤلاء الأشخاص إذا ثبت موتهم. ومن ثم يتم تقييم كل المعلومات المجموعة ومقارنتها وتصنيفها ووضعها في قواعد بيانات. إن استمارة بيانات ما قبل الوفاة التي تُقدّمها اللجنة الدولية للصليب الأحمر تتضمن: معلومات شخصية واجتماعية عن الشخص المفقود، معلومات عن مظهره الخارجي، سجلات طبية وللأسنان، بيانات الحمض النووي¹¹⁸ (DNA) والسمات المميزة والفردية ومعلومات عن الملابس والأشياء التي كان يرتديها الشخص قبيل اختفائه والملابس الممكن أن تكون متعلقة بالاختفاء¹¹⁹.

ب- العمل على استرداد الرفات

إن العمل على استرداد الرفات البشرية يبدأ أولاً بتحديد مكانها وثانياً بالعمل على استخراجها من خلال تطبيق أساليب وتقنيات التنقيب الأثري التي تقتضي توثيق كل الإجراءات والأدلة بدقة عالية (تصوير ورسم موضع الرفات والموقع بأكمله وتوثيق المعلومات والأدلة كافة). والهدف الأساسي هو استعادة الرفات بطريقة علمية وجمع كل المعلومات لاستخدامها في عملية تحديد الهوية. إن الافتقار إلى

¹¹⁷ تحديد هوية أصحاب الرفات البشرية بواسطة الطب الشرعي، (2013)، كتيب صادر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر:

[Forensic Identification of Human Remains \(icrc.org\)](http://www.icrc.org/Forensic-Identification-of-Human-Remains).

¹¹⁸ يتفرد كل إنسان ببنية حمضه النووي ما يجعل من تحليل الحمض النووي أداة قوية في تحديد هوية أصحاب الرفات.
¹¹⁹ قامت اللجنة الدولية للصليب الأحمر، بموازة العديد من الخبراء من أنحاء العالم، بإعداد استمارة تضم كل بيانات ما قبل الوفاة. ويمكن الاستحصال على هذه الاستمارة من قسم الأنثروبولوجيا الجنائية التابع للجنة الدولية، أو من خلال البريد الإلكتروني على العنوان التالي: gva_op_assist_forensic@icrc.org

الدقة قد يسفر عن ضياع معلومات مهمة، لذلك يجب عدم التهاون في إتباع كل الإجراءات التوثيقية وجمع العينات بتأن ودقة. وأخيراً، وبعد عملية التوثيق يتم استخراج الرفات بطريقة علمية، ويتم توضيحها بشكل منفرد، ووضع بطاقات تعريفية عليها، وتجهيزها من أجل النقل إلى المختبر¹²⁰.

ج- إجراء التحليلات المخبرية ومطابقة العينات

تخضع الرفات في المختبر لدراسات واختبارات عديدة. إذ يجب أولاً: التأكد من أن هذه الرفات بشرية وليست حيوانية. وثانياً: يلزم الاستقصاء إذا كان للرفات صلة بموضوع البحث. وثالثاً: يجب تحديد العدد الفردي للأشخاص (NI) الذين تم العثور عليهم. وأخيراً، يحتم العمل على تحديد هوية الأشخاص من خلال رفاتهم وتحديد سبب الوفاة. وهنا أيضاً يتوجب على خبراء الأثروبولوجيا الطبية-الشرعية بعد دراسة الرفات تعبئة استمارة بيانات هذه المرة لما بعد الوفاة والتي أعدها أيضاً اللجنة الدولية للصليب الأحمر، وتتضمن (معلومات عن الهوية البيولوجية للرفات، كالجنس للأشخاص البالغين، العمر وقت الوفاة، الطول، والخصائص البيولوجية، معلومات طبية عن الأسنان (حشو، تليس، زرع، جهاز تقويم، إلخ...))، أو عن وجود كسور قديمة لحمت وأضرار نتيجة أذى أو صدمات قد تكون تسببت بالوفاة. وتتضمن الاستمارة أيضاً معلومات عن بصمات الأصابع إذا كانت موجودة، معلومات عن بيانات الحمض النووي، وعن حالة حفظ الرفات والمعلومات المتعلقة بالملابس والأغراض الشخصية التي عثر عليها مع الرفات، وأخيراً معلومات مكانية متعلقة بالمكان الذي عثر فيه على الرفات. أما بالنسبة إلى التحليلات المخبرية التي تتعلق بالحمض النووي، فتبدأ إجراءاته بأخذ عينات بيولوجية من أقارب الشخص المفقود أو عينات من الشخص المفقود جرى الحصول عليها قبل اختفائه لاستخدامها في عملية تحديد الهوية. فتؤخذ هذه النتائج وتتم مقارنتها مع عينات الحمض النووي المأخوذة من الأشخاص (جثث أو هياكل عظمية) الذين تم استخراجهم لمقارنة النتائج وتحديد ما إذا كانت متطابقة أم

¹²⁰ تحديد هوية أصحاب الرفات البشرية بواسطة الطب الشرعي، (2013)، كتيب صادر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ص. 5-6.

لا¹²¹. وتتمّ المقارنة أيضًا ما بين بيانات ما قبل الوفاة وما بعدها، وكلّما تطابقت كلّما كان احتمال تحديد الهوية أكبر.

III. الأنثروبولوجيا الاجتماعية (أبرز التيارات والنظريات)

الأنثروبولوجيا الاجتماعية هي أحد فروع العلوم الإنسانية والاجتماعية التي تدرس الإنسان في المجتمع. وتدرس العلاقات الاجتماعية الخاصة بكل مجموعة بشرية مع الاهتمام بمقارنة الطرق عيش الناس في بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة في جميع أنحاء العالم. تتنوع المجتمعات تنوعًا بينًا في أنماط تنظيم نفسها، وممارساتها الثقافية، فضلًا عن تنظيماتها الدينية والسياسية والاقتصادية. إنّ أبرز أهداف علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية هو دراسة هذا الاختلاف للمساهمة في فهم أعمق للإنسان. وهناك تيارات فكرية متعدّدة داخل الأنثروبولوجيا الاجتماعية، وغالبًا ما تتعارض مع بعضها البعض، وتُشير إليها التقاليد الوطنية أحيانًا في عناوين مختلفة: إثنولوجيا أو الأنثروبولوجيا الاجتماعية في فرنسا، الأنثروبولوجيا الاجتماعية في بريطانيا والأنثروبولوجيا الثقافية في الولايات المتحدة. وتعتمد الأنثروبولوجيا الاجتماعية اليوم على المنهج الإثنوغرافي (ethnographique)، أي على التحقيق (enquête) المباشر الذي يقوم به عالم الأنثروبولوجيا بنفسه، خلافًا للدراسات الاستقصائية الموكلة إلى الموظفين المرؤوسين كما في علم الاجتماع وعلوم أخرى.

إن تقديم عرض وافٍ لتاريخ الأنثروبولوجيا الاجتماعية ليس بالأمر اليسير، لا سيما ضمن هذا الدليل الأكاديمي الذي يشترط الإيجاز في بحوثه. ولذلك سنكتفي في هذا القسم بلمحة عن أبرز النظريات والمدارس الفكرية في الأنثروبولوجيا الاجتماعية آملين أن تُوفّر للباحث المفاتيح الرئيسية التي تُحوّله التعمّق لاحقًا في عالم الأنثروبولوجيا الاجتماعية.

1. النظرية التطورية أو الدارونية الاجتماعية

تدّعي النظرية التطورية (évolutionnisme) أو الدارونية الاجتماعية أن المجتمعات تتطور وفقًا لنظام عالمي واحد للتطور الثقافي وإن كان ذلك بنسب مختلفة، مما يُعَلّل وجود

¹²¹ تحديد هوية أصحاب الرفات البشرية بواسطة الطب الشرعي، (2013)، كُتيب صادر عن اللجنة الدولية للصليب الأحمر، ص. 7-11.

تعدّ المجتمعات في العالم. وهذه النظرية مكوّنة من مجموعة مفاهيم تمّ تطويرها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد مؤسّسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية مثل: لويس هنري مورغان¹²²، والسير إدوارد بيرنت تايلور¹²³، وهربرت سبنسر¹²⁴، والسير جيمس جورج فريزر¹²⁵. وقام معظم هؤلاء العلماء بجمع معلوماتهم من المُبشرين والتجار ونادراً ما ذهبوا بأنفسهم إلى المجتمعات التي كانوا يدرسونها بل عمدوا إلى تنظيم هذه المعلومات وطبقوا النظرية العامة على جميع المجتمعات. وحدّدوا مراحل التطور العالمية لتصنيف مختلف المجتمعات على أنها في حالة من الوحشية (sauvagisme) أو البربرية (barabrisme) أو الحضارة (civilisation). وتمّ انتقاد بعض التيارات القديمة في هذه النظرية لأنها افترضت نمطاً أفقياً للتطور مبنياً على النموذج الفريد لتطور المجتمع الغربي. ولكن ظهر مؤخراً العديد من علماء الأنثروبولوجيا الذين يَطلقون على أنفسهم أنصار التطور، مثل آلان تستارت¹²⁶ وكريستوف دارمنجيت¹²⁷ وأعادوا طرح النظريات التطورية ولكن غير العرقية منها (Deliège, 2013 : 4-45).

¹²² لويس هنري مورغان (Lewis Henry Morgan; 1818-1881)، عالم أنثولوجيا أمريكي وأحد مؤسّسي الأنثروبولوجيا الاجتماعية، واشتهر بوضع أسس أنظمة القرابة ووضع نظرية شاملة للتطور الاجتماعي.

¹²³ السير إدوارد بيرنت تايلور (Sir Edward Burnett Tylor; 1832-1917)، عالم أنثروبولوجيا إنجليزي ومؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية. من أهم أعماله: الثقافة البدائية (1871). تأثر بنظرية داروين للتطور البيولوجي، طور نظرية العلاقة التطورية من الثقافات البدائية إلى الثقافات الحديثة.

¹²⁴ هربرت سبنسر (Herbert Spencer; 1820- 1903)، عالم اجتماع وفيلسوف إنجليزي، كان من أوائل المدافعين عن نظرية التطور، وعن تفوق الفرد على المجتمع والأخلاق وعلم الاجتماع. أشار إلى أنّ مبادئ التطور والانتقاء الطبيعي تنطبق أيضاً على المجتمعات. ومن أبرز أعماله، الفلسفة التركيبية (1896)، التي تحتوي على مجلدات عن مبادئ علم الأحياء وعلم النفس البشرية والطبقات الاجتماعية والأفراد.

¹²⁵ السير جيمس جورج فرايزر (Sir James Georges Frazer; 1854-1941)، عالم أنثروبولوجيا اسكتلندي وباحث في مجال علوم الديانات، ومؤلف كتاب الغصن الذهبي (The Golden Bough). وأبرز نظرياته تتمحور حول التطور العام لأنماط التفكير من السحري إلى الديني، وأخيراً إلى العلمي. وميّز بين السحر والدين: واصفاً السحر بأنه محاولة للسيطرة على الأحداث، ووصفاً الدين كنداء لمساعدة الكائنات. وتمكّن فرايزر من خلال أبحاثه من تجميع ومقارنة كم هائل من المعلومات حول الممارسات السحرية والدينية أكثر مما تمّ تحقيقه لاحقاً بواسطة أي عالم أنثروبولوجيا آخر.

¹²⁶ آلان تستارت (Alain Testart ; 1945 - 2013) عالم أنثروبولوجيا اجتماعية فرنسي تخصص في المجتمعات البدائية. عيّن مدير أبحاث فخري في المركز الوطني للبحوث العلمية (CNRS) في باريس وعضو في مختبر الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الكوليج دو فرنس (Collège de France).

¹²⁷ Christophe Darmangeat (1965-)

2. نظرية الانتشار الثقافي

ليست نظرية الانتشار الثقافي (diffusionisme) توافقية، بل تكمن ميزتها الأولى في معارضة النظرية التطورية. وتُشدد هذه النظرية على انتقال الأشياء المادية أو غير المادية من ثقافة إلى أخرى، أو من شعب إلى آخر، أو من مكان إلى آخر. لذا فهي تفترض أن الجنس البشري غير مبتكر، ويتم اختراع الأشياء مرة واحدة فقط، ثم تنتقل من مجموعة إلى أخرى في جميع أنحاء العالم. ويمكن أن يحدث هذا إما عن طريق الانتقال المباشر بين مجموعات سكانية مستقرة أو من خلال هجرات الشعوب. وخلافاً لذلك، تفترض النظرية التطورية (évolutionnisme) أن الجنس البشري مبتكر: فكل مجتمع لديه ميل لاختراع نفس الأشياء على الرغم من أنهم سيفعلون ذلك بنسب مختلفة (-54 : 2013, Deliège 69). وأبرز رواد هذه النظرية هم: فريدريك راتزل¹²⁸، وغرافتون أليوت سميث¹²⁹ وكلاارك فيسلر¹³⁰.

3. المدرسة الفرنسية

إن المدرسة الفرنسية للأنثروبولوجيا الاجتماعية هي بمثابة توحيد مثمر لعلم الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. وتضم هذه المدرسة مجموعة من المفكرين الذين أنشأوا علم الاجتماع في فرنسا استناداً على فكر إميل دوركايم¹³¹ ومارسيل موس¹³² بين نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. إن المدرسة الفرنسية أعادت الاتصال بفلسفة التنوير وأسست لمذهب علمي بحث. كان لدوركايم مكانة بارزة ولكن متباينة، بحيث أنه أصر من جهة على خصوصية الحدث الاجتماعي، وعلى الترابط بين الأحداث

¹²⁸ فريدريك راتزل (Friedrich Ratzel ; 1844-1904) عالم جغرافيا وإثنولوجيا ألماني، له تأثير رئيسي في التطور الحديث، وابتكر مفهوم المجال الحيوي (espace vital)، الذي يربط المجموعات البشرية بالوحدات المكانية التي يتطور فيها. واهتم في بالهجرة البشرية، والانتشار الثقافي، والعلاقة بين الإنسان والعديد من عوامل بيئته المادية. على الرغم من تأثره بالنظريات التطورية لداروين وعالم الحيوان الألماني إرنست هاينرش هيكل (Ernst Heinrich Haeckel) فقد انتقد راتزل آراءهم بشدة.

¹²⁹ غرافتون أليوت سميث (Grafton Elliot Smith; 1871-1937) طبيب وعالم أنثروبولوجيا وعالم مصري أنجليزي-أسترالي. كان يؤمن بفكرة أن الابتكارات الثقافية تحدث مرة واحدة فقط وتنتشر بعدها جغرافياً.

¹³⁰ كلاارك فيسلر (Clark David Wissler; 1870-1947) عالم نفس وأنثروبولوجيا أمريكي طور مفهوم المنطقة الثقافية. وهي منطقة جغرافية متجاورة تشترك فيها معظم المجتمعات في العديد من السمات المشتركة.

¹³¹ دافيد إميل دوركايم (David Émile Durkheim; 1858- 1917)، عالم اجتماع فرنسي طور منهجية تجمع بين البحث التجريبي والنظرية الاجتماعية. ويُنظر إليه كمؤسس للمدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع.

¹³² مارسيل موس (Marcel Mauss ; 1872-1950)، عالم اجتماع وأنثروبولوجيا فرنسي تضمنت مساهماته دراسة مقارنة للعلاقة بين أشكال التبادل والبنية الاجتماعية. يُعتقد أن وجهات نظره حول نظرية ومنهج الإثنولوجيا أثرت على العديد من علماء الاجتماع البارزين بما في ذلك كلود ليفي شتراوس.

الاجتماعية في النظام، وعلى التمييز بين التفسير السببي والتفسير النهائي، وعلى إمكانية اكتشاف القوانين التي تحكم الظواهر الاجتماعية. ووضع مفاهيم لعلم الإثنولوجيا وعلم الاجتماع الحديث. ومع ذلك، فمن جهة أخرى استخدم حصراً مواد جمعها آخرون ما قاده إلى تناقضات كثيرة، ولا سيما عندما شرح الظواهر الدينية بالمفهوم الخاطئ للمشاعر الجماعية ومُدخلًا بذلك علم النفس الذي استبعده من حيث المبدأ، إضافة إلى أنه لم يتخلص تماماً من افتراضاته التطورية. وواصل مارسيل موس عمل دوركايم في مجلة السنة السوسولوجية (L'Année sociologique)، لكنه ركّز حصراً على الإثنولوجيا، بدون القيام بالتحقيقات الميدانية بنفسه. وعمل على تعديل مفهوم الحقيقة الاجتماعية الكاملة، كما عمل على البيانات الرمزية وكان بذلك من رواد الأبحاث الحديثة حول أنظمة الرموز.

4. المدرسة الأمريكية والثقافية

تتميز المدرسة الأمريكية للأنثروبولوجيا الاجتماعية بطابع الثقافية (culturalisme)، فمبدأها يكمن في محاولة التقاط تأثير الثقافة على شخصيات أفرادها، وتكون بذلك هناك علاقة سببية بين الثقافة والشخصية. بمعنى آخر يشترك جميع أفراد المجتمع، في مرحلة الطفولة المبكرة، في التجارب نفسها التي تؤدي إلى تكوين شخصية أساسية مشتركة. تستند المدرسة الأمريكية إذاً إلى مسلمة تؤكد أن مواطني أمة معينة يتشاركون في سمات نفسية جامعة. واكتسبت هذه الدراسات أهمية كبرى خلال الحرب العالمية الثانية عندما تعلّق الأمر بالفهم الكامل لطبيعة العدو (Deliège, 2013 : 129). وتشدد المدرسة الثقافية الأمريكية على تنوع الثقافات وذلك خلافاً للمدرسة التطورية التي ركزت على المراحل الكبرى التي من المفترض أن يمر بها المجتمع بأسره. فعلماء الأنثروبولوجيا الأمريكيون ركزوا على أصالة كل ثقافة مما يؤدي إلى تكوين شخصيتها المميزة. وأبرز هؤلاء العلماء هم: فرانز بواس¹³³، وإدوارد ساپير¹³⁴، وبنيامين لي وورف¹³⁵، وروث فلتون بندكت¹³⁶، ومارغريت ميد¹³⁷، ومارشال ديفيد سالين¹³⁸ وكليفورد غيرتز¹³⁹.

¹³³ فرانز بواس (Franz Boas ; 1858-1942) عالم أنثروبولوجيا ألماني-أميركي، مؤسس مدرسة الأنثروبولوجيا الأمريكية النسبية التي تركّز على الثقافة والتي أصبحت مهيمنة في القرن العشرين.

¹³⁴ إدوارد ساپير (Edward Sapir ; 1884-1939) عالم لغة وأنثروبولوجيا أميركي، اشتهر بمساهماته في دراسة اللغات الهندية (Native American languages) في أميركا الشمالية وأسس الأنثروبولوجيا اللغوية البنوية.

5. المدرسة البريطانية والوظيفية (fonctionnalisme)

في مطلع القرن التاسع عشر، كان علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية أقل رضا على التبعات العرقية لنظرية التطور. فظهر جيل من علماء الأنثروبولوجيا بعيد عن البحث التخميني الماضي ومشجع على البحث التجريبي، من بينهم: ألفريد هادون¹⁴⁰ وويليام ريفرز¹⁴¹ وتشارلز جابريل سيليجمان¹⁴². وكان لكل هؤلاء العلماء خبرة ميدانية خلافاً لأسلافهم، فأغلبهم كان لديهم خلفيات في العلوم الطبيعية، لذلك قدموا براهين لنظرياتهم عن طريق التحقيقات الميدانية (Deliège, 2013 : 175). وبذلك ساهموا في تكوين نظام تجريبي عُرف بالوظيفية (fonctionnalisme). وليست الوظيفية مجرد نظرية بل هي طريقة للنظر إلى الأمور، ومع هذه المدرسة البريطانية دخلنا في العصر الحديث للإنثولوجيا.

6. الأنثروبولوجيا البنيوية (Anthropologie structurale)

البنيوية مدرسة فكرية أنشأها عالم الأنثروبولوجيا الفرنسي كلود ليفي شتراوس في خمسينيات القرن الماضي. وكان لهذه المدرسة أثر حاسم في مختلف العلوم الاجتماعية وعلم النفس والفلسفة والتاريخ. إذ كوّنت تياراً ترك بصماته على جيل كامل من علماء الأنثروبولوجيا والإنثولوجيا في فرنسا وفي العالم. علماً أن بنيوية ليفي شتراوس ليست نظرية معينة ولا تقنية محدّدة، بل هي مبنية على مجموعة من النصوص والتحليلات

¹³⁵ بنيامين لي وورف (Benjamin Lee Whorf ; 1897-1941) عالم لغويات أميركي اشتهر بنظرياته المتعلقة بعلاقة اللغة بالتفكير والإدراك ودراساته للغة العبرية واللغات واللهجات المكسيكية والمايا، ولغة الهوبي (لغات يوتو أزنكية).

¹³⁶ روث فلتون بندكت (Ruth Fulton Benedict ; 1887-1948) عالمة أنثروبولوجيا أمريكية، كان لنظرياتها تأثير على الأنثروبولوجيا الثقافية لا سيما في مجال الشخصية.

¹³⁷ مارغريت ميد (Margaret Mead ; 1901-1978) عالمة أنثروبولوجيا أمريكية اشتهرت بقوة شخصيتها وصراحتها إلى جانب جودة عملها العلمي. كما اشتهرت بدراساتها عن الشعوب أوقيانيا، لا سيما فيما يتعلق بالجوانب المختلفة لعلم النفس والثقافة.

¹³⁸ مارشال ديفيد سالين (Marshall David Sahlins ; 1930-) عالم أنثروبولوجيا وناشط اجتماعي درس في الأساس شعوب وثقافات جنوب المحيط الهادئ (هاواي وفيجي).

¹³⁹ كليفورد غيرتز (Clifford Geertz ; 1926-2006) عالم أنثروبولوجيا ثقافية أمريكي وأحد رواد الأنثروبولوجيا الرمزية والأنثروبولوجيا التفسيرية.

¹⁴⁰ ألفريد هادون (Alfred Cort Haddon ; 1855- 1940) عالم أنثروبولوجيا بريطاني ومن مؤسسي الأنثروبولوجيا البريطانية الحديثة علّم في جامعة كامبريدج لمدة 30 عاماً.

¹⁴¹ ويليام ريفرز (William Halse Rivers; 1864-1922) عالم نفس وعالم أنثروبولوجيا إنجليزي معروف أساساً بكتابه عن قبائل التودا (في الهند) الصادر العام 1906 وهو نموذج للتوثيق الدقيق لشعب ما.

¹⁴² تشارلز جابريل سيليجمان (Charles Gabriel Seligman ; 1873-1940) عالم أنثروبولوجيا إنجليزي أجرى أبحاثاً ميدانية مهمة في سريلانكا وفي السودان.

والمقالات المتجانسة (Deliège, 2013 : 264). وفي هذه المدرسة يتم تحليل الثقافات، التي يُنظر إليها على أنها أنظمة، من حيث العلاقات البنيوية بين عناصرها. وطبقاً لنظريات ليفي شتراوس، فإن الأنماط العالمية في الأنظمة الثقافية هي نتاج البنية الثابتة للعقل البشري. تشير البنية، بالنسبة إلى ليفي شتراوس إلى البنية العقلية. فبالنسبة إليه، إنّ البنية (structure) ليست حقيقة يمكن رؤيتها تجريبياً، وإنما هي بناء فكري، أو نموذج منظم، فالبنى هي تجريدات ونماذج نظرية تساعد على فهم الواقع. ويعتقد ليفي شتراوس إذاً أنه لنتمكن من فهم الواقع علينا استبدال نوع من الواقع بنوع آخر. لأن ما نلاحظه في الحياة الاجتماعية يعطينا فقط مظهرًا خاطئًا وهميًا لهذه الحقيقة. بمعنى آخر، إنّ أعضاء مجتمع معين غير مدرّكين دائماً للقواعد والمبادئ التي تحكم حياتهم الاجتماعية. فعندما يُسأل شخص عن أسباب أحد الطقوس أو إحدى العادات، لا يستطيع الإجابة، أو على الأقل سيحاول أن يشرح أن التقاليد تتطلب ذلك أو أن والده كان يفعل ذلك. وبالتالي فالنماذج الواعية ما هي إذاً إلا تبريرات لشرعنة الممارسة ولكنها لا تفسّر بعمق الحياة الاجتماعية. فالشخص الاجتماعي غير قادر على تفسير المعنى العميق الكامن وراء الممارسات الاجتماعية. ووفقاً لليفى شتراوس، فإن مهمة الأنثروبولوجيا الاجتماعية إذاً هي بناء وتنظيم نماذج غير واعية للظواهر الجماعية، خلافاً للتاريخ الذي يحتوى الجانب الواعي للظواهر الاجتماعية (Deliège, 2013 : 266).

7. الأنثروبولوجيا الماركسية

الأنثروبولوجيا الماركسية نظرية أنثروبولوجية تُستخدم لدراسة الثقافات المختلفة حول العالم. وتَعتمد إلى حدّ كبير، على كتابات كارل ماركس¹⁴³ وفريدريك إنجلز¹⁴⁴، وكلاهما فيلسوفان ألمانيان عاشا في القرن التاسع عشر. تُركّز الأنثروبولوجيا الماركسية على العوامل الماديّة التي تُؤدّي إلى التحوّل الاجتماعي. فتتطلق الماركسية من منظور ماديّ تتحكّم بموجبه قوى الإنتاج بأي مجموعة اجتماعية وتحوّلاتها المحتملة. وينظر إلى المجتمع قبل كل شيء على أنه نمط إنتاج أو طريقة إنتاج. وتعتبر النظرية الماركسية أن الأفكار انعكاس

¹⁴³ كارل ماركس (Karl Heinrich Marx; 1818-1883) فيلسوف وعالم اجتماع ومؤرخ، وخبير اقتصادي وصحفي وثوري اشتراكي ألماني. نشر كتاب البيان الشيوعي (Manifest der Kommunistischen Partei) مع فريدريك إنجلز عام (1848). كما ألف العديد من الكتب أبرزها رأس المال (Das Kapital).
¹⁴⁴ فريدريك إنجلز (Friedrich Engels ; 1820-1895) فيلسوف اشتراكي ألماني، أبرز معاوني كارل ماركس في تأسيس الشيوعية الحديثة.

لعلاقات الإنتاج وذلك خلافاً لنظرية هيغل¹⁴⁵، التي تفترض أن تطوّر الأفكار هو المصدر الأساسي للتغيير التاريخي. فوفقاً لماركس، لا يتحدّد الوجود بالوعي، لكن الوعي يتحدّد بالوجود. توضح هذه العناصر مدى بُعد الماركسية في مبادئها عن الإثنولوجيا الكلاسيكية. بيد أن ماركس وإنجلز اهتمّا بالمجتمعات غير الطبقيّة، وانتقل هذا الاهتمام إلى بعض علماء الإثنولوجيا الذين حاولوا من خلال الماركسية فهم المجتمعات "البداية". لذا فعلماء الأنثروبولوجيا الماركسيون يدرسون الثقافة من منظور تاريخي، ويقبلون أن الثقافة والمجتمعات تتغيّر بمرور الزمن. وكان اهتمام ماركس وإنجلز بالمجتمعات البدائية ذا بعدين: فمن جهة، كانا يأملان أن يجدا تأكيداً لنظريتهما العامّة للتاريخ ومن جهة أخرى، كانا يبحثان عن أساليب حياة مختلفة تماماً تتعارض مع مبادئ الاقتصاد الرأسمالي وما ينجم عن استغلال الإنسان للإنسان لإثبات أن هناك أساليب أسلم للحياة (Deliège, 2013 : 313-315).

8. الأنثروبولوجيا المعاصرة

تختلف الأنثروبولوجيا المعاصرة عما كانت عليه في الماضي، ففي الماضي كانت تُعنى بدراسة المجتمعات "البداية"، أما اليوم فتحوّلت إلى دراسة المجتمعات المعاصرة مثل علم الاجتماع. ويمكننا تمييز ثلاثة فروع للأنثروبولوجيا الاجتماعية: دراسة السلوك الإنساني، ودراسة الرمزية وطرق التفكير والدراسات الإقليمية. وتتخصّص الأنثروبولوجيا الآن في مجالات محدّدة للغاية مثل الأنثروبولوجيا الطبيّة وأنثروبولوجيا الاتصالات أو أنثروبولوجيا العالم المعاصر. وتميل هذه التخصصات إلى استبدال المناطق الثقافية التقليدية وتشهد على التغيير في الأنثروبولوجيا الحديثة (Deliège, 2013 : 412-413). كما ظهر أيضاً تيار الأنثروبولوجيا الانعكاسية (Reflexive anthropology)¹⁴⁶ التي تشير إلى طريقتين مختلفتين، أحدهما تدل على تشديد الباحث على التركيز التحليلي في مجال الدراسة، والأخرى تهتمّ بطرق الإدراك لفهم الممارسات الثقافية. وتُشير الانعكاسية في الأنثروبولوجيا إلى الموضوعية والحياد في الخطاب. وتمثل الانعكاسية إلى حدّ كبير جانباً أدبيّاً من الكتابة الأنثروبولوجية، والتي تدوّن النصوص الإثنوغرافية الصادرة عن نوع العمل الميداني الموصوف. إن علماء الأنثروبولوجيا ليسوا مجرد متفرّجين بل تكون

¹⁴⁵ جورج فيلهلم فريدريش هيغل (Georg Wilhelm Friedrich Hegel ; 1770-1831) فيلسوف ألماني طور مخطّطاً جدليّاً أو ديكالكتيكياً أكّد على تقدّم التاريخ والأفكار من الطرح إلى النقص ومن ثم إلى المألّف.

¹⁴⁶ Hodder, 2014.

مذكراتهم ورواياتهم الإثنوغرافية ودراساتهم فرعاً مهماً جداً من الأدب يشبه كتابات الرحالة. وتحدّد الانعكاسية هذا الجانب من الأدب في النصوص الأنثروبولوجية (Nazaruk, 2011: 81).

الخاتمة

عمدنا في إطار هذا الدليل الأكاديمي إلى تقديم للباحث العربي لمحة شاملة عن الأنثروبولوجيا وفروعها وأبعادها المتعددة. وكما سبق وذكرنا، فإنّ الهدف الرئيسي للأنثروبولوجيا في السياق الأركيولوجي هو دراسة البقايا البشرية البيولوجية، ووضعها في إطارها الثقافي والاجتماعي الأوسع المتعلق بالأركيولوجيا المدفنية، وما يتمحور حولها من علاقة الإنسان بالموث والفكر الديني المرتبط به. أمّا الهدف الثاني للأنثروبولوجيا في السياق الأركيولوجي فهو إعادة بناء البعد الاجتماعي والثقافي العام للمجتمعات السالفة انطلاقاً من دراسة البقايا الأثرية المكتشفة في موقع معين مع احتمال المقارنة مع مجتمعات معاصرة أخرى تعيش في المنطقة عينها على الطرق البدائية القديمة كما في الأركيو- إثنولوجيا. إذ يعتمد التفسير الأثري للماضي حتماً على أفكار وخبرات الحاضر.

إذاً هناك حاجة لعلماء الآثار والأنثروبولوجيا لربط أفكارهم وأساليبهم بتفسير الثقافة المادية للحضارات الماضية من أجل إعادة بناء التكنولوجيا والإنتاج، وطرق العيش، والاستيطان، والطرائق المدفنية، والتبادل التجاري، والفن والطقوس ومقارنتها ببيانات أثرية أخرى. وباختصار، فإنّ الرؤيا الأنثروبولوجية الشاملة تبتعد إذاً، عن الأسلوب الوصفي السطحي المتبع عادةً في علم الآثار، لكنها تنطلق منه نحو البعد التحليلي العميق. لأن أي دراسة أركيولوجية تجري بمعزل عن التحليل الثقافي الاجتماعي هي دراسة جامدة تفتقر إلى العنصر الإنساني الذي يسمح بإعادة بناء الماضي بكل أبعاده. ولذلك لا ينبغي النظر في دراسة الثقافات المادية إلا ضمن سياقاتها الاجتماعية والثقافية العامة.

لائحة المصادر والمراجع

Aristote, *Historia Animalium*.

Aristote, *De Generatione Animalium*.

Hérodote, *Histoires*.

Hippocrate, *Airs, eaux, lieux*.

Angelakis, A.N., Antoniou, G.P., Yapijakis, C., & Tchobanoglous, G. (2020). History of Hygiene Focusing on the Crucial Role of Water in the Hellenic Asclepieia (i.e., Ancient Hospitals). *Water*, 12, 754.

Bailly, A. (2000). *Dictionnaire Grec-Français. le Grand Bailly*, Paris : Hachette.

Bertoletti, S.-F. (1994). The Anthropological Theory of Johann Friedrich Blumenbach. In: Poggi S., Bossi M. (eds) *Romanticism in Science. Boston Studies in the Philosophy of Science*, vol 152. Springer, Dordrecht.

Chavannes, A.-C. (1788). *Anthropologie ou Science générale de L'homme : Pour servir d'introduction à l'étude de La Philosophie et des Langues, et de Guide dans Le Plan d'éducation intellectuelle*, Lausanne : imp. d'I. Hignou.

Colleter, R., et Adèle, P.-A. (2019). Les restes humains archéologiques en France : entre objets de science et sujets de droit. *Canadian Journal of Bioethics*, 2, 3, 97-108.

Copens, Y., Guilaine, J. (2008). in E., Crubezy, J., Braga, G. Larroy, *Anthropobiologie, Évolution humaine, Le Grand Bailly*, Elsevier Masson, Issy-Les-Moulineaux.

Crubezy, E., Brag, J., Larrouy, G. (2008). *Anthropobiologie, Evolution humaine, Le Grand Bailly*, Elsevier Masson, Issy-Les-Moulineaux.

Darwin, C. (1876). *The origin of species by means of natural selection, or the preservation of favoured races in the struggle for life*. London: Murray. 6th ed., with additions and corrections.

Duday, H. (1975). *Le squelette du sujet féminin de la sépulture préneolithique de Bonifacio (Corse). Étude anthropologique. Essai d'interprétation palethnographique*. Cahiers d'Anthropologie Paris 1, 516 p.

Duday, H. (1981). *La place de l'anthropologie dans l'étude des sépultures anciennes*. Cahiers d'Anthropologie Paris 1 : 27-42.

Duday, H., (1990). Observations ostéologiques et décomposition du cadavre : sépulture colmatée ou en espace vide. *Revue archéologique du Centre de la France* 29 (2), 193-196.

Duday, H. (2005). L'Archéothanatologie ou l'archéologie de la mort. In: Hublin J.J., Dutour O., Vandermeersch B. (eds.), *Objets et méthodes en Paléo-anthropologie* : 153-215. Comité des Travaux Historiques et Scientifiques. Paris.

Duday, H., Courtaud, P., Crubezy, E., Sellier, P., Tillier, A.-M. (1990). L'Anthropologie « de terrain » : reconnaissance et interprétation des gestes funéraires. *Bulletins et Mémoires de la Société d'anthropologie de Paris* 2 (3-4), 29-49.

Duday, H., Masset, C. (1987). *Anthropologie physique et archéologie. Méthodes d'études des sépultures*. Actes du Colloque de Toulouse, 4, 5 et 6 novembre 1982. Paris, Ed. du CNRS.

El Najjar, M., McWilliams, K.R., (1978). *Forensic Anthropology: The Structure, Morphology, and Variation of Human Bone and Dentition*. Springfield, Illinois.

Ferembach, D., Schwidetzky, I., Stloukal, M. (1980). Recommendations for age and sex diagnoses of skeleton. *Journal of Human Evolution*. 9, 517–549.

Hodder, I. (2014). *The Present Past: An Introduction to Anthropology for Archaeologists* (2nd Revised Edition).

Işcan, M.-Y., Derrick, K. (1984). Determination of sex from the sacroiliac joint: a visual assessment technique. *Florida Scientist* 47 (2), 94–98.

Juuti, P.; Katko, T., Vuorinen, H.S. (2007). *Environmental History of Water -Global Views on Community Water Supply and Sanitation*; IWA Publishing : London, UK.

Kant, E. (1863). *Anthropologie d'un point de vue pragmatique*, Ouvrage traduit de l'allemand par J. Tissot, Paris, Librairie philosophique de Ladrangé.

Lévi- Strauss, C. (1958). *Anthropologie structurale*, Paris, Plon (réimpr. 2012), 480 p.

Lévi- Strauss, C. (1973). *Anthropologie structurale deux*, Paris, Plon (réimpr. 2009), 450 p.

MacLaughlin, S.-M., Bruce, M.-F. (1990). The accuracy of sex identification in European skeletal remains using the Phenice characters. *Journal of Forensic Sciences* 35:1384–1392.

Mathieu, A. (2019). Les restes humains et l'archéologie : état des lieux juridique. *Canadian Journal of Bioethics* 2 (3), 97-108.

Nazaruk, M. (2011). Reflexivity in anthropological discourse analysis. *Anthropological notebooks* 17 (1), 73–83.

Phenice, T.W. (1969). A newly developed visual method of sexing in the os pubis. *American Journal of Physical Anthropology*. 30 (2), 297–301.

Thillaud, P. L. (2000). Paléopathologie humaine et éthique, in P. Andrieux, D., Hadjous et A. Dambricourt-Malassé, *L'identité humaine en question. Nouvelles problématiques et nouvelles technologies en Paléontologie humaine et en Paléoanthropologie biologique*, Actes de colloques, 26 au 28 mai 1999 à Val-de-Marne.

علم الأركيوزولوجيا

أ.ة. دة. جوانا شحود

المقدمة

علم الحيوان القديم أو أركيوزولوجيا (Archaeozoology) هو دراسة بقايا الحيوانات الأثرية التي تهدف إلى فهم العلاقة بين الحيوان والإنسان وبيئتهم في العصور القديمة. تفترض هذه الدراسة تقنيات القراءة الشاملة للمعلومات الواردة في مجموعات بقايا الحيوانات المستخرجة من المواقع الأثرية ضمن بياناتها الأثرية (السياقات الزمنية، والمكانية، والوظيفية)، (Vigne, 2004). ويهدف هذا العلم إلى المساهمة في فهم تاريخ العلاقات الطبيعية والثقافية بين الإنسان والحيوان وتأثيرها عليهم وعلى بيئتهم (Poplin, 1983).

علم الأركيوزولوجيا هو جزء من دراسات علم الآثار البيولوجية للبقايا العضوية بالتوازي مع علم النبات وعلم الأنثروبولوجيا البيولوجية، جنباً إلى جنب مع هذا الأخير فإنه يشترك معه في أسس وتقنية دراسة بقايا العظام. بالمقابل، يشكل الاختصاصان مع علم النبات جزءاً من علوم الآثار البيولوجية ويعتمدون على المنهجيات الطبيعية والتاريخية والأثرية في دراسة الإنسان وبيئته. بالإضافة إلى ذلك، فإن علم الحيوان القديم وعلم النبات القديم مجتمعين مع علم الآثار الجيوغرافي تشكل التخصصات الجديدة لعلم الآثار البيئية.

مع تطور الأركيوزولوجيا، ظهرت عدة مصطلحات تعكس المدارس العالمية. يستخدم مصطلح 'Zooarchaeology' في الغالب من قبل العلماء المتحدثين باللغة الإنجليزية ويركز بشكل أساسي على الإشكاليات الأثرية والأنثروبولوجية للإستفادة البشرية للحيوانات بيرية كانت أو داجنة (Olsen, 1971).

بينما يركز مصطلح الأركيوزولوجيا المستخدم في الغالب من قبل العلماء الأوروبيين على النواحي البيولوجية والبيئية لتحليلات بقايا الحيوانات. في السنين الأخيرة، اقترح العالم الفرنسي فرانسوا بوبلين توحيد كلتا المدرستين من خلال إعادة توجيه مفهوم علم آثار الحيوانات ليشمل علاقة الإنسان والحيوان: الانتروبواركيوزولوجيا (Poplin, 1983).

I. الخطوات الأولى للأركيوزولوجيا

الباحثون الأوائل في هذا الاختصاص هم عبارة عن أطباء بيطريين وجيولوجيين وعلماء الأحفوريات وعلماء الحيوان. كان بوفون (Buffon 1788- 1707) أول من ذكر فكرة أن تاريخ الأرض مرتبط بالرواسب وأن أنواعاً من الحيوانات يمكن أن تختفي أو تنقرض. ولعب كوفيه (Cuvier 1769-1832) دوراً أساسياً في تحديد أنواع البقايا الأحفورية. في المقابل، بدأ استخدام بقايا الحيوانات للتأريخ مع العالم لارتيه (Lartet) الذي اقترح تأريخ عصور ما قبل التاريخ حسب بقايا الحيوانات: عصر الدببة، عصر الماموث ووحيد القرن، وعصر الثور البري.

و على الرغم من أن الأركيوزولوجيا كان دائماً جزءاً لا يتجزأ من علم آثار ما قبل التاريخ، إلا أنه أصبح مجالاً متميزاً ومعروفاً ابتداءً من عام 1970. بعد ذلك تم بناء علم الأركيوزولوجيا في نظام تخصصي في حد ذاته. أول دراسة أركيوزولوجية هي عمل روتيمير (Rütimeyer 1825-1895) الذي نشر في عام 1862 دراسة كان مهتماً فيها بمورفولوجيا الأنواع، والآثار الناتجة عن الإنسان على عظام الحيوانات (Rütimeyer, 1862). وفي عام 1926، كتب دورست J.-U. Dürst أسس القياسات لعلم الأركيوزولوجيا (Dürst, 1926). في الواقع، تم تحديد الإطار المنهجي، بسرعة وبشكل واضح في خطوطه الرئيسية بفضل ديناميكية الباحثين لا سيما في السبعينات والثمانينات (Boessneck *et al.*, 1964; Casteel & Grayson, 1977; Chaplin, 1971; Ducos, 1968; Pales & Lambert, 1971; Payne, 1985; Poplin, 1976; Schmid, 1972). بعد ذلك، تم تحديثه وتجديده باستمرار في ظل زخم التطورات التقنية والاتجاهات الجديدة في البحث (Balasse & Dillmann, 2017; Dese & Chaix, 1994; Helmer, 1979, 2000; Lyman, 2008; Vigne, 2004).

وبالمثل في منطقة جنوب غرب آسيا، فإن الدراسات الأركيوزولوجية لإشكاليات العصر الحجري الحديث وخاصة دراسة تدجين الحيوانات بما في ذلك البحث في أصولها وتأريخ هذه الظاهرة كان دافعاً استثنائياً لتطور مجال الأركيوزولوجيا. في لبنان، على غرار بدايات هذا العلم في أوروبا وأمريكا، تألفت الدراسات في البداية من لوائح بسيطة بأنواع الحيوانات القديمة وتحديد عظام وأصداف كاملة تقريباً بواسطة علماء الحيوان أو علماء الأحفوريات في الستينات، ثم توالى الدراسات في السبعينات والثمانينات. ركزت البداية في لبنان على تنوع الحياة البرية واستغلالها في العصر الحجري القديم من خلال دراسة نشاطات الصيد في مجتمعات العصر الحجري القديم (Fleisch, 1970; Garrard, 1983; Gautier, 1970, 1970; Hooijer, 1961; Kersten, 1989; Watanabe, 1971) ثم انتقلت في التسعينات لتصبح أبحاثاً في إشكاليات العلاقة بين الإنسان والحيوان مثل إنتاج الغذاء، أهمية الصيد في المجتمعات القديمة، دور الحيوان في الطقوس، بالإضافة الى معالجة مواضيع مثل الحيوان والبيئة ودراسة بقايا متنوعة مثل عظام وأسنان القوارض والعصافير بالإضافة للشديات في عصور ما قبل التاريخ وفترات لاحقة في لبنان (Bökönyi, 1990; Churcher, 1994; Garrard, 1998; Kersten, 1991, 1992).

في 1971، تم تشكيل المجلس الدولي لعلم الأركيوزولوجيا (ICAZ) وهو منظمة مكرسة لتعزيز البحث في علم الحيوان القديم بأعلى المعايير العلمية وتعزيز التواصل بين المجتمع الدولي لعلماء الآثار. يبلغ عدد أعضاء ICAZ أكثر من 550 فرداً من 62 دولة. ينظم هذا المجلس ورشات عمل، مؤتمرات عالمية ومجموعات العمل المتخصصة مثل ASWA الأركيوزولوجيا في جنوب غرب آسيا لتعزيز أهمية هذا التخصص وتطوير التعاون بين الباحثين العاملين في جنوب غرب آسيا حيث ينتمي لبنان لهذا المجلس بواسطة المتخصصين اللبنانيين.

بعد أكثر من نصف قرن من دراسات عظام الحيوان التي يتم إجراؤها الآن في جميع أنحاء العالم وعلى فترات أثرية مختلفة، لا يزال الوضع الحالي لهذا المجال في جنوب غرب آسيا والمناطق المجاورة قيد التطوير بما في ذلك التعليم الأكاديمي والعمل البحثي. تنوعت وتعمقت الدراسات وشملت حقبات ومواضيع مختلفة وأصبح جزءاً أساسياً من تقارير الحفريات المنظمة والانقاذية. وقد تم نشر أول كتاب متخصص للدراسات الأركيوزولوجية داخل لبنان في عام 2014 (Chahoud, 2014). في المقابل تم إنشاء أول

مجموعة من بقايا الحيوان المعاصر للمقارنات ومختبراً متخصصاً في أقسام الفنون والآثار في الجامعة اللبنانية-الفرع الثالث والرابع في عام 2016 بينما لم يتم إدراج الأركيوزولوجيا في مناهج علم الآثار في الجامعة اللبنانية إلا ابتداءً من العام 2021.

II. أنواع البقايا والتخصصات

يمكن استخدام بقايا الحيوانات لدراسة مجموعة متنوعة من القضايا في دراسة المجتمعات، مثل البيئة، نمط الحياة، النظام الغذائي، ممارسات الصيد، والتنظيم السياسي والاجتماعي وأنماط الاستيطان واستخدام الموارد، والتقاليد والطقوس. تختلف وتعدد التخصصات بحسب أنواع البقايا التي يمكن أن تحفظ في الرواسب الأثرية كدليل على النشاطات البشرية عن طريق الإيداع المتعمد لبقايا الطعام أو للأضاحي أو دفن الحيوانات أو بطريقة غير مباشرة عن طريق الطمر والترسبات.

في تحديد بعض المصطلحات، مصطلح "عنصر" يشير إلى وحدة العظام الكاملة أو الأسنان أو الأصداف. "العينة" هي إما عظم كامل، أو سن، أو جزء منه. إذا كانت العينة كاملة، فهي "عنصر"، وإذا كانت شظية فهي "جزء من عنصر". نادراً ما توجد العناصر كاملة في البقايا الأثرية. تشكل العينات المجزأة معظم المكتشفات الأثرية. تحتوي "العينات" على بقايا حيوانية متعددة من أصناف مختلفة. ويتم جمعها ضمن مجموعة فردية من سياق أثري فريد تم تحديده وتوثيقه في الحفريات الأثرية ولديها دلالة زمنية محددة عن نشاط إنساني أو طبيعي واحد.

-**بقايا العظام والأسنان:** تشمل دراسة الفقرات المتوسطة والكبيرة الحجم مثل الثدييات ذوات الحوافر (Macrofauna)، والفقرات الصغيرة الحجم مثل القوارض (Microfauna)، الطيور (Avifauna)، والأسماك (Ichthyofauna).

-**بقايا اللافقاريات:** دراسة الرخويات في السياقات الأثرية كالأصداف (Mollusc)، والغلاف الخارجي للقشريات المائية (Crustaceans). تشمل الرخويات القواقع الأرضية والمحار البحري (Gastropod & Bivalva).

-**بقايا فضلات وروث الحيوانات:** دراسة براز الحيوانات (Dung) الذي يحفظ في طبقات الأتربة هو مصدر مهم للمعلومات البيئية والثقافية في المواقع الأثرية (وجود الحيوانات والقرب منها، وزيادة إدارة الحيوانات، والتدجين، والاستقرار، والاستخدام الثانوي المحتمل للمنتجات، والنظام الغذائي الحيواني والبيئة).

-**بقايا الطفيليات:** يحدد علم الطفيليات القديمة البقايا الطفيلية (البويض)، التي تنتقل من إنسان إلى إنسان أو من حيوان إلى إنسان، في مجموعة متنوعة من السياقات الأثرية (المقابر، الأسنان، الأتربة...). يستخدم لدراسة الصحة والمرض عند البشر والحيوانات القديمة، وبشكل غير مباشر، لاستكشاف أنماط التنقلات، والتحولت الغذائية، والتفاعلات مع الحيوانات والبيئة باستخدام الطفيليات كمضيف بيولوجي. يمكن أن يساعد مجال الدراسة هذا أيضاً في استكشاف العلاقة بين حالات الإصابة بالطفيليات والمناطق الجغرافية، أو الفصول، وما يتعلق بالتغيرات المناخية والبيئية.

III. متطلبات دراسة بقايا الحيوانات

تتطلب دراسة بقايا الحيوانات من المواقع الأثرية أساساً بيولوجياً سليماً. بدون هذه الخلفية، تكون دراسة الحيوانات، في أحسن الأحوال، غير مكتملة، وفي أسوأ الأحوال، غير دقيقة. تبدأ هذه المعرفة بالمفاهيم البيولوجية والبيئية الأساسية. هذه تشمل بيولوجيا الهيكل العظمي وتشكل الأنسجة، مثل الأسنان والعظام والأصداف والهيكل الخارجي للقشريات المحفوظة في المواقع الأثرية. من الضروري أن يكون الباحث على دراية بالتصنيفات المنهجية الحالية وأسس تلك التصنيفات في علم الأحياء. تتطلب الدراسة إلماماً بسلوك الحيوان والبيئة، خاصة المفاهيم المتعلقة بالعلاقات بين الحيوانات البرية، والجغرافيا الحيوية، والنظم البيئية، وعادات وسلوك الحيوانات.

بشكل متوازٍ، يجب إتقان تقنيات الحفر وفهم عمليات تشكيل الموقع للتفسير المناسب للبقايا الحيوانية. بعد التوثيق وتسجيل البيانات البيولوجية على العظام، يفسر الباحثون النتائج باستخدام معلومات من مصادر عديدة إذ يدعم كل فرضية بواسطة الأدلة المتنوعة التي تتوفر لديه من مجموعات بيانات حيوانية متعددة، ولكن أيضاً بالمقارنة

مع الحيوانات المعاصرة والانتواركيولوجيا، وبواسطة العلم التجريبي لتوسيع آفاقنا حول طرق تفاعل البشر والحيوانات وعواقب تلك السلوكيات. يجب إدراج العوامل المكانية والزمانية والاجتماعية التي قد يكون لها تأثير على البقايا الحيوانية. يجب تحليل النتائج من خلال ربطها بالسياق الثقافي للحقبة الزمنية وللإشكاليات المطروحة. يختلف تفسير الأنشطة التي تنطوي على الحيوانات تماماً على ما إذا كان السياق الذي تم حفره هو معبد أو مخبأ أو منزل أو مكان تخزين. قد تساعد معلومات إضافية مثل النقوش والتماثيل والجداريات أو السجلات المكتوبة أو غيرها من القطع الأثرية في تحليل النتائج أيضاً.

IV. المنهجيات

يتضمن علم الأركيوزولوجيا اليوم العديد من التوجهات البحثية. يمكن أن ينقسم إلى بحث منهجي، وبحث أنثروبولوجي، وبحث بيولوجي (Balasse et al., 2015).

1. بحث منهجي

يركز هذا البحث على طريقة الدراسة وتطوير أساليب من أجل تحديد العوامل التي تؤثر على النتائج. نظام تحديد كميات البقايا الحيوانية وتعداد العناصر بالإضافة إلى آثار العوامل الطبيعية أثناء الطمر (Taphonomy)، هي تحديات تطلب اختراع طرق علمية من أجل تحديد أثرها على النتائج. على سبيل المثال احتساب عدد العظام الكاملة أو أجزاء العظام، احتساب عدد الحيوانات.

يتمّ التركيز في هذا النوع من الأبحاث على فهم عواقب العمليات الطبيعية والحيوية المرتبطة في حفظ العظام والتي تساهم في التغييرات من الدرجة الأولى والتغييرات من الدرجة الثانية والمتعلقة بقرارات الحفر وتحديد استراتيجية جمع البقايا. ويعد استخراج وتنقيب العظام في المواقع إحدى التحديات أيضاً التي تتطلب نوعاً مطوراً من التقنيات الجديدة لضمان جمع العينة التمثيلية (الفرز والنخل). هذه التحديات تشمل أيضاً طريقة تسجيل الهيكل العظمي الكامل أو المفكك أو البقايا المتصلة (Giovas & LeFebvre, 2018).

وقد تطورت المنهجية أيضًا في تحديد وتصنيف العظام خاصة بالنسبة للأنواع القريبة مثل الأغنام والماعز والحيوانات الهجينة، وبين البرية والداجنة وكذلك لتمييز الأجناس وأنواع الحيوانات. تعمل المقاربات الأخرى على تطوير تقنيات جديدة في تحليل حجم وشكل الحيوانات باقتراح نظام قياس موحد وأساليب لتحليل النتائج (Cannon, 2001; Chaix & Méniel, 2001; Driesch, 1976; Harris *et al.*, 2015; Meadow, 1999; Meltzer *et al.*, 1992; Payne, 1985; Wolverton, 2002; Zohar & Belmaker, 2005). وتستخدم قاعدة البيانات والبيانات الجغرافية أيضًا لتسجيل وتحليل كل مجموعة من البقايا.

2. بحث أنثروبولوجي

يركز على أسباب الاستمرار والتغيير في الجوانب البيئية والاقتصادية والثقافية من السلوك البشري. تتطلب البحوث الاقتصادية والغذائية دراسة كل من الاحتياجات البيولوجية التي تلبي النظم الغذائية والاستراتيجيات التي يؤمن الإنسان من خلالها العناصر الغذائية من أصل حيواني. تشمل الجوانب البيولوجية للعيش متطلبات التغذية البشرية أيضًا كمساهمات غذائية عبر استهلاك أصناف معينة. تتم دراسة التغذية البشرية في كثير من الأحيان بواسطة علماء الأنثروبولوجيا البيولوجية، الذين يفحصون بقايا الهياكل العظمية البشرية بحثًا عن دليل على ذلك ولكن أيضًا بواسطة دراسة بقايا الحيوانات. تساعد دراسة القيمة الغذائية لأصناف حيوانية معينة وترجمة أوزان اللحوم والعناصر المستعملة أو المتبقية للغذاء في تقديرات المساهمات الغذائية للحيوانات في نظام غذاء الإنسان.

استراتيجيات الاقتصاد الحيواني تشمل أساليب تدجين الحيوانات واستعمال منتجاتها. تشمل هذه الدراسات جهودًا لتحديد الأنماط والأساليب المتبعة عند المجتمعات؛ أنماط الاستيطان والتنقلات الموسمية وتحديد مصادر للمنتجات الحيوانية بناءً على هياكل النمو والعمر عند الحيوانات. إن العديد من هذه الدراسات تعتمد تقنيات تسمح بتحديد أنواع الحيوانات، كيفية استخدامها، بالإضافة إلى دراسة بقايا الحيوانات المعدلة إلى الأدوات وتقنيات الجزارة. وتشمل هذه الدراسات التدجين في سياق النظم الزراعية الناشئة والتحضر والبحث المنهجي في أصل وتطور الحيوانات المحلي، واستخدامها من قبل البشر، ودراسات مقارنة نماذج الحيوانات البرية والداجنة.

يضاف إليها، دراسة الدلالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية لاستخدام الحيوانات في التبادل التجاري، الطقوس الدينية والمدفنية، والفنون.

3. بحث بيولوجي

على الرغم من أن تطور أبحاث علم الحيوان القديم يهدف بشكل أساسي لفهم نمط حياة الإنسان، ولكن يجب الإشارة إلى زيادة الاهتمام بالجوانب البيولوجية للحيوانات. إذ يعد البحث البيولوجي جانباً أساسياً من جوانب دراسة تدجين الحيوانات وتاريخ السلالات المهمة اقتصادياً وبيئياً. لأن الحيوانات تتأثر بالظروف البيئية القديمة. ويتم الحصول على مصدر واحد لهذه المعلومات من مورفولوجيا الأنواع. وتُعنى هذه الدراسة بتحديد تغييرات حجم الحيوانات إذ يشير وزن وصحة الحيوان في المنطقة إلى الظروف والعوامل التي تعرض لها في حياته. وتشير التعديلات في السمات المورفولوجية إلى التغيير البيئي أو الاستغلال المفرط أو التدجين. وتوضح المساهمات في الجغرافيا الحيوانية والتنوع الحيواني ارتباط البشر بالحيوانات وشرح امتدادات أنواع معينة في مناطق جغرافية جديدة. وتشير التغييرات في الجوانب البيولوجية للحيوانات إلى التغييرات البيئية وإدارة الموارد الطبيعية، في الكثير من الأحيان.

7. طرق الدراسة البيولوجية

1. التنقيب الميداني وأخذ العينات

عند تحليل وتفسير السلوكيات البشرية بناءً على علم الأركيوزولوجيا، يجب على الباحثين الأخذ بعين الاعتبار حجم العينة وجودة حفظ البقايا لأن هذه العوامل تؤثر على النتيجة. يمكن جمع بقايا الحيوانات يدوياً من طبقة أثرية موثقة ومصنفة بواسطة محددات السياق الخاصة بها. وإلى جانب البقايا الكبيرة المرئية مثل العظام والأسنان والأصداف، يجب أخذ عينات من الرواسب من أجل استخراج البقايا الأصغر والأقل كثافة مثل بقايا القوارض والأسماك والطيور جنباً إلى جنب مع العظام الصغيرة مثل بعض الأسنان، أجزاء العظام، عظام الأذن والحوافر، وبقايا الرخويات والقشريات. تتطلب هذه البقايا استخدام طرق التعويم (Flotation) أو النخل (الرطب أو الجاف) من أجل جمع

كل بقايا الحيوانات بشكل منهجي (Zohar & Belmaker, 2005). بالإضافة إلى ذلك، يمكن إجراء التحليلات المجهرية في المختبر من أجل استعادة شرنقة الطفيليات. القرارات التي يتخذها عالم الآثار بشأن إجراءات أخذ العينات وطريقة جمع البقايا تؤثر بشكل مباشر على نوع وجودة وكمية العينات المتاحة لعلماء الأركيوزولوجيا. لذلك يجب مناقشة الإستراتيجية في كل حالة فيما يتعلق بهدف البحث والسياق الأثري. يجب تنظيف العظام وتجفيفها في أسرع وقت ممكن بعد التنقيب عنها. يمكن غسل العظام يدوياً بالماء البارد ولكن لا يجب استخدام المنظفات أو غمر العظام في الماء. بعد الغسل، يجب تجفيف العظام بواسطة الورق أو القماش لإسراع عملية التجفيف ومنع نمو العفن وتفتت البقايا.

في حال تم اكتشاف مجموعات عظام مرتبطة والتي هي مجموعة من العظام متصلة مع بعضها البعض وتشكل هياكل شبه كاملة أو كاملة في الطبقة الأثرية تكون نتيجة دفن حيوان متعمد، تترتب معالجتها بنفس طريقة التعامل مع البقايا البشرية المرتبطة وتسجيلها بشكل فردي باستخدام نماذج هياكل الحيوانات (Helmer & Rocheteau, 1994). يجب تعبئة العظام المتصلة حسب انتمائها لأجزاء الجسم معاً في كيس منفصل عن المواد الأخرى من نفس السياق، مع إعطاء رقم عينة منفصل من مادة أخرى من السياق. يجب بعد ذلك الاحتفاظ بالعظام معاً طوال عملية الغسيل والتجفيف وإعادة التخزين (Coard & Dennell, 1995).

2. التصنيف والتوثيق

التصنيف يشمل الفصل بين ما هو ثدييات وطيور وأسماك ورخويات لتحديد الأجزاء الموجودة وتحديد الفصائل والأجناس والأنواع. وذلك يتطلب مقارنة البقايا مع الهياكل العظمية للحيوانات المعروفة من قبل. تتطلب هذه المرحلة الرجوع إلى مجموعات المقارنة، والمراجع (Allen, 2017; Barone, 1976; Binford, 1981; Boessneck *et al.*, 1964; Claassen, 1998; Fischer *et al.*, 1978; Helmer, 2000; Pales & Lambert, 1971; Payne, 1985; Radu, 2005; Schmid, 1972; Szabó *et al.*, 2014). يتم تحديد الأصناف المختلفة حسب العائلة وإذا أمكن حسب الجنس والأنواع. يجب تسجيل جميع المعلومات الوصفية لكل عينة (Clutton-Brock *et al.*, 1984; Gifford-Gonzalez, 2018).

3. وحدات القياس

يتم استخدام طريقتين مختلفتين لتوثيق البقايا:

أول طريقة تعتمد تحديد الكميات لتقدير الأصناف وتعداد العناصر من أجل فهم نماذج استهلاك الحيوانات. وتعتمد تحديد عدد البقايا، وهو حساب موحد يتم تطبيقه باستمرار على العظام (Number of Identified specimen : NISP). وهو يتألف من إحصاء البقايا من خلال اعتبار كل جزء على أنه عينة (Poplin, 1976). يعتمد أيضاً قياس الشظايا وتسجيلها، مثلاً اعتماد فئات للأحجام الأقل من 3 سم. بالإضافة إلى ذلك، تعتمد تحديد الحد الأدنى لعدد الأفراد (Minimum Number of Individuals MNI). فيتم احتساب عدد العنصر بالنسبة لكميته في جسم الحيوان مع الأخذ بعين الاعتبار الجنس والعمر (Harris et al., 2015; Poplin, 1976).

والطريقة الثانية تستخدم قياس العظام والأسنان والأصداف لدراسة حجم وعمر الحيوان. يتم أخذ القياسات على العظام الكاملة، باستخدام الواح قياس العظم مع مسطرة مزدوجة وشريط قياس متدرج بالمليمتر (Davis, 1996; Driesch, 1976; Pourlis et al., 2014).

4. تحديد العمر والجنس

يمكن تحديد الجنس من خلال شكل بعض العظام الذي يختلف حسب الجنس (الجمجمة، الحوض، القرون) (Abramov & Puzachenko, 2005; Davis et al., 2012; Efremova et al., 2011; International Council for Archaeozoology & Ruscillo, 2006; López-Martín et al., 2006; Mayer & Brisbin, 1988; Prummel & Frisch, 1986; Ruscillo, 2015; Sykes & Symmons, 2007).

ويسمح لنا تقدير عمر الذبح بالحصول على فكرة عن استغلال الحيوانات وطرق استهلاكها. تسلط طريقة الدراسة هذه الضوء على العلاقة بين ذبح الحيوانات وإدارة القطيع. من الناحية النظرية، تقدم أعمار الذبح فكرة عن التربية أو إدارة الثروة الحيوانية أو بنية القطيع البري. ويتم تقدير معايير عمر الذبح على الأسنان في المقام الأول بالإضافة إلى عظام الهيكل العظمي. إنّ مراحل نمو الأسنان مميزة لكل نوع من الحيوانات، وتآكل الأسنان تجعل من الممكن تقييم عمر الحيوان. يبدأ الإجراء بتصنيف الأسنان حسب الأنواع ونوع السن وترتيب العمر، مع مراعاة درجة تآكل السطح (Balasse et al., 2003; Brochier, 2013; Helmer et al., 2007; Payne, 1973).

1982; Wilson *et al.*, 1982; Vigne & Helmer, 2007; Ruscillo, 2015; 1987. أما بالنسبة للعظام الطويلة، يمكن اعتماد مراحل نمو العظام حسب الحيوان (Gillis *et al.*, 2015; International Council for Archaeozoology & Ruscillo, 2006; Noddle, 1974; Popkin *et al.*, 2012; Wilson *et al.*, 1982).

5. توثيق آثار العوامل البيئية والبشرية

لا يعكس التمثيل الناقص أو التمثيل الزائد لبعض أجزاء الهيكل العظمي فقط اختياراً لاستغلال الحيوانات من قبل سكان الموقع. الحفظ التفاضلي هو عامل حاسم في حفظ البقايا. يتم تسجيل علامات الحرق والقطع والكسر (عوامل تعتمد على الإنسان) وتأثير البيئة والتربة والمناخ على العظام (Braun *et al.*, 2008; Lyman, 2005; Willis *et al.*, 2008). يتم أيضاً تسجيل علامات الأمراض، خاصةً على عظام الأطراف مثل تشوهات السطح المفصلي المرتبطة بالأنشطة البدنية للحيوان (Bendrey, 2014; Bendrey *et al.*, 2008; Byerly, 2007; Rooney, 1997; Thomas & Grimm, 2011).

VI. المواضيع البحثية في لبنان

معظم المواد الأثرية الحيوانية هي مخلفات متطلبات التغذية البشرية، والمزايا الغذائية لأجسام الحيوانات تحدد معايير اختيارات الإنسان في اقتناء الحيوانات للطعام. عدة مواضيع هي قيد البحث في لبنان مثل الصيد والتنوع البيولوجي والبيئة (الغزلان/ الماعز/ فرس النهر/ الدب) (Fuller *et al.*, 2020; Garrard *et al.*, 2018; Rhodes *et al.*, 2020)، التدجين: الماعز والأغنام والخنازير (Yazbeck *et al.*, 2022)، ممارسات التربية (الماعز/ الأغنام) (Chahoud, 2013; Chahoud & Vila, 2011)، النظام الغذائي والاقتصاد الغذائي (Chahoud, 2022; Chahoud & Vila, 2011)، منتجات واستعمال الحيوان (Coinman, 2002; Hourani, 2017)، التجارة (الأنواع/ المنتجات/ الأدوات)، الأمراض (Hourani, 2018a)، سلالات (غنم...) (Cakirlar *et al.*, 2014; Hourani, 2018b; Vila, 2019; Vila & Chahoud, 2019; Chahoud, 2014)، القرابين والأضاحي (Chahoud, 2014)، مدافن الحيوانات (الخيول، البقر...) (Elias *et al.*, 2015, 2016; Chahoud & Vila, 2016).

لائحة المصادر والمراجع

- Abramov, A. V., & Puzachenko, A. Yu. (2005). Sexual dimorphism of craniological characters in Eurasian badgers, *Meles spp.* (Carnivora, Mustelidae). *Zoologischer Anzeiger -A Journal of Comparative Zoology*, 244 (1), 11–29.
- Allen, M. J. (2017). *Molluscs in Archaeology methods, approaches and applications*. Oxbow Books.
- Balasse, M., Brugal, J.-P., & Dauphin, Y. (2015). *Messages d'os : Archéométrie du squelette animal et humain*. Éditions des archives contemporaines.
- Balasse, M., & Dillmann, P. (Eds.). (2017). *Regards croisés : Quand les sciences archéologiques rencontrent l'innovation*. Éditions des archives contemporaines.
- Balasse, M., Smith, A. B., Ambrose, S. H., & Leigh, S. R. (2003). Determining Sheep Birth Seasonality by Analysis of Tooth Enamel Oxygen Isotope Ratios: The Late Stone Age Site of Kasteelberg (South Africa). *Journal of Archaeological Science*, 30 (2), 205–215. <https://doi.org/10.1006/jasc.2002.0833>
- Barone, R. (1976). *Anatomie Comparée des Mammifères Domestiques*. Vigot.
- Bendrey, R. (2014). Animal Paleopathology. In c Smith (Ed.), *Encyclopedia of Global Archaeology*. Springer.
- Bendrey, R., Taylor, G. M., Bouwman, A. S., & Cassidy, J. P. (2008). Suspected bacterial disease in two archaeological horse skeletons from southern England: Palaeopathological and biomolecular studies. *Journal of Archaeological Science*, 35 (6), 1581–1590.
- Binford, L. (1981). *Bones*. Academic Press.
- Boessneck, J., Müller, H.-H., & Teichert, M. (1964). *Osteologische Unterscheidungsmerkmale zwischen Schaf (Ovis aries Linné) und Ziege (Capra hircus Linné)*. Akademie-Verlag.
- Bökönyi, S. (1990). *Kamid el-Loz. 12. Tierhaltung und Jagd. Tierknochenfunde der Ausgrabungen 1964 bis 1981*. Dr Rudolf Habelt GMBH.
- Braun, D. R., Pobiner, B. L., & Thompson, J. C. (2008). An experimental investigation of cut mark production and stone tool attrition. *Journal of Archaeological Science*, 35 (5), 1216–1223. <https://doi.org/10.1016/j.jas.2007.08.015>
- Brochier, J. É. (2013). The use and abuse of culling profiles in recent zooarchaeological studies: Some methodological comments on “frequency correction” and its consequences. *Journal of Archaeological Science*, 40 (2), 1416–1420.
- Byerly, R. M. (2007). Palaeopathology in late Pleistocene and early Holocene Central Plains bison: Dental enamel hypoplasia, fluoride toxicosis and the archaeological record. *Journal of Archaeological Science*, 34 (11), 1847–1858.
- Cakirlar, C., Amer, V., Kamiah, J., & Sader, H. (2014). Persian Period dog burials in the Levant: New evidence from Tell el-Burak (Lebanon) and a reconsideration of the phenomenon. In V. Linseele, B. De Cupere, & S. Hamilton-Dyer (Eds.), *Archaeozoology of Southwestern Asia and Adjacent Areas (ASWA) IX*. (pp. 243–264). Peeters Publishers.
- Cannon, M. D. (2001). Archaeofaunal Relative Abundance, Sample Size, and Statistical Methods. *Journal of Archaeological Science*, 28 (2), 185–195.

- Casteel, R. W., & Grayson, D. K. (1977). Terminological problems in quantitative faunal analysis. *World Archaeology*, 9 (2), 235–242.
- Chahoud, J. (2013). *Diversité faunique, économie alimentaire et pratiques socio-culturelles au Levant à l'Âge du Bronze : Une approche archéozoologique* [PHD]. Université Lumière Lyon 2, Université Libanaise.
- Chahoud, J. (2014). L'aspect archéozoologique des pratiques funéraires à l'Âge du Bronze au Liban. *Archaeology & History in the Lebanon*, 40-41, 74-90.
- Chahoud, J. (2015). Reconstruire les pratiques alimentaires liées aux animaux dans les lieux de cultes levantins au Bronze Récent. *BAAL, HS X*, 5–32.
- Chahoud, J. (2016). *L'animal et l'offrande : Une approche archéozoologique des pratiques funéraires à Sidon Liban (2000-1500 AV.J. -C.)*. *Archaeology and History in the Lebanon* 44-45.
- Chahoud, J. (2022). Early Iron Age fauna assemblages from Sidon: Food economy and animal role in cultic activities in Phoenicia. *Archaeology & History in Lebanon*, 54–55, 227–263.
- Chahoud, J., & Vila, E. (2011). The role of animals in ancient Sidon: An overview of ongoing zooarchaeological studies. *Archaeology and History of Lebanon*, 34–35, 259–284.
- Chahoud, J., & Vila, E. (2019). Food for the Dead, Food for the living, Food for the Gods. In M.-L. Arnette (Ed.), *Religion et alimentation en Égypte et Orient anciens*. Institut français d'archéologie orientale.
- Chaix, L., & Méniel, P. (2001). *Archéozoologie : Les animaux et l'archéologie*. Errance.
- Chaplin, R. E. (1971). *The study of animal bones from archaeological sites*. Seminar Press.
- Churcher, C. S. (1994). The vertebrate fauna from the Natufian level at Jebel es-Saaïdé (Saaïdé II), Lebanon. *Paléorient*, 20 (2), 35–58. <https://doi.org/10.3406/paleo.1994.960>
- Claassen, C. (1998). *Shells. Cambridge Manuals in Archaeology*. Cambridge: Cambridge University Press.
- Clutton-Brock, J., Grigson, C., International Council for Archaeozoology, & University of London (Eds.). (1984). *Animals and archaeology*. B.A.R.
- Coard, R., & Dennell, R. W. (1995). Taphonomy of Some Articulated Skeletal Remains: Transport Potential in an Artificial Environment. *Journal of Archaeological Science*, 22 (3), 441–448. <https://doi.org/10.1006/jasc.1995.0043>
- Coinman, N. R. (2002). New Evidence of Ksar Akil Scrapers in the Levantine Upper Paleolithic. *Paléorient*, 28 (2), 87–103. <https://doi.org/10.3406/paleo.2002.4747>
- Davis, S. J. M. (1996). Measurements of a Group of Adult Female Shetland Sheep Skeletons from a Single Flock: A Baseline for Zooarchaeologists. *Journal of Archaeological Science*, 23 (4), 593–612. <https://doi.org/10.1006/jasc.1996.0056>
- Davis, S. J. M., Svensson, E. M., Albarella, U., Detry, C., Götherström, A., Pires, A. E., & Ginja, C. (2012). Molecular and osteometric sexing of cattle metacarpals: A case study from the 15th century AD Beja, Portugal. *Journal of Archaeological Science*, 39 (5), 1445–1454. <https://doi.org/10.1016/j.jas.2011.12.003>
- Desse, J., & Chaix, L. (1994). L'os et sa mesure. Archéozoologie et archéométrie. *Histoire & Mesure*, 9 (3), 339–363. <https://doi.org/10.3406/hism.1994.1447>
- Driesch, A. von den. (1976). *A Guide to the Measurement of Animal Bones from Archaeological Sites: As developed by the Institut für Palaeoanatomie, Domestikationsforschung und Geschichte der Tiermedizin of the University of Munich*. Harvard University Press.

- Ducos, P. (1968). *L'origine des animaux domestiques en Palestine/ : Vol. Mémoire 6*. Publications de l'institut de préhistoire de l'Université de Bordeaux.
- Duerset, J. U. (1926). Vergleichende Untersuchungsmethoden am Skelett bei Säugern. In E. Abderhalden (Ed.), *Handbuch der biologischen Arbeitsmethoden* (Vol. 7, pp. 125–530). Urban & Schwarzenberg.
- Efremova, K. O., Volodin, I. A., Volodina, E. V., Frey, R., Soldatova, N. V., Lapshina, E. N., Makarov, I. S., & Gorbunov, K. S. (2011). Effect of sex and age on structural features of nasal calls and body size in fawns of the goitered gazelle, *Gazella subgutturosa* (Artiodactyla, Bovidae). *Biology Bulletin*, 38 (7), 735–746.
- Elias, N., Hourani, Y., Arbogast, R. M., Sachau-Carcel, G., Badawi, A., & Castex, D. (2016). Archaeological and biological investigations of a simultaneous deposit of human and cattle remains in Jal al Bahr Hellenistic necropolis (Tyre), an attempt at interpretation. *Bulletin d'Archéologie et d'Architecture Libanaises*, 16, 347–370.
- Fischer, W., Schneider, M., & Gaillard, J. (1978). "Gasteropodes." In *Fiches FAO d'identification des espèces pour les besoins de la pêche. Méditerranée et mer Noire*. FAO, CEE.
- Fleisch, H. (1970). Les habitats du Paléolithique à Naamé. *Bulletin Du Musée de Beyrouth*, 23, 25–37.
- Fuller, B. T., Van Neer, W., Linseele, V., De Cupere, B., Chahoud, J., & Richards, M. P. (2020). Fish $\delta^{13}\text{C}$ and $\delta^{15}\text{N}$ results from two Bronze/Iron Age sites (Tell Tweini & Sidon) along the Levantine coast. *Journal of Archaeological Science: Reports*, 29.
- Garrard, A. (1983). The Palaeolithic faunal remains from Adlun and their ecological context. In D. Roe (Ed.), *Adlun in Stone Age: The Excavations of D.A.E. Garrod in the Lebanon, 1958-1963*. (pp. 397–409).
- Garrard, A. (1998). Food procurement by middle Palaeolithic hominids at Ras el-Kelb cave in Lebanon. In L. Copeland & N. Moloney (Eds.), *The Mousterian Site of Ras El-Kelb*. (pp. 45–65). British Archaeological Reports International Series.
- Garrard, A., Edwards, Y., Stock, J., & Yazbeck, C. (2018). Epipalaeolithic and Pre-Pottery Neolithic burials from the north Lebanese highlands in their regional context. *Levant*, 50 (1), 1–13. <https://doi.org/10.1080/00758914.2018.1491686>
- Gautier, A. (1970). The fauna of Masloukh. *Bulletin Du Musée de Beyrouth*, 23, 135.
- Gifford-Gonzalez, D. (2018). *An Introduction to Zooarchaeology*. Springer International Publishing. <https://doi.org/10.1007/978-3-319-65682-3>
- Gillis, R., Arbogast, R.-M., Piningre, J.-F., Debye, K., & Vigne, J.-D. (2015). Prediction Models for Age-at-Death Estimates for Calves, Using Unfused Epiphyses and Diaphyses: Prediction Models for Age-at-Death Estimates for Calves. *International Journal of Osteoarchaeology*, 25 (6), 912–922. <https://doi.org/10.1002/oa.2377>
- Giovas, C. M., & LeFebvre, M. J. (2018). Methods, Methodology, and Zooarchaeology in Practice. In C. M. Giovas & M. J. LeFebvre (Eds.), *Zooarchaeology in Practice: Case Studies in Methodology and Interpretation in Archaeofaunal Analysis* (pp. 1–9). Springer International Publishing. https://doi.org/10.1007/978-3-319-64763-0_1
- Harris, M., Weisler, M., & Faulkner, P. (2015). A refined protocol for calculating MNI in archaeological molluscan shell assemblages: A Marshall Islands case study. *Journal of Archaeological Science*, 57, 168–179. <https://doi.org/10.1016/j.jas.2015.01.017>

Helmer, D. (1979). *Recherches sur l'économie alimentaire et l'origine des animaux domestiques d'après l'étude de mammifères post-paléolithiques (du mésolithique à l'âge du bronze) en Provence*. Université des Sciences et techniques du Languedoc Montpellier 2.

Helmer, D. (2000). Discrimination des genres Ovis et Capra à l'aide des prémolaires inférieures 3 et 4 et interprétation des âges d'abattage : L'exemple de Dikili Tash (Grèce). *Anthropozoologica*, 31, 29–38.

Helmer, D., Gourichon, L., & Vila, E. (2007). *The development of the exploitation of products from Capra and Ovis (meat, milk and fleece) from the PPNB to the Early Bronze in the northern Near East (8700 to 2000 BC cal.)*. 30.

Helmer, D., & Rocheteau, M. (1994). *Atlas du squelette appendiculaire des principaux genres holocènes de petits ruminants du Nord de la Méditerranée et du Proche-Orient—1ère partie : La scapula et l'humérus*. (Vol. 4). APDCA.

Hooijer, D. A. (1961). The fossil vertebrates of Ksar Akil. A Palaeolithic rock shelter in the Lebanon. *Zoologische Verhandelingen*, 49, 4–70.

Hourani, Y. (2017). Une accumulation d'équidés à Berytus : Approche taxinomique et taphonomique. In M. Mashkour & M. Beech (Eds.), *Archaeozoology of the Near East 9. Proceedings of the 9th conference of the ASWA (AA) Working Group. Archaeozoology of SouthWest Asia and Adjacent Areas* (pp. 411–430). Oxbow Books.

Hourani, Y. (2018a). Congenital anomalies and traumatic injuries in dogs from Laodicea in Canaan (Hellenistic Beirut, Lebanon). In L. Bartosiewicz & E. Gal (Eds.), *Care or Neglect? : Evidence of animal Disease in Archaeology. Proceedings of the 6th meeting of the Animal Palaeopathology Working Group of the International Council for Archaeozoology (ICAZ)* (pp. 79–96). Oxbow Books.

Hourani, Y. (2018b). Persian Period Dog Burials of Beirut: Morphology, Health, Mortality and Mortuary Practices. In c Çakirlar, J. Chahoud, R. Berthon, & S. Pilaar birch (Eds.), *Archaeozoology of the Near East XII. Proceedings of the 12th International Symposium of the ICAZ Archaeozoology of Southwest Asia and Adjacent Areas Working Group* (pp. 153–184). Groningen University.

International Council for Archaeozoology, & Ruscillo, D. (Eds.). (2006). *Recent advances in ageing and sexing animal bones: Proceedings of the 9th Conference of the International Council of Archaeology, Durham, August 2002*. Oxbow.

Kersten, A. M. P. (1989). The Epipaleolithic ungulate remains from Ksar 'Akil: Some preliminary results. In I. Herskovitz (Ed.), *People and Culture in Change, Proceedings of the Second Symposium on Upper Palaeolithic, Mesolithic and Neolithic Populations of Europe and the Mediterranean Basin*. (pp. 183–198). British Archaeological Reports International Series.

Kersten, A. M. P. (1991). Birds from the Palaeolithic Rock Shelter of Ksar' Akil, Lebanon. *Paléorient*, 17(2), 99–116. <https://doi.org/10.3406/paleo.1991.4554>

Kersten, A. M. P. (1992). Rodents and Insectivores from the Palaeolithic Rock Shelter of Ksar 'Akil (Lebanon) and their palaeoecological Implications. *Paléorient*, 18(1), 27–45.

López-Martín, J. M., Ruiz-Olmo, J., & Padró, I. (2006). Comparison of skull measurements and sexual dimorphism between the Minorcan pine marten (*Martes martes minoricensis*) and the Iberian pine marten (*M. m. martes*): A case of insularity. *Mammalian Biology*, 71 (1), 13–24. <https://doi.org/10.1016/j.mambio.2005.08.006>

Lyman, R. L. (2005). Analyzing cut marks: Lessons from artiodactyl remains in the northwestern United States. *Journal of Archaeological Science*, 32 (12), 1722–1732.

Lyman, R. L. (2008). *Quantitative Paleozoology*. Cambridge University Press.

- Mayer, J. J., & Brisbin, I. L. (1988). Sex Identification of *Sus scrofa* Based on Canine Morphology. *Journal of Mammalogy*, 69 (2), 408–412. <https://doi.org/10.2307/1381402>
- Meadow, R. H. (1999). The use of size index scaling techniques for research on archaeozoological collections from the Middle East. In C. Becker, H. Manhart, J. Peters, & J. Schibler (Eds.), *Historia animalium ex ossibus. Festschrift für Angela von den Driesch* (pp. 285–300). Verlag Marie Leidorf.
- Meltzer, D. J., Leonard, R. D., & Stratton, S. K. (1992). The relationship between sample size and diversity in archaeological assemblages. *Journal of Archaeological Science*, 19 (4), 375–387. [https://doi.org/10.1016/0305-4403\(92\)90056-9](https://doi.org/10.1016/0305-4403(92)90056-9)
- Noddle, B. (1974). Ages of epiphyseal closure in feral and domestic goats and ages of dental eruption. *Journal of Archaeological Science*, 1 (2), 195–204.
- Olsen, S. J. (1971). *Zooarchaeology: Animal bones in archaeology and their interpretation* (Vol. 2). Addison-Wesley Modular Publications.
- Pales, L., & Lambert, C. (1971). *Atlas ostéologique des mammifères, I. Membres, Herbivores* (CNRS, Vol. 1). Éditions du C.N.R.S.
- Payne, S. (1973). *Kill-off Patterns in Sheep and Goats: The Mandibles from Aşvan Kale*.
- Payne, S. (1985). Morphological distinctions between the mandibular teeth of young sheep, *Ovis*, and goats, *Capra*. *Journal of Archaeological Science*, 12 (2), 139–147.
- Payne, S. (1987). Reference codes for wear states in the mandibular cheek teeth of sheep and goats. *Journal of Archaeological Science*, 14 (6), 609–614.
- Popkin, P. R. W., Baker, P., Worley, F., Payne, S., & Hammon, A. (2012). The Sheep Project (1): Determining skeletal growth, timing of epiphyseal fusion and morphometric variation in unimproved Shetland sheep of known age, sex, castration status and nutrition. *Journal of Archaeological Science*, 39 (6), 1775–1792.
- Poplin, F. (1976). À propos du nombre de restes et du nombre d'individus dans les échantillons d'ossements. *Cahier Du Centre de Recherche Préhistorique*, 5, 61–74.
- Poplin, F. (1983). L'animal et l'os devant l'archéologie. *Nouvelles de l'Archéologie*, 11, 7–11.
- Pourlis, A., Chatzis, T., & Katsoulos, P. (2014). Comparison of Two Methods for the Measurement of Medial and Lateral Metapodial Bones in Karagouniko Sheep (*Ovis aries*, L. 1758) and Hellenic Goat (*Capra hircus*, L. 1758). *Anatomy Research International*, 2014, 1–5. <https://doi.org/10.1155/2014/529686>
- Prummel, W., & Frisch, H.-J. (1986). A guide for the distinction of species, sex and body side in bones of sheep and goat. *Journal of Archaeological Science*, 13 (6), 567–577.
- Radu, V. (2005). *Atlas for the identification of bony fish bones from archaeological sites*. Contrast.
- Rhodes, S., Banning, E. B., & Chazan, M. (2020). Mugharat an-Nachcharini: A specialized sheep-hunting camp reveals high-altitude habitats in the earliest Neolithic of the Central Levant. *PLOS ONE*, 15 (1), e0227276. <https://doi.org/10.1371/journal.pone.0227276>
- Rooney, J. R. (1997). Equid paleopathology. *Journal of Equine Veterinary Science*, 17 (8), 430–446. [https://doi.org/10.1016/S0737-0806\(97\)80160-8](https://doi.org/10.1016/S0737-0806(97)80160-8)
- Ruscillo, D. (Ed.). (2015). *Recent Advances in Ageing and Sexing Animal Bones*. Oxbow Books. <https://doi.org/10.2307/j.ctvh1ds02>
- Rütimeyer, L. (1862). *Die Fauna Der Pfahlbauten Der Schweiz* (2010th ed.). Kessinger Publishing.

- Schmid, E. (1972). *Atlas of animal bones for prehistorians, archaeologists and quaternary zoologists / Knochenatlas für Prähistoriker, Archäologen und Quatârgeologen*. Elsevier.
- Sykes, N., & Symmons, R. (2007). Sexing cattle horn-cores: Problems and progress. *International Journal of Osteoarchaeology*, 17 (5), 514–523.
- Szabó, K., Dupont, C., Dimitrijević, V. M., Gómez Gastélum, L., & Serrand, N. (Eds.). (2014). *Archaeomalacology: Shells in the archaeological record*. Archaeopress.
- Thomas, R., & Grimm, J. M. (2011). The role of age, sex and body weight in the formation of 'buttresses' on sheep metatarsals. *International Journal of Paleopathology*, 1 (2), 121–125. <https://doi.org/10.1016/j.ijpp.2011.02.006>
- Vigne, J.-D. (2004). *Les débuts de l'élevage*. Le Pommier, Cité des Sciences.
- Vigne, J.-D., & Helmer, D. (2007). Was milk a "secondary product" in the Old World Neolithisation process? Its role in the domestication of cattle, sheep and goats. *Anthropozoologica*, 42 (2), 9–40.
- Vila, E. (2006). Etude de la faune du Bronze Ancien à Sidon. In C. Doumet-Serhal (Ed.), *The Early Bronze Age in Sidon. College Site Excavations (1998-2000-2001)* (pp. 301-338.). IFPO.
- Vila, E., Abrahamsi, P., Albesso, M., Amane, A., Bader, C., Berthon, R., Bouzid, S., Bradley, D., Breniquet, C., Chahoud, J., Cucchi, T., Davoudi, H., Cupere, B. de, Escarguel, G., Estrada, O., Gourichon, L., Helmer, D., Huangfu, W., Lesur, J., Vuillien, M. (2021). EVOSHEEP: The makeup of sheep breeds in the ancient Near East. *Antiquity*, 95 (379).
- Vila, E., & Chahoud, J. (2019). Sheep husbandry from the sixth to the third millennia BC in the Near East: A launching pad for the Mesopotamian urban revolution? In L. Gourichon, C. Daujeard, & J.-P. Brugal (Eds.), *Hommes et Caprinés, de la montagne à la steppe, de la chasse à l'élevage. Humans and Caprines, from mountain to steppe, from hunting to husbandry* (pp. 137–157). Éditions APDCA.
- Watanabe, H. (1971). The excavation at Keoue cave, Lebanon: Interim report, June 1971. *Bulletin Du Musée de Beyrouth*, 23, 205–214.
- Willis, L. M., Eren, M. I., & Rick, T. C. (2008). Does butchering fish leave cut marks? *Journal of Archaeological Science*, 35 (5), 1438–1444.
- Wilson, B., Grigson, C., & Payne, S. (Eds.). (1982). *Ageing and sexing animal bones from archaeological sites*. B.A.R.
- Wolverton, S. (2002). Nisp: Mne and %Whole in Analysis of Prehistoric Carcass Exploitation. *North American Archaeologist*, 23 (2), 85–100.
- Yazbeck, C., Beaino, F., Chahoud, J., El-Richani, F., Azzam, K., Beydoun, R., Tengberg, M., Semaan, L., James, M., & Ronn, P. (2022). Tabarja Wata Slam 100 (TWS 100): A multi-period Pre-Pottery and Pottery Neolithic site on the Lebanese coast. *Bulletin d'Archéologie et d'Architecture Libanaises*, 20, 178–218.
- Zohar, I., & Belmaker, M. (2005). Size does matter: Methodological comments on sieve size and species richness in fishbone assemblages. *Journal of Archaeological Science*, 32 (4), 635–641.

أركيولوجيا النبات

د. ندى الياس

المقدمة

تُجمع الأركيولوجيا البيئية (Archéologie environnementale) بين العديد من المذاهب العلمية التي تهدف إلى دراسة التفاعلات بين المجتمعات البشرية السالفة من ناحية، وإلى إعادة بناء البيئة الطبيعية من ناحية أخرى. وتشمل هذه المذاهب العلوم الطبيعية من جهة والعلوم الإنسانية من جهة أخرى. وتندرج اختصاصات الأركيولوجيا البيئية في ثلاثة مجالات رئيسية بحسب طبيعة البقايا المدروسة: أركيولوجيا البقايا النباتية (Archéobotanique) وأركيولوجيا البقايا الحيوانية أو أركيوزولوجيا (Archéozoologie) والجيو-أركيولوجيا (Géoarchéologie). وتتكون مواد هذه الدراسات من مواد بيئية (Écofacts) مثل: الخشب، حبوب اللقاح، العظام، الرواسب، الأصداف، أو غيرها. كما يمكن أيضاً أن تتكون من مصنوعات يدوية (Artefacts) معدة من مواد ذات أصل معدني (Minéral)، نباتي أو حيواني. ومن خلال هذه البقايا يتم استكشاف علم البيئة القديمة وعلم الاقتصاد القديم، بهدف إعادة تكوين بيئات الماضي وتطورها بمرور الوقت وتفاعلها مع المجتمعات البشرية ودراسة الأنظمة التقنية للإنسان السالف.

سنركز في هذا الفصل على أركيولوجيا النبات أو علم النبات القديم الذي يسمح لنا بإعادة بناء الغطاء النباتي في مكان وزمان معينين. فعند التنقيب، يجب أخذ عينات وفحصها لتبيان ما إذا كانت تحتوي على آثار نباتية. فجمع بقايا النباتات يمكن أن يحتوي على العديد من الأشياء بما في ذلك حبوب اللقاح والتربة والخشب، إلخ...، ويعطي معلومات لعلماء الآثار عن البيئة خلال فترة زمنية معينة.

هدفنا الأساسي من هذا الفصل هو تمكين الطلاب والباحثين من إعادة بناء البيئة الطبيعية القديمة من خلال أركيولوجيا النبات. سنتناول أولاً؛ نشوء وتطور أركيولوجيا النبات، وسنعرض بعد ذلك التخصصات المكرسة لدراسة التفاعلات بين المجتمعات البشرية وعالم النبات (الكاربولوجيا، علم الخشب أو الكزيلولوجيا، الأنثروكولوجيا، علم الشجر أو الداندرولوجيا، علم الطلع، علم الفيتوليث). وأخيراً، سنعرض بإختصار تقنيات جمع عينات النباتات.

I. نشوء أركيولوجيا النبات

بدأت دراسة بقايا النباتات القديمة في القرن التاسع عشر نتيجة لاكتشاف مواد جافة أو مشبعة بالمياه في المواقع الأثرية. ففي أوروبا مثلاً، أجرى عالم النبات الألماني كارل سيغيسموند كونث (Carl Sigismund Kunth : 1788-1850) عام 1826 التحليلات الأولى لبقايا النبات المكتشفة في مدافن مصرية (Kunth, 1986). وأجرى بعده عالم النبات والجيولوجي وعالم الحشرات السويسري أوزوالد فون هير (Oswald von Heer: 1809-1883) عام 1866 تحليلات على عينات مشبعة بالمياه من قرى على ضفاف البحيرات في سويسرا (Heer, 1966). وبعد ذلك تَمَّت الإضاءة على بقايا نباتات أثرية واستمرت دراستها بشكل دوري في دول أوروبية مختلفة حتى منتصف القرن العشرين. وفي أمريكا الشمالية، تم إجراء التحليل الأول لبقايا النباتات في وقت لاحق، ولكن لم يَتَمَّ الاهتمام بهذا النوع من الأدلة الأثرية حتى ثلاثينيات القرن الماضي.

في النصف الثاني من القرن العشرين توسعت الأبحاث والدراسات الأركيولوجية متخطيةً التفسير التقليدي للمواد الأثرية، الذي كان يعتمد على دراسة المخلفات المادية من أدوات حجرية، خزفيات وزجاجيات ومبانٍ وغيرها. فازداد الاهتمام بالدراسات البيئية من أجل إعادة بناء البيئة الطبيعية وتأثيرها على الإنسان السالف اقتصادياً واجتماعياً، ومن أجل فهم شامل للتسلسل الزمني للمواد الثقافية المكتشفة. فكان هناك إجماع من قبل علماء الآثار على أنه ينبغي إيلاء مزيد من الاهتمام للبقايا البيولوجية في الأبحاث الأثرية. وبعبارة أخرى فإنَّ البقايا الحيوية كالعظام (البشرية والحيوانية) والبقايا النباتية التي يتم العثور عليها ضمن المكتشفات الأثرية أثناء التنقيب، لابد من اعتبارها جزءاً أساسياً

في تفسير الموقع الأثري؛ لأنّ حبوب اللقاح والبذور وغيرها من أنواع الفحم النباتي توفر قدراً كبيراً من المعلومات عن البيئة الطبيعية التي تطوّر وتدخل فيها الإنسان في الماضي.

إنّ أركيولوجيا النبات اليوم هي نتيجة تاريخ طويل من تطور جميع مذاهب هذا المجال بما في ذلك المنهجية والتحليل والأبحاث. ويمتد هذا التاريخ لأكثر من مائتي عام، ولكن لا تمتلك كل التخصصات النباتية ضمن أركيولوجيا النبات نفس التاريخ تماماً (Leroy et al., 2018). فعلم الطلع مثلاً قد استفاد من تطور ملحوظ من ستينيات إلى سبعينيات القرن المنصرم من خلال زيادة عدد التحليلات في الكهوف والملاجئ الصخرية. أمّا الأنثراكولوجيا فبدأت بالظهور في نهاية السبعينيات، وكان التطور الكامل للكاربولوجيا في التسعينيات. ولمدة أربعين عاماً، اكتسبت هذه الاختصاصات وضوحاً وتنوعاً في موادها الدراسية. و أدت التطورات التكنولوجية خلال الأربعين عاماً الماضية إلى ظهور مناهج وموضوعات جديدة تسمح بتجاوز بعض العقبات المنهجية، ولكنها تتطلب استخدام منصات تقنية متخصصة: قياس الطيف الكتلي (spectrométrie de masse)، والفحص المجهرى بالميكروسكوب الإلكتروني الماسح (microscopie à balayage)، واستخراج الحمض النووي، أو غيرها والتي تتطلب تمويلاً كافياً لاستعمالها.

II. اختصاصات أركيولوجيا النبات

إنّ أركيولوجيا النبات تُعنى بدراسة البيئة الطبيعية خلال فترة زمنية معينة وبدراسة التفاعلات بين المجتمعات البشرية وبيئتها في العصور السالفة. إنّ أركيولوجيا النبات مذهب عام يضمّ العديد من الاختصاصات الفرعية وهناك ستة اختصاصات سوف نعرضها في هذا الفصل:

أ- الكاربولوجيا (Carpologie)، تُعنى بدراسة البذور والفواكه المحفوظة في المواقع الأثرية.

ب- علم الخشب أو الكزيلولوجيا (Xylologie)، تُعنى بدراسة عناصر الخشب في سياق أثري.

- ج- الأنثروكولوجيا (Anthroecologie)، تُعنى بدراسة الخشب المتفحم (المحروق عرضاً أو عمداً) في الموقع الأثري.
- د- علم الشجر أو الداندروولوجيا (Dendrologie)، يهتم بمعدل نمو الأشجار من خلال مراقبة حلقاتها.
- هـ- علم الطلع (Palynologie)، يُعنى بدراسة حبوب اللقاح (Pollens) والبويغات¹⁴⁷ (Spores)، التي تمّ جمعها في السياقات الأثرية أو الطبيعية.
- و- علم الفيتوليث (Phytolithes)؛ يُعنى بدراسة جزيئات السيليكا¹⁴⁸ المجهرية التي تبقى في التربة حتى بعد التحلل الكامل للنبات لمعرفة لأي مجموعة نباتية تعود هذه البقايا.

1. الكاربولوجيا

تعود كلمة "كاربولوجيا" (Καρπολογία) إلى اللغة اليونانية وتتألف من كلمتين؛ الأولى (Καρπος¹⁴⁹: Karpos) وتعني "فاكهة" والثانية (Λογία: logia) وهي مشتقة من كلمة (Λόγος¹⁵⁰: logos) وتعني الكلمة أو الخطاب أو الحديث خصوصاً والعلم عموماً.

تدرس الكاربولوجيا (carpologie) البذور ونواة الفواكه المحفوظة في المواقع الأثرية سواء كانت منقوعة، أو مجففة، أو متفحمة، أو متحجرة، أو مجمدة (Marinval 1999, Jacomet & Kreuz 1999). وتسهّل دراسة هذه البقايا إعادة بناء جوانب مختلفة من اقتصاديات النباتات في الماضي المتعلقة بكل من الاستخدام (الأغذية النباتية، تحضيرات الطهي لشاغلي الموقع، الممارسات الزراعية، التبادلات بين المناطق، الأعشاب الطبية، الحرف، البيئة القديمة، إلخ) وطرق الحصول على النباتات (الجمع، الزراعة). ويعتبر التدجين الأول للنباتات ونشرها الموضوع الأبرز للكاربولوجيا، وكذلك تجارة المنتجات النباتية (Wiethold 2020:144).

¹⁴⁷ البويغات أو البويغيات هي شعبة من الفطريات الفطريات التي مجموعة من الطفيليات وحيدة الخلية التي تنتج الأبواغ.

¹⁴⁸ يُسمّى أيضاً أوكسيد السيليكون وبحمض السيليك ويتميّز بقساوته، وهو موجود في الطبيعة (في الرمل والكوارتز) وهو مكوّن أساسي في معظم أنواع الزجاج.

¹⁴⁹ Bailly, 2000: 1022.

¹⁵⁰ Bailly, 2000: 1200.

ويتمّ استخراج بقايا الكاربولوجيا من الطبقات الأثرية يدوياً (صورة رقم 1) أو عن طريق الغربلة (Tamisage) أو التعويم (Flottation) ثم يتمّ التعرف عليها (صورة رقم 2) من خلال استخدام مجهر تشريحي. ومن ثم تتمّ عملية مقارنة مورفولوجيا البقايا الأثرية النباتية مع عينات حديثة تمّ جمعها بالإضافة إلى مقارنة البقايا الأثرية أيضاً مع الأوصاف الموجودة في الكتب المرجعية (صورة رقم 3).



الصورة رقم 1: تمّ اكتشاف أكثر من 160 كيلوغرام من البذور المتفحمة في أحد الصوامع (storerooms 4) في صيدا تعود إلى أوائل العصر البرونزي. بعضها شعير (*hordeum sativum*) وبعضها قمح (*triticum dicoccum*)، وهو أحد أقدم أنواع القمح المدجن الذي تمّ العثور عليه لأول مرة في سوريا في وقت مبكر من العصر الحجري الحديث (تصوير: كلود ضومط سرحال ©)، (De Moulins, 2013- Doumet-Serhal, 2019).



الصورة رقم 2: استخراج 160 كيلوغرام من البذور المتفحمة من الصومعة 4 (storeroom 4) في صيدا تعود إلى أوائل العصر البرونزي. بعضها شعير (*hordeum sativum*) وبعضها قمح (*triticum dicoccum*). (تصوير: كلود ضومط سرحال ©)، (De Moulins, 2019- Doumet-Serhal, 2013).

أمّا الخشب فيشكل مادة دراسة لثلاثة تخصصات ذات صلة: علم الخشب أو الكزيلولوجيا (Xylologie)، والأنثروكولوجيا (Anthroecologie)، علم الشجر أو الداندروولوجيا (Dendrologie).



الصورة رقم 3: رسم نباتي مائي لأقدم أنواع القمح المدجن (*triticum dicoccum*).
(Susan L. Mintun, 2020 ©)

2. علم الخشب

علم الخشب، الذي يُطلق عليه أيضًا اسم الكزيلولوجيا (Xylologie) هو علم يُعنى بدراسة عناصر الخشب الموجودة في المواقع الأثرية (صورة رقم 4) سواء كانت منقوعة أو مجففة أو متحجرة أو متجمدة. إذ أن الخشب هو مادة خام مهمة للمجتمعات السابقة، وكانت تستخدم في الإنشاءات والعديد من الصناعات (الأثاث، والأدوات، والأواني، والألعاب، والأعمال الفنية، السفن، الحاويات المدفنية، إلخ...)، وتهتم الكزيلولوجيا بجميع جوانب استخدام الخشب، من الحصول عليه في مناطق الغابات، إلى استخدامه النهائي.

إن معرفة نوع البقايا تجعل من الممكن فهم سبب اختيارها، المرتبط بشكل طبيعي بالخصائص الميكانيكية للخشب بحسب استعماله. كما نخبرنا عن طبيعة التكوينات النباتية التي تمّ فيها الحصول على الأخشاب (غابات سديان، وأرز، وصنوبر وما إلى ذلك)، وإذا لم يكن من أصل محلي، فإنه يخبرنا عن التجارة الممكنة. يتم أيضًا دراسة التقنيات المختلفة لأعمال النجارة، لا سيما من آثار الأدوات الظاهرة على أجزاء القطع المكتشفة. إذًا يهتم علم الخشب بالخصائص الفيزيائية والكيميائية للخشب ويحدد الأنواع المستخدمة لكل أثر كما يدرس تقنيات صنع الأشياء والإنشاءات الخشبية.



الصورة رقم 4: بقايا خشب من تابوت وجدت في مدفن البطارقة في كنيسة مارينا (قنوبين)، عام 2018. (تصوير: ندى الياس، Douaihy Forensic Research Project ©).

3. الأنثروكولوجيا

تعود كلمة "الأنثروكولوجيا" (Ἀνθρωξολογία) إلى اللغة اليونانية وتتألف من كلمتين؛ الأولى (Ἀνθραξ¹⁵¹: anthrax) وتعني "فحم" والثانية (Λογία: logia) وهي مشتقة من كلمة (Λόγος: logos) وتعني الكلمة أو الخطاب أو الحديث خصوصاً والعلم عموماً. إذًا الأنثروكولوجيا (Anthroecologie) هو العلم الذي يعنى بدراسة الخشب المتفحم في موقع أثري (الخشب المحروق عرضاً، على سبيل المثال أثناء الحريق، أو حطب الوقود الذي تم إشعاله عمدًا).

الأنثراكولوجيا، مثل الكزيلولوجيا، هو علم يهتم بجوانب مختلفة للفحم الموجود في الموقع ويحدد أنواع الأشجار التي أتت منها، ويوفر معلومات عن الغابات وإدارتها من قبل المجتمعات السابقة، وعن مكان الخشب في الاقتصاد وفي الحياة اليومية (الحصول عليه واستعماله من قبل الإنسان). وتوفر دراسة الأخشاب أو أنواع الوقود المتخصصة (على سبيل المثال تلك المستخدمة في أفران صهر المعادن أو شيّ الفخار) معلومات عن اختيار أنواع الأخشاب واستخدامها وكذلك عن إدارة هذه الموارد الخشبية. نجد في المواقع الأثرية بشكل متكرر الفحم المنزلي الذي يحرق يومياً لأغراض الطهي والتدفئة والإضاءة وما إلى ذلك. وإنّ هذا النوع من الخشب عادة ما يكون نتيجة التجميع الانتقائي بالقرب من المسكن، ولذلك فإنّ دراسته تقدم بشكل غير مباشر صورة للبيئة الطبيعية القريبة من الموقع الأثري.

4. علم الشجر

يهتم علم الشجر أو الداندرولوجيا (Dendrologie)، بشكل خاص بمعدل نمو الأشجار. إذ تنمو الأشجار بشكل دوري في المناطق التي يوجد فيها اختلاف ملحوظ بين الفصول، على سبيل المثال في المناطق المعتدلة. وخلال الفترة المؤتاتية (في الربيع في نصف الكرة الشمالي) يعتبر نمو الأشجار مهماً؛ أما في ظل ظروف أقل ملاءمة (خلال فترة الشتاء) يتباطأ هذا النمو أو يتوقف. يظهر هذا التناوب في فترات النمو وفترات الراحة في حلقات النمو السنوية للخشب. ويتأثر نمو النباتات الخشبية أيضاً بالظروف البيئية للمكان، ولا سيما

¹⁵¹ Bailly, 2000: 163.

درجة الحرارة وهطول الأمطار وطبيعة التربة والضوء. وهكذا تكون هذه الحلقات بمثابة ترجمة لهذه العوامل البيئية في الخشب ويمكن لبعض الأنشطة البشرية أن تترك أيضاً آثاراً في هيكلها، على سبيل المثال ممارسات إزالة الغابات أو التقليم. وتُسمى دراسة كل هذه العوامل، الطبيعية أو البشرية من خلال الحلقات بعلم البيئة الشجرية (Dendro-écologie). وتوفر معلومات قيمة عن كل من البيئات والمجتمعات السالفة، وتُعتبر المراقبة والتقدير الكمي للتغيرات في عرض الحلقة أيضاً كأساس لأحد طرق التأريخ: علم التأريخ الشجري (Dendrochronologie).

وتتم عملية جمع بقايا الشجر من المواقع الأثرية يدوياً أو من خلال عملية الغربلة. ويتم تحليلها في المختبر باستخدام المجهر النافذ (Microscope de transmission) للشرائح الخشبية أو المجهر الضوئي (Microscope de réflexion) للفحم، مما يسمح بتكبير صورتها من 50 إلى 1000 مرة. ثم تتم دراسة التركيب الخلوي الذي يميز كل نوع ومقارنته بعينات الخشب الحالية التي تم جمعها في مجموعة مرجعية أو بالأوصاف في الأطالس النباتية.

5. علم الطلع

تعود كلمة "بالينولوجيا" (Παλινολογία) إلى اللغة اليونانية وتتألف من كلمتين؛ الأولى (Πάλη¹⁵²: palê) وتعني "غبار ناعم" ومنهم من يترجمها بكلمة (Παλύνω: palunein) وتعني "نثر الطحين" والثانية (Λογία: logia) وهي مستمدة من كلمة (Λόγος: logos) وتعني الكلمة أو الخطاب أو الحديث خصوصاً والعلم عموماً. إنّ النباتات تتكاثر عن طريق نشر حبوب اللقاح (في حالة النباتات المزهرة) أو البويضات (في حالة الفطريات والطحالب وما إلى ذلك). ويمكن تخزينها لمئات الآلاف من السنين إذا كانت هذه الحبوب والبويضات محمية من الهواء في بيئة حمضية ورطبة. وبذلك يعنى علم الطلع (Palynologie)، بدراسة حبوب اللقاح (Pollens) والبويضات (Spores)، التي تم جمعها في السياقات الأثرية أو الطبيعية. تتمتع هذه العناصر المجهرية بجدار خارجي (Exine) مقاوم للتآكل ويحمل فتحات وزخرفة ويشكل مع حجم وشكل البوغ أو حب اللقاح، سمة لكل نوع وتسمح بالتعرف عليه.

¹⁵² Bailly, 2000: 1443.

و بمساعدة علم الطلع أصبح من الممكن إعادة تشكيل التكوينات النباتية في الماضي، والمراحل المناخية التي حددت نشأتها. وهكذا، ساعد علم الطلع في تسليط الضوء على التغيرات المناخية المهمة للعصر الرباعي (العصر الجليدي وما بين الجليديين). وتشهد نتائج تحليلات حبوب اللقاح التي جرت حديثاً في المواقع القَبَتاريخية أيضاً على تأثير المجتمعات البشرية على البيئة، لا سيما من خلال إدخال أنواع جديدة (مزروعة أو برية) وقطع الشجر.

وغالباً ما يتم أخذ عينات حبوب اللقاح في سياقات غير بشرية المنشأ (خارج الموقع الأثري) لأنه في الترسبات الطبيعية يجري الحصول على الصورة الأكثر موثوقية للغطاء النباتي المحيط (الغطاء النباتي القديم). وبالفعل، تتعرض الطبقات الأثرية للاضطراب ولـ "تلوث" حبوب اللقاح التي ينقلها الإنسان عن غير قصد، على سبيل المثال بمواد البناء والأعلاف والنباتات الغذائية. ومع ذلك، فإن دراسات حبوب اللقاح في سياقات أثرية محددة (مدافن، كوبروليت، مراحيض قديمة¹⁵³، صوامع وأواني تخزين، إلخ...) يمكن أن توفر معلومات عن طبيعة النباتات القديمة، عن الطقوس المدفنية، أنواع الطعام، معالجة النباتات، إلخ.

تؤخذ حبوب اللقاح والبويغات، غير المرئية بالعين المجردة، من عينات الرواسب الترابية التي يتم الحصول عليها من خلال مقطع (Coupe) أو باستخدام ملباب مكعب (Carottage). تخضع العينات بعد ذلك لسلسلة من الإجراءات الفيزيائية والكيميائية في المختبر من أجل إزالة الرواسب والحفاظ على بقايا حبوب اللقاح فقط. ويتم تثبيتها على شريحة ومشاهدتها تحت المجهر النافذ، وأخيراً يتم عرض نتائج التعريفات والتعداد في الرسوم البيانية لحبوب اللقاح. لا يوجد إجازة محددة للبالينولوجيا، إنما يتم تدريسها في اختصاصات مختلفة مثل بيولوجيا النبات والجيولوجيا والجغرافيا والأركيولوجيا (Leroy et al., 2018).

¹⁵³ Deforce, 2010: 337.

6. علم الفيتوليث

تعود كلمة "الفيتوليث" (Φυτόλιθος) إلى اللغة اليونانية وتتألف من كلمتين: الأولى (Φυτόν¹⁵⁴: phuton) وتعني "نبته أو شجرة" والثانية (Λίθος¹⁵⁵: lithos) وتعني "حجر". وبذلك فإن الفيتوليث (Phytolithes)، هي جزيئات السيليكا (Silice¹⁵⁶) المجهرية التي تتكون في أنسجة بعض النباتات. ولأنها تتكون من معدن (Minéral) فهي تُحفظ جيداً في التربة حتى بعد التحلل الكامل للنبات. مع العلم أنه من النادر ربط الفيتوليث بنوع نباتي معين ولكن شكله يدل على سمة من سمات مجموعات النباتات الكبيرة (الأعشاب، والنخيل، والصنوبريات، وما إلى ذلك).

ترتبط أهمية إنتاج أنواع معينة من الفيتوليث أيضاً بظروف المياه. وبالتالي يمكن أن يوفر تحليلها مؤشرات على طبيعة التكوينات النباتية (البراري أو الغابات المعتدلة أو الاستوائية)، فضلاً عن الظروف المناخية الماضية. بالإضافة إلى ذلك، تختلف طبيعة الفيتوليث وفقاً لموقعها في النبات (الأوراق، والساق، وما إلى ذلك). هذه الخاصية الأخيرة مثيرة للاهتمام بشكل خاص في موقع أثري حيث يمكن أن تشهد الوفرة في جزء محدد، من النبات (القش، الحبوب، إلخ...) على أنشطة معينة مثل تربية الحيوانات، أو درس المحاصيل أو التخزين.

ويتمّ جمع الفيتوليث في سياقات طبيعية أو أثرية. وفي المختبر، يتمّ استخلاصها من الرواسب عن طريق سلسلة من المعالجات الفيزيائية والكيميائية. ويتم التعرف على نوع النبتة من خلال مراقبة شريحة رقيقة (lame mince) للفيتوليث باستخدام المجهر البتروغرافي (Microscope pétrographique).

III. تقنيات جمع عينات النباتات القديمة

1. تقنية الغربلة الجافة

تتمّ تقنية الغربلة الجافة (Dry sieving method) عن طريق أخذ عينات من التربة من أماكن مختلفة داخل مربع التنقيب أو الطبقة الأثرية. إنّ هذه التقنية تعطي بقايا نباتية

¹⁵⁴ Bailly, 2000: 2109.

¹⁵⁵ Bailly, 2000: 1192.

¹⁵⁶ SiO₂.

متحجرة عند دراستها في المختبر تحت المجهر. ويمكن أخذ عينات من أماكن محددة مثل مواقع النار أو التربة المخلوطة بالرماد إن وجدت ومن المدافن أيضاً (صورة رقم 5).



الصورة رقم 5: الغربلة الجافة في شاتال هويوك عام 2006.

(تصوير: جايسون كوينلان، استخدمت بموافقة Çatalhöyük Research Project ©).

2. تقنية التعويم المائي

تقتضي تقنية التعويم المائي (Water flotation) أخذ عينات من التربة بكميات كبيرة ثم غربلتها بإضافة كميات كبيرة من المياه إليها بهدف الحصول على البقايا النباتية لا سيما قطع الفحم النباتي إن وجدت (صورة رقم 6).



الصورة رقم 6: تقنية التعويم المائي في شاتال هويوك (الصور من عام 2017). وضع العينات في خزان التعويم (A). تجمع النبات على السطح ثم حصره وجمعه في منخل من القماش (B). حزم القماش الذي يحتوي البقايا النباتية وتعليقه (D). وأخيراً تحليل هذه البقايا النباتية وتأسيس أرشيف النباتات الأثرية في الموقع للرجوع إليه عندما تدعو الحاجة. (تصوير: جايسون كوينلان، استخدمت بموافقة Çatalhöyük Research Project ©).

وبعد جفاف العينات التي تمّ العثور عليها تُنقل الى المختبر من أجل دراستها بطرق مختلفة وذلك من أجل إعادة تركيب البيئة القديمة ومعرفة الظروف المناخية التي كانت سائدة في المنطقة. كذلك يتم تعويم كل التربة التي يتم استخراجها من المدافن من أجل معرفة نوع التقديمات النباتية إذا كانت موجودة في المدفن ونوع الحاوية المدفنية، إلخ...

الخاتمة

تُساعد أركيولوجيا النبات على الإجابة عن العديد من الإشكاليات المجتمعية المتعلقة بالتفاعلات ما بين الإنسان والمجتمع بالبيئة الطبيعية من جهة وقضايا التنوع البيولوجي من جهة أخرى. غير أنّ هذه البيانات يصعب الوصول إليها في كثير من الأحيان ولا تحظى بدراسات كافية في لبنان. مع العلم أنّ التطورات الأخيرة في أركيولوجيا النبات تميزت بتجديد كبير، من حيث الأدوات والتقنيات والأساليب. وبالتالي، من الممكن تطوير العمل الاستقصائي. ومع ذلك، فإنّ الأركيولوجيا الوقائية (archéologie préventive)، التي تنتج اليوم أكبر مجموعة من البيانات الأثرية، تتطلب أساليب خاصة يجب أخذها في الاعتبار بهدف إجراء هذه الدراسات المتخصصة (الوقت والوسائل المحدودة في الميدان وبعد التنقيب، وقلة الدراسات في كثير من الأحيان، وعدم وجود خبراء محليين).

انطلاقاً من هذا الواقع تمّ إدخال هذه المادة في المناهج الجديدة في الجامعة اللبنانية (كلية الآداب والعلوم الإنسانية- قسم الفنون والآثار) بهدف إعداد جيل جديد من علماء الآثار اللبنانيين المهتمين بجمع بيانات عن الأركيولوجيا النباتية. وذلك من خلال جمع العينات أولاً في المواقع الأثرية أثناء التنقيبات الأثرية والمحافظة عليها ودراستها. والهدف الثاني هو اقتراح بروتوكول يراعي الحد الأدنى من المنهجية المشتركة في المواقع الأثرية لضمان الحد الأدنى من الجودة العلمية لهذه الدراسات. وبذلك يتم تطبيق هذا البروتوكول في جميع مراحل العمليات الأثرية، وبعدها: جمع البيانات، وأخذ العينات، ومعالجة البقايا وتحليلها، واستعادة نتائج الدراسة في شكل وثائق علمية قابلة لإعادة الاستخدام (التقارير العملية، النشر، وأخذ عينات لاحقة للتحليلات المتخصصة، وما إلى ذلك). مع العلم أنه يجب أنّ يرافق هذه التطورات إنشاء مستودعات، ومجموعات من المقارنات، وبروتوكولات وأدوات (تسجيل، وتحليل).

لائحة المصادر والمراجع

- Demoule, J.-P. (2002). *Guide des méthodes de l'archéologie*, La Découverte, Paris.
- De Moulins, D. (2009). Sidon Grain from the Storerooms. *Archaeology and History in the Lebanon*, 29, 11-15.
- Deforce, K., (2010). Pollen analysis of 15th century cesspits from the palace of the dukes of Burgundy in Bruges (Belgium): evidence for the use of honey from the western Mediterranean. *Journal of Archaeological Science*, 37, 2, 337-342.
- Derreumaux, M., et Lepetz, S. (2008). *Food supply at two successive military settlements in Arras (France): an archaeobotanical and archaeozoological approach*, in *Feeding the Roman army: the archaeology of supply chains and provisioning networks*, S. Stallibrass et R. Thomas éd, Oxbow Books, p. 52-68.
- Derreumaux, M., Pigièrre, F., Woueters, W., Van neer, W. (2011). Arlon : une sauce de poissons gauloise dans le vicus d'Arlon, approche archéozoologique et carpologique, in *Chronique de l'Archéologie Wallonne*, p. 18, 186-188.
- Djindjian, F. (1991). *Méthodes pour l'archéologie*, Armand Colin, Paris.
- Doumet-Serhal, C. (2013). *Sidon 15 Years of Excavations, On the Occasion of the Exhibition Sidon "The Best of 15 Years", 3 September-3 November 2013*, Sidon, Beirut.
- Heer, O. (1866). Treatise on the Plants of the Lake Dwellings. In F., Keller (ed.). *The Lake Dwellings of Switzerland and Other Parts of Europe*. Translated by J.E., Lee, London: Longman, Green & Co.
- Jacomet, S. and Kreuz, A. (1999). *Archäobotanik. Aufgaben, Methoden und Ergebnisse vegetations- und agrarchichtlicher Forschung*. Stuttgart: Ulmer Verlag.
- Jockey, Ph. (1999). *L'archéologie*, Belin, Paris, p. 297 et sqq. « Le paléo-environnement ».
- Kabucku, C., Asouti, E., Losh, J. (2021). Woodland vegetation, fuelwood and timber use at Çatalhöyük: the anthracological remains from the 1996 to 2017 excavations. In I. Hodder ed. *Peopling the landscape of Çatalhöyük: reports from the 2009–2017 seasons*. Edition: Çatalhöyük Research Project Series 13 Chapter: 4 Publisher: British Institute at Ankara.
- Koubouris, G.C., Avramidou, E.V., Metzidakis, I.T., Petrakis, P.V., Sergeantani, C.K. & Doulis, A.G. (2019). Phylogenetic and evolutionary applications of analyzing endocarp morphological characters by classification binary tree and leaves by SSR markers for the characterization of olive germplasm. *Tree Genetics & Genomes* 15, 26.
- Kunth, C., (1826). Examen Botanique. In J., Passalacqua (éd.). *Catalogue Raisonné et Historique de Antiquités Découvertes en Égypte*. Paris : Musées Nationaux, 227–228.
- Leroyer, Ch., Marguerie D., et Zech-Matterne V. (2018). 40 ans d'archéobotanique en France (1977-2017), *ArcheoSciences*, 42 (1), 113-134.

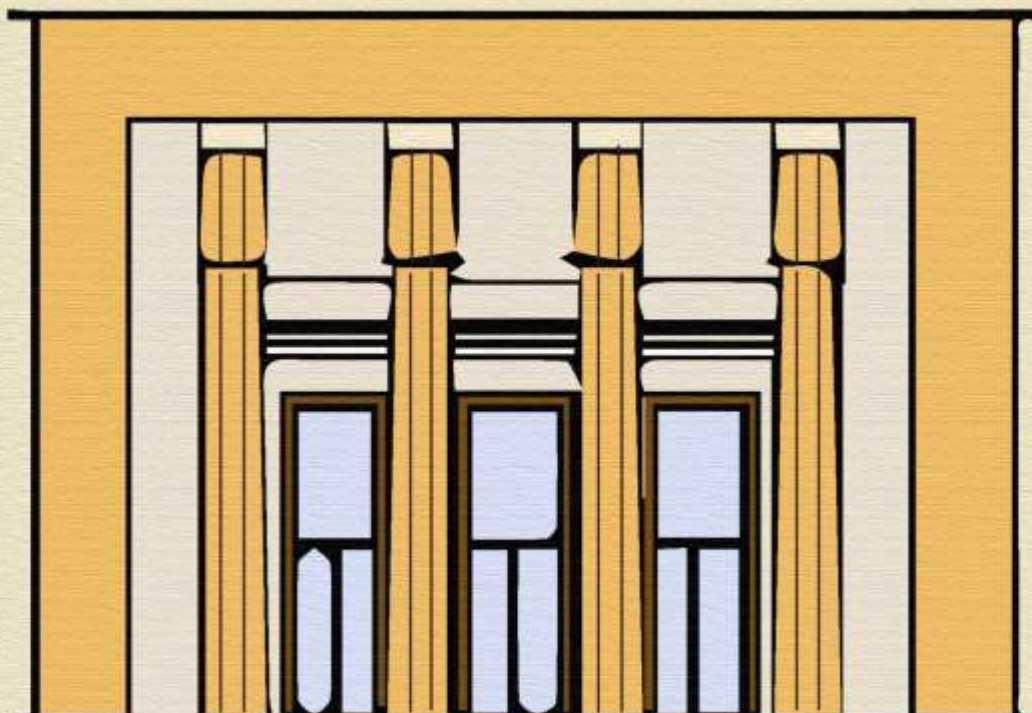
Marinval, Ph. (1999). Les graines et les fruits : la carpologie. In: FERDIÈRE (A.), dir., *La Botanique*. Paris : éditions errance, 105-137. (Collection « Archéologiques »).

Thomé, O., W. (1888). *Flora von Deutschland, Österreich und der Schweiz, in Wort und Bild, für Schule und Haus; mit Tafeln von Walter Müller*.

Van der Veen M. (2011). *Consumption, Trade and Innovation: Exploring the Botanical remains from the Roman and Islamic Ports at Quseir al-Qadim, Egypt*. Frankfurt: Africa Magna Verlag.

Wiethold, J. (2020). Étude carpologique [Rapport archéobotanique 2019/5]. In: M. Mondy, A. Champougny, M. Frauciel, S. Galland, Ch. Leduc, K. Michel, J. Wiethold, Grand Est, Moselle, Florange, *Lotissement Les Résidences de Florange. Habitat de La Tène finale/période augustéenne et habitat X-IIe annexé à la paroisse Sainte Agathe*. Metz : Inrap Grand Est, p. 144-159, et bibliographie générale p. 165-171.

الجزء السادس
المتاحف



المتاحف ونشأة علم المتاحف

أ. دة. مهي المصري

المقدمة

أخذ علم الآثار طابعاً مميزاً كفرع مختص من المعارف الإنسانية في منتصف القرن التاسع عشر، وذلك بعد الاكتشافات الكبيرة لكنوز تاريخية في عدد من دول العالم. وأصبح هذا العلم يدرس تاريخ الشعوب والأمم من خلال مخلفاتها مُتَّبِعاً أساليب علمية جديدة. من هنا برزت أهمية المتاحف لاحتواء المكتشفات الأثرية. غير أن مفهوم المتاحف ظلّ لمدة طويلة لا يتجاوز عرض آثار الماضي على الرغم من تطور علم الآثار. إلى أن أصبح دور المتاحف ليس فقط عرض اللقى، إنّما تعريف الزائر وتعليمه وتوعيته بكل مظاهر الحضارة، التي تنتمي إليها تلك المخلفات. طوّرت الدراسات النظرية الأولى عن المتاحف من متخصصين في المتاحف الكلاسيكية، ما أدى إلى مجال المعرفة المرتبط بالعلوم الإنسانية، المتعارف به أنه علم المتاحف. وكان الدافع لنشأة علم المتاحف، ومن ثمّ علم المتاحف الحديث وفروعه، الرغبة في التطوير لمواكبة تطور المجتمع، ولتفعيل قدرة المتاحف على المساهمة الفعلية في تطور المجتمع والفرد وتطويرهما، فضلاً عن القيام بوظائفه الأساسية بأفضل صورة ممكنة. إذًا علم المتاحف يدرس ويستكشف تاريخ المتاحف ودورها في المجتمع، فضلاً عن الأنشطة التي تشارك فيها بما في ذلك القيمين عليه. يُعدّ علم المتاحف علماً حديثاً، نتج عن التطور الذي شهدته المتاحف، للارتقاء بالمتاحف ودورها. أي أن نشأة العلم لم تكن معاصرة لنشأة المتاحف الحديثة.

تشمل العلوم المتحفية: علم المتاحف الميزيولوجياً *Muséologie*، وعلم المتاحف التطبيقي الميزوغرافياً *Muséographie*، علم العرض المتحفي *Scénographie*، علم الصوت المتحفي

Sonographie، الوظيفة التراثية للمتحف patrimoniale Fonction، الترميم Restauration،
الحفظ Conservation، التوثيق Inventaire.

I. تعريف المتاحف

كلمة متحف ليست من مبتكرات العصر الحالي، فقد عرّف المتحف قدماء الإغريق بلفظة ميوزيون mouseion الذي أطلقوه على معبد شيد على تل هيليكون قرب أكربول أثينا. أمّا لفظة متحف باللغة العربية فهي مشتقة من التحفة، ويفيد لفظ متحف معنى المكان الذي جمعت فيه الهدايا والأشياء الثمينة، والآثار الفنية والنفائس.

توجد اليوم عدة تعريفات عالمية للمتاحف، ودورها ووظيفتها التي يجب أن تقوم بها، وتعددت الإشكاليات التي تدور حولها والاختلافات بينها وطرق التصنيف المتبعة عالمياً. من هذه التعريفات ما قدمته الجمعية الأمريكية للمتاحف (AAM) Association Américaine des Musées التي عرفت المتحف أنه معهد دائم من دون هدف ربحي، مفتوح أمام الجمهور ومكرّس لفائدتهم، يقوم بالحفظ والترميم والدراسة والشرح والجمع والعرض للجمهور من أجل معرفتهم، وثقافتهم وهو يضم قطعاً ونماذج ذات قيمة تعليمية وثقافية بما فيها المواد الفنية والعلمية والتاريخية والتكنولوجية. أمّا الجمعية الإنكليزية للمتاحف (AAM) Association Anglaise des Musées عرفت المتاحف أنها هي التي تسمح للناس باكتشاف مجموعات القطع كنبع للإلهام من أجل معرفتهم ومتعتهم، وهي معاهد تجمع قطعاً وتحفظ نماذج تجعلها متاحة للجمهور، وتؤمن حمايتها للمجتمع. وفي فرنسا، حسب القانون الفرنسي رقم 5-2002 المتعلق بالمتاحف ومهامها فإن تعريف المتحف كالآتي :

المادة 1 : المتحف في فرنسا يمكن أن يكون تابعاً للدولة، أو أي شخص ذي تبعية عامة أو خاصة من دون هدف ربحي، ويملك مجموعات عرض دائمة، ويقوم بأعمال الحفظ والعرض، ومنظم من أجل المعرفة والتعليم والترفيه للجمهور .

المادة 2 : المتاحف الفرنسية تكون من أجل مهام دائمة وهي :
- الحفظ والترميم والدراسة وإغناء مجموعات العروض.

- جعل العروض في متناول أكبر شريحة من الجمهور
- الحفاظ على المهام التربوية، والنشر الهادف إلى تأمين الثقافة في متناول الجميع.
- يسهم في تطوير المعارف والبحوث ونشرها- (Loi des Musées de France, n° 2002-5 du 4 janvier 2002).

بحسب المجلس الدولي للمتاحف¹⁵⁷ (International Council of Museums (ICOM) واللجنة المتفرعة عنه التي تُعنى بعلم المتاحف ICOFOM وضع أول تعريف للمتحف العام 1948 وأجري بعدها عدة تعديلات على هذا التعريف لتناسب مع تطور المتاحف، وإدراج وإنشاء منشآت متحفية جديدة، وجاء تعريف المتحف كما يلي:

المادة 2 : تعريفات

- المتحف هو معهد دائم، من دون هدف ربحي، في خدمة المجتمع وتطوره، مفتوحة أمام الجمهور، وتجري فيه الأبحاث المكرسة للشواهد المادية للإنسان وبيئته، يجمعها ويحفظها، ويقدمها للجمهور بهدف الدراسة والتعليم والترفيه.
- يجب أن يطبق تعريف المتحف المذكور أعلاه من دون أي تحفظات، ويشمل هذا التعريف كل من:
 - المواقع والعمائر الطبيعية والأثرية والإثنوغرافية والتاريخية.
 - المعاهد التي تحفظ وتعرض المجموعات والنماذج الحية النباتية والحيوانية، كالحدايق النباتية وحدايق الحيوان وأحواض الأسماك.
 - المراكز العلمية والفلكية.
 - أروقة ومعارض الفنون ذات الهدف غير الربحي، ومعاهد الحفظ وأروقة العرض التي تحتوي على مكتبة ومراكز الأرشيف.
 - المحميات الطبيعية.
 - منظمات المتاحف العالمية والإقليمية والوطنية والمحلية.
 - المعاهد والمنظمات ذات الهدف غير الربحي، التي تقوم بنشاطات البحوث في مجال الحفظ والتعليم، والمعلوماتية والتوثيق وغيرها من المجالات ذات الصلة بالمتاحف وعلم المتاحف.

¹⁵⁷ ويعدّ المجلس الدولي للمتاحف ICOM فرع من اليونسكو ويتألف من ثمانٍ وأربعين شعبة وترأسها جورج هنري رفيير.

- المراكز الثقافية، التي تقوم بمهمة المساعدة على حفظ وإدارة منابع التراث الملموس tangible وغير الملموس intangible التراث الحي، والنشاطات الإبداعية المعلوماتية والرقمية.
- المعاهد، التي يرى المجلس العالمي للمتاحف فيها صفات المتحف أو تعطي المتاحف والمهنيين المتحفيين الوسائل للقيام بالأبحاث في مجالات المتاحف والتعليم والتوثيق (3 : 2004, Murphy and Bernice).

إدًا؛ المتحف هو مبنى لإيواء مجموعات من المعروضات بقصد الفحص والدراسة والتمتع، ويجمع المتحف تحت سقفه مادة كانت أصلًا متفرقة تفريقًا كبيرًا من حيث الزمان والمكان وذلك تسهيلًا لرؤيتها. ومن ناحية ثانية فإن المتحف يمدنا بتعريف المعروضات وشروحاتها. ومن ناحية ثالثة فإن المتحف يعرض مجموعاته بشكل يؤدي إلى التمتع والدراسة (آدامز، 1993؛ 11).

II. تصنيف المتاحف

- متاحف الفنون.
- متاحف علوم الإنسان.
- متاحف العلوم الطبيعية.
- متاحف العلوم والتقنيات (90 : 1989, Rivière).

III. الوظائف الأساسية للمتاحف

- الاقتناء (Collecting/ Collectionner).
- الحفظ (Preservation/Préservation).
- الدراسة (Research & Study/étude et recherche).
- الإتاحة والعرض (Providing access: Exhibiting and Communicating/ Fournir un accès : exposer et communiquer).

IV. نشأة المتاحف وتاريخها

إنّ المتاحف نشأت عندما وثق إنسان ما قبل التاريخ، بالرّسوم على جدران الكهوف، التي سكنها خلال العصر الحجريّ مشاهد من حياته اليومية. كما أن ترك أدواته الحجريّة في موضعها كانت دليلاً على الحياة التي عاشها فكانت متاحف طبيعيّة وجيولوجيّة في آن واحد (Weis, 1989: 47).

وفي العراق ما بين القرنين السّادس عشر والثانيّ عشر قبل الميلاد، كان أول اكتشاف للعالم وولي Woolley في منطقة أور سنة 1942 م. لمتحف من عهد الكاشيين الذين غزوا مملكة بابل سنة 530 ق.م. وكانت تُجمع في المعابد ومن ثمّ في القصور والأماكن العامة (Weis, 1989: 48).

وفي إلباذة هوميروس الشّاعر الإغريقيّ ما يدل على وجود مرافق، كالمتاحف في أثينا وإسبرطة وبعض جزر الأرخبيل اليونانيّ. ومن المؤكّد أنّه كان لدى العالم الإغريقيّ زيوفانس متحف للحفريات خاص به وبأصدقائه، فاستطاع أن يبني نظرياته في امتلاك التحف (480-570 ق.م).

وعندما أراد الإسكندر الأكبر، أن يكرم أستاذه الفيلسوف الشهير أرسطو أهدى إليه من خيرات الأقطار، التي افتتحها مجموعات من التحف وقدم له من المال ما أعانه على إنشاء متحف علمي في القرن الرابع قبل الميلاد. ويعدّ علماء المتاحف أنّ متحف الإسكندرية هو أقدم المتاحف الذي أسس في 323 قبل الميلاد، وهو مبنى جامعة شيده ملك البطالمة بطليموس سوتر Ptolemy Soter (الفار، 2005: 5-7) والمعبر عنه بمصطلح Mouseion أيّ معبد آلهات الفنون بنات الإله زيوس اليوناني. وكانت التّمائيل تزيّن ردهات هذه المكتبة التي كانت محط رحال طلاب العلم والمعرفة. وأنّ فكرة المتحف مع المكتبة قد ظهرت في مخيلة ديميتروبيوس الفاليري لأول مرة كنوع يشبه الجامعة أو المدرسة الأثينية الخاصة بتعليم الفلسفة، ومن هنا ظهرت وظائف المتحف في حفظ الأشياء الثمينة، وصلته بالمكتبة والثّقافة والبحث العلمي وجذب العناصر العالميّة الفعالة (Weis, 1989: 48).

وفي روما جُمعت التّحف وغنائم الحرب في المعابد، الصالات، الأروقة المعمدة، السّاحات العامة (Weis, 1989: 48). ويشير سوثنويوس إلى مجموعات من التّحف كانت في قصر الإمبراطور الروماني أوغسطس قيصر من القرن الأول قبل الميلاد.

ومع بداية الدّيانة المسيحيّة، أصبحت الكنيسة المركز الفكري، وامتألت دور العبادة بالكنوز الدينيّة، كما ازدانت المداخل والجدران الخارجيّة بالمنحوتات (Weis, 1989: 48).

واتخذ العرب من الكعبة متحفًا يضعون فيها التّمائيل التي كانوا يعبدونها. وأخذ الملوك يتبارون في إنشاء دور العبادة وتزيينها بالقطع الفنيّة حتى أصبحت متاحف عامة. وكانت هذه المتاحف الخاصة وخزائن النّفائس تسمى واحدها ذخيرة ونذكر على سبيل المثال قصر جوهر الصّقلي سنة 995 م. وقصر المعز في القاهرة وقصر الخليفة المقتدر العباسي في بغداد. وكذلك في غانا حوالي القرن العاشر م. واهتموا بالحدائق التي تحوي النباتات الطّبيّة ومنها Todèle و Séville في القرن الحاديّ عشر (Miquel, 1977: 203). وحسب كتاب أنباء الغمر بأبناء العمر الذي ألفه الحافظ بن حجر العسقلاني سنة 1389 م،، وجدت سجلات أو فهراس لمجموعات الذّخائر والتّحف Catalogue.

وانتقلت فكرة جمع التّحف إلى فكرة البحث (Ripley, 1969 : 26-27) وصولاً إلى عصر النهضة، إذ أقام البابا Sixte IV في روما سنة 1471 م على الكابيتول صالة للتّمائيل صنفت داخل كاتالوغ في وقت لاحق، وهو أولّ متحف مفتوح للعامة (Weis, 1989 : 49). غطى النسيان كلمة ميوزيوم لقرون عدة حتى عادت إلى الظهور بين القرن السّادس عشر والقرن السابع عشر في إيطاليا، وانتشرت منها في ربوع أوروبا. ومن ثمّ ظهرت خزائن العجائب (chambres de merveilles) و (cabinets de curiosités)، والمجموعات الخاصة في أوروبا، وتحولت من مكان خاص إلى مكان عام. وهنا يمكن القول وحسب Bazin بدأت نواة المتحف (ص. 302). وافتتحت مجموعة الكاردينال Granvelle في Besançon منذ سنة 1674 للجمهور، ومن هنا نشأة المتاحف الأولى في فرنسا. وقد انتشرت المتاحف وأروقة الفن Gallery في العواصم الأوروبيّة منذ منتصف القرن الثامن عشر. وغالباً ما كان ذلك برعاية الملوك. وفي سنة 1739 سمح الفاتيكان للجماهير بمشاهدة المتحف، ومتحف اللوكسمبورغ في فرنسا سنة 1750، وكذلك المتحف البريطاني سنة 1759. وفي سنة 1764 أسست الملكة كاترينا الثانية متحف الأرميتاج في مدينة

بترسبرغ في روسيا، وافتتح على عهد القيصر نيقولا الأول في القرن التاسع عشر كمتحف للجمهور. وفي سنة 1781 عرضت المجموعات المتحفية لأسرة هابسبورج الحاكمة في النمسا. وبدأ الأوروبيون باقتناء التحف والنقائس والمجموعات الخاصة ومنها مجموعة الأمير كوسيمو الأكبر في قصر ميديشي بمدينة فلورنسا في إيطاليا، ومجموعة التحف الكبرى التي اقتناها فيديريكو الدوق الإيطالي في سنة 1842 ومعظم هذه المجموعة توجد الآن في متحف متروبوليتان في نيويورك. ولم تتأخر مراكز البلديات الكبرى عن متابعة التطورات في عواصم الأمم باقامة متاحف، وأروقة فن خاصة بها وتزويدها بالمقتنيات اعتماداً على هبات التجار أو رجال الصناعة من أبناء البلاد. ومعظم هذه المتاحف المبكرة للجمعيات كانت مراكز للتعليم والأبحاث. في سنة 1890 عقد أول مؤتمر لإتحاد المتاحف الدولي في مدينة ليفربول بإنجلترا، وفي سنة 1895 بدأت الدعوة إلى ضرورة تنويع المتاحف وتقسيمها إلى متاحف فنية وغيرها. وفي سنة 1793 افتتح متحف اللوفر للجمهور. وكان القرن التاسع عشر هو عصر التوسع في التعليم والعلم، ما ساعد في نمو المتاحف الخاصة بعلم الطبيعة والتكنولوجيا.

1. متاحف المعادن والجيولوجيا

في سنة 1529 أقام الأرشيذوق فرديناند في النمسا متحفاً للمعادن والمصنوعات الذهبية. وفي سنة 1552 كان ملك بوهيميا رودلف الثاني متحفاً في مدينة براغ. وفي سنة 1605 ظهر كتاب ميوزيوم ميتاليكوم *Museum Metallicum* الذي نشره أوليس ألدروفاندي وتلميذه أمبروزينوس عن متحفه الخاص (الفار، 2005: 8-15).

2. متاحف الجامعات

افتتح المتحف الأشمولي في أكسفورد للجمهور سنة 1683 وهو أول متحف جامعي يحوي مجموعات من التاريخ الطبيعي والآثار وغيرها. واستطاعت بعض المعاهد الحصول على مجموعات خاصة كما السويد في القرنين السابع عشر والثامن عشر، والتي بدأ تنفيذها كريستوفر بولهم في سنة 1696 للقاعة الملكية للنماذج في ستوكهولم. كما ظهور متاحف خاصة بالنباتات الطبية، وهي ما أطلق عليها اسم متاحف العلوم الطبيعية. وأخيراً أتت

متاحف التاريخ، وكما أنشأت الجامعات مكتبات في كنفها بادرت أيضاً إلى إنشاء متاحف الأقسام، ولا سيما في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

3. المتاحف التاريخية والأثرية

في سنة 1773 أنشيء أول متحف للتاريخ الطبيعي في مدينة شارلستون الاميركية، ونشأت متاحف الفنون والآثار Consortium التي تحوي قطعاً فنية ونقوشاً كتابية. ومنذ القرن الثامن عشر، وبعد اكتشاف Pompéi بدأت متاحف الآثار في الظهور.

4. متاحف الإثنولوجيا

أخيراً إنَّ التطور المذهل للمتاحف في القرنين الماضيين، والتنوع في المتاحف وتشعب أدوارها والغرض من إنشاءها، ففي القرن التاسع عشر، ظهرت المتاحف الإثنولوجية، التي تضم متعلقات خاصة بأفراد أو منزل أو حرفة في المكان نفسه، ويطلق عليه اسم بيت العصر Period House أو متحف مسقط الرأس Birthplace Museum.

هذه المتاحف حوت لدى متعددة في أمكنة محددة، والعاملون بالمتاحف محدودو العدد. وليقوم المتحف بمهمته الجديدة فلا بدَّ من أنَّ العاملين فيه أن تكون لهم خبرة، وهي التعريف بكل عينة معروضة لذا يجب توفر خبراء مختصين. ووضع سجل باللقى المعروضة حفظاً لها من الضياع والسَّرقة. كما صيانتها وحفظها وترميمها.

ولم تكتف المتاحف بجمع المعروضات، وعرضها والتعريف بها وصيانتها، فتقدمت إلى الأمام وذلك بتحقيق هدف التعليم. وقد قامت نهضة كبرى في المتاحف في حوالي الربع الأول من القرن العشرين، حيث تخطت مجرد مكان تحفظ فيه المعروضات، إلى مراكز تجمع بين التعليم والتسلية (آدامز، 1993: 13-37). وفي سنة 1727 ظهر كتاب ميزيوغرافيا لمؤلفه نايكليوس، وهو أول كتاب عن علم المتاحف في العصر الحديث.

V. نشأة علم المتاحف

في تحليل موجز لتطور علم المتاحف في القرن الثامن عشر، يحدد عالم المتاحف الياباني Soichiro Tsuruta المرحلة التي تمتد من عصر النهضة إلى الثورة الصناعية باسم العصر المتحفيّ *muséolore*. السمة الرئيسة لهذه المرحلة جمع المعلومات عن المجموعات، ونشر كتالوجات وصفية وقوائم جرد. وكان هناك دمج ما بين الميزولوجيا والميزيوغرافيا. في القرن التاسع عشر، تعدد افتتاح المتاحف في أرجاء العالم كافة، ونشأت أنواع من المتاحف. واستمر الضياع ما بين المصطلحين ميزولوجيا وميزيوغرافيا. أما العقود الأولى من القرن العشرين شهدت نشر العديد من الكتب، التي أصبحت الدليل الرئيس في علم المتاحف. تهدف هذه المنشورات بشكل أساسي إلى توفير المعلومات، والنصائح المستمدة من التجربة والملاحظة وكذلك إلقاء الضوء على التقدم المحرز في عالم المتاحف.

تميزت هذه المرحلة بوضع مبادئ ومناهج علم المتاحف. وترجع أقدم البرامج التي تعنى بدراسات متحفية إلى أسبانيا 1856، في فرنسا، افتتحت مدرسة اللوفر أبوابها في العام 1882 وقدمت دورات من شأنها تدريب القيمين على الآثار في 1771، ثم في تاريخ الفن قبل إنشاء دورة في علم المتاحف العام 1927. وفي الولايات المتحدة تعود أقدم الدورات إلى العام 1908. وشهد هذا القرن انتشاراً حقيقياً للبرامج والمناهج في العام 1920 في مختلف المؤسسات الجامعية. في إنجلترا، نظمت جمعية المتاحف دورات في العام 1932. وفي كندا كانت الدورات الأولى حول هذا الموضوع هي تلك الخاصة بجامعة ماكجيل في العام 1930. وفي مجلة *Museum* الدولية التي يصدرها اليونسكو، برز موضوع المعارض كونها مفيدة، كما أصبحت المعارض المؤقتة التي تهتم بموضوع محدد أكثر شيوعاً. وقد شجعت اليونسكو الدور التعليمي للمتاحف، وذلك بإقامتها سلسلة من الندوات الدولية والإقليمية، إذ انعقدت أولها في بروكلين بنيويورك العام 1952. كما انعقدت ندوة مشابهة في أثينا، اليونان العام 1954. أما التطور الآخر في مجال المتاحف هي المعارض المتجولة. وقد عُرف عنها من خلال كتاب نشرته اليونسكو العام 1953 بالإنكليزية والفرنسية كتاب *Manual for Travelling Exhibition*.

VI. تعريف علم المتاحف

اختلف العلماء حول المعنى الحقيقي لمصطلح علم المتاحف *Muséologie* الموجود في القواميس كعلم، كما تبين الدراسات التي نشرها كل من Zbyněk Strýnský: "الهدف من علم المتاحف لا يمكن أن يكون المتحف"، المتحف ليس الهدف إنما الوسيلة. (Judith Strýnský, 1987: 294-295) وهذا ما تؤكد جوديت سبيلبور Villy Toft Jensen و (Spielbauer, 1987: 271) "المتحف هو وسيلة..". أما التعريف Tomislav Sola ما بين أعوام 1965 و 1975 و 1987 (Aquilina, 2009: 44). أما التعريف الدقيق فقد أطلقته أنا جريغوروا Anna Grégorova : "علم المتاحف هو علم يتفحص علاقة الإنسان مع الواقع، يتكون في المجموعة والحفظ الدائم والاستخدام العلمي، الثقافي، التعليمي للأشياء الجامدة، اللقى التي توثق تطور الطبيعة والمجتمع" (Strýnský, 1980: 20). ويمكن تعريف علم المتاحف حسب André Desvallées : "العلم يعني بدراسة المتاحف ودورها في المجتمع، والأنشطة التي ينخرطون أو يشاركون فيها من الاقتناء، الحفظ، التعليم، التعلم والإمتاع؛ وتتبع تطورها في الإطار المؤسسي، وخاصة دورها التعليمي، البحثي والإمتاعي في ظل التطور السياسي، والإجتماعي للمجتمع والمحيط والمجتمع العالمي" (Desvallées and Maresse 2010). كما عرفت منظمة اليونسكو هذا العلم أنه: "الدراسة النظرية للتطبيقات العملية للمتاحف؛ لتشمل بذلك تاريخ المتاحف، مقتنياتها، وتطورها، وتنظيم البنية التحتية للمتحف، فضلاً عن إدارة المتحف كمؤسسة وأنشطته المختلفة" (راشد، 2020). وجاء هذا العلم بغية الارتقاء بالمتاحف ودورها في المجتمع. وضرورة رفع كفاءة العمل والعاملين بالمتاحف، وهو ما فرض بدوره الحاجة لوضع دراسات متخصصة لهذا العرض وكان الفضل للعالم الألماني Peter van Mensch. بحسب Germain Bazin: "أن في القرن التاسع عشر في ألمانيا تركزت الدراسات حول المتاحف كعلم، وأن في القرن الثامن عشر نشأ علم خاص بالمتحف" (Aquilina, 2009: 46).

أما مصطلح ميزيولوجي *Museology/Muséologie*، أصبح شائعاً منذ بداية القرن العشرين تقريباً مع جورج هنري ريفيير مؤسس ICOM. وهو الذي أسهم في تطوير الصورة التقليدية للمتاحف، وتعزيز علم المتاحف كتخصص تطبيقي متكامل (Weis, 1989: 356). حتى ظهور مصطلح دراسات متحفية *Museum Studies* عندما

افتتح رايموند سنجلتون قسمًا في جامعة ليسستر في إنجلترا، العام 1966. وتتالت تعريفات هذا العلم مع كلوس شراينير Klaus Schreiner: "علم المتاحف هو اختصاص اجتماعي-علمي، ينمو تاريخيًا، ويتعلق بالقوانين والمبادئ والهيكلية والأساليب المعقدة للاستحواذ، والحفظ، والتحليل، والبحث، وعرض الأشياء المنقولة الأصلية المختارة من الطبيعة، والمجتمع كمصادر أساسية للمعرفة، والتي تشكل الأساس النظري لعمل المتحف" (Strýnský 1980 : 41). أما بحسب فينوس سوفكا Vinos Sofka في العام 1980: "علم المتاحف كعلم عام للمتحف، هو تخصص علمي مستقل له معايير خاصة باللقى ونظريته الخاصة، ومجال نشاطه وطريقته، بالإضافة إلى نظامه الخاص. إن تعدد الوظائف والمجموعات تجعل من علم المتاحف تخصصًا ذا طابع قوي متعدد التخصصات، ويتطلب التعاون مع الفروع العلمية الأخرى، من خلال تركيز اهتمامهم على موضوع الدراسة المشترك: المتحف ونشاطه" (Sofka, 1980:13). كما يوضح برنار دولوش Bernard Deloche: "يبدو أن المهمة الحقيقية لعلم المتاحف يجب أن تتسع مع اتساع المتحف نفسه. بدءًا من علم المجموعات، أصبح علم المتاحف علمًا متعدد التخصصات..." (Deloche, 1987: 84).

أما علم المتاحف الحديث La nouvelle muséologie ظهر إصطلاحًا في الثمانينات، بعد أن وصفه كنت هدرسون: "المتاحف باتت معزولة عن العالم المعاصر، وأنها مؤسسة نخبوية، وقد عفى عليها الزمن، وأصبحت مضيعة للمال العام". وبعدها انتشر علم المتاحف بشكل عالمي منذ العام 1984. ويهدف إلى استخدام التراث المحلي، وتوظيفه لتحقيق التنمية المحلية وبالمشاركة المجتمعية على عكس المنهج الكلاسيكي الذي يجعل المجموعة المتحفية محور الاهتمام. وقد استند تطور هذا العلم على نشأة المتاحف البيئية Ecomuseums. ودفعت هذه المتاحف نحو تطوير علم المتاحف وذلك من خلال التّمحور حول المقتنيات، والحفاظ عليها بوصفها مصدرًا غير متجدد للمعرفة يجب حفظه للأجيال القادمة، والانتقال بالأولوية إلى محور خدمة المجتمع تفعيلاً لدور المتحف (راشد، 2020). وتحول الإهتمام في علم المتاحف الحديث الى محاور جديدة مثل:

- مكانة المتاحف في الحفظ والعناية.

- الحالة المعرفية للمقتنيات في العروض المتحفية. بمعنى آخر الخبرات التي تقدمها المقتنيات في سياق العرض ومحور الزيارة.
- طبيعة الدور التعليمي والدرسي للمتحف والغرض منه (راشد، 2020).
- على الرغم من حداثة علم المتاحف، إلا أنه علم متشعب يضم العديد من الفروع على صلة في ما بينها وهي:
- إدارة المتاحف.
- إدارة المجموعات المتحفية.
- خدمات الجمهور.
- العرض المتحفي.
- التصميم الداخلي للعروض المتحفية.
- التربية المتحفية.
- التوثيق والتسجيل.
- التطبيقات التكنولوجية والمتاحف الافتراضية.
- التسويق.
- إدارة المخاطر والأزمات.
- العناية بالمجموعات المتحفية.
- تنمية الموارد المالية والبشرية (راشد، 2019).
- الناحية القانونية واسترداد القطع الأثرية.

لائحة المصادر والمراجع

- Aquilina, J. D. (2009). *Muséologie et muséographie : la Tour de Babel ou les origines de la confusion. Muséologies* 4, 1, 42–61.
- Deloche, B. (1987) 'Les musées et la muséologie au regard de l'interdisciplinarité', in: V. Sofka ed., *Museology and museums. ICOFOM Study Series (ISS)*, 12 (Stockholm) 81-95.
- Desvallées, A. (1998) «Cent quarante termes muséologiques ou petit glossaire de l'exposition». In. DE BARY, Odile et Jean-Michel TOBELEM (dir.). *Manuel de muséographie. Petit guide à l'usage des responsables des musées*. Biarritz : Séguier, 234-235.
- Desvallées, A. and Maresse, F. (2010). *Ket concepts of Museology*. Paris.

Loi des Musées de France, n° 2002-5 du 4 janvier 2002.

Miquel, A. (1977). *L'islam et sa civilisation, VII^e-XX^e siècle*. Paris : Armand Colin.

Murphy, L. B. (2004). La définition du musée, in *Nouvelles de l'ICOM*, Bulletin du conseil international des Musées, n° 2, Paris, p.3.

Ripley, D. (1969). *The sacred grove. Essays on museums*. Washington: Smithsonian Institution Press.

Riviere, G.H. (1989). Leçon de Georges Henri Rivière, in *La muséologie selon Georges-Henri Rivière*. Paris : Dunod.

Spielbauer, J. K. (1987). « Museums and Museology: a means to active integrative preservation », *ICOFOM Study Series (ISS)*, 12, p. 273.

Stránský, Z.Z. (1980). "On the topic Museology – science or just museum work?" *Museological Working Papers – MuWoP n°1/ Documents de Travail sur la Museologie –DoTraM n.1*. Stockholm, Sweden: ICOM International Committee for Museology.

Stránský, Z.Z. (1981). « On the topic Interdisciplinarity » in *Museology/Museological Working Papers – MuWoP / Documents de Travail sur la Muséologie – DoTraM,2*, 19–22.

Stránský, Z.Z. (1987). « La muséologie est-elle une conséquence de l'existence des musées ou les précède-t-elle et détermine leur avenir ? » *ICOFOM Study Series -ISS*, 12. Museology and museums / Muséologie et musées. Preprints to the ICOFOM Symposium in Helsinki, Finland. p. 293–298.

Sofka, V. (1980) 'Museological provocations 1979', *Museological Working Papers* 1: 12-13.

Weis, H. (1989). Problématique et Méthodologie, in *La muséologie selon Georges-Henri Rivière*, Textes et témoignages, Dunod, Paris.

آدامز، فيليب (1993). دليل تنظيم المتاحف (إرشادات عملية)، ترجمة محمد حسن عبد الرحمن. الألف كتاب الثاني 111. مصر: الهيئة المصرية الخاصة للكتاب.

الفار، درويش مصطفى (2005). سطور عن تاريخ المتاحف. قطر: دار الكتب القطرية.

راشد، محمد جمال (2020). علم المتاحف، نشأته، تطوره، وآثره. القاهرة: العربي للنشر والتوزيع.

راشد، محمد جمال (2020). علم المتاحف نشأته وتطوره. ندوة المتاحف العربية بين النشأة والتنمية. تنظيم المجلس الوطني للثقافة، والفنون، والآداب بالكويت.

الممارسات المتحفية في القرن الحادي والعشرين (المتحف والتغيير)

د. م. مي حيدر

المقدمة

في وقت سابق، كانت الممارسات المتحفية تركز بشكل شبه تام على الحوار بين علم المتاحف والمزيولوجيا، وكان يُفهم على أنه تصميم المساحات. واليوم، وبعد الاعتراف بمختلف أنواع "الجمهور"، ازداد عدد المحاورين، وأصبح النظر في هوية الزوار لا يقل أهمية عن مشاكل هوية المجموعة والحفظ وطرق العرض (Watson, 2007).

1. "المتحف الجديد": أدواره وأهدافه

سمح "علم المتاحف الجديد" بتشكيل فكرة جديدة تماماً عن المتحف، من حيث انفتاحه على الناس (Vergo, 1989). أصبح المتحف، سواء كان عاماً أو خاصاً، خدمة عامة، تعمل في المجتمع المعاصر، وعلى هذا النحو، يخضع للقوانين، وهو جزء من الجمعيات (ماكدونالد 2011) والمتحف يتبع مسارات تحسين بهدف تحقيق معايير الجودة، مثل أي خدمة أخرى مخصصة للمواطن (Silverman, 2009).

العنوان الكبير في علم المتاحف يصبح "إمكانية الوصول"، أو كيفية جعل المتحف في متناول أكبر عدد ممكن من المواطنين. ونقص إمكانية الوصول، بمعناها المزدوج: إمكانية الوصول المادي والفكري أيضاً (Sandell ; Nightingale 2012). وهنا أصبحت أهمية علم المزيولوجيا التي تؤدي دوراً كبيراً على مختلف المستويات، كإنشاء المعرض وطرق المتحف والمعدات

المصاحبة له، وتُدمَج الإضاءة لإضفاء الشاعرية وطرق العرض ووسائل تمثيل المتحف (Falk; Dierking; Spock 2000).

والمتاحف "تمتلك القدرة على تشكيل القيم الجماعية والتفاهمات الاجتماعية بطريقة حاسمة الأهمية" (Luke 2002). ولا يتوقف تشكيل الأفكار هذا على الحواس الفردية للزوار فحسب، بل يعتمد على المعارف السابقة، وأيضاً على وجهات نظر المجتمعات التي ينتمون إليها، وقيمها وفهما. ولكن قبل كل شيء، يعتمد ذلك على مواقف أولئك الذين يعملون في المتاحف تجاه المجتمعات التي يخدمونها (Kreps 2008).

ثم إن المتاحف هي "مؤسسات حية" (Spalding 2002: 23)، ولهذا هي في تغير مستمر وتعاود النظر في أهدافها بانتظام. لقد أشار ويل إلى أن هناك حالياً تحولاً في الموقف تجاه المتاحف، إذ لم يعد المتحف يقاس فقط بممتلكاته الداخلية مثل المجموعات والهبات والموظفين والخدمات، ولكن من خلال "النظر الخارجي في الفوائد التي يوفرها للأفراد والمجتمعات التي يسعى إلى خدمتها" (Weil 2003: 53).

على سبيل المثال، العديد من المتاحف داخل المملكة المتحدة تستفيد من مجموعة من مصادر التمويل الإضافية من صندوق اليانصيب الخاص بالتراث بهدف تنشيط المناطق (برنامج مجلس المتاحف والمكتبات والمحفوظات لاستثمار الأموال من الحكومة المركزية في المتاحف الإقليمية في إنجلترا). ولا يمكن الحصول على أي من هذه الأموال دون إبراز فوائد للجمهور محددة وواضحة وقابلة للقياس.

ويمكن تلخيص التحول في موقف الممولين العامين الخارجيين تجاه المتاحف بالتالي: "المتحف الذي لا يثبت نتيجة لمجتمعه غير مسؤول اجتماعياً مثل الأعمال التجارية التي تفشل في تحقيق الربح. إنه يضيع موارد المجتمع (Weil 2003: 43). وينبغي ألا تقل هذه النتيجة عن "اختلافات إيجابية مقصودة يحدثها المتحف في حياة الأفراد والمجتمعات التي تشكل جماهيرها المستهدفة" (Weil 2003: 53).

2. "الممارسات الجيدة" في البلاد الأنجلوسكسونية

لقد أصبحت المتاحف الأنجلوسكسونية، في العقود الأربع الأخيرة، تتبع نهجاً مختلفاً لأداء مهامها.

فلقد طور القيمين عليها مع تمويل ضئيل أو معدوم من المال العام، خبرة حقيقية، وأظهروا الكثير من الابتكار لزيادة تمويلهم، وجذب جمهور أوسع، والاحتفاظ بأعضائهم، والتكيف مع مجتمع في تطور كامل. ونتيجة لذلك، ظهر اتجاه متحف جديد في هذا القسم من العالم، بدءاً من الثمانينيات، وهذا الاتجاه يمكن وصفه بمصطلح "الممارسات الأنجلوسكسونية الجيدة" (Preziosi and Farago, 2003) Anglo-Saxon's best practices.

وقد أعطيت أهمية كبيرة للدراسات في علم النفس البيئي والعلاقات الإنسانية مع الأشياء (رواية القصص الشخصية personal storytelling). كما نُفِّدَ الكثير من العمل لملاحظة تدهور القطع المتحفية، وتشخيصها. هنا نرى بداية مفهوم الحفظ الوقائي، وهو ممارسة الحفظ التي ولدت في الخمسينات في إيطاليا مع تشيزاري برانديني. وسرعان ما أصبحت في قلب كل الممارسات الجيدة للمتحف وإدارة المجموعات المتعاقبة (Brandi, 2000).

وسرعان ما عرف القيمين على المعارض أن وضع سياسة وقائية جيدة للحفاظ على المجموعات أمر فعال وأساسي في أداء عالم المتاحف: أصبح الحفظ الوقائي لغة الحوار التي تجمع الثقافة العلمية للقيمين في القطاع، مع المهارات التقنية في التصميم، كل هذا من أجل الاستفادة المثلى من هذه المجموعة والحفاظ عليها.

3. "إنهاء الاستعمار" في المتحف

كانت المتاحف متواطئة في بناء التسلسلات الهرمية المادية والثقافية التي كانت أساس الفكر العنصري منذ عصر التنوير وحتى القرن العشرين، في تناقض ملحوظ مع الدور الشمولي الذي يسعى الكثيرون الآن إلى القيام به (Bennet, 2013).

وقد ذكر المؤرخ إيرام كيندي أن جوهر العنصرية يكون حين تعتبر مجموعة عرقية واحدة أنها أدنى أو متفوقة على مجموعة عرقية أخرى بأي شكل من الأشكال (Kendi, 2019).

وبشكل عام، تطورت العنصرية، وتفوق العرق الأبيض مع استغلال أوروبا الجماعي للناس والأراضي في جميع أنحاء العالم، وهذا حدث على مدى حوالي أربعة قرون، مع زخم أكبر في أواخر عام 1500 تقريباً. وقد أدّى إلى تبرير العديد من أشكال الاستغلال أفكاراً عديدة، كفكرة أن الناس البيض بطريقة أو بأخرى متفوقون على الناس ذوي البشرة الداكنة في العالم.

لقد غرس العنصرية وشرّع ظهورها وكرّسها ورسّخها الاستغلال والتوسع الأوروبيان في أجزاء أخرى من العالم، إلى جانب نوع من النهضة الفريدة في التخصصات العلمية، والهيكل الاقتصادي للرأسمالية الذي خرج من الإمبراطورية، ونما في هذا الجزء بالذات من العالم. وكان لهذه العنصرية تأثير عالمي طويل الأمد في تشكيل فرص حياة الناس في جميع أنحاء العالم. وبطبيعة الحال، تطور نموذج المتحف الأوروبي الذي أثر في نشوء المتاحف عالمياً، ضمن هذا السياق العنصري العميق الذي يتميز بتفوق البيض، والمعرفة الأوروبية البيضاء الناشئة، وأنظمة التصنيف المستخدمة لفهم السكان وإدارتهم وحكمهم في جميع أنحاء العالم (Marstine and Bauer, 2013).

وإن فكرة تفوق البيض ودونية السود لا تزال قائمة بقوة في نواح كثيرة، وأثرت بقوة في العديد من جوانب المجتمع على مدى العقود القليلة الماضية، ومنها الجانبان الثقافي والاجتماعي، وكذلك أثّرت في إعداد أنظمة مؤسساتنا، ونهجنا في المعرفة. وبطبيعة الحال، أصبحت المتاحف أيضاً مراكز لإنتاج المعرفة والتعليم وعروض الثقافة التي كانت في أوروبا منحرفة بالتأكيد نحو وجهات نظر اجتماعية وتاريخية معينة، ونحو بعض الروايات. وهذه، بالطبع، تركز نوعاً ما على تجربة البيض. لذلك، يمكننا أن نفكر في هياكل مجتمعاتنا على أنها مهمة بشكل لا يصدق في تشكيل فرص حياة الأفراد، ولو كنّا لا نرى أنفسنا عنصريين على المستوى الفردي.

وبالعودة إلى فكرة إنهاء الاستعمار، يمكننا أن نعتبر هذه الفكرة مرتبطة بمعالجة الهياكل المؤسسية التي شكلتها قرون من التاريخ الاستعماري الطويل. وبطبيعة الحال، تستمر هذه الهياكل في الحفاظ على التسلسل الهرمي العرقي أو الأفكار المرتبطة بتفوق البيض. ويمكننا أن نرى أن عدم التصدي للعنصرية بنشاط في هذه الهياكل، ومنها المتاحف، له أيضاً تأثير في إبقاء هذه المشكلة.

لذلك دعونا نفكر أكثر قليلاً حول العرق بوصفه قضية بهيكلية في المتاحف على وجه الخصوص. وقد وصف فيشر وأنيلّا ومور العنصرية المؤسسية في سياق المتاحف بأنها تنطوي على سياسات وممارسات تمييزية تمنح مجموعة امتيازات روتينية، وتجعلها تتفوق في تعبيراتها الثقافية على مجموعات أخرى (Fischer, Anila & Moore, 2017).

وقد تكون العنصرية الهيكلية نشطة وظاهرة من خلال قرارات قبول المتاحف للتمويل والرعاية من مصادر معينة، إذ تملك تلك المصادر، أو تلك المنظمات، أن تدعم نظاماً لها تأثير سلبي مباشر أو غير مباشر في مجتمعات الشعوب الأصلية، على سبيل المثال. ومن ذلك مشكلة أخلاقيات قبول المتاحف الدعم المادي من شركات النفط، على سبيل المثال، في أجزاء معينة من كندا والولايات المتحدة.

ويمكن أن يتجلى ذلك في قرارات الاحتفاظ بالقطع بالرغم من المطالبات لإعادتها إلى وطنها الأصلي أو اتخاذ قرارات معينة بشأن ملكية الأشياء والمجموعات دون التعاون مع المجتمعات التي تعتبر تلك القطع ذات قيمة عالية. ويمكن أن يتجلى ذلك في كيفية متابعة الأشخاص من اعراق مختلفة الذين يجتمعون مع غيرهم في مساحات المتحف، وجعلهم يشعرون بالانتماء الواحد، من خلال التفاعلات على نوع ما من المستوى اليومي.

ويمكن أيضاً أن يكون في تفسير وظيفة المتحف، وفي كلام مرشد المتحف، وفي اللوحات الإرشادية، والنصوص التي ترافقها، ففيها أنواع معينة من وجهات النظر، ووثائق تاريخية بعضها معروض، وبعضها شبه معدوم. ويمكن أن يكون أيضاً في أشكال خفية أكثر، مثل الهندسة المعمارية للمتحف، وخيارات نقوش الإكونوغرافيا داخل المتحف، والشخصيات التي سميت بعض صالات العرض على اسمها...

4. الدور التعليمي للمتحف

أصبح المتحف الجديد استجابة للحاجة الواضحة إلى إعادة التفكير في المتحف بوصفه مؤسسة تعليمية (Andersson, 2012). والتركيز أصبح على تعليم الزوار (e.g. Hooper, 2014, 2007, Greenhill, 2002) وعلى المسؤولية الاجتماعية للمتاحف (Sandell 2002).

وأصبحت كلمات التعلم والشمول والتمثيل، كلمات رئيسية في تحديد الامل في علاقة جديدة ما بين المتحف والزوار، لأن المتحف يصبح منطقة اتصال (Clifford 1997)

و"منتدى" بدلاً من معبد للإعجاب بالتراث المثل. وعلاوة على ذلك، يَصَوِّر المتحف على أنه مكان يجعل مختلف المجموعات والأفراد يتواصلون من خلال تعزيزهم ليصبحوا مواطنين ديمقراطيين. ثم إنَّ المتاحف يُنظَرُ إليها على أنها مسؤولة، على سبيل المثال، عن تدريس الماضي بطرق تلهم وتنعش خيال الجمهور ، وتقوده إلى المستقبل الذي نرغب فيه (Janes, 2007 ; Sandell, 2019).

لقد قدّم (George Hein) و (Hooper-Greenhill) نظرية التعلّم البناء constructive learning في الدراسة المتحفية، وهي دراسة أصبحت إطاراً مرجعياً مؤثراً يعين على فهم دور الزوار في صنع معنى التاريخ، وأصبحت تربط مفهوم التعلم البناء بالتربية النقدية critical pedagogy التي تبين أن التعلم قد يؤدي إلى تمكين الزوار من تعزيز "بناء هويتهم" المواطنة (Hooper-Greenhill (e.g. 1991, 1992) and George Hein (1998).

كما يتم دمج المنظور البنائي للتعلم في النظريات الاجتماعية والثقافية التي تساعد على إظهار كيف يجب فهم التعلم في المتحف على أنه ظاهرة سياقية وعلائقية هدفها جعل المعنى في العالم حواراً غير نهائي بين المتعلم والمحيط المادي والاجتماعي والثقافي (Falk and Dierking, 2012).

علاوة على ذلك، تظهر الدراسات المتحفية الترابط بين أمرين: الأول هو مسؤولية المتاحف عن تدريس الأخلاقيات والتعلم العلائقي للزوار visitors relational learning، وهذه المسؤولية أخلاقية، والثاني هو الدور المقدم إلى "الآخر" في التمثيل المتحفى ومشاركة الزوار في سياقات المعارض (Lynch and Alberti, 2010).

ومع التسليم بالحاجة إلى ضرورة إدراج أشخاص ومجموعات أخرى مستبعدة، فإن الصعوبات التي تواجه تمثيل الآخر، والمسائل الأخلاقية والمعيارية المعنية، لا تزال مثيرة للقلق. على سبيل المثال يقول سانديل إن التمثيل في المتاحف ضمن المجتمع المتعدد الثقافات يعتمد على قدرة المتاحف على التخلص من السردية المهيمنة (التمييزية والقمعية والنمطية) للآخر، وتمثيل روايات أكثر تنوعاً (Sandell 2002, 2007, 2010, 2017).

لا تزال العديد من الدراسات المتحفية تتعلق بمسألة المسؤولية الأخلاقية للمهنيين في المتحف عن كيفية تواصلهم أو تعليمهم أو تمثيل الآخر في المعارض. ولا تزال تجارب التعلم

للزائر فيما يتعلق بالآخر قضية محورية في دراسات المتاحف (Falk, Dierking and Spock, 2000 Falk, Dierking and Foutz, 2007).

5. المتحف ما بعد التطور الرقمي (Postdigitalism)

هناك إرادة متزايدة في المتاحف لتوسيع نطاق إمكانية الوصول إلى الجميع. وقد أصبحت التجربة المتعددة الحواس Multi-sensory experience وسيلة لتحقيق ذلك. وستساعد التقنيات الناشئة، إذا واكبتها العزيمة الصادقة في إدارات المتاحف، على توفير تجارب متعددة الاحتياجات تُحدث متعة لدى الأشخاص ذوي الاحتياجات الخاصة، عبر الاستخدام المتزايد لتجارب اللمس على الأشياء المطبوعة الثلاثية الأبعاد، وبذلك يُتاح لذوي الإعاقة البصرية أن يكونوا جزءاً من جمهور المتاحف. ويخدم العالم الافتراضي والتقنيات الحديثة الهدف الرئيسي للمتحف، وهو أن يكون أكثر سهولة مادياً وفكرياً، ويساعد المستخدم على الاستفادة من تجربة المتحف الخاصة عبر تطوير الشبكة الرقمية، ابتداءً من النموذج الأولي، وصولاً إلى تطبيقها من قبل كل موظفي المتحف والزوار الحقيقيين.

سهولة الوصول (Accessibility):

لقد أصبح الوصول إلى المتحف أكثر سهولة للجميع، ولا سيما ذوي الاحتياجات الخاصة، بعد إجراء تغييرات توسّع إمكانية الوصول، وازدادت نسبة التمتع وإمكانية التعلم لجميع الزوار (Rayner, 1998, p.11). ويعتبر تحسين الوصول المادي والفكري، مفيداً لمساعدة جمهور المتحف، إذ يعيشون تجربة رائعة، وربما كانوا لا يعتبرون المتحف مكاناً مناسباً لهم. وهذه التغيرات مستوحاة من التحول المادي في العالم، ومن قدرات جيل جديد من وسائل الإعلام المستخدمة في المتاحف. وإنّ تصميم المعارض اليوم يحتاج إلى نهج جديد يمكن من خلاله تخيل المعارض التفاعلي (interactive exhibitions)، وتصميمها وتقديمها (Uchida and Peng, 2018, p.309). وقد يحتاج المتحف الآن إلى البحث عن أطر أخرى لوضع تصور لتصميم معرضه، مع وجود تطلعات أكثر طموحاً وأكثر صراحة لتقديم تجربة غامرة ومتعددة الحواس ومتعددة المستخدمين.

ويكون التنفيذ المتحفى هذا مع أخذ الشعور والأحاسيس في الاعتبار، ومع وضع تصور لتجربة المتحف بشكل أكثر وضوحاً وشمولية، لأنها مزيج من الحواس والاتصالات داخل مداه. قد نحتاج إلى إعادة اعتبار وإعادة تقييم للطريقة والنهج المستخدم في تصميم المعرض. لذلك، قد تكون طريقة التصميم والنهج تحويلية، مثل التصوير الزمني time-based scenography، وهذا يمكننا من تصور تجارب غامرة ومتعددة الحواس والتواصل من خلال القطع داخل مساحة المعرض (Uchida and Peng, 2018. p.310).

لقد أثبتت أمثال هذه التجارب المتحفية فاعلياتها في الارتباط بالمكان المحلي وإنشاء فرص للاستمتاع واتاحة تجربة الحياة الثقافية للسكان المحليين، بالإضافة إلى إيجاد تجارب ممتعة وتعليمية للسياح والزوار العشوائيين (Parry, 2013,2018).

وأصبحت الحلول الرقمية والاتصال المباشر للمتحف من خلال شبكة الإنترنت وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعية، أكثر من مستودع للمعلومات، أو تجربة بديلة. إنها مجموعة من النشاطات والحوار والتبادل والإبداع، وتضم الأماكن العامة والخاصة، والتفاعلات الرسمية وغير الرسمية، وهي قد تشكلت في المجتمع نفسه، استكمالاً للتجربة المادية والتواصل المباشر والحسي (Parry, 2007. p.100).

هذه التجارب تساعد أيضاً على جذب جماهير جديدة، مثل العائلات، ومن يرافقون الأطفال الصغار المحتاجين إلى مساحة للتنزه والتريض، والجماهير الجديدة التي تبحث عن تجارب جديدة، وليس فقط عن متحف محلي آخر. وقد يكون في قطاعات الجمهور الجديدة هذه أفراد يعانون أيضاً تحديات، مثل عسر القراءة، أو يكون فيهم شخص مسن مصاب بفقدان البصر. هؤلاء عادة لا يعتبرون أنفسهم ذوي احتياجات خاصة، ومع ذلك يفضلون قراءة نصوص أقل، واستخدام وسائل الإعلام البديلة لمعرفة المزيد عن القطع الأثرية (Black, 2012. p. 207).

لائحة المصادر والمراجع

- Anderson, G. (2012). *Reinventing the museum: The evolving conversation on the paradigm shift*. Lanham, Md: AltaMira Press.
- Bennett, T. (1995). *The birth of the museum: History, theory, politics*. London, New York: Routledge.
- Brandi, C. (1997). *Teoria del restauro*. Milano: G. Einaudi.
- Clifford, J. (1997). Museums as Contact Zones. In *Routes: Travel and Translation in the Late Twentieth Century*. pp. 188–219. Mass.: Harvard University Press.
- Falk, J. H., & Dierking, L. D. (2000). *Learning from Museums: Visitor Experiences and the Making of Meaning. Making of Meaning*. Lanham: Rowman & Littlefield Publishers.
- Falk, J. H., Dierking, L. D., & Foutz, S. (2007). *In principle, in practice: Museums as learning institutions*. Lanham: Altamira Press.
- Falk, J. H., & Dierking, L. D. (2013). *The museum experience revisited*. London: Taylor & Francis Group.
- Fischer, D., Anila, S., & Moore, P. (2017). “Coming Together to Address Systemic Racism in Museums”. *Curator: The Museum Journal* 60:23-31.
- Black, G. (2005). *The engaging museum: Developing museums for visitor involvement*. London: Routledge.
- Hein, G. E. (1998). *Learning in the museum*. London: Routledge.
- Hooper-Greenhill, E. (1991). *Museum and Gallery Education*. London; Washington: Leicester University Press.
- London: Taylor & Francis Group.
- Hooper-Greenhill, E. (1992). *Museums and the Shaping of Knowledge*. Routledge.
- Hooper-Greenhill, E. (2007). *Museums and Education: Purpose, Pedagogy, Performance*. London: Routledge.
- Hooper Greenhill, E. (2014). *Museums and their Audiences*. Abingdon: Routledge.
- Janes, R. R. and Sandell, R. (2019). (eds). *Museum Activism*. London and New York: Routledge.
- Kendi, I.X., (2019). *How to Be an Antiracist*. New York: Random House.
- Kreps, C. (2008). Appropriate museology in theory and practice. *Museum Management and Curatorship* 23 (1): 23-41.
- Luke, T. W. (2002). *Museum politics: Power plays at the exhibition*. Minneapolis: University of Minnesota Press.

- Lynch, B. T., & Alberti, S. J. M. M. (2010). Legacies of prejudice: racism, co-production and radical trust in the museum. *Museum Management and Curatorship*, 25, 1, 13-35.
- Macdonald, S. (2011). *A companion to museum studies*. Chichester, West Sussex, U.K: Wiley-Blackwell.
- Marstine, J., Bauer, A.A., & Haines, C. (Eds.). (2013). *New Directions in Museum Ethics* (1st ed.). Routledge.
- Parry, R. (2007). *Recoding the museum: Digital heritage and the technologies of change*. London: Routledge.
- Parry, R. (2013). *Museums in a Digital Age*. Hoboken: Taylor and Francis.
- Parry, R. (2018). Prospecting Postdigital Museum Communication. Royal Danish Academy of Sciences and Letters, Copenhagen 27-28 August 2015
- Preziosi, D., & Farago, C. (2003). *Grasping the world: The idea of the museum*. Aldershot: Ashgate.
- Rayner, A. (1998). *Access in mind: towards the inclusive museum*. Edinburgh: NMS Publishing.
- Sandell, R. (ed) (2002). *Museums, Society, Inequality*. London and New York: Routledge.
- Sandell, R. (2007). *Museums, Prejudice and the Reframing of Difference*. London and New York: Routledge.
- Sandell, R. (2017). *Museums, Moralities and Human Rights*. Routledge: London and New York.
- Sandell, R., and Janes R. (2007). *Museum Management and Marketing*. London: Routledge.
- Sandell, R., Dodd, J., & Garland-Thomson, R. (2010). *Re-presenting disability: activism and agency in the museum*. London: Routledge.
- Sandell, R., & Nightingale, E. (2012). *Museums, equality, and social justice*. Abingdon, Oxon: Routledge.
- Silverman, L. H. (2009). *The social work of museums*. New York: Routledge.
- Spalding, J. (2002). *The poetic museum: Reviving historic collections*. Munich: Prestel.
- Uchida, M, Peng, J. (2018). Feeling the exhibition: Design for an immersive and sensory exhibition experience. In Drotner, K. et al. (ed.), *The Routledge Handbook of Museums, Media and Communication*. Abingdon: Routledge.
- Vergo, P. (1989). *The new museology*. London: Reaktion Books.
- Watson, S. (2007). *Museums and their communities*. Hoboken: Taylor & Francis.
- Weil, S. (2003). Beyond big and awesome: outcome-based evaluation. *Museum News*, 82, 40–5.



إنَّ الأركيولوجيا علم متفرع الإتجاهات والمذاهب، ومن أهدافه الأساسية دراسة الإنسان السالف وما خَلَفه من حضارة مادية وثقافية في زمان ومكان معينين، وذلك من خلال عمليات المسح والتنقيب.

إنَّ هذا الدليل ليس مدخلًا لعلم الآثار أو كتابًا عن التقنيات المستخدمة، إنما هو محاولة لمقاربة مناهج البحث العلمي والتيارات الفكرية في بعض مذاهب علم الآثار، وإعطاء فكرة للطالب عن المنهجيات المعتمدة بحسب الفترات التاريخية، أيضًا بحسب نوع الثقافات المادية المكتشفة واللقى الأثرية، ومناهج البحث العلمي المعتمدة في تاريخ الفن واللغات القديمة، كذلك كيفية مقاربة الإنسان السالف ومحيطه وإعطاء لمحة عن تاريخ وتطور علم المتاحف.

إنطلاقًا من هذا الواقع، وضع هذا الكتاب ليكون دليلًا للطالب في رحلته العلمية للبحث عن إعادة بناء الماضي من خلال البقايا المادية المكتشفة. هدف هذا الدليل تسهيل بحث الطالب من خلال تزويده بأبرز المفاتيح عن علم الآثار وتياراته المعاصرة.

لجنة إعداد الدليل